JASRNB

الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية
علمية محكمة

ISSN (Print) 2569-7269
ISSN (Online) 2569-734X

المركز الديمقراطي العربي

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

JASRNB

Journal of african studies & river nile basin

International scientific periodical journal

المركز الديمقراطي العربي
Democratic Arabic Center

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية محكمة

تصدر عن "المركز الديمقراطي العربي" ألمانيا – برلين.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل.

المجلد السادس/ العدد الثامن والعشرون

كانون الاول – دجنبر 2024.

تنسيق: د. حجوبي سكينة

الترميز الدولي:

ISSN (Print) 2569-7269

ISSN (online) 2569-734X

التصنيف حسب AIMGSJ

B+

المركز الديمقراطي العربي-ألمانيا، برلين

Berlin 10315 Gensinger Str: 112

Tel: 0049-Code Germany

030- 54884375
030- 91499898
030- 86450098

mobiltelefon: 00491742783717

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

رئيس التحرير:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

نائب رئيس التحرير:

د. سعيد كمتي: تخصص الجغرافية البشرية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال، المغرب

نائب رئيس التحرير التنفيذي

د. ادريس الدعيفي: تخصص علم الاجتماع، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب

مدير التحرير

د. عبد الله الحجوي: تخصص جغرافية الأرياف، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب

نائب مدير التحرير

د. شيماء الهواري: دكتورة في القانون العام والسياسات العمومية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ومتخصصة في الإعلام السياسي الدولي، المغرب

أعضاء هيئة التحرير

- د. فاطمة الزهراء زنواكي – جامعة ابن طفيل القنيطرة – المغرب.
- د. محمد أبحير– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. جمال الدين ناسك – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. إبراهيم النجار: نائب رئيس تحرير الأهرام ومدير المركز المصري للتواصل الحضاري ومناهضة التطرف الفكري، باحث في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- حسن كلي ورتي، موظف في وزارة الشؤون الخارجية/قسم التكامل الإفريقي، التشاد، محضر درجة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس بالرباط أكدال. كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية الرباط.
- د.ليلى حنانة – جامعة محمد الخامس الرباط– المغرب.

التنسيق والمراجعة اللغوية:

✓ **اللغة العربية:**

- ليلى حنانة، باحثة في السيميائيات، جامعة محمد الخامس.
- د. فاطمة الزهراء إلهامي، باحثة في السوسيولوجيا.
- د. خالد العلوي، باحث في الجغرافيا.
- أنور بنيعيش: عضو هيأة التفتيش التربوي بأكاديمية طنجة الحسيمة تطوان – المغرب.

- احمد هيهات: مفتش تربوي للتعليم الثانوي بأكاديمية بني ملال خنيفرة – المغرب.
- حسين حسين زيدان: د. العلوم التربوية والنفسية الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي العراق.
- فضيل ناصري: مفتش التعليم الثانوي، تخصص اللغة العربية–جهة العيون الساقية الحمراء (المغرب)
- شكاك سعيد: ذ. بالمركز الجهوي للتربية والتكوين الدار البيضاء–سطات المغرب.
- د. أيوب أيت فارية أستاذ اللغة العربية بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب.
- د. مصطفى محمد أبو النور أستاذ اللغة العربية بجامعة الشارقة.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الفرنسية:**

- ذ. عبد الرؤوف مرتضى – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- ذ. عمادي عبد الحكيم: ذ. اللغة الفرنسية– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الإنجليزية:**

- ذ. خالد الشاوش كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان (المغرب).
- ذ.هشام معدان المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال

رئيس اللجنة العلمية:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

اللجنة العلمية:

- الدكتورة إيمان مختاري: دراسات استراتيجية–المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. آمال خالي: دكتوراه دراسات دولية/المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. لطفي صور: علوم سياسية ودراسات دولية – جامعة معسكر – الجزائر.
- د. حلال أمينة: علاقات دولية ودراسات أفريقية– جامعة الجزائر3.
- د. عبد الرزاق أبو الصبر، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. محمد حسان دواجي: دراسات دولية ونظم سياسية مقارنة/جامعة مستغانم – الجزائر.
- دة. وفاء الفيلالي: أستاذة التعليم العالي تخصص القانون الدستوري وعلم السياسة كلية الحقوق الرباط –المغرب.
- د. عبد الواحد بوبرية: أستاذ التعليم العالي، الجغرافيا البشرية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله المغرب.
- د. عبد المالك بنصالح، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- عيسى البوزيدي، أستاذ التعليم العالي، شعبة الجغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة
- د. البشير المتقي: أستاذ التعليم العالي، القانون الدستوري بجامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. عبد العزيز والغازي: أستاذ الجغرافيا بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب

- د. سعيد كمتي، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. الحسين عماري: دكتوراه في التاريخ – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب
- د. بلبول نصيرة: أستاذة علم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية جامعة زيان عاشور الجلفة –الجزائر.
- د. رحماني ليلى: أستاذة محاضر قسم ب، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية– المركز الجامعي نور البشير البيض الجزائر.
- د. غادة أنيس أحمد البياع: مدرس الاقتصاد، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة مصر.
- د. عبد الواحد شيكر، ذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين خريبكة، المغرب.
- د. سالم تالحوت، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، الدار البيضاء، المغرب.
- د. بوعروج لمياء: أستاذة محاضرة قسم أ بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة.
- د. حطاب أسمهان: أستاذة مؤقتة في جامعة الجزائر 3 قسم العلوم السياسية والإعلام والاتصال الجزائر.
- د. إدريس بوزيدي: دكتور في القانون العام واللغة والتواصل جامعة الحسن الثاني المحمدية المغرب.
- د. رانيا عبد النعيم العشران: دكتوراه الفلسفة في علم الاجتماع / الجامعة الأردنية.
- د. آمنه حسين محمد سرحان: دكتورة علوم سياسية مسار علاقات دولية من جامعة القاهرة مصر.
- د. جامع سموك: كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. محمد جلال العدناني: أستاذ اقتصاد جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال– المغرب.
- د. بن عمـــارة محمـد: أستاذ جامعي: بجامعة ابن خلدون تيارت – الولاية تيارت الجزائر.
- د على عبودي نعمه الجبوري أستاذ جامعي وباحث في إدارة الأعمال جامعة الكوفه العراق أستاذ تسويق والموارد البشرية العراق.
- د. أوان عبد الله الفيضي، كلية الحقوق – جامعة الموصل، العراق.
- د. أحمد عبد السلام فاضل مهدي السامرائي، التاريخ الحديث والمعاصر، العلاقات الدولية المغرب، اسبانيا–العراق.
- د.خاليد الحاضري كلية الاداب والعلوم الانسانية مراكش
- د. محمد بواط: أستاذ محاضر قسم أ كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.
- د. مشرفي عبد القادر: أستاذ محاضر كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
- د. سمير بوعافية: أستاذ محاضر بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة البشير الإبراهيمي –الجزائر.
- محمد عدار ابن علي وعميروش بهجة: أستاذ محاضر(ب) جامعة "أمحمد بوقرة" بومرداس المدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس –باجي مختار–الرويبة –نع1 الجزائر.
- د. قحطان حسين طاهر: دكتوراه علوم سياسية أستاذ مساعد جامعة بابل العراق.
- د. محمد بوبوش: أستاذ التعليم العالي، الكلية المتعددة التخصصات–الناظور–جامعة محمد الأول المغرب.
- د. بوذريع صالحة: أستاذة محاضرة علوم بيئية جامعة حسيبة بن بوعلي شلف الجزائر.
- د. قاضي نجاة: أستاذة محاضرة كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وجامعة خميس مليانة الجزائر:
- د. جاسم محمد علي الطحان رئيس قسم الإدارة والاقتصاد أستاذ مساعد كلية الرشيد للتعليم المختلط تركيا.

- د. سالم محمد ميلاد الحاج: ذ مساعد جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم مسلاته، علم الاجتماع، ليبيا.
- د. لحرش عبد الرحيم: أستاذ مؤقت، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، غرداية الجزائر.
- د. عمرو محمد يوسف محمد المدرس: أستاذ بقسم الاقتصاد والمالية العامة المعهد المصري أكاديمية الإسكندرية للإدارة والمحاسبة وزارة التعليم العالي جمهورية مصر العربية.
- د. بوصبيع صالح رحيمة: أستاذ محاضر "أ" جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي الجزائر.
- د. حسن رامو: أستاذ التعليم العالي مؤهل، معهد الدراسات الأفريقية – جامعة محمد الخامس –الرباط المغرب.
- د. خليدة محمد بلكبير أستاذة محاضرة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة الجيلالي بونعامة الجزائر.
- الدكتور عبد القادر التايري أستاذ الجغرافيا البشرية بجامعة محمد الأول، وجدة.
- د. جواد الزروقي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

شروط النشر بالمجلة:

1. أن يكون البحث أصيلا معدّ خصيصا للمجلة، وألا يكون جزءا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.
2. ألا يكون البحث قد نشر جزئيا أو كليّا في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
3. أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث باللغة العربية واللغة الإنجليزية أو الفرنسية.
4. يرسل الباحث البحث المنسّق في ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:
   africa@democraticac.de
5. تخضع الأبحاث والترجمات إلى تحكيم سرّي من طرف هيئة علمية واستشارية دولية، والأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
6. يبلّغ الباحث باستلام البحث ويحوّل بحثه مباشرة للهيئة العلمية الاستشارية.
7. يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر بقرار اللجنة العلمية وبموافقة هيئة التحرير على نشرها.
8. الأبحاث التي ترى اللجنة العلمية أنها قابلة للنشر وعلى الباحثين إجراء تعديلات عليها، تسلم للباحثين قرار المحكّم مع مرفق خاص بالملاحظات، على الباحث الالتزام بالملاحظات في مدة تحددها هيئة التحرير.

يستلم كل باحث قام بالنشر ضمن أعداد المجلة: شهادة نشر وهي وثيقة رسمية صادرة عن إدارة المركز الديمقراطي العربي وعن إدارة المجلة تشهد بنشر المقال العلمي الخاضع لتحكيم، ويستلم الباحث شهادته بعد أسبوع كأقصى حد من تاريخ إصدار المجلة.

9. للمجلة إصدار إلكتروني حصري صادر عن المركز الديمقراطي العربي كما أنها حاصلة على الترميز الدولي:

ISSN 2569-734X

10. لا يراعى أي أسبقية في نشر المواد العلمية ضمن أعداد المجلّة، بحيث أن المعيار الأساسي لقبول النشر ضمن أعداد المجلة هو جودة وأصالة المادّة العلمية وسلامة اللغة والعناية بكل ما يتعلق بالضوابط المنهجية في البحث العلمي.
11. أي تقرير صادر من اللجنة العلمية بما يتعلّق بالسرقة العلمية فسيحمّل الباحث تبعات وإجراءات كما هو متعارف عليه في سياسات المجلة العلمية الدولية.
12. تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، كما يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة.
13. تعرض المقالات إلى مدققين ومراجعين لغويين قبل صدورها في أعداد المجلة.
14. لغات المجلّة هي: العربية، الإنجليزية والفرنسية.
15. في حالة الترجمة يرجى توضيح سيرة ذاتية لصاحب المقال الأصلي وجهة الإصدار باللغة الأصلية.

كيفية إعداد البحث للنشر:

–يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

–الملخص التنفيذي باللغة العربية– الإنجليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.

–تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

كما يجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة بيبليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

– أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده" المركز الديمقراطي العربي" في أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع.

– تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.

–ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:

أ– إذا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث واسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات،

ISSN 2569-734X

سنة النشر.

ب– إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج– إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د– إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن نتشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هدا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس 25/21، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

–نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو **Sakkal Majalla**

–حجم 16 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.

–حجم 11 عادي للجداول والأشكال ، وحجم 12عادي بالنسبة للملخص والهوامش.

–نوع الخط في الأبحاث باللغة الإنجليزية **Times New Roman** ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 12 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال، 10 عادي للملخص والهوامش.

–يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسب 2,5 على اليمين واليسار و2 أعلى وأسفل،

قصد تسهيل عملية تنسيق المقالات والأبحاث فإن المجلة تضع رهن إشارة المهتمين قالب يحترم الضوابط الشكلية.

وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل"

ISSN 2569-734X

الفهـــرس

ر.ت	مؤلف/مؤلفو المقال Author(s)	عنوان المقال Title	الصفحات Page Range
01	هيئة التحرير	**افتتاحية العدد الثامن والعشرون**	11-10
	المقالات باللغة العربية		
02	عبدالسلام سالم مسعود البوسيفي	أسباب الهجرة غير الشرعية	28-12
03	محمد العلاوي	دور إدارة الجمارك والضرائب غير المباشرة في تدبير الكوارث: التخليص الجمركي للمساعدات الاغاثية نموذجا	47-29
04	حسن الطويل	الامتداد العمراني للمغاربة بجنوب الصحراء خلال العصر الوسيط	55-48
05	حميد فطاس، عبد المنعم عوكاشة، كمال الحريشي، محمد مخشان	مساهمة في خرائطية السهول الفيضية باستخدام النهج الهيدروجيمورفولوجي حالة واد لحضر (عالية إيناون، المغرب)	68-56
06	المحجوبي زكرياء، عبد القادر التايري	مساهمة الهجرة الدولية في التحولات السوسيومجالية بأرياف ملوية الوسطى : حالة جماعة افريطيسة بإقليم بولمان (المغرب)	86-69
07	لحسن بوفكر طالب، المختار المامون طالب	الحوض المائي لواد الأخضر بمنطقة "تالمست" دراسة هيدرولوجية	101-87
08	نورالدين أحميان	الحركة الوطنية بالمغرب الخليفي والانقلاب العسكري الإسباني لسنة 1936	113-102
09	خريصي عبد الحكيم	المجال والهجرة: من الاستقرار الاجتماعي نحو النزوح الجماعي دراسة سوسيولوجية لواحة زيز الأسفل	128-114
10	عبدالمولى موسى محمد موسى، مشاعر الهلالي محمـــد خليفه	فاعلية تكنولوجيا الإتصال في البرامج التعليمية وإنعاكساتها على الأداء الأكاديمي للطالب الجامعي	148-129
11	أحلام ناجي، عبد المجيد السامي، رشيدة نافع	سافلة واحة تافيلالت بين ندرة الموارد وأشكال التأقلم (الريصاني نموذجا)	163-149
12	محمد سالمين	البقاء أو المغادرة : الديناميات الأسرية وسيرورات تشكل قرار العودة نحو الوطن	178-164
13	عبد الرحمان الناطوس	الاخطار الطبيعية والبيئية بالحوز الشرقي في ضل التغيرات المناخية (دراسة ميدانية)	197-179
14	عبد الفتاح دالي، التهامي ديبون	الجفاف وتحديات استدامة الموارد المائية بالمغرب-حالة تساوت السفلى-	215-198
15	محمد جدوبي	العلاقات بين المغرب ودول غرب إفريقيا: الواقع و التحديات	238-216
16	أونايسية سمية	التهديدات اللاتماثلية وضرورة التنسيق في منطقة الساحل الافريقي	252-239
17	عبد الصمد الزو	السياحة الجبلية بجماعة توبقال المغربية: تثمين التراث الطبيعي والثقافي لتحقيق التنمية المستدامة	274-253
18	النعمة بوشامة	النخب في المجتمع الصحراوي	284-275
19	مولاي الحبيب صبري العلوي	إضاءات حول مشاريع إصلاح التعليم المغربي قبل عهد الحماية	297-285
	المقالات باللغات الأجنبية		
20	DAANI ABDELLAH	La guerre en Ukraine : les prémices d'un nouvel ordre mondial?	314-298
21	Shaimaa A. Metwalli , Eman Abd El-Hamid Taha , Nermeen Mohamed Tawfik	Food Security in Sub-Saharan Africa: Analysis of Current Situation and Future Scenarios	348-215
22	Abdelmonaim OKACHA, Hamid FATTASSE, Kamal LAHRICHI2, Mohamed MAKHCHANE	Évaluation et cartographie des risques d'inondation en milieu rural : application d'un modèle hydraulique 1D	368-349

ISSN 2569-734X

افتتاحية العدد

إفريقيا، القارة التي تضم أكثر من 1.4 مليار نسمة، تتمتع بإمكانات هائلة من حيث الموارد الطبيعية، والتنوع البيئي، والشباب المتنامي، لكنها تواجه تحديات كبيرة في تحقيق التنمية المستدامة. يشهد الاقتصاد الإفريقي تغييرات ملموسة في السنوات الأخيرة، إلا أن الواقع الاجتماعي والاقتصادي لا يزال بعيدًا عن تحقيق التنمية الشاملة. لتحسين هذا الواقع، يجب تبني استراتيجيات اقتصادية واجتماعية مبتكرة تهدف إلى تعزيز النمو المستدام، وتقليل الفقر، وتوسيع الفرص لجميع أفراد المجتمع.

التحديات الاقتصادية والاجتماعية

إفريقيا، رغم امتلاكها لموارد ضخمة من المعادن والطاقة، تعاني من تحديات اقتصادية واجتماعية متعددة. يتمثل أبرز هذه التحديات في الفقر المنتشر، والذي يعاني منه ما يقارب 40% من سكان القارة وفقًا للبنك الدولي. إضافة إلى ذلك، تعتبر البطالة واحدة من القضايا الكبرى التي تؤثر على الشباب الإفريقي، حيث يعاني العديد منهم من نقص الفرص الاقتصادية والتعليمية.

تفاقمت هذه التحديات بسبب التغيرات المناخية التي أثرت على الزراعة، التي تعد مصدر رزق رئيسي لمعظم سكان القارة، وأدت إلى انعدام الأمن الغذائي في العديد من المناطق. من جهة أخرى، لم تسهم سياسات التنمية في تحقيق المساواة بين الجنسين أو تمكين المرأة بشكل كامل، مما أثر سلبًا على تحسين نوعية الحياة في العديد من الدول الإفريقية.

فرص النمو والتحول الاقتصادي

لتحقيق التنمية المستدامة، يتعين على الدول الإفريقية تحويل التحديات إلى فرص. هناك العديد من المجالات التي يمكن أن تكون محورية في تحقيق هذا التحول:

1. **الاستثمار في البنية التحتية**: تُعتبر البنية التحتية من العوامل الرئيسية لتحقيق التنمية. يجب على الحكومات الإفريقية تحسين شبكة الطرق، والمواصلات، والطاقة، والتعليم، والمياه، من خلال استثمارات كبيرة في هذه القطاعات. مثل هذه المشاريع يمكن أن تساهم في خلق فرص العمل، وتعزيز التجارة بين الدول الإفريقية، وتحفيز النمو الاقتصادي.
2. **التحول الرقمي**: شهدت إفريقيا في السنوات الأخيرة طفرة في التكنولوجيا الرقمية، وهو ما يفتح الأبواب أمام العديد من الفرص الاقتصادية. من خلال تحسين الاتصال بالإنترنت وتطوير منصات التجارة الإلكترونية والخدمات المالية الرقمية، يمكن للدول الإفريقية تعزيز الشمول المالي وزيادة فرص الوصول إلى الأسواق العالمية.
3. **التصنيع المحلي**: رغم أن إفريقيا غنية بالموارد الطبيعية، إلا أن العديد من هذه الموارد تُصدَّر بشكل خام إلى الخارج، ما يحرم القارة من فرص القيمة المضافة. لذلك، يعد تطوير قطاع التصنيع المحلي أحد الحلول الأساسية لتنمية الاقتصاد الإفريقي، من خلال إقامة مصانع وورش صناعية تعزز الإنتاج المحلي وتخلق فرص عمل.
4. **التعليم والتدريب المهني**: يُعد الاستثمار في التعليم من أهم العوامل التي تساعد في تحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي في إفريقيا. من خلال تحسين الوصول إلى التعليم الجيد، وخاصة التعليم التقني والمهن اليدوية،

يمكن للأفراد في القارة الإفريقية اكتساب المهارات التي يحتاجونها للاندماج في سوق العمل وتحقيق استقلال اقتصادي.

تحقيق التنمية الاجتماعية

تتطلب التنمية الاجتماعية أيضًا تغييرات كبيرة في كيفية التعامل مع القضايا الاجتماعية، مثل الفقر، والصحة، والمساواة. تحقيق العدالة الاجتماعية يتطلب اهتمامًا خاصًا بالفئات الأكثر ضعفًا، مثل النساء، والأطفال، والأقليات.

1. **العدالة الاجتماعية والمساواة بين الجنسين** :من الضروري تمكين المرأة الإفريقية من خلال منحها فرصًا متساوية في التعليم والعمل والمشاركة في الحياة السياسية. تمكين المرأة ليس فقط حقًا إنسانيًا، بل هو أيضًا عامل رئيسي في تعزيز النمو الاقتصادي، حيث أظهرت الدراسات أن مشاركة المرأة في القوى العاملة تعزز من إنتاجية الاقتصاد بشكل عام.
2. **تحسين الرعاية الصحية** :الصحة تمثل أحد المجالات الأساسية لتحقيق التنمية الاجتماعية. إن تحسين النظام الصحي في إفريقيا يعد خطوة أساسية لتحقيق حياة أفضل للمواطنين. يجب تكثيف الجهود لتحسين الرعاية الصحية، خاصة في المناطق الريفية، وتوسيع برامج التطعيم والتعليم الصحي للحد من الأمراض المزمنة والمعدية.
3. **العدالة الاجتماعية والتعليم** :ضرورة تحقيق المساواة في التعليم بين جميع الطبقات الاجتماعية والفئات العمرية، وضمان الوصول إلى التعليم الجيد في المناطق النائية والفقيرة. إن تعزيز التعليم الأساسي والتقني يساعد الأفراد على تحسين فرصهم الاقتصادية ويقلل من مستويات الفقر.

التكامل الإقليمي والتعاون الدولي

تعتبر الوحدة والتعاون بين دول القارة أحد العوامل الرئيسية لتحقيق التنمية الشاملة. إن تعزيز التجارة بين الدول الإفريقية من خلال اتفاقيات مثل منطقة التجارة الحرة القارية الإفريقية (AfCFTA) سيساعد على رفع مستوى النمو الاقتصادي وخلق فرص عمل جديدة.

علاوة على ذلك، فإن التعاون مع الشركاء الدوليين من خلال البرامج التنموية والمساعدات التقنية يمكن أن يساهم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة. يجب أن تركز هذه الشراكات على تعزيز الحوكمة الرشيدة، وحقوق الإنسان، والمساواة بين الجنسين، وتمويل المشاريع المستدامة.

الخلاصة

إفريقيا لديها كل الإمكانيات التي تمكنها من تحقيق التنمية المستدامة، ولكنها تحتاج إلى تغييرات جذرية في استراتيجياتها الاقتصادية والاجتماعية. من خلال التركيز على الاستثمار في البنية التحتية، والتعليم، والتصنيع، والشمول المالي، يمكن للقارة الإفريقية أن تحقق تحولات اقتصادية واجتماعية كبيرة. إن النجاح في هذا المجال يتطلب التعاون بين الحكومات، القطاع الخاص، والمجتمع المدني، مع مراعاة القيم البيئية والاجتماعية لضمان استدامة النمو ورفاهية الأجيال القادمة.

سكينة حجوبي

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

أسباب الهجرة غير الشرعية

Causes of illegal immigration

عبدالسلام سالم مسعود البوسيفي

قسم السمع والنطق – كلية التقنية الطبية صرمان – جامعة صبراتة – ليبيا (Z5973481@gmail.com)

الملخص:-

تعتبر الهجرة ظاهرة إنسانية وحقا مشروعا لكل فرد، حيث عرفتها الأمم منذ القدم، ولكن وبعد الارتفاع في اعداد السكان تم العمل على ترسيم الحدود بين الدول، وسن القوانين التي تحكم تلك التحركات والتنقلات، ولكن ونظرا لعدة عوامل اقتصادية، وتعليمية، واجتماعية جعلت العديد من المهاجرين يسلكون طريق غير شرعي للهجرة إلى دول أخرى إما طلبا للرزق أو للتحسين من تلك الظروف المعيشية الصعبة، حتى باتت ظاهرة عالمية، ومشكلة تؤرق الدول سواء كانت مصدرة أو مستقبلة لها أو حتى دول عبور لهؤلاء المهاجرين، وفي ظل ما يترتب على هذه الظاهرة من تهديدات تمس جميع الدول، عكف الكثير من الباحثين والمهتمين بهذا الجانب على دراسة هذه الظاهرة، والبحث في أسبابها، وسبل الحد من انتشارها، ومن ضمن هذه الدراسات هذه الدراسة التي هدفت إلى التعرف على أسباب انتشار هذه الظاهرة، بعينة بلغت (240) مهاجر غير شرعي من جنسيات مختلفة، حيث استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، كما استخدمت الدراسة اداتي المقابلة والملاحظة في جمع البيانات والمعلومات، حيث أسفرت نتائج هذه المقابلات عن تربع الظروف الاقتصادية قائمة تلك الأسباب والعوامل التي تؤدي بالمهاجر إلى ترك وطنه والهجرة إلى بلدان أخرى، حيث ان أغلب الدول المصدرة للهجرة غير الشرعية تعاني من فقر شديد، وانتشار للبطالة، كما تعاني من ضعف شديد في الأجور، مما دفع المهاجر إلى التفكير في الهجرة، كذلك لعبت الحروب وانتشار الصراعات في هذه الدول دورا وعاملا مهما في هجرة مواطني هذه الدول من بلدانهم، كما لعبت انتشار الأمية في هذه الدول عاملا لا يقل اهمية عن سابقيه، حيث يعد غياب الوعي وانتشار الجهل من الأسباب التي تؤدي بالمهاجر إلى ترك وطنه والهجرة إلى بلدان أخرى، كما يلعب الإعلام دورا هاما في هذه الظاهرة، حيث يلعب الإعلام عامل جذب قوي للمهاجرين غير الشرعيين للهجرة من أوطانهم إلى هذه الدول.

الكلمات المفتاحية: أسباب - الهجرة -غير الشرعية.

Abstract:

Immigration is considered a human phenomenon and a legitimate right for every individual, as nations have known it since ancient times. However, after the increase in population numbers, work was done to demarcate borders between countries and enact laws that govern these movements and movements. However, due to several economic, educational, and social factors that made many... Migrants take an illegal path to immigrate to other countries, either to seek livelihood or to improve those difficult living conditions, to the point that it has become a global phenomenon, and a problem that worries countries, whether they are exporting or receiving them, or even transit countries for these immigrants, and in light of the threats resulting from this phenomenon. It affects all countries. Many researchers and those interested in this aspect have devoted themselves to studying this phenomenon, researching its causes, and ways to limit its spread. Among these studies is this study, which aimed to identify the reasons for the spread of this phenomenon, with a sample of (240) Illegal immigrants of different nationalities. This study used the descriptive analytical approach. The study also used interview and observation tools to collect data and information. The results of these interviews revealed that economic conditions top the list of reasons and factors that

lead the immigrant to leave his homeland and immigrate to other countries. As most of the countries exporting illegal immigration suffer from extreme poverty, widespread unemployment, and very weak wages, which prompted immigrants to think about immigration, wars and the spread of conflicts in these countries also played an important role and factor in the migration of citizens of these countries from their countries. The spread of illiteracy in these countries also played a factor no less important than its predecessors, as the lack of awareness and the spread of ignorance are among the reasons that lead immigrants to leave their homeland and migrate to other countries. The media also plays an important role in this phenomenon, as the media plays a strong factor of attraction for immigrants. Illegal immigrants to immigrate from their homelands to these countries.

key words: Reasons - Immigration – Illegality.

المقدمة:

تعتبر الهجرة غير الشرعية إحدى الظواهر العالمية والتي لا تقتصر على بلد بعينه، فهذه الظاهرة موجودة منذ القدم فهي ليست وليدة اليوم، حيث أن الأشخاص الذين يرغبون في الهجرة لا يرغبون في الهجرة لمجرد الهجرة، فمنهم من يبحث عن مصدر للدخل، أو لأسباب أمنية وسياسية، أو هرباً من الأعمال القتالية، وغيرها من الأسباب الأخرى التي قد تؤدى بالشخص للرغبة في الهجرة (الكوت، 2017، ص: 131) ومن أهم أسباب الهجرة غير الشرعية وجود الصراعات المسلحة التي جعلت الأفراد يهربون من الموت والدمار آملين بمستقبل أفضل، مما يضطر الأشخاص إلى الهرب من كافة أشكال العنف التي يمكن أن تصل إلى القتل والعبودية بعد افتقادهم لأسلوب العيش الكريم في أوطانهم بسبب معاناتهم من أوضاع سياسية، واقتصادية، واجتماعية متردية، حيث فرص العمل الوفيرة والمردود المالي الوفير، فالبيئات الغنية نسبياً والتي تتوافر فيها سبل العيش الكريم وفرص العمل تشكل عوامل جذب للمهاجرين (خضر، 2016) حيث ظهر مفهوم الهجرة غير الشرعية بعد ظهور الدول والتنظيم الدولي، حيث مع نشأة الدول ظهرت الحدود الجغرافية والسياسية، وظهرت المعابر القانونية، وأصبح تجاوز الحدود من دولة الى دولة أخرى عملاً غير شرعي ومخالفاً لأنظمة الدول وقوانينها، لذا تعد الهجرة السرية، أو غير القانونية، أو غير الشرعية، أو غير النظامية الحديثة ظاهرة عالمية موجودة في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي، أو في الدول النامية في آسيا كدول الخليج، ودول المشرق العربي، وفي أميركا اللاتينية حيث أصبحت بعض الدول كالأرجنتين، وفنزويلا، والمكسيك تشكل قبلة لمهاجرين قادمين من دول مجاورة، وفي أفريقيا حيث الحدود الموروثة عن الاستعمار لا تشكل بتاتا بالنسبة للقبائل المجاورة حواجز عازلة وخاصة في بعض الدول مثل ساحل العاج، وجنوب أفريقيا، ونيجيريا، ولكن هذه الظاهرة اكتست أهمية بالغة في حوض البحر الأبيض المتوسط نظرا لاهتمام وسائل الإعلام بها، فأصبحت تشكل رهانا أساسيا في العلاقات بين الشاطئين (حافظ، 2013، ص:47) فلقد كان للهجرة غير الشرعية او السرية أثرا كبيرا على واقع الدول التنموي والاقتصادي، لان الهجرات غير الشرعية تشكل عبئاً على الدولة المستضيفة، من هنا جاء تعريف الهجرة غير المشروعة، أو الهجرة السرية بأنها عملية انتقال الأفراد والجماعات بين الدول بطريقة غير قانونية، وتكون خارقة للقوانين والإجراءات للبلد المهاجر إليه، حيث يدخلها المهاجر دون الحصول على تأشيرة دخول، مما يشكل اثراً سيئا اقتصادياً او امنياً على البلد المستضيفة (التميمي، 2011، ص: 260) كما عرفت الهجرة غير الشرعية باعتبارها وسيلة يتبعها الأشخاص للوصول إلى دولة بعينها بطريقة غير رسمية، بعيداً عن الوثائق الرسمية، وبعيداً عن ملفات الهجرة، وغالباً ما يكون الغرض من الهجرة غير الشرعية هو اللجوء، أو الهجرة للعمل في الدولة المقصودة بطريقة غير رسمية ومخالفة للأنظمة والقوانين بل والأعراف الدولية، لذا فالهجرة السرية هي انتقال

أفراد أو جماعة من مكان إلى آخر بطرق سرية مخالفة لقانون الهجرة كما هو متعارف عليه دوليا، فهي تشمل العديد من أصناف المهاجرين مثل: المهاجرين الذين ينتهكون نظام اللجوء، والمهاجرين الذين يدخلون الدول بطريقة غير شرعية، ويعملون بطرق غير شرعية، وينتهكون قواعد الزيارة، ويصبحون ضحايا الاتجار بالبشر وتهريب المهاجرين كالسلع والبضائع (رؤوف، 2014، ص: 8) وقد شهدت الدول المتقدمة إشكالية كبيرة حيال ظاهرة الهجرة غير الشرعية، وتعد شعوب القارة الإفريقية أكثر دول العالم تعرضا للهجرة، وقد تنامت هذه الظاهرة في بدايات القرن الماضي بفعل الفقر، ونقص فرص العمل، والقمع السياسي، والديني، والعنصري، ثم أتت العولمة لتفاقم حركة البشر وتوسع رقعة البلدان المعنية بهذه الظاهرة، حيث يوجد في بداية الألفية الثالثة مهاجر واحد من (35) مستقرا في بلده، وقد دفعت العولمة الاقتصادية إلى تغيير اتجاهات الهجرة، فأصبحت بلدان مثل سنغافورة وإندونيسيا محط أنظار الباحثين عن العمل من الهند والصين، وباكستان، وأصبح المشرق العربي خاصة البلدان الخليجية مقصداً من قبل مهاجرين من الفلبين، وسريلانكا، وغيرهما (أحمين، 2008، ص: 4) لذلك تقوم إشكالية الهجرة غير الشرعية في كيفية التعامل مع الإنسان المهاجر من إطار الإنسانية، وكذلك الحقوق القانونية الممنوحة للمهاجر الشرعي أو غير الشرعي، والإجراءات الخاصة باستخدام ممارسات العبودية تجاه المهاجرين، ومن ثم استغلالهم في كل الأطر اللاأخلاقية واللاإنسانية، حيث تعرض كثير من المهاجرين السوريين للبيع في سوق العبيد حيث ما زالت ظاهرة العبودية نمط إنتاج وعيش في أوساط عديدة من مجتمعاتنا العربية تدعمها الثروة، والبترول (مبروك، 2017، ص:4) لذلك نشأت ظاهرة التهريب البشري بعد الحرب العالمية الثانية، ومع تطور سيادة الدول على أراضيها ومعابرها البرية والبحرية، وقد نشطت حركة التهريب البشري في الدول الفقيرة ذات الأعداد السكانية المتزايدة وذات معدلات الفقر المرتفعة في الدول الإفريقية، وبعض الدول الآسيوية، ودول أمريكا الجنوبية، ويتم تهريب المهاجرين، وإجراءات الدخول غير المشروع لشخص ما إلى دولة أخرى يتم من قبل المقيمين الدائمين في الدولة المستضيفة، حيث يقوم شخص بمفرده أو مجموعات صغيرة باستخدام قوارب التهريب مقابل مبالغ معينة من المال أو الصعود في السفن البحرية أو التجارية بدون علم إدارة وملاحي السفن معتمدين في ذلك على السباحة للتسلل إلى السفن أثناء عمليات الشحن والتفريغ، وعادة ما يختفون داخل المخازن، أو داخل المستودعات، أو قوارب النجاة، أو عن طريق البر، حيث يستخدم هؤلاء الأفراد الممرات البرية التي تقل فيها نقاط ومراكز المراقبة من قبل حرس الحدود، ويتم تهريب المهاجرين عن طريق عصابات منظمة، ومن خلال شبكات التهريب العالمية التي تضم أشخاص ذو خبرات في قوانين الهجرة، والجنسية، والإقامة، ومن عملوا في وكالات السفر، والسياحة، وشركات النقل البري والبحري (المبارك، 2008، ص :7) لذلك قام الباحث بإجراء هذه الدراسة لتسليط الضوء بشكل أكبر على هذه الظاهرة والتعرف على أسبابها.

مشكلة الدراسة:

مع ظهور الدولة والحدود السياسية والجغرافية ومناطق العبور القانونية، اتخذت الدول التدابير لتقنين الهجرة ضمن قوانين وأنظمة خاصة بها، وقد شكلت ظاهرة الهجرة غير القانونية أبعاداً خطيرة داخل المجتمعات، مما تطلب تكثيف الجهود بين دول الإرسال، والعبور، والاستقبال للمهاجرين غير الشرعيين، مع تحمل مسؤولية اتخاذ تدابير مشتركة بين الدول من خلال اتفاقيات وذلك من أجل إيجاد الحلول الملائمة لهذه الظاهرة، وقد كانت الحلول الجزئية غير فعالة، ورغم أن المعالجة الأمنية ساهمت في تخفيض عدد المهاجرين غير القانونيين إلا أنها لم تعد وحدها كافية نظرا لمحدوديتها، وأصبح من الضروري محاولة إيجاد التوافق بين البعد الأمني والاجتماعي، واتخاذ تدابير جماعية من أجل تحقيق نمو اقتصادي واجتماعي للبلدان المرسلة للمهاجرين عن طريق معالجة الأسباب العميقة والحقيقية لهذه الهجرة غير القانونية (أحمد، 2015، ص: 5) وقد مرت الهجرات بعدة مراحل ارتبطت بعدت إشكاليات منها إشكالية مرتبطة بحاجة الدول الأوروبية الماسة للعمالة القادمة من الجنوب والتي يقصد بها العمالة من دول افريقيا، حيث كانت الدول الأوروبية نفسها هي

المتحكمة بحركة تدفق المهاجرين من الجنوب عبر قنوات التجمع العائلي أو عبر مكاتب غير شرعية، وبعد أن استقر هؤلاء المهاجرين في أوروبا، برزت إشكالية المطالبة بحقوقهم، مثل حق أبنائهم دخول المدارس الحكومية وحقوق التأمين، وتعد تلك الإشكالية بداية بلورة الخطابات الحقوقية للمهاجرين، ويبدو أن الكثير من المهاجرين استفاد من غفلة الأنظمة الأمنية الأوروبية في هذه المرحلة بالذات، وذلك يعود الى غياب الأنظمة والقوانين التي تضبط آلية الدخول وإجراءات العمل التي أدركوها لاحقا (دياب، 2015، ص: 11) كذلك مزاحمة المهاجرين أبناء البلد الأصليين على الخدمات كافة، وقد بدأ ظهور هذه الاشكالية خلال الفترة ما بين (1985-1995) وقد أبرزت هذه الإشكالية الاكتفاء وعدم الحاجة لوجود فائض من المهاجرين غير الشرعيين مما أدى الى ظهور التناقضات المرتبطة بالمهاجرين الشرعيين ومزاحمتهم أبناء البلد الأصليين، وفي مقابل هذا الوضع الاحترازي تزايدت رغبة أبناء الجنوب في الهجرة تجاه دول الشمال ما أدى إلى إغلاق الحدود، في تلك الظروف وقعت اتفاقية شنغن في (19 حزيران 1995) ومع دخول هذه الاتفاقية الموقعة بين كل من فرنسا، وألمانيا، ولكسمبورغ، وهولندا حيز التنفيذ سمح بحرية تنقل الأشخاص المنتمين إلى الفضاء الأوروبي (أحمد، 2017، ص:7) كذلك أثر المهاجرين غير الشرعيين على أمن بلدان أوروبا، مما استدعى الدول الأوروبية والغنية اتخاذ إجراءات أمنية صارمة عبر تنفيذ مقررات القانون الجديد للهجرة والذي يستند إلى تبني إجراءات صارمة بخصوص مسألة التجمع العائلي، وإبرام اتفاقيات مع دول الجنوب حول ترحيل المهاجرين غير الشرعيين، هذه الاجراءات خففت شيئاً ما من الهجرات غير الشرعية، وكرد فعل تجاه هذه السياسة بدأ ما يعرف الآن بالهجرة غير الشرعية السرية والتي تحتال على عملية الالتحاق بالدول الأوروبية بدون وجه قانوني (السيد، 2011، ص:4) كذلك شكلت الهجرة غير النظامية عبئا اقتصادياً على الدول المتقدمة كونها كانت هجرة اقتصادية لمهاجرين يبحثون عما يعرف بـ الفردوس الأوروبي في بداية الأمر، لكن الهجرات الحالية هي هجرات تأخذ طابع التهجير الإجباري لأنها هجرات ناتجة عن النزاعات السياسية المسلحة التي تشهدها بعض دول العالم الثالث فمنذ الثورات العربية في العام (2011) أدت الاضطرابات والقلاقل التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط إلى موجات كبيرة من المهاجرين إلى أوروبا، بحثا عن حياة أفضل، وهربا من الحروب الأهلية، والمجاعات، والفقر، لكن هذه الرحلة غالبا ما تكون محفوفة بالمخاطر، مما نتج عنها مقتل المئات من المهاجرين بسبب غرق سفن، أو قوارب قبل وصولها إلى سواحل شمال البحر المتوسط (دياب، 2015، ص: 13) كذلك تطورت ظاهرة جريمة الاتجار بالبشر، حيث أن دول أوروبا تدرك التحول في ظاهرة الجريمة المنظمة في منطقة المتوسط، وقد أصبحت ظاهرة الاتجار بالبشر أكثر ربحا وأمنا من تهريب المخدرات، ومن هنا تشكل هذه الظاهرة معضلة لأوروبا وإذا لم تبدأ الدول الأوروبية بحل هذه المعضلة ستتشكل جريمة في حق الإنسانية (بن عنتر، 2015، ص:13) واستنادا لكل ما سبق، يرى الباحث ضرورة تسليط الضوء أكثر على هذه الظاهرة والتعرف على أسبابها، وقد اطمئن الباحث لما استقر في نفسه من معلومات وملاحظات أيدت كلها أهمية هذه الدراسة والتي أثبتت أن هناك حاجة ماسة للتعرف أكثر على الأسباب التي تؤدي بالمهاجر إلى ترك وطنه والهجرة إلى بلدان أخرى.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة الحالية في عدة نقاط والتي يمكن توضيحها على النحو التالي:

1. تفيد الدراسة في رصد الواقع الميداني لظاهرة الهجرة غير الشرعية، والتعرف على أسبابها.
2. تعد هذه الدراسة إسهاماً علمياً في سبيل الحد من انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية.
3. الوصول إلى نتائج يمكن على أساسها تقديم عدد من التوصيات والمقترحات التي قد تساعد المهتمين بهذا الجانب، والمسؤولين في الحد من هذه الظاهرة.

4. قد تسهم الدراسة في الكشف عن الثغرات الموجودة في برنامج الحد من ظاهرة الهجرة غير الشرعية الحالي، وإعداد برامج اكثر فعالية للحد من هذه الظاهرة.

أهداف الدراسة:

يحاول الباحث في هذه الدراسة تحقيق الأهداف التالية:

1. التعرف على أسباب الهجرة غير الشرعية.
2. تسليط الضوء على ظاهرة الهجرة غير الشرعية.

تساؤلات الدراسة:

يسعى الباحث في هذه الدراسة إلى الإجابة عن تساؤل الدراسة التالي والمتمثل في:

1. ما الأسباب التي تؤدي الى انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية ؟

حدود الدراسة:

وتتمثل حدود الدراسة في:

- **الحد الموضوعي**:- والذي يتمثل في دراسة والبحث عن الأسباب التي تؤدي لانتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية.
- **الحد المكاني**:- والذي يتمثل في عدد من مراكز احتجاز المهاجرين غير الشرعيين بليبيا.
- **الحد الزماني** :- خلال العام 2023م.
- **الحد البشري** :- والذي يتمثل في عدد من المهاجرين غير الشرعيين في عدد من مراكز احتجاز المهاجرين غير الشرعيين بليبيا بعدد (240) مهاجر غير شرعي من جنسيات أجنبية مختلفة.

مصطلحات الدراسة:-

وتتمثل في:

الهجرة غير الشرعية (illegal emigration):

هي الهجرة التي تتم بطرق غير قانونية أو غير مشروعة ومن مقومات اللامشروعية هنا استخدام وثائق مزورة أو وسائل غير قانونية في الانتقال والدخول إلي بلد المقصد (عباد، 2008، ص: 221)

الإطار النظري:

قراءة نظرية لظاهرة الهجرة غير الشرعية:

لا يوجد تعريف دولي شامل ومحدد لظاهرة الهجرة غير الشرعية، غير أن هناك توافقا على أن المقصود هو الهجرة خارج المعايير التنظيمية للدولة المرسلة، أو دولة العبور، أو الدولة المستقبلة للمهاجرين أي الانتقال من بلد إلى آخر عبر وسائل غير نظامية، أو غير قانونية، أو غير شرعية، حيث تشمل الظاهرة كل إجراءات الدخول أو الخروج أو الإقامة التي تنتهك القواعد التي حددتها بلدان المنشأ، والعبور، والمقصد، أو يمكن اعتبارها تسلل الفرد إلى دولة أخرى غير مرخص له بالإقامة فيها، والانتقال من الوطن الأم إلى الوطن المهاجر إليه للإقامة فيه بصفة مستمرة بطريقة مخالفة للقواعد المنظمة للهجرة بين الدول طبقاً لأحكام القوانين الدولية والداخلية بالدول المعنية (سليم، ٢٠٢٠، ص: 437) جدير بالذكر أن تعريفات

الهجرة غير الشرعية تتعدد حيث يختلف تعريف الظاهرة لدى دول المقصد عن نظيره لدى دول المنشأ، ومن وجهة نظر الدولة المستقبلة فإنها تتضمن الدخول أو الإقامة أو العمل بصورة غير قانونية في البلاد، أما من وجهة نظر الدولة المرسلة فهي تنطوي على مخالفة اللوائح والقوانين في حالات مثل قيام الشخص بعبور الحدود الدولية دون جواز سفر صالح أو وثائق سفر أو غير مستوفى الشروط الإدارية لمغادرة البلاد (اللجنة الوطنية لمكافحة الهجرة غير الشرعية والاتجار بالبشر) فهناك عدة نماذج وأطر تحليلية تحاول إعطاء مقاربات شاملة تفسر ظاهرة الهجرة غير الشرعية وحركة هجرة الأشخاص عموما(النوادري، 2016، ص:24-25) لعل أكثرها شمولا:

- **النظرية الاجتماعية**: أو ما يعرف بسوسيولوجيا الهجرات وهو فرع من فروع السوسيولوجيا المعاصرة ظهر في مطلع القرن الماضي مع مدرسة شيكاغو، حيث تطور في أوروبا خلال فترة السبعينيات، ويدرس أثر وفود المهاجرين وانعكاسات ذلك على المجتمع المضيف، كما يدرس مجموعة من المشاكل التي يخلقها عدم الاندماج، وهو اتجاه نظري يهتم بدراسة ووصف وضعية الهشاشة التي يعيشها المهاجر، كما يهتم بدراسة الجوانب الاجتماعية، والثقافية، ووضعيات مجتمعات المهاجرين المقيمين مع التركيز على وضعية الاستغلال، والتمييز الاجتماعي، والثقافي، وكفاح المهاجرين ضد التمييز الممارس ضدهم، ونضالهم من أجل الحصول على حقوقهم.
- **النظرية النيوكلاسيكية**: والتي تعود بداية هذه النظرية إلى نموذج التطور في الاقتصاد المزدوج الذي حاول أن يجد تفسيرا للهجرة، حيث أكدت مختلف الأدبيات الاقتصادية على الفوارق الجغرافية في توزيع الدخل بين الأفراد أو عامة الشعب كعامل رئيس مسبب للهجرة الخارجية، وقد أدمجت مقاربة الهجرة كعامل ميسر لحياة اقتصادية أفضل مقارنة بما هي عليه في بلدان الأصل في التحليل النيوكلاسيكي المبني على المفاضلة بين المزايا والتكاليف وتعظيم المنفعة بأقل الأثمان، حيث تعد الهجرة استثمارا قادرا على إحداث فائض إيجابي يتأتى من الفارق بين الدخل المتحصل عليه في بلد الأصل والدخل المتوقع الحصول عليه في بلد المضيف مع احتساب وطرح نفقات النقل والتنقل.
- **نظرية التبعية**: تعتبر هذه النظرية أن الهجرة هي شكل من أشكال استغلال دول المركز للمحيط نتيجة تعميق عدم المساواة في الأجور، ومستويات المعيشة الموجودة بين الأفراد في دول المحيط والمركز، ويعتبر في هذا الصدد أن الهجرة عامل أساسي لتحويل فائض القيمة من دول المحيط إلى دول المركز، خاصة هجرة الكفاءات لأن دول المحيط هي التي تتحمل تكاليف التعليم والتكوين، كما تستند هذه النظرية إلى أن السلطة السياسية والاقتصادية تكون موزعة بشكل غير عادل بين البلدان الصناعية والبلدان الفقيرة فيسبب القيود الهيكلية وعدم تجانس الشراكات، فإن سكان العالم يواجهون عدم المساواة في الحصول على الموارد، ويتم تكريس هذه الاختلافات لصالح المركز على حساب الهامش، واتهمت دول الشمال التي تعد المركز باستغلال الموارد البشرية والطبيعية في الجنوب الذى يعبر عنه بالهامش، وبالتالي فإن البلدان الغنية تزداد ثراء والبلدان الفقيرة تفقد مواردها المحدودة لتصبح أكثر فقرا.

ومع الاعتراف بوجاهة كل من هذه الأطر التحليلية في التعاطي مع ظاهرة الهجرة غير الشرعية على المستوى الكلى أو الماكرو، فمن الممكن على المستوى الجزئي أو الميكرو اختزال مفسرات تلك الظاهرة في نظرية الطرد والجذب، والتي تقوم على أن سمتي الطرد التي تميز البلدان الأصلية للمهاجرين، والجذب التي تميز البلدان المستقبلة تشكلان في مجملهما محفزات إختيار فرد أو جماعات معينة للهجرة من بلد لآخر، حتى وإن تمت هذه الهجرة خارج الأطر النظامية، ووفق هذه النظرية فإن عوامل الطرد في البلدان المصدرة للهجرة قد تكون بسيطة كالفقر، والعزلة الاجتماعية، أو قوية فتتجلى في المجاعات، والحروب، والكوارث الطبيعية، كما يمكن أن تكون عوامل الطرد عوامل بنائية كالنمو السكاني السريع وأثره على الغذاء خاصة في الدول الفقيرة التي تناضل في مواجهة مشكلات غذاء كبرى، كما يُساعد تراجع وتدنى الأوضاع السياسية في عدد

من البلدان على ظهور الهجرة غير الشرعية بين أفرادها، ويُظهر ذلك بعدة أشكال منها: الاضطهاد الديني، وانعدام الاستقرار في تلك البلدان، وكثرة الاضطرابات السياسية، أما عوامل الجذب في البلدان المستقبلة للهجرة فتتمثل في الزيادة المطردة على طلب العمل في بعض القطاعات والمهن، فأسواق العمل تستورد مهاجرين في ظل عدم قدرة العرض فيها على تلبية الطلب على نوعية معينة من العمال، وهناك أيضا عوامل الشيخوخة التي تزحف على الدول الصناعية وبالذات في أوروبا الغربية مما يؤدى إلى انكماش قوة العمل وزيادة أعداد الخارجين من سوق العمل فضلا عن ارتفاع المستوى المعيشي في الدول الجاذبة للمهاجرين، ووجود خدمات اجتماعية وصحية أفضل في الدول الجاذبة مقارنة ببلد الفرد الأصل، وإتاحة مجال أكبر من الحرية للأفراد في الدول المراد الهجرة إليها (الشال، 2020)

الهجرة غير الشرعية (illegal emigration):

هي الهجرة التي تتم بطرق غير قانونية أو غير مشروعة ومن مقومات اللامشروعية هنا استخدام وثائق مزورة، أو وسائل غير قانونية في الانتقال والدخول إلي بلد المقصد (عباد، 2008، ص: 221) وهي نوع من الهجرة السرية المناهضة للقانون، ويصبح المنتسبون إليها أشخاصا مخالفين للقوانين المنظمة للهجرة عامة ويفتقدون الحماية التي توفرها حقوق الإنسان، فإذا ما تجاوز المهاجر الحدود الدولية بشكل غير نظامي نقوض ادعاءه بحسن النية، ووقع تحت طائلة الاستبعاد لكونه مذنبا، ويستخدم أحيانا مصطلح الهجرة غير النظامية للتعبير عن مخالفة المهاجر للنظم والقواعد المنظمة للهجرة الخارجية الدولية، وفى حالات محددة يتكرر مصطلح الهجرة غير الموثقة لعدم توافر الوثائق والمستندات الدالة على مشروعية الدخول إلى بلد المقصد، وقد يصبح الغرض المحدد للدخول في جواز السفر هو الوثيقة المعتمدة وهناك صياغة الهجرة غير المصرح بهما رسميا ومؤداها عدم وجود تصريح بالعمل، أو الدراسة، أو الزيارة، أو غيرها من جانب مكاتب العمل، أو الجهات المعتمدة للتصريحات وهناك علاقة جدلية مستمرة بين مفاهيم الشرعية، واللاشرعية، وقواعد الدخول، والإقامة، والتوثيق، وعمليات تهريب البشر، والسرية، والتستر، والتلفيق، والدس، والتزوير، الأمر الذي يشكل مشكلة في تعريف مشكلة الهجرة غير الشرعية ويضع الباحث المدقق في مواقف مثيرة للحيرة وباعثة على التناقض والخلل في التصور والتقدير، فالهجرة غير الشرعية هي ذلك النمط من الهجرة الخارجية الذي يتم بطرق غير قانونية بسبب صعوبات ولتحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية (بشير، 2010، ص:170)

المهاجر غير الشرعي (illegal alien):

هو شخص يدخل الدولة بشكل غير شرعي وينوي البقاء في الدولة المهاجر إليها بدون حق قانوني، والمهاجر غير الشرعي هو المهاجر غير الملتزم بالطرق القانونية نظرا لصعوبة السفر وصعوبة الهجرة الشرعية (عباد، 2008، ص: 224) وينتمي المهاجرين غير الشرعيين إلى فئتين رئيسيتين وذلك في الدول المهاجر إليها، الفئة الأولى وتضم المهاجرين الطوعيين الذين ليس معهم مستندات، والفئة الثانية وتضم المهاجرين المجبرين الذين لا يحملون مستندات (اللاجئين) وقد تم بشكل رسمي التفريق بين النوعين حتى الآن، وذلك لأن المهاجرين المجبرين يعتبرون فئة منفصلة بواسطة المعاهدات الدولية، لذا من المهم التفرقة بينهم ويبقي المهاجرون غير الشرعيين الذين لا يحملون مستندات متنقلين بشكل غير رسمي من دولة إلى أخرى، ويحاولون بعد ذلك أن يحصلوا على مستندات هوية ومعظمهم يهاجرون لأسباب اقتصادية واجتماعية (P:345 (Pelser, A. J, 2003,

الهجرة في فترة الاستعمار:

تميزت الهجرة في الحقب التاريخية السابقة بسهولة دخول أي بلد، والخروج من الوطن الأصلي، وفي هذا السياق يقول فولتير(كان يمنع خروج أي مواطن من البلد الذي ولد فيه، وهو خوف من أن يهجر الجميع، ولذلك يجب تشجيع بقاء

المواطنين، وكذلك تشجيع دخول المهاجرين) فالحركات السكانية في هذه الفترة لم تكن كبيرة على اعتبار أن المواطن كان بمثابة ثروة الدول من الجانب العسكري، والاقتصادي، وما كان موجوداً من الهجرة ظهر نتيجة للصراعات المذهبية التي أخذت شكل الاقصاء والتهجير مثلما حدث للكاثوليك (رشيد، 2012) حيث شهدت الفترة الفاصلة بين الحربين العالميتين أقل الفترات هجرة على الصعيد الدولي نتيجة الركود الاقتصادي، وإلى المناخ العام السائد الذي تميز بعدم الثقة وغياب الأمن، ففي سنوات الكساد في الثلاثينيات من القرن الماضي أي ما بين سنة (1929-1932) كان ينظر إلى المهاجرين كما ينظر إلى المنافسين على وظائف نادرة، فتصاعدت بذلك مستويات العداء اتجاههم، الأمر الذي واجه قيوداً أشد على إمكانية عمل الأجانب، كما واجهت عقوبات صارمة على تشغيل المهاجرين غير الشرعيين (المبروك، 2017) أما عن النصف الثاني من القرن العشرين وتحديدا بعد الحرب العالمية الثانية سنة (1939-1945) التي أفرزت وضعاً جديداً على الساحة الدولية، فكل من فرنسا، إنجلترا، ألمانيا، إيطاليا وجدت نفسها فاقدة لمواردها وقوتها البشرية، فهي بحاجة ماسة إلى المزيد من العمالة الأجنبية، ولتحقيق ذلك في بلدانها شرعت في جلب العمالة من دول الجنوب، والواضح أن كل عمليات الهجرة الجماعية التي تمت من دول الجنوب إلى دول الشمال خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي كانت تحددها حاجة المجتمعات البشرية (المبروك، 2017).

الهجرة في فترة الاستقلال:

حصلت جميع هذه الأقطار على الاستقلال، وأصبحت لكل منها حكومة وطنية، ولكن في نفس الوقت لم تمتلك مقومات بناء دولة قوية ذات استقلال في جميع المجالات، حيث أغلب مواطني كل قطر هم فقراء وأميين أو شبه أميين، كما كانت أغلب البنى التحتية في وضع غير جيد، لذلك دخلت معظم أقطار دول الجنوب المستقل في علاقات رسمية إما مع المستعمر القديم أو مع بلدان أوروبية أخرى (التير، 2002) فهذه المراحل من أهم مراحل التطور التاريخي للهجرة من دول الجنوب إلى دول الشمال، حيث كانت على سبيل المثال الجزائر محتلة من قبل فرنسا عام (1827) ثم بعد ذلك تونس عام (1881) ثم موريتانيا عام (1903) ثم المغرب عام (1912) وبهذا وقعت الجزائر تحت أطول فترة احتلال من قبل الاستعمار قبل أن تحصل دول المغرب العربي على استقلالها، فاستقلت ليبيا سنة (1951) وحصلت كل من المغرب وتونس على استقلالها عام (1956)، وموريتانيا عام (1960) والجزائر عام (1962) (تنتوش، 2012) لذا شهدت هذه الفترات منذ بداية الستينيات إلى أوائل السبعينيات من القرن الماضي موجات كبيرة من الهجرة، فقد كانت هذه الفترة علامة فارقة في الهجرة إلى دول الشمال المجاورة لدول الجنوب، حتى أن بعض الدراسات اعتبرت استيعاب هذه العمالة في هذه الفترة من العوامل التي ساعدت على استقرار أو تحقيق الاستقرار في منطقة دول العبور، وفي حين اعتبرتها دراسات أخرى بداية لاختفاء الحواجز أمام حركة العمالة وتحولها لأحد المكونات الأساسية للاقتصاد الدولي الجديد، حيث قدر عدد المهاجرين من دول العبور إلى فرنسا وحدها في منتصف السبعينيات بحوالي (1,1) مليون مهاجر (رشيد، 2012) بالإضافة إلى اعتبار فترة بداية الخمسينيات وحتى عام (1989) فترة النزاعات المسلحة والحروب الأهلية، فشهدت القارة الأفريقية (45) نزاعاً مسلحاً لأسباب متنوعة، فمثلاً في عام (1965) تفجر النزاع بين الجزائر والمغرب، وفي عام (1989) تفجر النزاع بين موريتانيا والسنغال، والذي كان سببا فيه العوامل الايدلوجية والتوجهات الفكرية، بالإضافة إلى النزاعات الحدودية مثل بنين والنيجر سنة (1963)، والذي كان بسبب الحدود والمطالبة بالمناطق الغنية بالموارد (الغرياني، 2010).

ظهور الهجرة السرية أو غير القانونية:

بعد الأزمة البترولية التي عرفها العالم في منتصف السبعينيات من القرن الماضي أصبح ينظر إلى الهجرة على أنها مشكلة ينبغي البحث لها عن حلول ناجحة، ومن ذلك ظهر الاتجاه نحو غلق الحدود أمام كل أنواع الهجرة الوافدة حتى اللاجئين والتجمع الأسري، ولم تقتصر هذه السياسة على الدول المستقبلة، بل انعكست آثارها حتى على بعض الدول المصدرة

للمهاجرين، فقامت هي كذلك بمراجعة سياساتها الخاصة بالهجرة كردة فعل على الانتهاكات المتكررة من بعض الدول وتقصيرها في حماية الأجانب (الغرياني، 2010) حيث بلغ عدد المهاجرين على سبيل المثال من دول المغرب العربي إلى (1.98) مليون عام (1988) وارتفع عدد المهاجرين عام (1992) ليصل إلى (2.1) مليون نسمة، كما قدر عدد المهاجرين غير الشرعيين بنصف مليون أيضاً (حمد، 2008) وتشكل الهجرة الواردة من دول الجنوب هاجساً أمنياً بالنسبة لدول الشمال، حيث يتم ربطها في إطار المنظور الأوروبي بالاستقرار في دول الجنوب، فعدم الاستقرار السياسي في دول الجنوب قد يؤدي إلى أسباب أخرى، منها: زيادة تدفق اللاجئين نحو دول الشمال، أي نحو الدول الأوروبية سواء بهدف العمل المؤقت، أو بهدف اللجوء السياسي، أو الاستقرار الدائم بها، ومن جانب آخر فإن الأيدي العاملة المهاجرة إلى دول الشمال وإن كانت تؤمن لها طاقة عاملة شابة ورخيصة، إلا أنها من ناحية أخرى تشكل خطراً محتملاً على ما يسميه الأوروبيون بالخطر الإسلامي الجنوبي، هذه السياسة التي انتهجتها دول الشمال من أجل وقف تدفق المهاجرين القادمين إلى دول الشمال والمتمثلة في غلق الحدود لم تسطع معالجة المشكلة كما كانت تستهدف هذه السياسية، بل زادتها حدة وأدت إلى بروز وجه جديد للهجرة وظاهرة أكثر خطورة هي الهجرة غير الشرعية (رشيد، 2012) كما شددت دول الشمال بشكل كبير على سياسة إدارة حركة الهجرة منذ بداية الألفية الثالثة، والتي تهدف إلى الحد من عدد المهاجرين غير الشرعيين الذين يصلون إلى بلدانها لدرجة أصبحت العلاقة طردية بين تزايد نسبة الهجرة من أجل العمل وبين النظم القانونية للهجرة بهدف حماية حقوق العمال (المبروك، 2012).

و اقع وطبيعة الهجرة غير الشرعية:

الاستقرار يمثل أحد عوامل الجذب وخاصة الاستقرار السياسي، والتقدم الاقتصادي الذي يوفر للمهاجرين حرية العمل، وإمكانية الرقي الحضاري، وظروف العمل المنتج، وانفتاح المجتمعات على العلم والعلماء، وبالتالي إمكانية تحقيق العالم لذاته، وتنمية قدراته، وكون البلدان المتقدمة بحاجة إلى الكفاءات العلمية والفنية جعلتها تسن التشريعات والقوانين التي تشجع الكفاءات على الهجرة، وتسهيل الإمكانيات لهم في تلك المجتمعات التي يهاجرون إليها، فبذلك أخذت الهجرة نوعين: هجرة العقول أي (العلماء والباحثين ذوى القدرات الخاصة، وهجرة العمالة العمال) وكلاهما يؤثر فقدانه على المجتمع سلبياً، فلكل دوره في مجال فعال في المجتمع (تنتوش، 2012) فالقارة الأوروبية هي أكبر القارات استقبالاً للمهاجرين، حيث بلغ مجموع المهاجرين في عام (1990) حوالي (49.4) مليون نسمة، وقد وصلت في سنة (2005) إلى (64.1) مليون نسمة (الغدامسي، 2008).

دراسات سابقة:-

ومن بين تلك الدراسات الدراسات الاتية:

- **دراسة جوديت جوهوهاز(1999):** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على العلاقة التي تربط بين الهجرة غير الشرعية بالعمل والتشغيل في قطاع الاقتصاد غير الرسمي، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن ارتباط هذا القطاع الاقتصادي الخفي أو غير المسجل بطبيعة المهاجرين، ومستويات الطموح المحدودة لهم فهم فئة تقبل بالأجور الرخيصة الأمر الذي يفيد أصحاب الأعمال، خاصة وان الأجور الرخيصة تتصل بالخدمات الاجتماعية والصحية غير المكلفة، وينطوي ذلك على حقائق أخرى ذات مردود اجتماعي ثقافي قد يكون معوقا تارة، ومشجعاً تارة أخرى، ويبقى هؤلاء المهاجرين في عزلة بنائية وانفصال اجتماعي، فضلاً عن تعدد الشبكات الاجتماعية بينهم واتصالها بخفايا السمسرة والاتجار بالبشر.

- **دراسة حمدوش (2000):** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تطور دواعي هجرة المغاربة للخارج، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن تطور الدوافع الاقتصادية تحتل المرتبة الأولى لدى المهاجرين، وأكدت أن تطور دوافع الهجرة مرتبط بالتحولات الاقتصادية، والاجتماعية، والديموغرافية التي عرفها المغرب من جهة وأوروبا الغربية من جهة ثانية، ومرتبط كذلك بتطور استراتيجية المهاجر المغربي إلى الخارج، واستراتيجية المغربي المقيم في أوروبا.
- **دراسة صالح (2005):** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الأبعاد الاجتماعية والثقافية لهجرة المصريين الريفيين إلى ايطاليا، حيث أسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن هناك عوامل عديدة تلعب دورا في هجرة أفراد عينة الدراسة بطريقة غير شرعية وتتمثل في العوامل الاقتصادية مثل (البطالة - الحصول على أجر عال) وعوامل اجتماعية مثل (الزواج - بناء مسكن) ويدعم تلك العوامل الاقتصادية والاجتماعية شبكة الهجرة على مستوى الأسرة، وشبكة الهجرة المرتكزة على سماسرة السفر، والمهربين، وشبكة الهجرة المرتكزة على الأقارب.
- **دراسة الحوات (2007):** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا عبر بلدان المغرب العربي، حيث أسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن أهم الأسباب التي تؤدي إلى التفكير في الهجرة غير الشرعية هي الظروف الاقتصادية، بالإضافة إلى عدد من الأسباب الأخرى والتي تتمثل في الاسباب الاجتماعية، والسياسية، والنفسية، كما أسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن كل المؤشرات والدراسات لا تزال قاصرة على أن تعالج المشكلة من جذورها وتقتلع أسبابها الحقيقية، وترى أن العلاج الفعلي للمشكلة هو التنمية في بلدان المنشأ التي تنطلق منها الهجرات بكل أنواعها شرعية وغير شرعية.
- **دراسة شريف وآخرون (2007):** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على السياسة الاجتماعية ومواجهة الهجرة غير الشرعية (قرية تطوين نموذجا) وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن (99.1%) من المهاجرين من الشباب الذكور، ومن العزاب بنسبة (78.3%) وهناك مؤشرات إحصائية تدل على أن معظم المهاجرين من ذوي المؤهلات المتوسطة، وذوي المهارات المهنية المحدودة، وقد تكبد المهاجرون من الشباب نفقات كبيرة دون عائد يذكر، كما واجهوا مشكلات الابتزاز والاضطهاد فضلاً عن التوترات والآثار السلبية التي يصعب إحصاؤها، ويستفاد من هذه الدراسة أن فرص النجاح لبعض فئات المهاجرين لا تمثل إلا قدرا يسيرا من الطموحات التي يعلقها الشباب علي الهجرة غير الشرعية بوصفها طريقا للعمل الناجح، وان تعدد صور المعوقات يحول دون التطلعات لاسيما وأن نتائج الفشل تكون مزدوجة الأثر في ضوء التكاليف والنفقات الباهظة السابقة علي السفر بجانب الأزمات النفسية الحادة.
- **دراسة حسين (2008):** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على سياسات التنمية البشرية كمدخل للحد من الهجرة غير الشرعية، حيث أسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن المهاجر إلى أوربا لا يكون مشغولا بالتغلب على الفقر بقدر انشغاله بتحقيق تطلعاته وطموحاته، كما أسفرت نتائج هذه الدراسة أيضا عن أثر التقليد والمحاكاة كسلوك حاكم لأنماط الهجرة في بعض القرى المصرية التي شهدت موجات كثيفة لانتقال العمالة منها إلى الخارج عبر طرق مشروعة أو غير مشروعة، بحيث يساند الأفراد بعضهم البعض، وتشجعهم في ذلك علاقات القرابة والجوار أو تجمعات الشباب.
- **دراسة رمضان (2009):** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أبعاد الهجرة غير الشرعية في الجزائر وعلاقتها بالاغتراب الاجتماعي، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن الشعور بانهيار قيم الانتماء والهوية داخل المجتمع كانت بوصفها أحد أسباب الهجرة غير الشرعية، والشعور بعدم العدالة، وفقدان الثقة بالنفس، والفشل

في مقاومة التحديات والمشكلات التي تواجه أفراد عينة الدراسة في مجتمعهم الأصلي تعتبر من أهم عوامل الطرد.

- **دراسة عبد المجيد وآخرون (2011):** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أثر العولمة على تدفقات الهجرة غير الشرعية من حيث اتجاهات أفراد عينة الدراسة نحو الهجرة الخارجية ودوافعهم من خلال خبراتهم المباشرة، ومن حيث الآثار والنتائج المترتبة علي هجرتهم، وقد أسفرت نتائج هذه الدراسة الى تكرار الهجرة لأكثر من بلد وفقاً لعوامل الجذب والطرد التي واجهها المهاجرون، وجاءت بنسبة (92.8%)، كما أشار أفراد عينة الدراسة على أن سلبيات الهجرة غير الشرعية أقل بكثير من ايجابياتها في نظرهم، كما أشارت نتائج هذه الدراسة عن وجود علاقة ارتباطيه دالة بين عوامل النجاح وازدياد موجات الهجرة، وأن المتغيرات المحاذية التي وفرتها العولمة الاقتصادية والتكنولوجية من أهم عوامل الجذب، وقد قلل مجتمع البحث كثيراً من أثر عوامل الفشل التي قد تحيط بهذه التجربة والمعوقات التي قد تقف أمام الراغبين في الهجرة في مقابل المشجعات.
- **دراسة عبد العزيز (2011):** حاولت هذه الدراسة إلى دراسة والتحليل السوسيولوجى للهجرة غير الشرعية للشباب، وأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن دوافع الهجرة من مصر سياسية مثل ضعف المشاركة السياسية للشباب، ومحددات اقتصادية مثل انخفاض معدلات الأجور، وسوء الأحوال المعيشية، ومحددات اجتماعية مثل محاولة تحسين مستوى المعيشة، ومحددات ثقافية مثل تحول النسق القيمي لدى الشباب، وسيادة قيم الاستهلاك، والربح السريع، ومحددات نفسية مثل محاكاة النماذج الناجحة من الشباب المقيمين في قراهم، وأن معظم الشباب على وعى تام بالآثار السلبية للهجرة غير الشرعية والعواقب المترتبة عليها مثل القبض عليهم وفرض الغرامات عليهم، وتتمثل عوامل الجذب في الطابع الانتقائي للهجرة إلى ايطاليا استنادا إلى معايير رأس المال البشرى.
- **دراسة فازتيودي سواريس (2013):** هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على العلاقات المتبادلة بين أوساط الشباب المهاجر من ناحية والعوامل الشخصية المؤثرة في مواقفهم، وبين المنظمات والوكالات شبه المشروعة التي تعمل في مجال النقل والسمسرة والتزييف وغيرها من الأعمال المناظرة، حيث تناولت هذه الدراسة قضية الهجرة الخارجية الغير شرعية من البرازيل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد استخدمت الدراسة السير الذاتية للمهاجرين العائدين للوطن الأم بشكل مؤقت أو دائم، وذلك للوصول إلى حقائق تتصل بطبيعة البنية الأساسية لنسق الهجرة غير المشروعة ذات الأبعاد والحدود المركبة، وأشارت نتائج هذه الدراسة عن تعدد فرص الاتصال والتواصل بين جماعات المهاجرين من مختلف الأجيال، حيث يعد رصيد الخبرات والتجارب السابقة إطاراً مرجعياً لكل الأطراف المتفاعلة داخل عملية الهجرة.

التعليق على الدراسات السابقة ومقارنتها بالدراسة الحالية:-

اختلفت كل الدراسات السابقة في أهدافها، حيث هدفت دراسة " فازتيودي سواريس (2013) إلى التعرف على العلاقات المتبادلة بين أوساط الشباب المهاجر والعوامل الشخصية المؤثرة في مواقفهم، وبين المنظمات والوكالات شبه المشروعة التي تعمل في مجال النقل والسمسرة والتزييف وغيرها من الأعمال المناظرة، كما هدفت دراسة عبد المجيد وآخرون (2011) إلى التعرف على أثر العولمة على تدفقات الهجرة غير الشرعية من حيث اتجاهات أفراد عينة الدراسة نحو الهجرة الخارجية ودوافعهم من خلال خبراتهم المباشرة، ومن حيث الآثار والنتائج المترتبة علي هجرتهم، أما دراسة عبد العزيز (2011)

فحاولت هذه الدراسة دراسة والتحليل السوسيولوجي للهجرة غير الشرعية للشباب، في حين هدفت دراسة رمضان (2009) إلى التعرف على أبعاد الهجرة غير الشرعية في الجزائر وعلاقتها بالاغتراب الاجتماعي، أما دراسة حسين (2008) فهدفت إلى التعرف على سياسات التنمية البشرية كمدخل للحد من الهجرة غير الشرعية، أما دراسة شريف وآخرون (2007) فهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على السياسة الاجتماعية، ومواجهة الهجرة غير الشرعية (قرية تطوين نموذجا)، أما دراسة الحوت (2007) فهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا عبر بلدان المغرب العربي، أما دراسة صالح (2005) فهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الأبعاد الاجتماعية، والثقافية لهجرة المصريين الريفيين إلى ايطاليا، أما دراسة حمدوش فهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تطور دواعي هجرة المغاربة للخارج، أما دراسة جوديت جوهوهاز (1999) فهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على العلاقة التي تربط بين الهجرة غير الشرعية بالعمل والتشغيل في قطاع الاقتصاد غير الرسمي، أما دراسة الباحث فهدفت إلى التعرف على أسباب انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية، أما نتائج هذه الدراسات فاختلفت كل النتائج المنبثقة عن هذه الدراسات، حيث أسفرت نتائج دراسة " فازتيودي سواريس (2013) عن تعدد فرص الاتصال والتواصل بين جماعات المهاجرين من مختلف الأحيال، حيث يعد رصيد الخبرات والتجارب السابقة إطاراً مرجعياً لكل الأطراف المتفاعلة داخل عملية الهجرة، أما نتائج دراسة عبد المجيد وآخرون (2011) فأشارت نتائج هذه الدراسة عن وجود علاقة ارتباطية دالة بين عوامل النجاح وازدياد موجات الهجرة، وأن المتغيرات المحاذية التي وفرتها العولمة الاقتصادية، والتكنولوجية من أهم عوامل الجذب، وقد قلل مجتمع البحث كثيراً من أثر عوامل الفشل التي قد تحيط بهذه التجربة، والمعوقات التي قد تقف أمام الراغبين في الهجرة في مقابل المشجعات، أما دراسة عبد العزيز (2011) فأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن دوافع الهجرة من مصر سياسية مثل ضعف المشاركة السياسية للشباب، ومحددات اقتصادية مثل انخفاض معدلات الأجور، وسوء الأحوال المعيشية، ومحددات اجتماعية مثل محاولة تحسين مستوى المعيشة، ومحددات ثقافية مثل تحول النسق القيمي لدى الشباب، وسيادة قيم الاستهلاك، والربح السريع، ومحددات نفسية مثل محاكاة النماذج الناجحة من الشباب المقيمين في قراهم، وأن معظم الشباب على وعى تام بالآثار السلبية للهجرة غير الشرعية والعواقب المترتبة عليها مثل القبض عليهم وفرض الغرامات عليهم، وتتمثل عوامل الجذب في الطابع الانتقائي للهجرة إلى إيطاليا استنادا إلى معايير رأس المال البشرى، أما نتائج دراسة رمضان (2009) فأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن الشعور بانهيار قيم الانتماء والهوية داخل المجتمع كانت بوصفها أحد أسباب الهجرة غير الشرعية، كذلك الشعور بعدم العدالة، وفقدان الثقة بالنفس، والفشل في مقاومة التحديات والمشكلات التي تواجه أفراد عينة الدراسة في مجتمعهم الأصلي تعتبر من أهم عوامل الطرد، أما عن نتائج دراسة حسين (2008) فأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أثر التقليد والمحاكاة كسلوك حاكم لأنماط الهجرة في بعض القرى المصرية التي شهدت موجات كثيفة لانتقال العمالة منها إلى الخارج عبر طرق مشروعة أو غير مشروعة، بحيث يساند الأفراد بعضهم البعض وتشجعهم في ذلك علاقات القرابة والجوار أو تجمعات الشباب، أما عن نتائج دراسة شريف وآخرون (2007) فأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن (99.1%) من المهاجرين من الشباب الذكور، ومن العزاب بنسبة (78.3%) وهناك مؤشرات إحصائية تدل على أن معظم المهاجرين من ذوي المؤهلات المتوسطة، وذوي المهارات المهنية المحدودة، وقد تكبد المهاجرون من الشباب نفقات كبيرة دون عائد يذكر كما واجهوا مشكلات الابتزاز والاضطهاد فضلاً عن التوترات والآثار السلبية التي يصعب إحصاؤها، أما عن نتائج دراسة الحوت (2007) فأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن من أهم الأسباب التي تؤدي إلى التفكير في الهجرة غير الشرعية هي الظروف الاقتصادية، بالإضافة إلى عدد من الأسباب الأخرى والتي تتمثل في الأسباب الاجتماعية، والسياسية، والنفسية، كما أسفرت نتائج هذه الدراسة على أن كل المؤشرات والدراسات لا تزال قاصرة على أن تعالج المشكلة من جذورها وتقتلع أسبابها الحقيقية، وترى أن العلاج الفعلي للمشكلة هو التنمية في بلدان المنشأ التي تنطلق منها الهجرات بكل أنواعها شرعية وغير شرعية، أما عن نتائج دراسة صالح (2005) فأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن هناك

عوامل عديدة تلعب دورا في هجرة أفراد عينة الدراسة بطريقة غير شرعية وتتمثل في العوامل الاقتصادية مثل (البطالة - الحصول على أجر عال) وعوامل اجتماعية مثل (الزواج - بناء مسكن) ويدعم تلك العوامل الاقتصادية، والاجتماعية شبكة الهجرة على مستوى الأسرة، وشبكة الهجرة المرتكزة على سماسرة السفر والمهربين وشبكة الهجرة المرتكزة على الأقارب، أما عن نتائج دراسة حمدوش فأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن تطور الدوافع الاقتصادية تحتل المرتبة الأولى لدى المهاجرين، وأكدت أن تطور دوافع الهجرة مرتبط بالتحولات الاقتصادية، والاجتماعية، والديموغرافية التي عرفها المغرب من جهة وأوروبا الغربية من جهة ثانية، ومرتبط كذلك بتطور استراتيجية المهاجر المغربي إلى الخارج واستراتيجية المغربي المقيم في أوروبا، أما عن نتائج دراسة جوديت جوهوهاز (1999) فأسفرت نتائج هذه الدراسة عن أن من أهم النتائج ارتباط هذا القطاع الاقتصادي الخفي أو غير المسجل بطبيعة المهاجرين ومستويات الطموح المحدودة لهم فهم فئة تقبل بالأجور الرخيصة الأمر الذي يفيد أصحاب الأعمال خاصة وأن الأجور الرخيصة تتصل بالخدمات الاجتماعية، والصحية غير المكلفة، وينطوي ذلك على حقائق أخرى ذات مردود اجتماعي ثقافي قد يكون معوقا تارة ومشجعاً تارة أخرى، ويبقى هؤلاء المهاجرين في عزلة بنائية وانفصال اجتماعي، فضلاً عن تعدد الشبكات الاجتماعية بينهم واتصالها بخفايا السمسرة والاتجار بالبشر، أما عن نتائج دراسة الباحث فأسفرت نتائج هذه الدراسة عن تربع الظروف الاقتصادية قائمة تلك الأسباب والعوامل التي تؤدي بالمهاجر إلى ترك وطنه والهجرة إلى بلدان أخرى، حيث ان أغلب الدول المصدرة للهجرة غير الشرعية تعاني من فقر شديد، وانتشار للبطالة، كما تعلني من ضعف شديد للأجور، مما دفع المهاجر إلى التفكير في الهجرة، كذلك لعبت الحروب وانتشار الصراعات في هذه الدول دورا وعاملا مهما في هجرة مواطني هذه الدول من بلدانهم، كما لعبت انتشار الأمية في هذه الدول عاملا لا يقل أهمية عن سابقيه، حيث يعد غياب الوعي وانتشار الجهل من الأسباب التي تؤدي بالمهاجر إلى ترك وطنه والهجرة إلى بلدان أخرى، كما يلعب الإعلام دورا هاما في هذه الظاهرة، حيث يلعب الإعلام عامل جذب قوي للمهاجرين غير الشرعيين للهجرة من أوطانهم إلى هذه الدول، وبمقارنة نتائج هذه الدراسة بنتائج الدراسات السابقة نجد اختلافا بعض الشيء بينها، ولكن في مجملها أكدت كل الدراسات بما فيهم دراسة الباحث على أهمية البحث في أسباب الهجرة غير الشرعية، وارتباط العوامل الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية بازدياد أعداد المهاجرين غير الشرعيين.

أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:-

من الممكن إجمال ما استفاد منه الباحث من الدراسات السابقة في النقاط التالية:

1. استفاد الباحث من الدراسات السابقة في أخذ معلومات ذات قيمة علمية وتعتبر سنداً علمياً يمكن للباحث أن يقيس عليها معلوماته.
2. من خلال هذه الدراسات أصبح لدى الباحث القدرة على معرفة كيفية تناول الباحثين الآخرين لهذا الموضوع، وبالتالي تمكن الباحث من الوصول للثغرات التي لم يتحدثوا عنها ويقوم هو بالحديث عنها كسابقة علمية وإضافة معلومات جديدة.
3. استفاد الباحث من هذه الدراسات في معرفة الهيكلية العامة للبحث والتعرف عن قرب على كيفية كتابة البحث بالترتيب وبعناصره الكاملة وماهية كل عنصر من هذه العناصر.
4. قامت الدراسة بالارتكاز على الدراسات السابقة في تحديد نقطة البداية والانطلاق لدراسته فوقف عند الأمور التي توقفت عليها تلك الدراسات ثم أكمل وأضاف إليها وعليها معلومات جديدة.

5. وجود دراسات سابقة عديدة يؤكد على مدى أهمية الموضوع الذي تناوله الباحث في دراسته الحالية وبالتالي إقناع القارئ بهذه الأهمية وزيادة جذب القراء، ومن خلال الاستطلاع والتغذية الفكرية التي أخذها الباحث من هذه الدراسات أمكنه تحديد عناصر دراسته أو بالأحرى تحديد الفرضيات والمتغيرات التي ستسير عليها دراسته.
6. كانت الدراسات السابقة من مصادر المعلومات الأساسية للباحث، فمن خلال هذه الدراسات قام الباحث باقتباس الكثير من المعلومات وكذلك قام الباحث بإجراء العديد من العمليات المعرفية مثل المناقشات، والتحليلات، والمقارنات من خلال هذه الدراسات.
7. لا تعود الدراسات السابقة بالفائدة على الباحث وعلى الدراسة فقط بل تعود بالفائدة على القارئ أيضاً، ولربما هذا الجانب لم يلتفت إليه الكثير ولكن المتفكر فيه يجد أن هذه الاستفادة يلمسها القارئ بشكل جدي سواء لاحظ القارئ ذلك أم لم يلاحظ، فمنها أن القارئ من خلال وجود معلومات مقتبسة من هذه الدراسات يجد تنوعاً في الطرح ويجد أمامه قالب نقاشي وحواري بين الباحثين حيث تمثل كل دراسة وجهة نظر كاتبها وهذا يجعل القارئ يندمج مع ما يقرأه ويتابع القراءة ويستفيد من المعلومات بشكل واسع، وكذلك فإن القارئ عندما يجد التحليلات، والنقاشات، والمقارنات يكون بذلك قد لمس تنوعا في طريقة عرض المعلومات، ويمكن للقارئ من خلال هذه الدراسات أن يفهم توجه كاتب الباحث ويتوقع النتائج التي سيصل إليها الباحث من خلال تناوله للدراسات السابقة، كما أن تمعن القارئ في المعلومات المقتبسة من الدراسات السابقة يجعل لديه القدرة على تمييز الكثير من جوانب القوة والضعف في الدراسة التي يقرأها، وهذه الدراسات بشكل عام يمكن اعتبارها مادة تقدم العديد من الجوانب الخاصة بموضوع الدراسة للقارئ، وكذلك يمكن القول بأن هذه الدراسات يستفيد منها القارئ في كونها ذات طرح تاريخي في كثير من الأحيان فيتعرف القارئ على طبيعة تناول الموضوع على مر تواريخ مختلفة.

إجراءات الدراسة:-

منهج الدراسة: وللتحقق من صحة فرضيات الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج المناسب للدراسات التي تهدف إلى دراسة الظاهرة كما هي في الواقع.

مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من المهاجرين غير الشرعيين الذين يتخذون من ليبيا ممرا لهم للهجرة إلى أوروبا.

عينة الدراسة: تم اختيارها عن طريق تواصل الباحث مع عدد من المهاجرين غير الشرعيين من جنسيات مختلفة الذين يتخذون من ليبيا ممرا لهم للهجرة أوروبا.

أداة الدراسة:- حيث استخدمت هذه الدراسة أداة المقابلة والملاحظة في جمع البيانات والمعلومات، حيث ثم إجراء العديد من المقابلات مع عدد لابأس به يقدر ب (240) مهاجر غير شرعي من جنسيات مختلفة.

نتائج الدراسة:-

ومن خلال أجوبة أفراد عينة الدراسة والتي هدفت إلى معرفة الدوافع والأسباب التي أدت بهم إلى تفكيرهم في الهجرة من أوطانهم وبهذه الطريقة، حيث أسفرت نتائج هذه المقابلات عن تربع الظروف الاقتصادية قائمة تلك الأسباب والعوامل التي تؤدي بالمهاجر إلى ترك وطنه والهجرة إلى بلدان أخرى، حيث ان أغلب الدول المصدرة للهجرة غير الشرعية تعاني من فقر شديد، وانتشار للبطالة، وضعف للأجور، مما يدفع المهاجر إلى التفكير في الهجرة أيا كانت تلك الطريقة سواء أكانت بشكل شرعي أو غير شرعي، كذلك تلعب الحروب وانتشار الصراعات في هذه الدول دورا وعاملا مهما في هجرة مواطني هذه الدول من بلدانهم، كما تلعب انتشار الأمية في هذه الدول عاملا لا يقل أهمية عن سابقيه، حيث يعد غياب الوعي وانتشار الجهل من الأسباب التي تؤدي بالمهاجر إلى ترك وطنه والهجرة إلى بلدان أخرى، كما يلعب الإعلام دورا في هذا الجانب، حيث

يعد الإعلام عامل جذب قوي للمهاجرين غير الشرعيين للهجرة من أوطانهم، فما يشاهدونه في الإعلام من رفاهية تعيشها تلك الدول يحفز لدى المهاجر الرغبة في الهجرة إليها.

التوصيات:-

وبعد الرحلة التي خضناها في هذه الدراسة والطواف في فصولها يوصي الباحث ب:

- إقامة مشاريع تنموية في تلك الدول المصدرة للهجرة غير الشرعية.
- التحسين من أجور العاملين في هذه الدول المعنية بتصدير الهجرة غير الشرعية.
- العمل على محو الأمية في هذه الدول، وتقديم التعليم المجاني لأبنائها، والتخفيض من التكاليف الباهظة للتعليم هناك.
- التحسين من الظروف المعيشية للمواطن، وتوفير حاجاته الأساسية من مأكل، ومشرب، وملبس، ومسكن.
- نشر الوعي بخطورة الهجرة غير الشرعية والآثار السلبية المترتبة على الفرد من الهجرة غير الشرعية.
- على جميع الدول المعنية بالهجرة غير الشرعية سواء دول الممر، أو المقر، أو دول المصدرة للهجرة غير الشرعية تكثيف وتنسيق الجهود فيما بينهم للحد من الهجرة غير الشرعية.
- معاملة المهاجرين غير الشرعيين معاملة إنسانية، وعدم اهانتهم حال القبض عليهم أثناء الدخول الى هذه الدول، أو العبور منها، أو الاستقرار فيها.

المقترحات:

يقترح الباحث:

1-إجراء العديد من الدراسات التي تبحث في موضوع هذه الدراسة بشكل أكثر دقة وأكثر تعمقا.

2-على المسؤولين في هذه الدول أخذ نتائج هذه الدراسة ونتائج الدراسات السابقة والتي ستليها بعين الاعتبار ووضعها في إطار البحث.

3-تكوين عدد من اللجان المتخصصة في كل مجال على حدة لوضع كافة الحلول الممكنة لمعالجة كل تلك الأسباب التي تؤدي بالمهاجر إلى اتخاذ قرار الهجرة عن وطنه ووضع هذه الحلول في إطار التنفيذ.

المراجع والمصادر:-

أولا: المراجع العربية:

1. البشير الكوت (2017) الهجرة غير القانونية إلى ليبيا وتأثيرها في الأمن القومي الليبي، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، مجلة السياسات والاستراتيجيات (2)، 145-108.
2. أسماء عادل محمد سليم (2020) جهود القطاع الأهلي في تحقيق الأمن الاجتماعي لأسر ضحايا الهجرة غير الشرعية، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، العدد ٤٩ ، المجلد ١، يناير ٢٠٢٠، ص: 437.
3. أسامة نوادري (2016) السياسة العامة الأوروبية في مكافحة الهجرة غير الشرعية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي بن مهيدي، ام البواقي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، ص: ٢٤-٢٥.

4. أحمد محمد إبراهيم أحمد الشال (2020) توجهات الشباب الريفي نحو الهجرة والمشكلات الناتجة عنها: دراسة وصفية بإحدى قرى محافظة الدقهلية"، مجلة الإسكندرية للتبادل العلمي، مجلد ٤١، العدد (٤ أكتوبر – ديسمبر)، ص: ٢٨٧-٢٨٨.
5. إيمان شريف وصفية عبد العزيز وآخرين (2007) السياسة الاجتماعية ومواجهة الهجرة غير الشرعية، قرية طون نموذجاً، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
6. المهدي مبروك (2017) الهجرة والمتاجرة بالبشر والعبودية في بلداننا، الجديد العربي، 26 كانون ثاني، مصر.
7. الطاهر احمد (2017) شنغن والتعديلات المقترحة، توسع أم خطوة للوراء ؟ مجلة العرب الدولية، 13 تشرين أول، السعودية.
8. احمد ذياب (2015) معضلة أوروبية جدوى الاقتراب الأمني للهجرة غير الشرعية، مجلة السياسة الدولية، 28 ايلول.
9. بشير حمدوش (2000) تطور دواعي هجرة المغاربة إلى الخارج وندوة لجنة القيم الروحية والفكرية التابعة لأكاديمية المملكة المغربية، الرباط.
10. ربيع كمال صالح (2005) الأبعاد الاجتماعية والثقافية لهجرة المصريين الريفيين إلى ايطاليا " رسالة دكتوراة، كلية البنات، قسم الاجتماع بجامعة عين شمس.
11. رؤوف منصوري (2014) الهجرة السرية من منظور الأمن الإنساني، رسالة ماجستير في القانون العام، جامعة سطيف، الجزائر.
12. سعدية كرم إمام عبد العزيز (2011) التحليل السوسيولوجي للهجرة غير الشرعية للشباب " دراسة ميدانية على بعض القرى المصرية، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، قسم الاجتماع، جامعة بنها.
13. سامية خضر (2016) التعرف على أسباب انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية، مجلة الوفد.
14. سحر مصطفى حافظ (2013) الهجرة غير الشرعية المفهوم، والحجم، والمواجهة التشريعية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية.
15. سمير محمد عباد (2008) الهجرة في المجال الأور ومتوسطي " العوامل والسياسات " في الملتقى الدولي الجزائر والأمن في المتوسط، جامعة قسطنطينية، ص: 221.
16. ساعد رشيد (2012) واقع الهجرة غير الشرعية من منظور الأمن الإنساني، رسالة ماجستير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر.
17. صبري محمد حمد (2008) جغرافية السكان، أسس وتطبيقات، بيروت، الدار العالمية.
18. على الحوات (2007) الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا، مجلة دراسات، المركز العالي لدراسات الكتاب الأخضر، العدد الثامن والعشرون.
19. عمر يحي أحمد (2015) الهجرة غير الشرعية في القانون الدولي، جامعة الزعيم الأزهري، كلية العلوم السياسية والدراسات الاستراتيجية، السودان.
20. عبد الحكيم احمين (2008) الهجرة إشكاليات وتحديات، مركز الجزيرة للدراسات، (11) آذار، قطر.
21. عبد النور بن عنتر (2015) الاستراتيجية الأوروبية لمحاربة الهجرة، العربي الجديد،(2) أيار، مصر.
22. ماجدة إمام حسين (2008) سياسات التنمية البشرية كمدخل للحد من الهجرة غير الشرعية، المؤتمر السنوي العاشر " السياسة الاجتماعية وتحقيق العدالة " المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 26-29.

23. محمد رضا التميمي (2011) الهجرة غير القانونية من خلال التشريعات الوطنية والمواثيق الدولية، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد الرابع، يناير، الجزائر.
24. محمد محمود السيد (2011) الهجرة غير الشرعية، الحوار المتمدن، مصر.
25. مصطفى عمر التير (2002) الهجرة والتعاون، توجيه السياسة، مجلة الدراسات طرابلس، السنة الثالثة.
26. محمود علي الغدامسى، ونصر الدين محمد أبو غمجة (2008) الهجرة من القارة الأفريقية أسبابها ودوافعها، مجلة الجامعي، طرابلس، سبتمبر.
27. موقع اللجنة الوطنية لمكافحة الهجرة غير الشرعية والاتجار بالبشر https://www.nccpimandtip.gov.eg/ar/Questions
28. محمد سعيد عبد المجيد، ووجدي شقيق عبد اللطيف (2011) العولة والهجرة غير الشرعية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، حوليات الآداب، الحولية الثانية والثلاثون، الرسالة الرابعة والأربعون.
29. محمد رمضان (2009) الهجرة السرية في المجتمع الجزائري، أبعادها وعلاقتها بالاغتراب الاجتماعي، دراسة ميدانية، متاحة على الموقع /http:/www.ulum.nle35-htm
30. هشام بشير (2010) الهجرة العربية غير الشرعية في أوروبا أسبابها، وتداعياتها، مجلة السياسة الدولية، عدد (179)، يناير، ص: 170.
31. هاجر سعد الغرياني (2010) الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا طرابلس.
32. هويدا مفتاح تنتوش (2012) الجاليات المغربية في فرنسا وإشكالية الاندماج الاجتماعي، أكاديمية الدراسات العليا طرابلس.
33. ياسر عوض الكريم المبارك (2008) الهجرة غير المشروعة والجريمة، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

1-Fazito D, Soares, W (2013) The industry of Illegal Migration : Social net work Analysis of Brazil-us Migration System.

2-judit juhasz (1999) Illegal lab our migration and Employment in Hungary, ilo,s migration program Geneva April http/www.ilo.org Public/English Protection /migrant down loud in p.30.pdf.

3-Pelser, A, J (2003) Migration in South Africa: Aprofile of Patterns, Trends, and Impacts, In: Adler, L.L and .Gielen, U.P and others: Immigration and Emigration in International Perspective. P:345.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

دور إدارة الجمارك والضرائب غير المباشرة في تدبير الكوارث:
التخليص الجمركي للمساعدات الاغاثية نموذجا.

The role of the Customs Department in disaster management: Customs clearance for relief aid.

محمد العلاوي

طالب باحث بسلك الدكتوراه – جامعة محمد الخامس- كلية العلوم القانونية و الاجتماعية والاقتصادية أكدال – البريد الالكتروني:
mohammed.elallaoui@um5r.ac.ma

الملخص:

تعد الرقابة الجمركية العمود الفقري في العمل اليومي العادي للإدارة الجمركية المغربية، ولاسيما مراقبة التدفقات التجارية والبشرية في المعابر الجمركية سواء البرية أو البحرية أو الجوية، غير أن أدوار الإدارة الجمركية في لحظة الأزمات والكوارث يتحتم عليها تدبير البضائع غير التجارية كالمساعدات الإنسانية والإغاثية القادمة من الخارج والسماح لها بالولوج إلى داخل التراب الجمركي بدون حواجز جمركية وبسرعة من أجل استخدام هذه البضائع و المعدات في إغاثة المنكوبين والمتضررين في الكوارث.

الكلمات المفتاح: التخليص الجمركي- خطط الطوارئ الجمركية- البضائع الاغاثية- المساعدات الإنسانية- الإدارة الجمركية المغربية.

Abstract:

Customs control is the backbone of the normal daily work of the Moroccan customs administration, especially the monitoring of trade and human flows at customs crossings, whether land, sea or air. However, the roles of the customs administration in the moment of crises and disasters necessitate the management of non-commercial goods such as humanitarian and relief aid coming from abroad and allowing them to enter the customs territory without customs barriers and quickly in order to use these goods and equipment in the relief of those affected by disasters.

Keywords: Customs Clearance - Customs Emergency Plans - Relief Goods - Humanitarian Aid - Moroccan Customs Administration.

مقدمة

تعد الرقابة الجمركية العمود الفقري في العمل اليومي العادي للإدارة الجمركية المغربية، ولاسيما مراقبة التدفقات التجارية والبشرية في المعابر الجمركية سواء البرية أو البحرية أو الجوية، غير أن أدوار الإدارة الجمركية في لحظة الأزمات والكوارث يتحتم عليها تدبير البضائع غير التجارية كالمساعدات الإنسانية والإغاثية القادمة من الخارج والسماح لها بالولوج إلى داخل التراب الجمركي بدون حواجز جمركية وبسرعة من أجل استخدام هذه البضائع و المعدات في إغاثة المنكوبين والمتضررين في الكوارث.

في هذا الصدد، لقد شهد العالم ومعه المغرب في السنوات الأخيرة العديد من الأزمات والكوارث الطارئة، كتفشي الأزمة الصحية المرتبطة بكوفيد 19، أو الأزمة الطبيعية المرتبطة بزلزال الحوز، مما استدعى إعلان حالات الطوارئ الصحية و الطبيعية، وبدوره المغرب أقر تدابير احترازية جمركية في إطار تدبير هذه الازمات، الأمر الذي أدى إلى اعتماد تدبير جمركية استثنائية وخاصة على مستوى المعابر الجمركية البرية والبحرية والجوية.

وفي هذا الاتجاه، يتجلى تدخل الإدارة الجمركية في تدبير الأزمات والكوارث، ولاسيما تدبير إدخال المساعدات والاغاثات والمستلزمات الصحية وغيرها من السلع الاساسية، بشكل سلس ومرن وبدون تأخير إلى التراب الجمركي، ومنه إلى المناطق المتضررة، على اعتبار أن الأزمات والكوارث سواء الصحية أو الطبيعية او الوبائية تتطلب استجابة سريعة ومنسقة لمواجهة الأوضاع الطارئة غير العادية.

إجمالا، إن إدارة الجمارك المغربية تعد الجهة الفاعلة في تدبير سلاسل التوريدات العالمية[1]، حيث يتحتم على أعوان الجمارك انطلاقا من اختصاصاتهم القانونية ضمان تسهيل حركية إدخال الإغاثات والمساعدات الطبية، غير أن منظمة الجمارك العالمية، تعتبر أن الإدارات الجمركية عبر العالم غير مستعدة للتعامل مع التخليص الجمركي للبضائع ذات الأغراض الإنسانية[2] المستوردة إلى التراب الجمركي إبان الأزمات والكوارث الصحية والطبيعية.

على هذا الأساس، وعلى ضوء الاتفاقيات الدولية الجمركية التي صادق عليها المغرب ، ولاسيما اتفاقية كيوتو المعدلة، و اتفاقية اسطنبول للقبول المؤقت وعلى ضوء اختصاصات مديرية الجمارك والضرائب غير المباشرة، فإن إدارة الجمركية تعلب دور محوري واستراتيجي في تدبير الأزمات والكوارث، لكون أن الاتفاقيات الدولية الجمركية تدعو الإدارة الجمركية المغربية على ضرورة المشاركة في مخططات مكافحة وتدبير الكوارث والأزمات سواء على المستوى الوطني أو على المستوى المحلي، ففي المقابل توصي منظمة الجمارك العالمية على ضرورة إقرار مخطط جمركي خاص بتدبير التخليص الجمركي والعبور إبان الأزمات، بل توصى بإجراء تدريبات ميدانية للوقوف على درجة الاستجابة للكوارث.

انطلاقا مما سبق يمكن بسط الإشكال الرئيسي الذي يتجلى في: **قدرة الإدارة الجمركية المغربية على تدبير إدخال المساعدات الإنسانية والإغاثية إلى المناطق المتضررة بشكل سريع و مرن في إطار تدبير الأزمات والكوارث الطبيعية وغير الطبيعية.**

لهذا فإن دراسة موضوع دور إدارة الجمارك والضرائب غير المباشرة في تدبير الكوارث، مع التركيز على دور التخليص الجمركي للمساعدات الاغاثية زلزال الحوز نموذجا، يعد إشكالية محورية لهذه الدراسة.

ومن الإشكال المحوري تتفرع من تساؤلات فرعية تتجلى في :

- **ما هي قدرة وسرعة الإدارة الجمركية على التخليص الجمركي للمساعدات الإنسانية؟**

[1] محمد العلاوي "فعالية المصالحة الجمركية بين تحسين مناخ الاعمال وتسوية المنازعات" مجلة الاعتصام للدراسات والأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الرابع، سنة 2024، ص : 491 -516.

[2] Kunio Mikuriya " World Humanitarian Summit Roundtable on Natural Disasters and Climate Change" Istanbul, Turkey, on 23 and 24 May 2016.

- **وما هي كوابح ومعيقات إدخال المساعدات الإنسانية إبان الكوارث؟**
- **وما هي أبرز التجارب المقارنة في تدبير التخليص الجمركي إبان الكوارث؟**

للإجابة عن الإشكال الرئيسي، فإننا اعتمدنا **المنهج النسقي لدافيد إيستون** الذي يرتكز على المدخلات و المخرجات في العلبة المظلمة من أجل التوصل إلى تفسيرات علمية وأكاديمية رصينة.

وللولوج عناصر البحث فإنه لا بد من الاستجابة للدواعي المنهجية وذلك عبر التصميم التالي:

- **المبحث الأول: مفهوم الخدمات اللوجستيكية الإنسانية في الأزمات.**
- **المطلب الأول:ظهور الخدمات اللوجستيكية الإنسانية.**
- **المطلب الثاني: الاتفاقيات الدولية الجمركية لتدبير التخليص الجمركي في الكوارث.**
- **المبحث الثاني:دور الإدارة الجمركية المغربية في تخليص المساعدات الإنسانية.**
- **المطلب الأول: تخليص المساعدات الإنسانية في كارثة زلزال الحوز.**
- **المطلب الثاني:كوابح ومعيقات تدبير إدخال المساعدات الإنسانية.**
- **المطلب الثالث: دور الجمارك في تدبير المساعدات الإنسانية الجمارك التركية نموذجا.**
- **خاتمة**

المبحث الأول: مفهوم الخدمات اللوجستيكية الإنسانية في الأزمات.

تعد الرقابة الجمركية العمود الفقري في العمل اليومي العادي للإدارة الجمركية المغربية، ولاسيما مراقبة التدفقات التجارية والبشرية في المعابر الجمركية سواء البرية أو البحرية أو الجوية، غير أن أدوار الإدارة الجمركية في لحظة الأزمات والكوارث تبرز بجلاء، حيث يتحتم على الإدارة الجمركية تدبير المساعدات الانسانية والاغاثية القادمة من الخارج والسماح لها بالولوج إلى داخل التراب الجمركي دون أية حواجز جمركية كالتعريفة والحقوق الجمركية و بدون حواجز غير جمركية كالتراخيص.

على هذا الأساس، تمت بلورة أساليب و تقنيات و تشريعات جمركية لتدبير التخليص الجمركي للبضائع و للمواد و للشحنات إبان الإعلان عن حالة الطوارئ أو الإعلان عن حالة الكوارث في دولة ما، ففي هذا الصدد انخرطت المنظمات الدولية ذات الصلة في مشروع تحسين الإجراءات الجمركية في شأن تسريع التخليص الجمركي للبضائع و الشحنات المعدة لأغراض إنسانية و إغاثية.

فعلى غرار منظمة الجمارك العالمية باعتبارها المخاطب الرئيسي في المجتمع الجمركي الدولي، نصت في مختلف الاتفاقيات الجمركية الدولية، الدول و الإدارات الجمركية عبر العالم إلى ضرورة منح الاولوية لتخليص البضائع الإنسانية من أجل أن تصل هذه البضائع بالسرعة والسلاسة إلى المتضررين وإلى المناطق المعلنة بأنها في وضع كارثة، غير أن مع توالى الكوارث و الأزمات العالمية سواء الطبيعية وغير الطبيعية، تدخلت الأمم المتحدة عبر أجهزتها في تعزيز جهود تدبير الكوارث عبر العالم بشكل عام، وبشكل خاص تعزيز الجهود في تدبير التخليص الجمركي للبضائع المعدة لحالات الإنسانية، ففي هذا الاتجاه ، انكب مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية المعروف بإسم الأونكتاد مع مكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية

بوضع منظومة معلوماتية جمركية للإدارات الجمركية لدمج جميع الأطراف المتدخلة في تدبير الكوارث، وتعرف هذه التدخلات على المستوى الأكاديمي بالخدمات اللوجستيكية الإنسانية.

المطلب الأول: ظهور الخدمات اللوجستيكية الإنسانية.

لقد اكتسبت اللوجستيات الإنقاذية والإغاثية زخما متزايدا في ظل انتشار الكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل والكوارث غير الطبيعية كالحروب والعمليات الإرهابية و الحوادث النووية، لهذا اهتم الباحثون والمختصون خلال العقد الأخير بميدان اللوجستيك الإنساني، حيث تم إخضاع تدخلات المنظمات النشطة في مجال الإنساني للدراسة العلمية والأكاديمية[3]، حيث تمت دراسة من جهة، التحديات والمشاكل التي تواجه تدخل المنظمات الحكومية وغير الحكومية في تقديم المساعدات الإنسانية إبان لحظات الأزمات، ومن جهة ثانية تمت دراسة سبل حكامة النفقات المرتبطة بنقل وتخزين وعبور المساعدات الإنسانية إلى الأشخاص المتضررين، على اعتبار أنه يتم إنفاق حوالي 80 و 60 في المائة من موارد الوكالات الإنسانية على الخدمات اللوجستية فقط.[4]

ففي هذه الدراسات الأكاديمية[5]، وجدت أن الإدارات الجمركية تلعب دورا محوريا في تدبير التخليص الجمركي على الحدود وفي مختلف المعابر الجمركية، على إعتبار أن الإدارة الجمركية تتواجد في الخطوط الأمامية عندما تتم عملية إدخال المساعدات الإنسانية إلى داخل التراب الجمركي، حيث أن الإدارة الجمركية تتواجد في صلب هذه العمليات اللوجستيكية حيث يتوجب عليها الاستعداد المسبق للتخليص و تدبير دخول أو عبور المساعدات الإغاثية إلى المتضررين بكفاءة عالية و بسرعة اللازمة و بدون قيود أو عوائق .

الفقرة الأولى: مراحل تطور الخدمات اللوجستيكية الإنسانية.

برزت الخدمات اللوجيستيكية لأول مرة في الميدان العسكري[6]، حيث أن الجهاز العسكري عندما يسعى إلى مجابهة العدو في الحروب، فإن عليه نقل المعدات والعتاد العسكري و الجنود من منطقة التمركز على منطقة الحرب، فضلا عن إمداد القوات بالمواد الاستهلاكية والطبية والعسكرية، بالإضافة إلى التدخل إبان وبعد الحرب في انتشال المصابين والمعطوبين، لهذا فإن كل هذه التدخلات و العمليات تحتاج إلى تخطيط و تنسيق بين مجموعة من المتدخلين في العمليات العسكرية،

[3] Gyöngyi Kovács and Karen Spens “Trends and Developments in Humanitarian Logistics – a Gap Analysis”International journal of physical distribution and logistics management, vol 41, no. 1, p: 32-45.

[4] Tatham and Spens Kovács”The humanitarian common logistic operating picture: a solution to the inter-agency coordination challenge”Disasters, p: 1- 31.

[5] في المغرب لم ينل هذا الفرع من فروع علم الاقتصاد حظه في الدراسة الأكاديمية بل تمت دعوة إلى صد الفجوة في مجال دراسة الممارسات الاغاثية، ولا سيما دراسة مشاكل التخليص الجمركي للمساعدات الإنسانية.

[6] يعود تاريخ الخدمات اللوجستية في هذا المجال إلى الحركات السلطانية العسكرية المغربية التي كان يجرها السلاطين من أن أجل تطويع قبائل السيبة في مجالات واسعة من المغرب حيث كانت الخدمات اللوجستيكية لنقل الجيوش و الجنود و العتاد من منطقة إلى أخرى.

من أجل تلبية حاجيات القوات في الحرب، وبالتالي تظهر أهمية الخدمات اللوجستيكية في الحروب، على إعتبار أن الخدمات اللوجستية العسكرية تعمل بلا انقطاع في توريد السلع في أوقات الحرب والسلم والأزمات.[7]

وعلى نفس المنوال، لقد تطورات الخدمات اللوجيستيكية العسكرية مع توالي الحروب، ولاسيما مع الحرب العالمية الأولى والثانية، مستفيدة من تطور تكنولوجيا المعلوميات و تطور العمليات اللوجستيكية في المجال العسكري.

عموما، فإذا كانت الخدمات اللوجستية نشأت وتطورت في الميدان العسكري، إلا أنها انتشرت بشكل واسع في المجال التجاري و المجال الخدماتي فضلا عن إدارة الأعمال[8]، حيث انتقلت الأساليب و الخدمات اللوجستيكية العسكرية إلى القطاع الخاص من أجل نقل وتخزين وتوزيع البضائع والمنتجات التجارية من المواد الأولية مرورا بمحطات وخطوط الإنتاج وصولا إلى المستهلك النهائي، فطول هذا المسار يتم تطبيق هذه العلميات اللوجستيكية، من أجل تقليل التكاليف والنفقات وتوفير السلع بشكل أسرع، فضلاً عن محاولة تقديم الخدمات بجودة جيدة.[9]

وفي هذا الصدد، لقد عرفت فترة الخمسينيات والستينيات ثورة في مجال الخدمات اللوجستيكية، حيث "أدى إدخال ونمو النقل بالحاويات إلى تغييرات هائلة في الموانئ التي كانت تهيمن عليها القوى العاملة الكبيرة المسؤولة عن المناولة اليدوية للبضائع[10]" ، مما سهل من عملية نقل وتخزين وتوزيع البضائع و المنتجات عبر العالم، غير أنه اصطدمت هذه الثورة الخدماتية اللوجستيكية بتنامي الأخطار وتسلل الممارسات غير المشروعة في التجارة كالتهريب والغش الجمركي ، حيث أصبح التحدي الحالي ضمان المزيد من الشفافية داخل سلاسل التوريد.[11]

ومع تدخل المنظمات الإنسانية في ميدان الكوارث لتقديم المساعدات، كان لازما تطبيق هذه العمليات اللوجستيكية من أجل تحقيق الفعالية والسرعة لنقل المساعدات الانسانية والاغاثية من نقاط التجميع مرور عبر المعابر الجمركية و التعامل مع الإدارة الجمركية وصولا إلى المناطق و الاشخاص المتضررين من الكارثة، وبالتالي فإن التحدي الرئيسي الذي تواجهها المساعدات الإنسانية هو تحدي تجاوز الحدود والمعابر الحدودية التي الإدارة الجمركية تجرى فيها عمليات المراقبة و تحصيل الرسوم والضرائب الجمركية.

ففي هذا التطور التاريخي للخدمات اللوجستيكية ستعرف تحولا عميقا عقب الاختلالات التي عرفتها إدارة كارثة تسونامي المحيط الهندي سنة 2004[12]، ولاسيما الاختلالات في تنسيق التدخلات الإنسانية والإغاثية في الدول التي ضربها التسونامي،

---

[7]Pawelczyk and Marta "Contemporary challenges in military logistics support." Security and Defence Quarterly, vol. 20, no. 3, 2018, pp:85-98.

[8]Siva Kumar and Aaron Chia"Commercial Logistics vs. Military Logistics: A Conceptual Analysis"Cases on Supply Chain and Distribution Management: Issues and Principles 2012, p: 1- 40.

[9]Pawelczyk Marta, op, cit, pp: 85-98.

[10]John Mangan and Chandra Lalwani "Global Logistics and Supply Chain Management"John Wiley & Sons Inc, 3rd edition 2016.

[11]John Mangan and Chandra Lalwani op, cit,

[12] John Telford and John Cosgrave "Joint Evaluation of the International Response to the Indian Ocean Tsunami"Synthesis Report Joint Evaluation , 2006, p 50.

حيث أن "عملية تسونامي سلطت الضوء مرة أخرى على تعقيدات إيصال الإغاثة عبر الحدود في أقصر وقت وبأقصى قدر من الكفاءة، حيث تعين على المنظمات الإنسانية التعامل مع البنية التحتية المتضررة بالإضافة إلى أنه تعين على المنظمات التعامل أيضًا مع 12 كارثة[13]"من بينها التعامل مع 12 دولة ضربتها موجات التسونامي، فضلا عن التعامل مع 12 إدارة جمركية في مجال التخليص الجمركي و بتشريعات جمركية مختلفة ومتباينة، مما خلف تأخير في إيصال المساعدات الذي كلف زهوق أرواح بشرية.[14]

ففي أعقاب الخلاصات التي أجريت من طرف المنظمات الإنسانية أفضت إلى نتيجة أنه إذا لم يكن هناك تخليص جمركي سريع و تنسيق للخدمات الإنسانية فإن هذا التدخل يتحول إلى كارثة بدوره، لهذا فمن الضروري أن تقوم إدارات الجمارك بأكبر قدر ممكن من التيسير وأن تكون مستعدة للتخليص السريع للبضائع التي يتم إرسالها كمساعدات، نتيجة للأحداث الكارثية.[15]

الفقرة الثانية :تعريف الخدمات اللوجستيكية الإنسانية .

يتم تعريف الخدمات اللوجيستيكية في المجال العسكري، بأنها علم تخطيط وتنفيذ ودعم القوات العسكرية[16] في مناطق التدخل، حيث تبتدأ العمليات العسكرية من تصميم وتطوير واقتناء وتخزين وتوزيع وإخلاء البضائع و المواد[17] من مكان إلى أخر، في حين أن الاستدامة اللوجستية في نفس المجال، تشير إلى المحافظة على القوة اللوجستية العملية والآلية التي يتم من خلالها تزويد القوات العسكرية بالمواد الاستهلاكية واستبدال الخسائر القتالية [18] في ميدان الحرب.

أما في القطاع الخاص، يقدم الباحثان جون مانجان وشاندرا لالواني، في مؤلفهما الخدمات اللوجستية والإمدادات العالمية، تعريف الخدمات اللوجستيكية للقطاع الخاص، بأنها عملية تخطيط وتنفيذ ومراقبة إجراءات النقل والتخزين الفعال للبضائع بما في ذلك الخدمات والمعلومات ذات الصلة من نقطة المنشأ إلى نقطة الاستهلاك لغرض الامتثال لمتطلبات الزبناء.[19]

أما في المجال اللوجستيك الإنساني، يقدم الخبراء تعريف للخدمات اللوجستيكية الإنسانية، بأنها "عملية تخطيط وتنفيذ ومراقبة التدفق والتخزين الفعال من حيث التكلفة للسلع والمواد وكذلك المعلومات ذات الصلة، من نقاط المنشأ إلى نقطة الاستهلاك لغرض تلبية متطلبات المستفيد النهائي[20]" ويتم تلبية حاجيات المستفيد النهائي في حالات الكوارث ولأغراض

---

[13] This Annual Report reflects activities" INTERNATIONAL DISASTER RESPONSE LAWS, RULES AND PRINCIPLES (IDRL)" International Federation of Red Cross and Red Crescent Societies April 2005.

[14]David Fidler ``Disaster Relief and Governance after the Indian Ocean Tsunami: What Role for International Law?" Melbourne Journal of International, Law 458 MelbJIntLaw 2005, p: 16.

[15] WCO Secretariat Note ROLE OF CUSTOMS IN HUMANITARIAN CRISES March 2022.

[16]Department of Defense " Dictionary of Military and Associated Terms"University Press of the Pacific USA 2002, p: 132.

[17] NATO "NATO Glossary of Terms and Definitions " Brussels: North Atlantic Treaty Organization Standardization, 2013.

[18] NATO, ibid.

[19] john Mangan Chandra Lalwan, ibid.

[20] Thomas and Mizushima"Logistics training: necessity or luxury?" Forced Migration Review, 2005 pp: 60–61.

إنسانية، وفي المقابل، يبسط الباحث المتخصص في العمليات اللوجيستيكية، فان واسينهوف، تعريف للخدمات اللوجستية بأنها العمليات والأنظمة المشاركة في تعبئة الأشخاص، والموارد والمهارات والمعرفة لمساعدة الأشخاص الضعفاء المتضررين من الكوارث.[21]

المطلب الثاني: الاتفاقيات الدولية الجمركية لتدبير التخليص الجمركي في الكوارث.

إن منظمة الجمارك العالمية شرعت عبر اتفاقيات جمركية دولية و عبر قراراتها وتوصياتها مجموع من الآليات والتقنيات لتدبير التخليص الجمركي في الكوارث، غير أنه ليست منظمة الجمارك العالمية الفاعل الوحيد في مجال التخليص الجمركي للبضائع المعدة لأغراض إنسانية، حيث أن الأمم المتحدة في شخص مكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية ومؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، يلعبان دور محوري في مجال نقل المساعدات الإنسانية إلى المناطق المتضررة.

فهكذا المغرب انضم إلى مجموعة من الاتفاقيات الدولية الجمركية التي تنظم كيفية تدبير المساعدات الإنسانية عبر الحدود.

الفقرة الأولى: بنية الكوارث الطبيعية بالمغرب.

يعتبر المغرب من أكثر الدول تعرضا للمخاطر الطبيعية مستقبلا، ولا سيما المخاطر الجيولوجية والمناخية، على إعتبار أن التقارير الدولية تصنف المخاطر التي تهدد المغرب تتجلى في المخاطر المرتبطة بالزلازل والفيضانات والانهيارات الأرضية و توالي موجات الجفاف.[22]

وتشير تقديرات البنك الدولي إلى أن "الكوارث تكلف المغرب أكثر من 575 مليون دولار سنوياً، ومن المتوقع أن يؤدي التوسع الحضري والعمراني وتغير المناخ إلى تفاقم مخاطر الكوارث في المغرب، لا سيما بسبب زيادة تواتر وشدة أخطار الأرصاد الجوية المائية."[23]

لقد عرف المغرب تطورا كبيرا في عدد الكوارث التي ضربته، فما بين سنة 1960 و 2021 شهد المغرب 96 كارثة[24] منها كوارث محلية وإقليمية و كوارث وطنية ، ولعل أهم الكوارث التي عاشها المغرب في السنوات الأخيرة تعد الأزمة الصحية المرتبطة بكوفيد 19، و زلزال الحوز، وقد خلفت هذه الكوارث أضرار اقتصادية واجتماعية وبيئية كبيرة، الأمر الذي جعل من السلطات العمومية تتدخل في إطار نظرية الدولة التدخلية في الاقتصاد و المجال الاجتماعي والإنساني بالخصوص.

---

[21] van Wassenhove"Blackett Memorial Lecture Humanitarian aid logistics: supply chain management in high gear"Journal of the Operational Research Society, 2006, pp: 475–489.

[22] البنك الدولي "برنامج المغرب المتكامل لإدارة مخاطر الكوارث والصمود "سنة 2021 ، ص14.

[23] يتحمل المغرب سلفا وطأة تغير المناخ، مما يزيد من تفاقم تأثير الكوارث المرتبطة بالمناخ. تشير نماذج المناخ العالمي إلى ارتفاع درجات الحرارة من 1 إلى 3.7 درجة مئوية بحلول عام 2060 مع ارتفاع معدل الاحتباس الحراري في المناطق الداخلية من البلاد، بالإضافة إلى انخفاض كبير في معدل هطول الأمطار السنوي بنسبة 15 في المائة في المتوسط إلى ما يصل إلى 30 في المائة في المنطقة الصحراوية للمزيد راجع : البنك الدولي "الإدارة المتكاملة لمواجهة المخاطر الكارثية والبرنامج المرن القائم على نتائج "سنة 2016 ، ص5 .

[24] المجلس الأعلى للحسابات" التقرير حول تقييم تدبير الكوارث الطبيعية" أبريل 2016 ص 6.

الفقرة الثانية: الاتفاقيات الدولية الجمركية المتعلقة بإدخال المساعدات الإغاثية.

لقد انتبهت منظمة الجمارك العالمية، لمشكلة عرقلة المساعدات الإنسانية عبر الحدود، فقد أقرت في مختلف الاتفاقيات الجمركية وكذا في توصياتها على ضرورة اتباع إجراءات ميسرة وسريعة للمساعدات الإنسانية وذلك وفق التشريعات الجمركية الدولية.

أولا: نظام الإدخال المؤقت للمساعدات الإغاثية.

تتوزع المقتضيات القانونية الدولية الداعية إلى منح أقصى درجات التبسيط و السرعة في إدخال المساعدات الإنسانية للمناطق المتضررة ، فإتفاقية اسطنبول المتعلق بالإدخال المؤقت للبضائع[25] تنص عبر ملحقها 9 فيما يتعلق بالبضائع المستوردة لأغراض إنسانية، على أنه الإرساليات الاغاثية تدخل عن طريق النظام الجمركي الخاص بالإدخال المؤقت، الذي بموجبه يمكن إدخال البضائع الانسانية، بما فيها وسائل النقل بدون أداء الرسوم الجمركية و بدون تطبيق إجراءات القيود والحظر، وتحدد هذه الاتفاقية شروط خاصة من أجل أن تستفيد هذه البضائع الانسانية من هذا الامتياز:

- **الشرط الأول: أن تكون ملكية هذه المساعدات لشخص خارج الدولة.**
- **الشرط الثاني: أن تقدم هذه المساعدات الانسانية بالمجان.**
- **الشرط الثالث: أن تكون المساعدات الطبية عاجلة واستثنائية وغير متوفرة في الدولة.**
- **الشرط الرابع: أن يتم إدخال هذه البضائع في نظام الإدخال المؤقت مع إعادة تصدير بعض البضائع داخل أجل سنة من تاريخ الإدخال.**

فهكذا فتعلن اتفاقية اسطنبول على إجراءات تسهيلية لفائدة البضائع لأغراض إنسانية وإغاثية.

ثانيا: اتفاقية كيوتو المعدلة في إدخال المساعدات

إن بعد تطبيق اتفاقية اسطنبول للأنظمة الجمركية الاقتصادية، جاءت اتفاقية كيوتو المعدلة لتبسيط وتنسيق الإجراءات الجمركية[26]، بدورها بمجموعة من المقتضيات القانونية الدولية للإدارات الجمركية و للإدارة الجمركية المغربية، بضرورة إعطاء الأولوية للبضائع المعدة لأغراض إنسانية، وذلك في إطار المراقبة الجمركية القائمة على المخاطر، حيث أن البضائع الإنسانية خطورتها منخفضة مقارنة مع باقي البضائع ذات الطابع التجاري، وبالتالي فإنه مع تطبيق الادارة الجمركية المغربية لنظام إدارة المخاطر في تدبير التدفقات الاغاثية يحتم إعطاء أولوية التخليص الجمركي، مما يوفر الوقت اللازم لإدخال هذه البضائع للمناطق و للأشخاص المتضررين.

[25] صادق المغرب على اتفاقية القبول المؤقت (اتفاقية اسطنبول) سنة 1991 والتي دخلت حيز التنفيذ في 27 نوفمبر 1993.
[26] صادق المغرب على اتفاقية كيوتو المعدلة بدون أي تحفظ سنة 2000، والتي دخلت حيز التنفيذ سنة 2006.

وفي هذا الإطار، تضيف اتفاقية كيوتو المعدلة شروط تبسيطية أكثر، ولاسيما في مجال مراقبة هذه التدفقات الاغاثية والانسانية، حيث تشترط وفق الملحق الخاص بإرسال الاغاثات على أنه:

- **الشرط الأول: أن تتم مر اقبة المساعدات الإغاثية استناد لنظام المخاطرفي المر اقبة الجمركية.**
- **الشرط الثاني: أن تتم المو افقة على إدخال البضائع الإغاثية بغض النظرعن دولة المنشأ أوعن دولة القادمة منها البضائع أوعن مقصد هذه البضائع.**
- **الشرط الثالث: أن تتم منح الأولوية لتخليص البضائع الإنسانية، مع ضرورة التقيد بسرعة تفتيش العينات والبضائع في حالة إجراء المر اقبة والتفتيش المادي الاستثنائي.**

وتعزز منظمة الجمارك العالمية من توصياتها في مجال إدخال المساعدات الإنسانية ، حيث تدعو التوصية "الأعضاء إلى إدارة الحدود بطريقة فعالة ومبسطة ومنسقة، بما في ذلك تبادل المعلومات، مع السلطات الوطنية الأخرى المشاركة في التعامل مع مواد الإغاثة الإنسانية، مع استخدام أنظمة التخليص الحالية من أجل توفير معالجة سريعة وفعالة ومركزية لهذه الشحنات."[27]

ثالثا: النظم الجمركية المتدخلة في تدبير الكوارث.

إن الذي وقع غداة أحداث تسونامي المحيط الهندي لسنة 2004، ألقت بظلالها على تدبير الكوارث، ولاسيما الاختلالات والتأخيرات التي عرفها التخليص الجمركي للمناطق التي ضرب فيها التسونامي[28]، عجل من وضع نظام معلوماتي لدى الجمارك من أجل تبسيط إجراءات التخليص الجمركي للبضائع والمواد المعدة لأغراض الإنسانية.ففي هذا الصدد، عقد مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد[29]) ومكتب تنسيق الشؤون الإنسانية[30] شراكة لتطوير نظام معلوماتي

[27] Recommendation of the customs co-operation council to expedite the forwarding of relief consignments in the event of disasters (1970).

[28]Virginie BOHL "A new module in ASYCUDA speeds up the processing of reliefconsignments " WCO news , 2017, n° 82, p: 4.

[29] مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) هو مؤسسة الأمم المتحدة الرائدة التي تتعامل مع التجارة والتنمية. وهي هيئة حكومية دولية دائمة أنشأتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1964. يدعم الأونكتاد البلدان النامية في الوصول إلى فوائد الاقتصاد المعولم بشكل أكثر إنصافًا وفعالية. وهو يوفر التحليل الاقتصادي والتجاري ، ويسهل بناء توافق الآراء ويقدم المساعدة التقنية لمساعدة البلدان النامية على استخدام التجارة والاستثمار والتمويل والتكنولوجيا من أجل التنمية الشاملة والمستدامة.

[30] هو مكتب تابع للأمم المتحدة تشكل في 19 ديسمبر 1991 ويهدف القرار إلى تعزيز استجابة الأمم المتحدة لحالات الطوارئ المعقدة والكوارث الطبيعية من خلال إنشاء إدارة الشؤون الإنسانية يهدف مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية إلى تعزيز الجاهزية والوقاية، وتسهيل الحلول المستدامة، والدفاع عن حقوق الناس المحتاجين وحشد وتنسيق العمل الإنساني الفعال من أجل تخفيف المعاناة الإنسانية في حالات الكوارث والطوارئ للمزيد راجع قرار الجمعية العامة 182/46.

للإدارات الجمركية مرتبط بالنظام الآلي للبيانات الجمركية اسيكودا[31] من أجل تسهيل وتسريع معالجة الإغاثة الدولية في حالة الأزمات الإنسانية أو الكوارث الطبيعية أو حالات الطوارئ المعقدة.[32]

وتتجلى الفكرة الرئيسية لنظام أسيرك (ASYREC) في دمج جميع المتدخلين في العمليات الإنقاذية في نظام معلوماتي موحد ومنسق يضمن تبسيط الإجراءات الجمركية، ولاسيما تسريع التخليص الجمركي للبضائع والمعدات اللازمة لتقديم المساعدات الإنسانية في المعابر الجمركية، حيث أن هذا النظام يسهل التمييز و الإستهداف الجمركي للبضائع سواء التمييز بين البضائع التجارية و البضائع الإنسانية، حيث بمقتضى هذا الاستهداف الممنهج و الانتقائي تمنح أولوية المرور عبر رفع اليد للبضائع المخصصة لتدبير الكارثة في إطار المراقبة القبلية، مما يسهل من عملية التخليص الجمركي و وصول سريع للمساعدات إلى الأشخاص وإلى المناطق المتضررة.

وفي نفس الاتجاه، فإذا كانت النظم الجمركية تشتغل عبر مقاربة الثقة والمخاطر، فإن المنظمات الحكومية وغير الحكومية المنخرطة في هذا النظام، يتعامل معها هذا النظام على أنها منظمات موثوقة[33] وبالتالي فإن البضائع التي ترسلها هذه المنظمات تعد منخفضة الخطورة، مما يسمح لها بالدخول تبعا للممر الأخضر الجمركي، كما يسمح هذا النظام للإدارات الجمركية بإجراء المراقبة البعدية على التخليصات الجمركية، فضلا عن إجراء تقييم عن امتثال العاملين في المجال الإنساني للإجراءات الجمركية.[34]

فهكذا، ففي اللحظات الأولى للكارثة يتم تفعيل نظام أسيريك المرتبط بمخطط الطوارئ الجمركية لدى الإدارة الجمركية، حيث يتم الإعلان عن بدء حالة الطوارئ ومدتها التقريبية[35]، حيث يتم تحديد الاحتياجات ذات الأولوية في إدارة الكارثة ويتم تسجيلها في نظام اسيريك، عندها تتدخل المنظمات والأشخاص المعنيين بتقديم المساعدات بإرسال الاحتياجات المصرح بها وتنال هذه البضائع والاحتياجات الدخول إلى التراب الجمركي بكل سهولة وبسرعة فائق، ففي هذا المسار تكون الإدارة الجمركية على علم بالبضائع وحجمها والجهات المرسلة و على علم بالمعابر التي تدخل منها، وبالتالي توجيه الموارد البشرية والتقنية الجمركية إلى البضائع من أجل تخليصها.

غاية ما في الأمر، إن هذا النظام أسيريك موجه خصيصا لتسريع تخليص المساعدات الإنسانية والإغاثية للدول التي تعلن عن حالة كارثة أو التي تعلن عن قبولها للمساعدات، ولقد برز نظام أسيريك بشكل جلي في تسهيل حركة الإمدادات الدوائية

---

[31] يتمتع مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) بخبرة تزيد عن 30 عامًا في إصلاح الجمارك وتحديثها، وقد طور نظام إدارة الجمارك القائم على الكمبيوتر، أسيكودا، والذي يستخدم اليوم في ما يقرب من 100 دولة.

للمزيد راجع :

The Leading Edge Programme"ACCELERATING IMPORT FOR RELIEF CONSIGNMENTS" the Humanitarian Networks and Partnerships Week,2018 .

[32] Virginie BOHL op, cit.

[33] Gull, Matthias "Customs Clearance in Disaster Relief: Managing Constraints." Department of Marketing ,Hanken School of Economics Helsinki 2017.

[34] The Leading Edge Programme"ACCELERATING IMPORT FOR RELIEF CONSIGNMENTS" the Humanitarian Networks and Partnerships Week,2018 .

[35] UNCTAD and ASYREC " Saves time, Saves funds, Saves lives"2020.

و اللقاحية عبر الحدود إبان الأزمة الصحية المرتبط بـ كوفيد19[36]، حيث " أنشأ كل من الاتحاد الأوروبي ومنطقة التجارة الحرة لأوروبا الوسطى ممرات خضراء للإمدادات ذات الأولوية كجزء من استجابتهم لجائحة كوفيد-19."[37]

غير أنه بتفحص 102 دولة متبنية لهذا النظام المعلوماتي، فالمغرب لوحده من أصل 186 دولة عضو في منظمة الجمارك العالمية[38]، غير منخرط و متبني لهذا النظام المعلوماتي المتطور ضمن الأنظمة المعلوماتية الجمركية للإدارة الجمركية المغربية، الأمر الذي لا يعدو كون أن المغرب و الإدارة الجمركية غير مستعدة لتدبير التخليص الجمركي للمساعدات الإنسانية والإغاثية.

المبحث الثاني:دور الإدارة الجمركية المغربية في تخليص المساعدات الإنسانية.

إن تدخل السلطات العمومية في تدبير الأزمات و الكوارث بالمغرب، يتسم بالتشرذم المؤسسي ويغلب نهج رد الفعل بالدرجة الأولى على إدارة المخاطر[39]، مع غياب التنسيق بين الإدارات العمومية، بجوار أن كل إدارة تدبير الكارثة دون تنسيق مع باقي المتدخلين، ولعل أن الإدارة الجمركية المغربية لم يتم إدراجها ضمن المخططات لتدبير الكوارث سواء الطبيعية وغير الطبيعية.

لكون أن لحظة وقوع الكوارث تتجه جميع الأنظار إلى تقديم المساعدات للمتضررين ، حيث أن المساعدات يمكن أن تأتي من داخل الدولة أو من خارج الدولة، فهذه المساعدات الأتية من الخارج، يتحتم عليها المرور من المعابر الجمركية التي تتطلب إجراءات جمركية في شأن تخليصها، فمن أجل وصول هذه المساعدات إلى المتضررين يجب أن تتم بسرعة و بشكل سلسل دون عوائق أو قيود.

لهذا، فإن استعداد الإدارة الجمركية للتعامل مع الحالات الطارئة والكوارث بشكل ميسر أكثر من تيسير البضائع التجارية العادية، لا يتأتى إلا بإدراج الإدارة الجمركية في المخططات تدبير الكوارث والأزمات الوطنية و المحلية، فضلا عن وضع مخطط جمركي خاص بالإدارة الجمركية في تدبير وتخليص المساعدات الإغاثية والإنسانية.

على اعتبار أن الأشخاص الذين يقدمون الخدمات في المجال الإنساني من المفترض أن يتعاملوا مع عدد كبير من الإدارات والاجهزة المتدخلة في تدبير كارثة، ففي حالة المغرب تتدخل وزارة الداخلية (جهاز الدرك الملكي والأمن الوطني والقوات المسلحة والوقاية المدنية) و وزارة الصحة في تدبير الكوارث، غير أن أول حلقة في هذا مسار الطويل والمعقد في تدبير عبور المساعدات، تجد الإدارة الجمركية نفسها في الخطوط الأمامية لاستقبال هذه المساعدات فمن أجل تدبير هذه التدفقات الإنسانية بكيفية فعالة و بسلاسة.

---

[36]UNCTAD and ASYREC Using ASYCUDA and ASYREC to facilitate and control the importation of Medicines and Medical Equipment in response to the novel coronavirus pandemic (COVID-19)2020.

[37]United Nations Economic Commission for Europe "White Paper Pandemic Crisis Trade-Related Response"Geneva, 2021.

[38] WCO"List of Members with membership date "February 2024.

[39] البنك الدولي"الادارة المتكاملة لمواجهة المخاطر الكارثية والبرنامج المرن القائم على نتائج "نفس المرجع السابق، ص 6.

إجمالا، إن إدارة الجمارك تعد الجهة الفاعلة في تدبير سلاسل التوريدات العالمية، حيث يتحتم على أعوان الجمارك انطلاقا من اختصاصاتهم القانونية ضمان تسهيل حركية إدخال الإغاثات والمساعدات الطبية، غير أن منظمة الجمارك العالمية، تعتبر أن الإدارات الجمركية عبر العالم غير مستعدة للتعامل فيما يخص التخليص الجمركي للبضائع المستوردة إلى التراب الجمركي إبان الازمات والكوارث الصحية و الطبيعية.

المطلب الأول: تخليص المساعدات الإنسانية في كارثة زلزال الحوز.

على مستوى الإدارة الجمركية المغربية، طرحت قضية تخليص المساعدات الاغاثية والإنسانية الخارجية إشكالا من حيث قبولها خلال كارثة زلزال الحوز، على اعتبار أن المغرب لم يفعل نداء المساعدة الدولية على مستوى الأمم المتحدة على الرغم من شدة الزلزال الذي ضرب المغرب، وبالتالي تدخلت الدولة عبر أجهزتها في مقدمتها الجيش و الوقاية المدنية بتقديم المساعدات الأولية فضلا عن إنقاذ المصابين و الجرحى، فعلى الرغم من عدم تفعيل المغرب لنداء المساعدة، اندفعت المساعدات الدولية[40] إلى الحدود والمعابر الجمركية، إلا أن هذه المساعدات الإنسانية عانت من تأخيرات على مستوى التخليص الجمركي، لكونها سعت لنيل الإعفاءات الجمركية المندرجة ضمن نظام القبول المؤقت .[41]

ففي غياب إطار وطني للتنسيق، ظلت الإدارة الجمركية المغربية تنتظر الموافقة بدخول المساعدات الإنسانية من وزارة الداخلية باعتبارها القائدة لمجمل العمليات تدبير الكارثة، مما أثر على التدفق السلس والمرن للمساعدات الإنسانية و الإغاثية القادمة من الخارج، ففي هذا الصدد، وجد الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر خلال تقديمه المساعدات الإنسانية بالمغرب إبان زلزال الحوز بأن خلال الفترة ما بين وقوع الزلزال إلى غاية أربعة أشهر التي تلت الزلزال، أن استيراد السلع الإنسانية عانى من تأخيرات طويلة في الجمارك[42] وفضلا عن محدودية توفر البضائع في السوق المحلية.

ومع هذا الوضع الذي لم يسمح معه المغرب والإدارة الجمركية بدخول المساعدات الإنسانية، انكبت المساعي الدبلوماسية من طرف الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر مع الحكومة المغربية بالسماح باستيراد البضائع الإنسانية والإغاثية، حيث إلى غاية الشهر الخامس من وقوع الزلزال أصبحت عمليات الاستيراد مرنة وسلسة .[43]

---

[40] عقب الأخبار المأساوية في المغرب، تدفقت عروض المساعدة من حول العالم، حيث استجاب المغرب فقط لعروض الدعم من الدول الصديقة : إسبانيا، قطر، المملكة المتحدة، والإمارات العربية المتحدة. للمزيد راجع في هذا الشأن: محمد مصباح رشيد أوراز هاجر الإدريسي" زلزال الأطلس الكبير : الكارثة، الأزمة، والاستجابة الحكومية" المعهد المغربي لتحليل السياسات. 2024 ص 9.

.

[41] تنص مدون الجمارك والضرائب غير المباشرة وفق الفصل 145- 1 – القبول المؤقت نظام يسمح باستيراد، مع وقف الرسوم والمكوس المطبقة على وسائل النقل المستوردة والأشياء التي يحملها المسافرون الذين لهم محل إقامة اعتيادي بالخارج.

[42] International Federation of Red Cross and Red Crescent Societies"Morocco, MENA| Morocco Earthquake 2023" Operation Update #1, p 4.

[43] International Federation of Red Cross and Red Crescent Societies"Morocco, MENA| Morocco Earthquake 2023"Operation Update #2, p.23.

فإذا كانت التقارير تتحدث عن تأخر كبير في تخليص المساعدات الإنسانية [44]، ففي المقابل أن مساعدات إنسانية ظلت في المعابر الحدودية لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر، كما أن مساعدات أخرى لم تنل الموافقة والتراخيص من أجل العبور، بل حتى أن بعض المساعدات ظلت مكدسة تنتظر العبور إلى أن تم تغيير وجهتها إلى مناطق أخرى.

في المقابل تعترف الإدارة الجمركية المغربية أنها في زلزال الحوز عرفت حركية كبيرة وهائلة في تدفق المساعدات الإنسانية والإغاثية على اعتبار أن "وأمام التدفق الهائل لعمليات إدخال المساعدات الإنسانية التلقائية، عمدت إدارة الجمارك والضرائب غير المباشرة إلى تفعيل مسطرة مبسطة سمحت بالرفع السريع لمعدات وأجهزة الإغاثة لصالح المستفيدين منها[45]" حيث أنه بلغ مجموع العمليات المنجزة في إطار تدبير التدفقات الانسانية حوالي 379 عملية أنجزت عبر 6 مكاتب جمركية.[46]

في المحصلة، تجد إدارة الجمارك المغربية نفسها في صلب إدارة الأزمات والكوارث، على اعتبار أن مسؤولة عن تدبير التخليص الجمركي بشكل سريع، وإدخال هذه المساعدات بشكل ممنهج ومخطط إلى المناطق والأشخاص المتضررين، غير أنه مع غياب إطار وطني للتنسيق ومخطط الطوارئ للإدارة الجمركية يتم تفعيله مباشرة بعد وقوع الكارثة ، يجعل الإدارة الجمركية مكبلة اليدين في انتظار الموافقات من عدة وزارة على غرار وزارة الداخلية ووزارة الخارجية ووزارة التضامن والتنمية الاجتماعية[47] لإدخال هذه المساعدات الإنسانية.

إنه بتطبيق منهج دافيد إيستون على تفاعل الدولة المغربية والإدارة الجمركية المغربية وبتحليل المدخلات والمخرجات التي أفرزتها تجربة كارثة زلزال الحوز، يمكن تفسير لماذا المغرب رفض المساعدات الإنسانية الخارجية، ولعل من بين التفسيرات يتجلى التفسير المبدئي المتمثل في أن قبول المساعدات الإنسانية رهين بإطلاق المغرب لنداء لتلقى المساعدة الدولية، وبالتالي

---

[44] نظرا لغياب مصادر رسمية حول تأخير التخليص الجمركي للبضائع المعدة للمساعدات الإنسانية تم اللجوء إلى التقارير والمصادر الإعلامية التي تطرقت إلى التأخر في إصدار التصاريح والموافقة لإدخال المساعدات إلى المناطق المتضررة بالزلزال للمزيد راجع في هذا الشأن:

1. تصريح رئيس حزب سوموس مليلية السياسي، أمين عزماني، في شأن إعادة توزيع المساعدات في إسبانيا بعدما لم تتم الموافقة على دخولها للمغرب. :https://www.europapress.es/ceuta-y-melilla/noticia-somos-melilla-comienza-repartir-ciudad-familias-necesitadas-ayuda-le-rechazo-marruecos-20231105153114.html
2. أفرجت السلطات الجمركية عن شاحنتين للمساعدات الإنسانية من ميناء طنجة وذلك بعد أن ظلت عالقة لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر. للمزيد راجع في هذا الشأن:
تقرير عن تأخر في الافراج عن المساعدات الإنسانية
3.
4. اشتكت منظمات غير حكومية عن سوء معاملة تعرضت إليها عند المعابر الحدودية عند محاولة دخولها لتقديم المساعدات الاغاثية فيما تأخر مجموعات إنقاذية لمدة 7 ساعات دون أن تنال الموافقة بالدخول في حين أن بعض الفرق عادت إدراجها بعد رفض دخولها للمزيد راجع في هذا الشأن:
:https://elcorreoweb.es/internacional/una-mano-negra-en-la-ayuda-humanitaria-a-marruecos-CY8809114

[45] تقرير مديرية الجمارك والضرائب غير المباشرة لسنة 2023 ص 39 .

[46] المكاتب الجمركية التي تدخلت في عملية تدبير إدخال المساعدات الإنسانية والإغاثية هي : طنجة المتوسط، مراكش، الناظور، طنجة المدينة، أكادير وورزازات.

[47] أحدث التعاون الوطني سنة 1957 على شكل مؤسسة خصوصية ذات طابع إجتماعي ومعترف لها بالمنفعة العامة، ثم تحولت إلى مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي، وهي موضوعة تحت وصاية وزارة التضامن والمرأة والأُسْرَة والتنمية الاجتماعية. للمزيد راجع في هذا الشأن :
المرسوم رقم 2.13.22 صادر في 18 من جمادى الآخرة 1434 (29 أبريل 2013)بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة التضامن والمرأة والأُسْرَة والتنمية الاجتماعية.
و المرسوم رقم 2.71.625 الصادر في 12 من محرم 1392 (28 فبراير 1972) بمثابة نظام التعاون الوطني.

فإن عدم إطلاق المغرب لنداء المساعدة يجعل هذه المساعدات غير مرغوبة فيها أو على الأقل أن الدولة المغربية تتمتع بسيادة وطنية تجعلها تنتقى عروض المساعدات الدولية بحسب الحاجيات [48]، بجوار أن المغرب قادر بفضل تجاربه السابقة في تدبير الكوارث على الاستجابة بشكل فعال للحاجيات الكارثة.

أما التفسير الثاني الذي تقدمه مخرجات كارثة زلزال الحوز يتجلى في أنه في ظل غياب إطار وطني للتنسيق يرفع من مخاطر عدم التنسيق تعميق آثار الكارثة بل قد يؤدي عدم التنسيق إلى نتائج عكسية[49]، كما أنه المغرب لا يتوفر على مخازن استراتيجية للتخزين يتم استغلالها لتخزين المساعدات المتدفقة .

المطلب الثاني: كوابح ومعيقات تدبير إدخال المساعدات الإنسانية.

بلا شك أنه عندما يتم التطرق لمشكل تأخير التخليص الجمركي للمساعدات الإنسانية، تتجه الأنظار إلى الإدارة الجمركية باعتبارها المسؤولة على تدبير التدفقات التجارية وغير التجارية في المعابر، غير أن هذا التأخير في كثير من الأحيان، لا يكون سبب التأخير هو خطأ إدارات الجمارك[50]، بل المشكل التأخير يتجلى في نظام تدبير الكارثة المطبقة بشكل شمولي.

وتتجلى الكوابح التي تحول دون تدبير عقلاني و استباقي للتخليص الجمركي السريع للمساعدات الإنسانية في المقام الأول إلى قصور تشريعي على مستوى التشريع الجمركي، حيث أن تحدد مدونة الجمارك والضرائب غير المباشرة، لشرط ضرورة التوفر على صفة المنفعة العامة من أجل الحصول على الإعفاء الجمركي في شأن الإرساليات الموجهة إلى الخيريات وإلى المنظمات غير الحكومية[51]، يعرقل من سلاسة التدفقات الإنسانية والإغاثية إبان الكوارث، على اعتبار أن عدد الجمعيات والمنظمات غير الحكومية التي تتوفر على صفة المنفعة العامة لا يتجاوز 271 جمعية ومنظمة[52]، وبالتالي فإن هذا التقييد من شأنه إثقال كاهل المنظمات والجمعيات غير المتوفرة على صفة المنفعة العامة بأداء الرسوم والضرائب الجمركية للبضائع غير التجارية عند التخليص الجمركي، كما يحد من التدخلات الإنسانية في الأزمات والكوارث بتحديد عدد محدود من الجمعيات والمنظمات من الاستفادة من نظام الإعفاءات الجمركية.

كما أن تحديد ضرورة الحصول على الموافقة القبلية من مؤسسة التعاون الوطني، من أجل الحصول على إعفاء كلي من الرسوم الجمركية من أجل إدخال المعدات و البضائع الإنسانية وتوزيعها على المنكوبين[53] يعقد من الإجراءات الجمركية التي لا تتلاءم مع أوضاع الكارثة.

---

[48] عبد الرفيع زعنون "أربعة تحديات تواجه تدبير الكوارث الطبيعية بالمغرب" المعهد المغربي لتحليل السياسات،.2024

[49] بلاغ وزارة الداخلية في شأن المساعدات الإنسانية فقد أجرت السلطات المغربية تقييما دقيقا للاحتياجات في الميدان، آخذة بعين الاعتبار أن عدم التنسيق في مثل هذه الحالات سيؤدي ترتبط في المغرب قبول المساعدات الإنسانية بسيادة المغرب الوطنية.

[50] Rebecca Turner "Barriers to customs entry at the time of disaster in developing countries: mitigating the delay of life-saving materials"World Customs Journal,Volume 9, Number 1.

[51] نظام القبول المؤقت في مدونة الجمارك والضرائب غير المباشرة.

[52] تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي"- وضع وديناميكية الحياة الجمعوية، 2016."إحالة ذاتية رقم 2016/28 ص 26.

[53] تنص مدونة الجمارك والضرائب غير المباشرة وفق الفصل 179 في شأن الإرساليات الموجهة إلى بعض المؤسسات الخيرية على أنه يتم الإعفاء من رسوم الجمرك والرسوم والمكوس الأخرى المستحقة عند الاستيراد بمقرر تصدره الإدارة بعد موافقة التعاون الوطني:

أ) البضائع والمنتجات المتلقاة في شكل هبات معدة لتوزيعها مجانا على المحتاجين والمنكوبين والمدرجة في سند للنقل محرر باسم المؤسسة الخيرية الموجه إليها ؛

إجمالا، فإذا كانت خلاصات المجلس الأعلى للحسابات في موضوع تدبير الكوارث الطبيعية أفضت، إلى أن تدبير الكوارث بالمغرب يطبعه التدبير الاستعجالي بدل من تدبير المخاطر قبل حدوث الكارثة، بجوار تشتت نظم تدبير الكوارث بين القطاعات الوزارية، فإنه منذ صدور المهمة التقييمية سنة 2016 التي حدد أوجه قصور تدبير المخاطر، تأخرت الدولة والحكومة لأزيد من 8 سنوات لإقرار الاستراتيجية الوطنية لتدبير مخاطر الكوارث الطبيعية للفترة ما بين 2020-2030.

بالإضافة إلى أنه التقرير أوصى بضرورة إحداث هيئة وطنية أو عليا مشترك بين الوزارات مكلفة بتدبير المخاطر، إلا أن الحكومة لم تستجب لهذه التوصية وارتقت بمركز اليقظة والتنسيق بوزارة الداخلية إلى مديرية مركزية في وزارة الداخلية[54] عهد إليها بتنفيذ الاستراتيجية الوطنية لتدبير المخاطر، الأمر الذي بلا شك سينعكس على تدبير الكوارث المحتملة، على اعتبار أن إحداث مديرية بوزارة الداخلية لا يعدو كونه من جهة، تكريس من جديد التدبير المتشرذم القطاعي للكوارث بالمغرب.

ومن جهة ثانية، إن إشراف وزارة الداخلية قد ينم على اعتماد المقاربة الأمنية في تدبير الكوارث، ومن جهة ثالثة، تدبير الكوارث يفوق قدرات مديرية ولا سيما وأن قدرة المديرية على القيادة و التتبع و التفاعل مع مجمل العمليات الإغاثية و الإنقاذية محدودة، خاصة وأن مديرية تدبير المخاطر بوزارة الداخلية يترأسها شخصية مرتبة في إطار عامل أو والي، في حين أن تدبير الكوارث يتطلب قيادة وزارية على المستوى الوطني.

وبالعودة إلى الإدارة الجمركية المغربية، فإنها لا تتوفر على تمثيلية جمركية بمركز اليقظة والتنسيق ، فضلا على أنه بدورها مديرية الجمارك والضرائب غير المباشرة ، لا تتوفر مخطط جمركي قطاعي خاص بتدبير الكوارث يتم تفعيله إبان الأزمات والكوارث الطارئة في مختلف المعابر الجمركية المغربية من أجل الاستجابة بشكل سريع مع التدخلات السلطات العمومية، ولاسيما الاستجابة في التخليص الجمركي للبضائع و الشحنات ذات الأغراض الإنسانية.

وعلى العموم، إن وجود مخطط الطوارئ للإدارة الجمركية المغربية يتم الاشتغال به عند إعلان حالات الطوارئ، يتيح تحديد ساعات العمل و المخازن و المعابر المخصصة لدخول المساعدات الإغاثية وبالتالي إفساح المجال للمساعدات بإختيار المعابر الملائمة للولوج إلى التراب الجمركي سواء اختيار المعابر البحرية أو الجوية أو البرية[55]، كما أن النشر الاستباقي للإجراءات الجمركية التي تخضع إليها المساعدات الإنسانية على شاكلة النشر الإستباقي للإجراءات الجمركي التي تخضع إليها البضائع التجارية، تمكن من وصول المعلومة إلى مقدمي المساعدات على اعتبار أنه قد تكون الإجراءات

ب) الأعتدة المعدة لإسداء خدمات إنسانية مجانا من طرف بعض المؤسسات الخيرية.

[54] المادة 3 من مرسوم رقم 1086-19-2 صادر في 4 جمادى الآخرة 1441 (30 يناير 2020) بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة الداخلية.

[55] قد تختار المنظمات الإنسانية المعابر البرية والبحرية أقل تكلف مقارنة مع المعابر الجوية إلا أن التخليص الجمركي للمساعدات الإنسانية في المطارات تكون أسرع مقارنة من المعابر البرية والبحرية.

للمزيد راجع :

Gull, Matthias. “Customs Clearance in Disaster Relief: Managing Constraints.” Department of Marketing Hanken School of Economics, Helsinki 2017.

الجمركية موجودة، ولكن لا يتم نشرها، وبالتالي تظل غير معروفة للمجتمع الإنساني، مما يؤدي إلى تأخير في التخليص الجمركي.[56]

كما أن توفر الإدارة الجمركية المغربية على خطة لتدبير الكوارث، يسهل من عملية تكيف الإدارة الجمركية مع جميع المتغيرات، ولاسيما وأن الإدارة الجمركية تعتمد على إدارة المخاطر في مراقبة هذه البضائع، حيث بمقتضى هذا الإجراء السماح للبضائع منخفضة الخطورة بالدخول، عبر تطبيق المراقبة القبلية لإصدار رفع اليد، ولاسيما السماح بمرور البضائع المرسلة من الهيئات والوكالات الرسمية والمنظمات غير الحكومية والحكومية، فيما يمكن تطبيق المراقبة البعدية لتأكد من البضائع الإغاثية وصلت إلى مناطق المتضررة، ففي هذا الإطار إن صفة المستلم أو المرسلة إليه البضائع الإنسانية[57] تشكل أهمية بالغة في إجراء المراقبة البعدية، أما فيما يخص تنسيق العمليات الجمركية مع باقي المتدخلين في السلامة الغذائية و الدوائية، فإنها تمكن من القيام بإجراءات جمركية متزامنة.

المطلب الثالث: دور الجمارك في تدبير المساعدات الإنسانية الجمارك التركية نموذجا.

يبرز تدخل الإدارة الجمركية التركية في تدبير المساعدات الإنسانية خاصة إبان الزلازل، على اعتبار إن استجابة الإدارة الجمركية التركية مع تدفق المساعدات الإنسانية والإغاثية غداة الزلزال 2023 الذي ضرب شرق تركيا[58]، عرف استجابة سريعة ومنسجمة بين جميع المتدخلين.

ولكون أن الكوارث الطبيعية ولاسيما الزلازل في تركيا، تعتبر ظواهر طبيعية مستمرة لا تنقطع على مدار السنة، فقد أنشأت تركيا في البنية الوزارية المكلفة بالداخلية هيئة إدارة الكوارث والطوارئ سنة 2009، وتعمل الهيئة على تنسيق التدخلات الإغاثية بعد وقوع الكوارث بدولة تركيا.

ففي تركيبة الهيئة المكلفة بتدبير الكوارث، تتوفر الإدارة الجمركية التركية على تمثيلية ضمن أعضاء المكلفين بالاستجابة للكوارث إلى جانب باقي المتدخلين، حيث أنه الإدارة الجمركية تختص بمعالجة القضايا الجمركية ذات الصلة بتدبير التدفقات الإغاثية و الإنسانية ضمن هذه الهيئة، كما تحدد الإدارة الجمركية التركية في هذه البنية المؤسساتية، أوقات العمل الإدارة الجمركية التركية و المعابر المخصصة لولوج المساعدات الإنسانية إلى داخل التراب الجمركي التركي، فضلا عن تقديم المعلومات الجمركية فيما يخص التخليص الجمركي لهذه البضائع.

---

[56]Virginie BOHL"Supporting humanitarian work: some recommended practices" WCO News N° 101, Issue 2, 2023.

[57]وجدت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، أن صفة المستلم أو المرسلة إليه البضائع في إطار المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة تؤثر على سهولة التخليص الجمركي حيث أن إذا كانت المساعدات مرسلة إلى السفارة الأمريكية يتم التعامل مع هذه البضائع بسرعة في مرحلة التخليص الجمركي.

للمزيد راجع :

Durgavich and John"Customs Clearance Issues Related to the Import of Goods for Public Health Programs" Arlington, Va.: USAID | DELIVER PROJECT, Task Order 1. 2009.

[58]ضرب زلزال جنوب شرق تركيا في 6 فبراير 2023، 13 مدينة، مما أثر بشكل مباشر على ما يقرب من 16 مليون شخص مما أدى إلى إطلاق نداء للمساعدة الدولية. وتم إرسال حوالي 7800 شحنة مساعدات إنسانية من 120 دولة مختلفة في الأشهر الثلاثة التي تلت الزلزال، بالإضافة إلى فرق الإنقاذ والكلاب والمعدات.

وبالتالي، يتمثل دور الجمارك التركية في ضمان التخليص السريع للمساعدات الدولية وتوجيهها إلى المنطقة المحتاجة، بالتنسيق مع المؤسسات المتدخلة[59]، على هذا الأساس، لم تطبق الإدارة الجمركية التركية إبان زلزل سنة 2023 اللوائح الجمركية على البضائع المرسلة للحاجيات الإنسانية مثل منشأ وقيمة البضائع، فضلا على أنه الإدارة الجمركية التركية عملت على تبسيط عملية تفتيش البضائع من خلال تعليق أنشطة المراقبة الجمركية، أما في حالة كانت علمية التفتيش لازمة فقد تم فحص البضائع والشحنات من قبل موظفي المؤسسات ذات الصلة في مكتب الجمارك.

كما أنه من أجل ضمان التنسيق إدخال المساعدات، منحت السلطات التركية إمكانية إرسال البضائع والمساعدات إما إلى هيئة إدارة الكوارث والطوارئ التركية أو إلى بعض مؤسسات المساعدة الاجتماعية والتضامن الموجودة في مدن تركيا، مما سهل عملية إرسال البضائع على الفور إلى المناطق المتضررة من الزلازل مع حصولها على إعفاء جمركي.[60]

في المحصلة، إن التجربة التركية في عملية تدبير وتخليص المساعدات الانسانية، تجربة يحتذي بها، حيث انتقلت المقاربة التركية من مفهوم إدارة الأزمات والكوارث إلى إدارة المخاطر قبل وقوع الكارثة، على اعتبار أن المخاطر الطبيعية المرتبطة بالزلازل بتركيا مرتفعة جدا حيث حسب الاحصائيات يضرب على الأقل زلزال من خمسة درجات مرة كل سنة تركيا.[61]

خاتمة:

في الختام، تجد إدارة الجمارك المغربية نفسها في صلب إدارة الأزمات والكوارث، على اعتبار أنها مسؤولة عن تدبير التخليص الجمركي بشكل سريع، وإدخال هذه المساعدات بشكل ممنهج ومخطط إلى المناطق والأشخاص المتضررين، غير أنه تعتري الإدارة الجمركية المغربية مجموع من المعيقات والكوابح في التخليص الجمركي للمساعدات الإنسانية والإغاثية، أهمها غياب التنسيق بين الإدارة الجمركية المغربية وباقي المتدخلين، فضلا عن غياب تمثيلية للإدارة الجمركية ضمن مديرية التنسيق و اليقظة، وصولا إلى غياب خطة جمركية للإدارة الجمركية المغربية يتم تفعيلها إبان الأزمات والكوارث، وبالتالي فإن قدرة مديرية الجمارك والضرائب غير المباشرة في تدبير الأزمات والكوارث في شأن التخليص الجمركي للمساعدات الإنسانية قدرة محدودة و غير سريعة وغير ممنهجة.

المراجع المعتمدة:

الاتفاقيات الدولية:

اتفاقية القبول المؤقت (اتفاقية اسطنبول) سنة 1991 والتي دخلت حيز التنفيذ في 27 نوفمبر 1993.
- اتفاقية كيوتو المعدلة التي دخلت حيز التنفيذ سنة 2006.

[59]World Customs Organization"Turkish Customs response to earthquakes" WCO News N° 101 Issue 2/2023, p 71.

[60] Turkey announces customs exemption regarding aid materials sent from abroad in response to recent earthquakes 2023.

[61] Disaster and Emergency Management Presidency"Workshop on the Role of Local Authorities in the Building of Disaster-Resilient Communities""Ankara, 2018.

النصوص القانونية:

- مدونة الجمارك والضرائب غير المباشرة المصادق عليها بالظهير الشريف بمثابة قانون رقم 1.77.339 بتاريخ 25 شوال 1397 (9 أكتوبر 1977) كما وقع تغييرها وتتميمها على الخصوص بمقتضى القانون رقم 99.02 المصادق عليه بالظهير رقم 1-00-222 بتاريخ 2 ربيع الأول 1421 (5 يونيو 2000).
- المرسوم رقم 2.13.22 صادر في 18 من جمادى الآخرة 1434 (29 أبريل 2013)بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة التضامن والمرأة والأُسْرَة والتنمية الاجتماعية. و المرسوم رقم 2.71.625 الصادر في 12 من محرم 1392 (28 فبراير 1972) بمثابة نظام التعاون الوطني.
- مرسوم رقم 2-19-1086 صادر في 4 جمادى الآخرة 1441 (30 يناير 2020) بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة الداخلية.

الدوريات والمجلات باللغة العربية:

- عبد الرفيع زعنون "أربعة تحديات تواجه تدبير الكوارث الطبيعية بالمغرب" المعهد المغربي لتحليل السياسات، 2024.
- محمد مصباح رشيد أوراز هاجر الإدريسي"زلزال الأطلس الكبير : الكارثة، الأزمة، والاستجابة الحكومية" المعهد المغربي لتحليل السياسات. 2024
- محمد العلاوي "فعالية المصالحة الجمركية بين تحسين مناخ الاعمال وتسوية المنازعات" مجلة الاعتصام للدراسات والأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الرابع، سنة 2024، ص : 491-516.

- **الدوريات والمجلات باللغة الانجليزية:**

- Gull, Matthias "Customs Clearance in Disaster Relief: Managing Constraints." Department of Marketing ,Hanken School of Economics Helsinki 2017.
- Gyöngyi Kovács and Karen Spens "Trends and Developments in Humanitarian Logistics – a Gap Analysis"International journal of physical distribution and logistics management, vol 41, no. 1, p: 32-45.
- John Telford and John Cosgrave "Joint Evaluation of the International Response to the Indian Ocean Tsunami"Synthesis Report Joint Evaluation , 2006, p 50.
- NATO "NATO Glossary of Terms and Definitions " Brussels: North Atlantic Treaty Organization Standardization, 2013.
- Tatham and Spens Kovács"The humanitarian common logistic operating picture: a solution to the inter-agency coordination challenge"Disasters, p: 1- 31.
- Thomas and Mizushima"Logistics training: necessity or luxury?" Forced Migration Review, 2005 pp: 60–61.
- David Fidler ``Disaster Relief and Governance after the Indian Ocean Tsunami: What Role for International Law?" Melbourne Journal of International, Law 458 MelbJlIntLaw 2005, p: 16.
- Department of Defense " Dictionary of Military and Associated Terms"University Press of the Pacific USA 2002, p: 132.
- Durgavich and John"Customs Clearance Issues Related to the Import of Goods for Public Health Programs" Arlington, Va.: USAID | DELIVER PROJECT, Task Order 1. 2009.
- John Mangan and Chandra Lalwani "Global Logistics and Supply Chain Management"John Wiley & Sons Inc, 3rd edition 2016.
- Pawelczyk and Marta "Contemporary challenges in military logistics support." Security and Defence Quarterly, vol. 20, no. 3, 2018, pp:85-98.
- Rebecca Turner "Barriers to customs entry at the time of disaster in developing countries: mitigating the delay of life-saving materials"World Customs Journal,Volume 9, Number 1.
- Siva Kumar and Aaron Chia"Commercial Logistics vs. Military Logistics: A Conceptual Analysis"Cases on Supply Chain and Distribution Management: Issues and Principles 2012, p: 1- 4O.

- van Wassenhove"Blackett Memorial Lecture Humanitarian aid logistics: supply chain management in high gear"Journal of the Operational Research Society, 2006, pp: 475–489.
- Virginie BOHL "A new module in ASYCUDA speeds up the processing of reliefconsignments " WCO news , 2017, n° 82, p: 4.
- Virginie BOHL"Supporting humanitarian work: some recommended practices" WCO News N° 101, Issue 2, 2023.

التقارير الرسمية:

- البنك الدولي"الإدارة المتكاملة لمواجهة المخاطر الكارثية والبرنامج المرن القائم على نتائج "سنة 2016
- البنك الدولي"برنامج المغرب المتكامل لإدارة مخاطر الكوارث والصمود"سنة 2021
- المجلس الأعلى للحسابات" التقرير حول تقييم تدبير الكوارث الطبيعية" أبريل 2016
- تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي"- وضع ودينامية الحياة الجمعوية، 2016."إحالة ذاتية رقم 2016/28 ص 26.
- تقرير مديرية الجمارك والضرائب غير المباشرة لسنة 2023.

- This Annual Report reflects activities" INTERNATIONAL DISASTER RESPONSE LAWS, RULES AND PRINCIPLES (IDRL)" International Federation of Red Cross and Red Crescent Societies April 2005.
- UNCTAD and ASYREC " Saves time, Saves funds, Saves lives"2020.
- WCO Secretariat Note ROLE OF CUSTOMS IN HUMANITARIAN CRISES March 2022.
- Disaster and Emergency Management Presidency"Workshop on the Role of Local Authorities in the Building of Disaster-Resilient Communities""Ankara, 2018.
- International Federation of Red Cross and Red Crescent Societies"Morocco, MENA| Morocco Earthquake 2023"Operation Update #2,
- Kunio Mikuriya" World Humanitarian Summit Roundtable on Natural Disasters and Climate Change" Istanbul, Turkey, on 23 and 24 May 2016.
- Recommendation of the customs co-operation council to expedite the forwarding of relief consignments in the event of disasters (1970). International Federation of Red Cross and Red Crescent Societies"Morocco, MENA| Morocco Earthquake 2023" Operation Update #1.
- the Leading Edge Programme"ACCELERATING IMPORT FOR RELIEF CONSIGNMENTS" the Humanitarian Networks and Partnerships Week,2018
- The Leading Edge Programme"ACCELERATING IMPORT FOR RELIEF CONSIGNMENTS" the Humanitarian Networks and Partnerships Week,2018 .
- Turkey announces customs exemption regarding aid materials sent from abroad in response to recent earthquakes 2023.
- UNCTAD and ASYREC Using ASYCUDA and ASYREC to facilitate and control the importation of Medicines and Medical Equipment in response to the novel coronavirus pandemic (COVID-19)2020.
- United Nations Economic Commission for Europe "White Paper Pandemic Crisis Trade-Related Response"Geneva, 2021.
- World Customs Organization"Turkish Customs response to earthquakes" WCO News N° 101 Issue 2/2023, p 71. WCO"List of Members with membership date "February 2024.

ISSN 2569-734X

الامتداد العمراني للمغاربة بجنوب الصحراء خلال العصر الوسيط

د. حسن الطويل[62]

الملخص:

اشتهر المغاربة خلال العصر الوسيط بنشاطهم المكثف بدول افريقيا جنوب الصحراء، من خلال أعمال التجارة وما ارتبط بها من مدن تجارية بنت ازدهارها على حركية العمليات التجارية، وتردد القوافل المحملة بمختلف المواد، لذلك نجد عدة مدن قافلية مثل فاس و مراكش وسبتة وتلمسان وسجلماسة مع ما ميزها من تنظيم عمراني كان يتناسب مع وظيفتها التجارية بوجود الاسواق والفنادق ومحطات التزود بالمؤنة والماء أثناء الانطلاق وبعد العودة.

وقد خلصت الدراسة الى أهمية التأثير الحضاري للمغاربة بالسودان الغربي، خاصة في مجال العمارة وتخطيط المدن وهندستها التي لم تكن تختلف عما تركوه بالمغرب.

Abstract

During the Middle Ages, the Moroccans were famous for their intense activity in sub-Saharan African countries, through trade and the associated commercial cities that built their prosperity on the mobility of commercial operations and the frequency of caravans loaded with various materials. Therefore, we find several caravan cities such as Fez, Marrakesh, Ceuta, Tlemcen, and Sijilmassa, with what distinguished them. It was organized by an urban structure that was compatible with its commercial function, with the presence of markets, hotels, and stations for supplying supplies and water during departure and after return.

مقدمة:

من المعلوم أنه بمجيء العرب إلى شمال افريقيا أصبحت العلاقات بين ضفتي الصحراء أكثر نشاطا، وتشير المصادر إلى بعض الحملات العسكرية في اتجاه بلاد السودان منذ القرن الثامن الميلادي، إلا أنها، باستثناء الحصول على كمية مهمة من الذهب وتهيئه وإصلاح بعض المسالك، لم تكن لها أي نتيجة أو تأثير على المنطقة. ويبدو أن التجار اقتفوا آثار العساكر للتحكم في أهم المسالك العابرة للصحراء فالعلاقات مع بلاد السود قامت على أساس المبادرة الخاصة للتجار رغم محاولات كل الدول المتعاقبة لاحتضانها وتوفير الوسائل الضرورية لاستمرارها.

لقد تنامى دور التجار المغاربة في وقت أصبح فيه المغرب المحتكر الوحيد لهذه التجارة، فكل العمليات التجارية مع بلاد السودان كانت تمر عبر مدنه والملاحظ أن المغرب عرف خلال هذه الفترة حركة عمرانية حيث ظهرت عدة مراكز حضرية بنت ازدهارها على التجارة القافلية في الشمال اشتهرت فاس ومراكش وسبتة وتلمسان وغيرها، وعلى الضفة الشمالية

[62]- أستاذ باحث، جامعة شعيب الدكالي، كلية الاداب والعلوم الانسانية، الجديدة.

للصحراء ظهرت مجموعة من المحطات التجارية كنقط لتجمع التجار من مختلف المناطق والبلدان قبل الانطلاق في اتجاه السودان. لقد كانت سجلماسة، نول، تادلت تابابالت وتوات وغيرها محطات يتلقى فيها التجار تنظيمهم النهائي قبل مباشرة الرحلة عبر الصحراء، وكانوا يطلعون بها على أخبار الأسواق السودانية والأحوال الأمنية والظروف الجوية وأثمنة المواد.

وبالصحراء ظهرت مجموعة من المراكز ارتبط وجودها بمرور أو توقف القوافل بها، لقد كانت تقدم للتاجر ومطيته خدمات متنوعة جعلت العديد من العناصر الصحراوية تندمج في مؤسسة التجارة القافلية بشكل أكثر فعالية. وفي الضفة الجنوبية للصحراء أدت الدينامية التجارية إلى ظهور العديد من المدن في شكل مراكز للاستيراد والتصدير، وهي المراكز التي تركز بها التجار المغاربة، وكان لهم دور كبير في تطورها على جميع المستويات وسنركز اهتماما على التأثير الذي كان لهؤلاء التجار من الناحية الطبغرافية.

تجب الإشارة أن البحث في تاريخ المدن بإفريقيا السوداء يعرف العديد من العوائق تأتي على رأسها مشكلة تحديد المدينة من طرف المصادر والكتابات. هكذا نجد المصادر العربية تحدد المدن من منظور إسلامي إذ غالبا ما يطلق اسم المدينة على المناطق التي أسلم أهلها مما يدل على أن المدينة ببلاد السودان مرتبط بمجيء واستقرار التجار العرب البربر، فابن سعيد المغربي مثلا يربط بين التحضر والاسلام عندما يشير إلى "أن ما على شاطيء النيل من بلاد التكرور من مدنية وقد دخلها الاسلام ... وهم قسم متحضر ويسكن المدن". وعندما يتعلق الأمر بمنطقة أهلها غير مسلمين فيشير "أن لهم مدنية كالقرية فيها دكاكيرهم"[63].

تركز المصادر عند محاولة تعريفها بعض المدن على البناء الصلب المتمثل في المساجد والمتاجر والقصور وهي عناصر عمرانية لم تعرفها المنطقة إلا مع مجيء التجار المغاربة إلى المنطقة. كما نلاحظ نوعا من التردد لدى هذه المصادر فالبكري لم يصف لنا إلا عشرين مدينة في حين أن صاحب الفتاش يؤكد أن مالي فقط كانت "مشتملة على نحو 400 مدينة"[64] في الوقت الذي ينفي حسن الوزان وجود مدنية بها "لا مدنية فيها ولا قصر ما عدى قرية كبيرة"[65]. فالتمييز بين المدينة والقرية ببلاد السودان خلال هذه الفترة من خلال المصادر العربية يظل صعبا ويشكل عائقا أمام الباحث في هذا الميدان.

63- ابن سعيد المغربي، **بسط الأرض من الطول والعرض**، تحقيق خوان قرنيط، تطوان، 1958، ص 24.
64- محمود كعت، **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تحقيق هوداس ودولافوس، باريس، 1981، ص 38.
65- الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، 1983، ص 163.

ويزداد الأمر تعقيدا عندما نعلم أنه لا يوجد لدى شعوب إفريقيا السوداء من الناحية اللغوية تمييز بين المدينة والقرية وكما يلاحظ أحد الباحثين الافارقة فالتعارض بين القرية والمدينة ليس له أي مدلول عند المجتمعات الأفريقية فدرجة الانتماء إلى الجماعة البشرية أكثر اعتبارا من الانتماء إلى مكان معين[66].

ومن بين المشاكل التي تعترض الباحث كذلك مشكلة تحديد المواقع التي ظهرت بها هذه المدن خاصة وأن أغلبيتها اندرست ولم تخلف أي آثار يمكن أن تدل الباحثين وعلماء الآثار. فالعوامل الطبيعية والمناخية التي تعرفها إفريقيا السوداء بالإضافة إلى طبيعة المواد التي شيدت بها هذه المدنية أدت إلى اندثار أغلبها.

لقد حاول الجغرافيون العرب عند وصفهم للمدن السودانية إعطاءنا تحديدا لها من خلال المسالك أو من خلال بعض المعطيات الفلكية رغم ما تحمله من مغالطات، فمن المعلوم أن هذه الفترة كانت تعرف تطورا فيما يعرف بجغرافية المسالك حيث لعب التجار دورا هاما في تقديم ما كان يحتاجه المؤلفون من معلومات وأوصاف تتعلق بالمسالك الرابطة بين شمال إفريقيا وبلاد السودان[67] فالبكري الذي جمع مادته التاريخية من خلال الرحالة والتجار القادمين من بلاد السودان يورد في كتابه إشارات دقيقة حول أربعة عشر مسلكا تربط بين مجموعة من المدن السودانية تسعة منها تنطلق من العاصمة غانة إضافة إلى المسالك الرابطة بين مدن شمال الصحراء وجنوبها.

تحديد مواقع المدن كان بطبيعة الحال من خلال عدد الأيام التي تقطعها القافلة من مدينة إلى أخرى، غير أنه يلاحظ أن هذه المدة تختلف من جغرافي لآخر، فهي تقديرات تقريبية ترتبط بطبيعة تحرك القافلة وبنوعية حمولتها وعدد أفرادها، كما ترتبط بالتغيرات المفاجئة لطبغرافية الصحراء وتحرك رمالها، لهذا يبقى السؤال مطروحا إلى أي حد يمكننا أن تعتمد على عدد الأيام في تحديد مواقع المدن سواء بالصحراء أو ببلاد السودان.

ومن جهة أخرى حاول الجغرافيون العرب تقديم بعض المعطيات الفلكية المتعلقة بمواقع المدن المذكورة غير أن بعض الاحداثيات نجدها تختلف من جغرافي الآخر، فخطوط الطول الخاصة بمدينة غانة تعرف فرقا ما بين 10 إلى 13 درجة وخطوط العرض ما بين 15 و29 درجة. كما يصعب معرفة هل هي معطيات تخص المدن أو محاولة لتحديد بعض البلدان إذ نعلم أن العديد من العواصم كانت تحمل أسماء البلدان التي تقع بها.

[66] - B. Kanian, «Le fait urbain en Afrique Precoloniale», Presence Africaine, 1958, p. 77.
[67] - Miquel (A), **La géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du XI siècle**, Paris, 1967, p.48.

1-دور التجار المغاربة في تطور مدن بلاد السودان الغربي

قبل الحديث عن الدور الذي لعبه التجار المغاربة في تطور المدن ببلاد السودان الغربي خلال عهد الامبراطوريات الكبرى نشير، أنه خلافا للرأي الشائع بأن المنطقة لم تعرف ظاهرة المدينة إلا عند احتكاكها بالحضارات الأخرى، أن الأبحاث الأركيولوجية غيرت نظرتنا حول تاريخ البنيات الحضرية ببلاد السودان عندما ثم إحاطة اللثام عن آثار دجيني جينو (جيني القديمة في لغة السنغاي) على بعد ثلاثة كيلومترات من جيني الحالية، حيث تفيد الأبحاث أنها كانت مركزا حضريا كبيرا خلال القرن الخامس قبل الميلاد وتمتد على مساحة 30 هكتارا[68]، وهو ما يتوافق تماما مع ما تحتفظ به الرواية الشفوية بمالي التي تتغنى بطريقة حزينة عن الحياة المزدهرة لأجداد مدينة جيني قبل مجيء العرب[69].

انطلاقا من هذا الاكتشاف يمكن التساؤل عن وجود مدن أخرى بمنطقة بلاد السودان قبل مجيء التجار المغاربة فمن خلال حصيلة الأبحاث الأركيولوجية الحالية يظهر أن هناك بعض التجمعات الحضرية بمناطق متعددة بالصحراء أو على ضفاف نهر السينغال والنيجر[70]، لكن لا يمكن القول إنها وصلت إلى مستوى دجيني جينو. ومن جهة أخرى، فمجموعة من المدن المهمة كغانة وأودغشت ومالي وكاو وجدت قبل مجيء التجار المغاربة وعرفت بأسماء أخرى لكن البحث الأثري يؤكد أنه وجب انتظار استقرار التجار المغاربة لتعرف البناء الصلب.

إن العلاقات التجارية بين ضفتي الصحراء خلال عهد الامبراطوريات الكبرى أدت إلى حدوث تحولات كبرى ببلاد السودان على جميع المستويات، لكن يمكن الجزم بأن تأثيرها كان أقوى على المجال الحضري: مدن قافلية بالصحراء، محطات تجارية على ضفتيها ومراكز بالساحل وغيرها من المناطق كانت نتيجة التقاء نوعين من المجالات مجال المجتمعات الافريقية التقليدية والمجال الحضري الاسلامي.

2- مدن السودان الغربي، التنظيم والوظيفة:

يلاحظ أن أغلب هذه المدن شيدت في مواقع مهمة وغالبا في مناطق تعرف تغيير الوسائل النقل والمطايا، ونظرا لوجودها بمواقع الالتقاء فقد عرفت تحولا عميقا تجلى بالخصوص في الحضور القوى للعناصر العربية الإسلامية، كما تجلى في تحول بعض العناصر السودانية من الحياة البدوية نحو الحياة الحضرية خاصة تلك التي كان لها احتكاك بالتجار

[68] - Roderich (J.) et Koch, Mc Jutoch, **«The Inland Niger Delta before the empire of Mali, Evidence from jenné-Jeno»**, J.A.S, 1981, p 60
[69] - Gamdio (A.), **«Le Mali »**, Paris, 1988, p 20.
[70] - Devisse (J.) **«Tradition et histoire urbaine au Sahel»**, Acte du VIIe séminaire consacré aux transformations de l'architecture dans le monde islamique, Dakar, 1983.

القادمين من الشمال. أصبحت المدن عبارة عن خليط معقد من الأجناس، بربرية عربية سودانية، هذا الخليط أعطاها طابعا خاصا تمثل في ظهور ما يعرف بالمدن المزدوجة ذات التنظيم الثنائي.

من خلال أوصاف الكتاب العرب انطلاقا من القرن العاشر، يلاحظ أن مجموعة من المدن كانت تتشكل من مركزين حضريين منفصلين، ليصبح هذا الشكل مفهوما جغرافيا شائعا في الكتابات اللاحقة، ويرجع ظهور هذا الشكل من المدن إلى فترة وصول التجار المغاربة ومحاولة الاستقرار بين العناصر المحلية فالبكري يركز على هذه الثنائية لبعض المدن فغاو مثلا كانت "مدينتان مدينة الملك ومدينة المسلمين". نص البكري يجعلنا نعتقد أن التقسيم كان الضرورة دينية خاصة وأن التجار المسلمين في بداية استقرارهم كانوا يحاولون الابتعاد عن غير المسلمين من الساكنة، ويمكن تفسير ذلك بالتسامح الديني الذي كان يسود بين الجماعتين.

هذا التنظيم الثنائي: مدينة الملك مقابل مدينة التجار- والاحيائية مقابل الاسلام نجده كذلك في الوصف الذي تقدمه جميع المصادر لمدينة غانة. كما تقدم الأبحاث الأركيولوجية بكومبي صالح إشارات دقيقة، فقد سمحت باكتشاف مدينة مبنية بناء صلبا بمساكن راقية على الطراز المغربي تتطابق مع الأوصاف التي قدمتها المصادر وخاصة البكري، غير أن المركز الثاني "مدينة الملك" لازال مجهولا إلى يومنا هذا. ومن جهة أخرى تتفق المصادر المكتوبة والرواية الشفوية والأبحاث الأثرية على أن مالي العاصمة عرفت خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ظهور بنايات تنتمي للعناصر العربية بمنطقة لاراب سو، إنها الفترة التي دخلت فيها المدينة في مدار العلاقات مع المغرب عن طريق غانة. وإلى جانبها توجد مدينة الملك: نياني كابا المحصنة بسور على مساحة 5 هكتارات[71].

هذا التنظيم الثنائي لمدن بلاد السودان يعتبر ترجمة للمجال الحضري خلال هذه الفترة التي تميزت بالتوازن بين قوتين مختلفتين المغاربة وغيرهم من التجار المسلمين من جهة والمجتمعات السودانية التقليدية من جهة أخرى وبين مجالين حضريين مختلفين متميزين. فعن طريق الانفصال كان يمكن لكلا القوتين المحافظة على استقلالهما، إنها بدون شك فترة بداية الاستقرار للتجار المغاربة ببلاد السودان. وإذا رجعنا إلى المصادر المكتوبة فلا تقدم أي معلومات تبين لنا التنظيم الحقيقي للمجال داخل هذين القسمين ولا تمكننا من معرفة هل مدينة الملك مثلا كانت فعلا مدينة محاطة بأحياء للسكن

[71] - Filli powiak (W.), **«Contitution aux recherches sur la Capitale du royaume du Mali à l'époque du haut Moyen Age»**, Archeologea Polona, 1965, pp 72-73.

أم أنها كانت إقامة ملكية فقط، وهو ما أدى بالباحث جون دوفيس إلى اقتراح فرضية أخرى وهي تعدد الأقطاب بالمجالات الحضرية فيؤكد أن غانة، وكاو ومالي ضمت ثلاث مدن متميزة[72].

ومهما يكن من أمر فإن هذا التنظيم يرجع إلى تواجد التجار المغاربة بين السود ومحاولة عدم الخضوع للتقاليد المحلية. لدى هذه التقاليد يعتبر تقسيم المجال بين الجماعات الاثنية والدينية عملية شائعة والأدلة على ذلك متعددة حتى خلال الفترات اللاحقة[73].

وتجب الإشارة إلى أن التوافد والاستقرار المكثف للتجار المغاربة وانتشار الاسلام بين السود أدى إلى ظهور مدن تميزت باندماج واختلاط ساكنتها. لقد لعب الاسلام بطابعه الحضري دورا في تلاحم ساكنة المدن رغم اختلاف أصولها. فمدينة ولاته وتومبوكتو و جيني وغيرها من المدن التي تأسست على يد التجار المغاربة والسود المسلمين كانت مدنا عربية بربرية سودانية، مراكز تجارية وعليه انصهرت فيها جميع هذه العناصر وأدت إلى ولادة ما يسمى بالثقافة السودانية العربية الاسلامية.

إن استقرار التجار المغاربة أحدث تحولا واضحا على المستوى الطبغرافي للمدن السودانية، تجلى ذلك من خلال العناصر العمرانية التي أصبحت تشكل وتهيمن على النسيج الحضري أو من خلال تقنيات ووسائل البناء.

لقد أشرنا على أن أغلب المدن السودانية تقع في مناطق محصنة طبيعيا، والسكن بالصحراء عبارة عن بناء متراص، كما أن العديد من المدن وصفت بأنها محاطة بأسوار. وهو واقع تؤكده الأبحاث الأثرية التي أجريت بالعديد من المواقع الأثرية، فبكومبي صالح نجد أن الجزء المخصص للتجار المغاربة يحيط به سور على مساحة 40 هكتارا[74].

وبرجوعنا إلى المصادر العربية نجدها تركز اهتمامها على الطابع الخارجي للمدن موضوع الوصف، وغالبا ما نجد هذا النوع من الملاحظة أي وجود أو عدم وجود السور. فلا يمكن الاعتقاد بأن هذه الملاحظات تعكس اهتماما عسكريا من طرفهم، فالمغاربة والعرب عموما ببلاد السودان كانوا رحالة وتجارا وليسوا بعساكر.

ويشكل إدخال المساجد كعنصر جديد بالنسيج الحضري من طرف التجار المغاربة تحولا كبيرا على المجال خاصة وأنه أصبح بمثابة مركز المدينة وأهم أقطابها. وعموما يعتبر تاريخ المساجد ببلاد السودان معروفا بفضل المعلومات الواردة في

[72] - Devisse (J.), op.cit., p. 7.
[73] - Levtzion (N.), **«Commerce et Islam chez les Dagomba du Nord-Ghana»**, A.E.S.C. Juillet-Aout, 1986, p 736.
[74] - Berthier (S.), **« Etude d'un secteur d'habitat à koumbi Salah»**, these 3 cycle, Lyon, 1983, p 30.

المصادر التاريخية خاصة تاريخ الفتاش وتاريخ السودان أو من خلال حصيلة بعض الأبحاث الأركيولوجية، كذلك فالكثير من المساجد لازال قائما رغم ما لحقها من تعديل.

تاريخ المساجد يفيدنا كذلك بتاريخ دخول الاسلام إلى المنطقة الذي يتطابق مع دخول التجار المسلمين إليها، فمدينة غانة مثلا حيث كان يستقر عدد كبير من التجار المغاربة ضمت حسب البكري اثني عشر مسجدا. لا نعلم بوضوح أهمية هذه المساجد لكن البحث الأثري يشير إلى وجود مسجد عظيم يقع على الشارع الرئيسي.

ويستفاد من بعض النصوص أن المدن الملكية ورغم عدم اعتناق الملوك للدين الاسلامي، كانت تضم مساجد بحكم العلاقات التي كانت تربط هؤلاء بالتجار المسلمين، وكان عدد المساجد يتزايد في فترة اعتناق الملوك السود للإسلام إذ أصبحوا إلى جانب التجار دعامة أخرى لانتشار الاسلام.

وعلى غرار مدن الشمال الافريقي فالمساجد ببلاد السودان غالبا ما كانت تؤدي إلى ظهور أسواق ومتاجر. إن العمليات التجارية بالأسواق كانت بحاجة إلى رجال الدين من فقهاء وقضاة وكتاب وشهود لخلق شروط ملائمة لا تمامها. وعموما، يلاحظ نوع من التشابه بين مساجد بلاد السودان والمغرب من حيث الهندسة مادام التجار المغاربة هم من أدخلها إلى المنطقة وهي تتطابق مع مساجد المذهب المالكي ومادام التجار الأوائل كانوا ينتمون المذاهب متعددة، فالعديد من مساجد السودان كانت لها هندسة مختلفة. وقد أشار الباحث ج. شات إلى أن مجموعة من المساجد بإفريقيا السوداء تتميز بصومعتها المدرجة ومحرابها المثلث مع غياب للمنبر ويعود أصلها إلى فترة توافد التجار المغاربة ذوو المذهب الخارجي[75].

لم تكن الأسوار المحيطة بالمدن وتعدد المساجد هي العناصر الوحيدة التي أدخلها التجار المغاربة على النسيج الحضري تجلى تأثيرهم كذلك على تصاميم المدن بشكل عام كما ظهر في تقنيات وأساليب البناء.

لا تسعفنا المصادر في معرفة تنظيم المجال الحضري ببلاد السودان لكن بعض الأبحاث الأثرية تسمح بوضع تصاميم تقريبية لبعض المدن، فمدينة غانة مثلا تظهر نواة المدينة بالوسط تشقها ثلاثة محاور كبيرة متجهة من الشرق إلى الغرب ثم المحور الرئيسي الذي يؤدي إلى الساحة الكبيرة، تتراص على جانبه العديد من الأزقة والساحات الصغيرة تجمعها المحاور الثلاثة[76].

[75] - Sehaht (J.), **«Sur la diffusion des formes d'architecture religieuse à travers le Sahara»**, trav. de l'inst. de rech. Sahara, 1959, pp 11-27.
[76] - Berthier (S.), op.cit., p 3.

ومن جهة أخرى فبعض المدن لازالت تحتفظ بشكلها التقليدي ويمكن اتخاذها كنموذج للمدن الأخرى، فمدن تومبوكتو ودجيني مثلا تحتوي على أزقة وساحات على غرار المدن المغربية التقليدية كما أن اتخاذ البيوت المبنية بالطين مع أساس حجري واتباع أساليب معينة في التصميم، وفي وضع الأبواب والسقوف، تعتبر من المواصفات الحضرية المغربية التي انحصرت بالمدن، في وقت احتفظت البيوت بالبوادي والقرى بالمواصفات السودانية، وهي في الغالب عبارة عن بناء هش.

ومرة أخرى لا تفيدنا المصادر كثيرا عن تقنيات وأساليب البناء، فالتقنية المعروفة بالبانكو (Banco) التي تشبه طريقة البناء بالمناطق الجنوبية للمغرب لا ندري هل هي تقنية محلية أم أدخلها التجار المغاربة. ويعتبر العمري المصدر الوحيد الذي تحدث عن هذه الطريقة "بأياد من الطين ... وهو يبنى تقدير نصف دراع بالطين ثم يترك حتى يجف ثم يبنى عليه مثله"[77].

وتشير الأبحاث الأثرية أنه شرع في استعمال هذه التقنية بمالي ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادي يعني الفترة التي عرفت فيها المدينة احتكاكا قويا مع المغرب مما يجعلنا نعتقد أنها تقنية أدخلت من طرف التجار المغاربة.

أما البناء بالحجر فنجد له ذكرا بالمصادر العربية منذ القرن العاشر الميلادي في المدن التي استقر بها المغاربة وكان وراء ظهور منازل رفيعة متقنة البناء. وقد كان الاعتماد على الحجر الموجود في عين المكان، فاستعمل الشيست بغانة وتشيت وأودغشت، والحث بودان وشنكيط وولاته والكرانيت بتادمكة، كما استعملت الملح بتغازة. أما في المدن الأخرى حيث كان يصعب الحصول على الحجر، فكان استعمال الحجر مثل الأجور محصورا على فئة معينة، حيث لم يكن "يبني بالحجارة والأجور إلا الملك ومن أذن له بذلك من أهل الرفة والتخصص"[78].

خلاصة:

لقد كانت التجارة القافلية مصدر للثراء بالشمال الافريقي، وأدت بذلك إلى ظهور مجموعة من المدن ببلاد السودان بفضل التجار المغاربة الذين استقروا بها. فالتأثير الحضاري للمغاربة تجلى بالخصوص في شكل العمارة وتخطيط المدن وهندستها التي لم تكن تختلف عما تركوه بالمغرب.

[77]- ابن فضل الله العمري، **مسالك الأنصار في ممالك الأنصار**، تحقيق أبو ضيف أحمد، 1988، ص 61-62.
[78]- ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص 25.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

مساهمة في خرائطية السهول الفيضية باستخدام النهج الهيدروجيمورفولوجي حالة واد لحضر (عالية إيناون، المغرب)

Contribution to Floodplain Mapping Using the Hydrogeomorphological Approach: Case of Oued Lahdar (Upper Inaouène, Morocco)

حميد فطاس[79]، عبد المنعم عوكاشة[80]، كمال الحريشي[81]، محمد مخشان[82]

ملخص:

تُعتبر الفيضانات والإمتطاحات في واد لحضر ظواهر طبيعية، تتفاقم بسبب المنشئات البشرية (كالطرق والمساكن والأنشطة) التي توجد في سهولها الفيضية. تستمر المشاريع المسجلة (البنية التحتية، المباني، الأراضي الزراعية، إلخ) في الاستثمار في الأراضي القريبة من السهول الفيضية. تُسهم تكرارية الفيضانات وامتداداتها في إحداث تهديدات للمنشئات الموجودة داخل السهول الفيضية لواد لحضر. تتمثل هذه الدراسة في الخرائطية الهيدروجيمورفولوجية، حيث تتيح هذه المقاربة تحديد الحدود القصوى للمنطقة القابلة للفيضانات عبر جميع مجاري المياه على مستوى المركز الترابي لحد مسيلة. وتعتبر هذه المقاربة أداة متاحة لتشخيص خطر الفيضانات، وتكمل الأساليب الهيدرولوجية والهيدروليكية الأخرى. وكما أنها تختلف، فهي تحمل ميزاتها وقيودها المعروفة اليوم.بعد تطبيقها في حوض واد لحضر، حيث حققت نتائج مشجعة، تم تحديد نطاق السهول الفيضية في واد لحضر على مستوى المركز الترابي لحد مسيلة، وتم التعرف على الديناميات التي تؤثر على المجاري المائية المختلفة المعروفة. بمعنى آخر، فإن المعرفة الأفضل بالعمليات المرتبطة بتطور السهول الفيضية تساهم في تقييم أدق لمخاطر الفيضانات في المنطقة. ويختلف مستوى خطر الفيضانات في السهول الفيضية لواد لحضر حسب الاختلاف بين الوحدات الجيومورفولوجية الموجودة في السهول.

الكلمات المفتاحية: حوض واد لحضر - الفيضانات - مخاطر الفيضانات - الطريقة الهيدروميتورولوجية - الخرائطية.

Abstract :

of the Oued Lahdar is a natural phenomenon, aggravated by developments (roads, housing and activities) on its alluvial plain. The facilities inventoried (infrastructure, buildings, agricultural plots, etc.) continue to occupy land close to or on the alluvial plain. The recurrence of floods and the magnitude of overflows generate and explain the threats posed by Oued Lahdar. This situation maintains the feeling of fear of risk, hazard and vulnerability of the area. This work consists of hydrogeomorphological mapping, the approach used to determine the maximum flood zone envelope for all the watercourses in the Had Msila Territorial Centers. It is one of the tools available to diagnose flood risk, complementing other hydrological and hydraulic methods. As such, it is different, and has its own strengths and limitations, which are now well known. Following its application in the Oued Lahdar watershed, where it produced highly encouraging results, the method is now being applied to the Oued Lahdar valley at the Had Msila Territorial Centers, and to identify the dynamics at work in the various recognized flood beds. In other words, a better understanding of the processes involved in the evolution of the alluvial plain contributes to a more accurate assessment of flood risk in a given area. Translated with DeepL.com (free version) the degree of flood risk in the Oued Lahdar alluvial plain differs according to the deference between the geomorphological units of the alluvial plain.

Key words: Catchment - *Lahdar river – Flood - Flood risk – Hydrometeorological method – Cartography.*

[79]جامعة سيدي محمد ابن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس
[80]جامعة عبد المالك السعدي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان بمارتيل
[81]جامعة سيدي محمد ابن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس
[82]جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

1. مقدمة:

المغرب، على غرار العديد من الدول، يعاني من مشاكل متعددة تتعلق بإدارة نقص المياه وفائضها؛ مما يتطلب تحسين المعرفة حول التغيرات المكانية والزمانية لأنظمة المياه على مستوى أحواض الأنهار (قلة المياه أو وفرتها). على غرار ذلك، فإن خطر الفيضانات خلال فترات الفائض يؤدي إلى أضرار متزايدة. هذه الأضرار المادية تهدد استدامة البنية التحتية وممتلكات السكان وتعيق جميع جهود التنمية المحلية المستدامة.

تظهر الطرق التقليدية لمكافحة الفيضانات، التي يمكن تناولها من خلال الأساليب الإحصائية، بعض القيود بسبب التغير الأكبر بين السنوات في أداء حوض التصريف (مثل هطول الأمطار، ودرجة الحرارة، والتدفق، إلخ). كما أنها لا تحقق الرضا التام من حيث الأمان وتقليل الآثار على البيئات الطبيعية.

في عملنا، نقدم المبادئ الأساسية للمنهج الهيدروجيمورفولوجي بالإضافة إلى أسس عمله. كما سنسلط الضوء على تطبيقه العملي من خلال دراسة حالة حوض واد لحضر.

تتيح هذه المقاربة إنتاج معلومات نوعية قيمة. ومع ذلك، لا توفر مؤشرات مباشرة تتعلق بارتفاعات المياه أو سرعات التدفق. من ناحية أخرى، توفر إمكانية الحصول بسرعة على خرائط دقيقة ومتجانسة تغطي جميع مناطق الدراسة، مع الأخذ بعين الاعتبار الديناميكية الطبيعية للتدفقات والدينامية المجالية للمنطقة. العيب الرئيسي لهذه الطريقة هو أنها تأخذ في الاعتبار فقط الفيضانات الناتجة عن التدفق، مستثنيةً تلك الناجمة عن ارتفاع منسوب المياه الجوفية. (BALLAIS J.L., GARRY G., MASSON M., (2005), etc.).

2. منطقة الدراسة:

يشمل مجال الدراسة الجزء الأيمن من حوض واد إيناوان، الذي يُعتبر من الروافد الرئيسية لحوض واد سبو. ويغطي مساحة قدرها 611.44 كم² ومحيطًا يبلغ 142.21 كم، وهو ما يمثل 11.81% من حوض إيناوان (انظر الشكل 1).

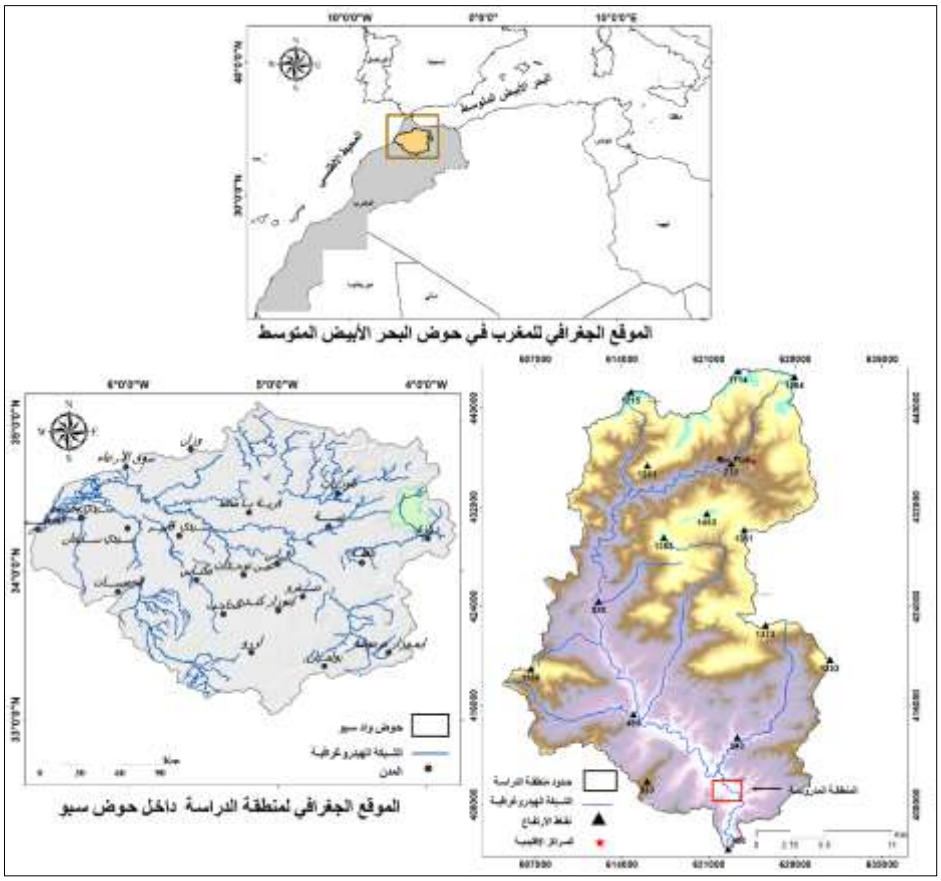

الشكل 1: موقع المنطقة المدروسة

تتخلل واد لحضر شبكة طرق كثيفة نسبيا تربط بين عدة قرى شمال تازة، مثل الطريق الإقليمي RR N 508 الذي يمر عبر مراكز مكناسة الغربية، احد مسيلة، الكوزات، وتايناست؛ بالإضافة إلى سلسلة من الطرق الإقليمية التي تربط بين عدة دواوير.

يقع حوض واد لحضر بين خطوط الطول (4°15'غرب؛ 3°58'غرب) وخطوط العرض (34°34'شمال؛ 34°13'شمال). يحده من الشرق والجنوب روافد واد الاربعاء، ومن الغرب واد اللبن، ومن الشمال عالية واد ورغة.

يقع حوض واد لحضر في سلسلة جبال الريف، ويشكل جزءًا من نظام السلاسل الجبلية الألبية في البحر الأبيض المتوسط الغربي التي تمتد نحو الشرق عبر السهول الجزائرية التي تشكل بدورها جزءًا من المغرب الأكبر.

يتسم الأساس الصخري لحوض واد لحضر بانتشار الصخور اللينة، وخاصةً الطينية والصخور الطينية الكلسية، والتي تعزز الظروف الملائمة للفيضانات خلال فترات الأمطار.

يخلق العامل الطبوغرافي (جبال منخفضة الارتفاع واحدارات شديدة) في حوض واد لحضر ظروفًا ملائمة جدًا للتحرك السريع لمياه السطح من الأعلى إلى الأسفل. يتوافق هذا النوع من التدفق مع ديناميكية الفيضانات ذات الحمولة الصلبة الأكبرى.

ينتمي مناخ حوض واد لحضر إلى المناخ المتوسطي، ويُصنف ضمن المستوى شبه الجاف. تُظهر تحليلات الأمطار أن هذا الحوض يتميز بعدم انتظام زمني كبير، بغض النظر عن الفترة المدروسة. يلاحظ ذلك من خلال تباين الهطول اليومي والسنوي، فضلاً عن تكرار فترات الجفاف والرطوبة التي تمتد على مدى عدة عقود.

تُظهر قيم الأمطار القصوى خلال 24 ساعة قيمًا مرتفعة، حتى في فترات العودة القصيرة. يمكن أن تحدث هذه الأمطار الغزيرة تقريبًا في جميع أشهر السنة. وهذا يدل على أن حوض واد لحضر مناسب بشكل خاص لتكوين فيضانات ذات حجم كبير خلال فترات قصيرة.

لدى الوضع التنظيمي المكاني للشبكات المائية في الحوض تأثير كبير بالطبع على سلوك التدفقات وخاصة على تكوين الفيضانات في المجاري الرئيسية. بالإضافة إلى ذلك، تلعب الانحدارات القوية في الشبكة المائية دورًا مهمًا في تحفيز عمليات تصريف المياه.

يتميز الغطاء النباتي بكثافة كبيرة في الجزء الشمالي من الحوض، بينما تكون الكثافة متوسطة أو معدومة في الجزء المركزي والجنوب من هذا الحوض. تؤكد هذه التوزيعة تأثير العامل التضاريسي على التوزيع المناخي في حوض واد لحضر.

3. منهجية العمل:

3-1. تعريف:

تُعتبر المقاربة الهيدروجيومورفولوجية مقاربة جيومورفولوجية تُطبق على الأودية والسهول الرسوبية. إنها مقاربة طبيعية تندرج في التطور الحديث للجيومورفولوجيا النهرية (Ballais et al. 2009). لا تأخذ هذه المقاربة في الاعتبار آثار الأعمال والتعديلات المختلفة التي تم تنفيذها في مجاري الأنهار. وتبقى العناصر الوحيدة التي تسمح بتحديد ارتفاعات المياه هي البيانات التاريخية والمتابعات التي تتم باستخدام أجهزة القياس والنمذجة الهيدروليكية.

يستند التحليل الطبيعي على علم الملاحظة، حيث يقتصر دوره على توفير معلومات نوعية فقط. بينما تقتصر عملية التكميم على التمييز بين المناطق المتأثرة بجميع الفيضانات، بما فيها الأكثر تكرارًا، والمناطق التي تُغمر فقط أثناء الفيضانات النادرة. وبشكل خاص، لا يقدم هذا التحليل دليلًا مباشرًا على ارتفاعات المياه وسرعات تدفقها.

3-2. الأدوات المستعملة:

يتم إجراء التحليل الهيدروجيومورفولوجي من خلال تحليل الصور الجوية والصور الفضائية. وتسمح الملاحظات الميدانية بالتحقق من البيانات المستمدة من التحليل السابق وإكمالها بالإضافة الى المعطيات التاريخية.

3-2-1. تفسير الصور:

تتمثل الخطوة الأولى في عمل تحليل الصور، الذي يعطي نظرة عامة عن المنطقة المدروسة، أما الخطوة الثانية فتشمل التحقق الميداني من الخرائط المنجزة، مما يسمح بإكمال نتائج المرحلة الأولى. تساعد الزيارات الميدانية، بجانب التحقق من الخريطة، على ملاحظة جميع العناصر والمعالم التي خلفتها الفيضانات الأخيرة للواد، وخاصةً:

- طبيعة التكوينات السطحية في مختلف الأحواض،
- الغطاء النباتي، الذي يعتمد على طبيعة التربة وخصائصها الهيدروجيولوجية،
- مخلفات الفيضانات: آثار الفيضانات، التآكل، الترسيب، الرواسب في الوحدات الهيدروجيومورفولوجية، إلخ.

يتيح التكامل بين هذه الخطوات تمييز الوحدات الجيومورفولوجية المختلفة التي تشكل السهول الفيضية. بالإضافة إلى ذلك، فهي توفر معلومات حول مدى انتشار وتطور الأنشطة البشرية. هذه الخطوتان التكامليتان لا يمكن فصلهما.

3-2-2. الملاحظات الميدانية:

في الواقع، تُعتبر الاستفادة من بيانات الملاحظات الميدانية في رسم خرائط مخاطر الفيضانات أداة مهمة في إعداد الخرائط الإرشادية لمخاطر الفيضانات. علاوة على ذلك، توفر بيانات الملاحظات الميدانية مساعدة قيمة للنماذج المكانية لمخاطر الفيضانات، خاصةً في تحديد الظروف الأولية للخطر، فضلاً عن استخدامها في ضبط والتحقق من صحة النماذج. ومع ذلك، لا تمثل هذه البيانات سوى جزء من المعلومات اللازمة لإنشاء هذه النماذج. على سبيل المثال، في النمذجة الهيدروليكية، تعتبر المعلومات المتعلقة بالطبوغرافيا في السهول الفيضية ضرورية بفضل تقنية الاستشعار عن بُعد؛ بالإضافة إلى أنها مفيدة جدًا لتقديرات محلية لمستويات المياه استنادًا إلى بيانات آثار الفيضانات أو حدود الفيضانات المستخلصة من صور الاستشعار عن بُعد. ومع ذلك، تتطلب إعداد الوثائق الخرائطية التي تقدم مخاطر الفيضانات تعبئة أدوات وطرق أخرى.

في الميدان، تمر عملية التحقق من صحة الخرائط عبر التعرف على الهياكل الطبوغرافية التي تم تحديدها على الصور الفوتوغرافية. يقوم الجيومورفولوجيون الذين أنجزوا الخرائط بجولة في مجاري المياه، للتحقق من طبيعة التضاريس المحلية والشكل الجيومورفولوجي المحدد في الصور. يتأكدون من صحة تموضع العناصر على خريطة الأساس ويصادقون على تفسير الوحدات الجيومورفولوجية، مع التركيز على المناطق التي واجهت فيها عملية تفسير الصور صعوبات، وذلك لتقليل الأخطاء.

3-2-3. المعطيات التاريخية:

في الواقع، يمكن للأحداث السابقة أن تقدم مؤشرات قيّمة لفهم السلوك العام للمجرى المائي المعني، وتحديداً:

- حجم الظاهرة أو مقدارها الذي يعبر عن أهمية الفيضانات الماضية من خلال تفسير أقصى التدفقات الكلية (م^3/ثانية)، وأقصى التدفقات النوعية (لتر/ثانية/كم^2)، وكذلك حجم المياه المتدفقة أثناء الأحداث التاريخية؛
- الامتداد المكاني الذي يساعد في تحديد المساحة المعنية فعلياً بالفيضانات؛
- التكرار الذي يعكس حدوث الظاهرة؛
- الإيقاع الزمني الذي يكمل مفهوم التكرار من خلال قياس الفاصل (عشوائي، دوري، موسمي...) بين حدثين من نفس النوع؛
- المدة التي تشير إلى استمرارية الفيضانات خلال فترة زمنية معينة؛

- سرعة الانتشار التي توضح سرعة الظواهر السابقة.

4. الوحدات الهيدروجيمورفولوجية القابلة للفيضانات ومعايير تحديدها في حوض واد لحضر:

تعتمد الطريقة الهيدروجيمورفولوجية على تحليل الوحدات المورفولوجية المختلفة التي تشكل السهل الفيضي. وتتمثل معايير تحديد حدود هذه الوحدات في الطبوغرافيا، والمورفولوجيا، والترسبات، والبيانات المتعلقة بالفيضانات التاريخية، التي غالباً ما تتماشى مع بيانات استعمالات الأراضي.

تتكون الوحدات المورفولوجية من المواد التي يرسبها مجرى الماء، مثل الطمي والرمال أو المواد الأكثر خشونة كالحصى المستديرة الناتجة عن النقل النهري. في المقابل، تتكون ضفاف الأنهار من مواد كبيرة الحجم مقارنة بقدرة المجرى المائي على النقل.

تتميز الوحدات الجيومورفولوجية عمومًا بوجود أربعة أنواع من الأسرة: المجرى الصغير، المجرى المتوسط، والمجرى الأكبر (العادي والاستثنائي)(Ballais et al. 2009) .

4-1. المجرى الرئيسي: Le chenal

يتفرع المجرى الرئيسي لواد لحضر إلى عدة قنوات، تفصل بينها جزر نهرية تتدفق المياه بينها. يتغير مسار هذه القنوات، وأماكنها، وتشكيلاتها بعد كل فيضان.

4-2. الأسرة النهرية: Les lits

تشير أسرة المجرى المائي إلى المساحة الكاملة التي يشغلها مجرى النهر بشكل دائم أو مؤقت. وتشكّل خصائصه نوعًا من تلخيص للتطور الجيومورفولوجي المحلى. ينبغي أن تُعد دراسته الركيزة الأساسية لأي تدخل في التهيئة، سواء لتنظيم المجاري أو لمكافحة الفيضانات. لهذا السبب، فهو ذو أهمية كبيرة. نُميز عادةً بين المجرى الأكبر (العادي والاستثنائي)، والمجرى المتوسط، والمجرى الصغير(Ballais et al. 2009) من المهم أولاً التأكيد على أن دراسة الأَسِرَّة النهرية يجب أن تتم من منظورين مختلفين: المنظور الهيدرولوجي والمنظور الجيومورفولوجي (Ballais et al. 2009).

4-2-1. المجرى الصغير: (L1) Le lit mineur

عادة ما يكون المجرى الصغير محدد جيدًا بين ضفاف شديدة الانحدار (berges souvent abruptes). عرض المجرى الصغير متغير للغاية على مر الزمان وفي المكان (من 10 إلى 30 مترًا)، حيث تكون الأقسام المائية أضيق أو أوسع حسب طبيعة السطح الذي يغطي الواد. على بعض الضفاف، بعد المجرى الصغير، يحدث الانتقال مباشرة للدرجة النهرية la) terrasse fluviatile)(sapements de berges actif.) في بعض الأماكن، قد لا تظهرالمنحدرات (talus)التي تفصل بين المجرى الصغير والمجرى المتوسط نتيجة لتأثير تدهور تدريجي لهذه المنحدرات (الصورة 1).

الصورة 1: توضعات المجرى الصغير بمنطقة احد امسيلة

4-2-2. المجرى المتوسط: Lit moyen (L2)

يقع المجرى المتوسط بالقرب من المجرى الصغير ويغمره الفيضانات الأكثر تكرارًا، مع فترات عودة تتراوح بين سنة إلى خمس سنوات، أو حتى عشر سنوات وفقًا لما ذكره Masson et al. (1996). فهو سطح متعرج يتكون من تجاويف وتلال de (creux et de monticules). تتميز الأسرّة المتوسطة بتضاريس غير منتظمة تتكون من قنوات ومناطق لتراكم الرواسب الخشنة، وهو ما يفسره التيارات القوية التي يمكن أن تمر عبر هذه السطح.

تتميز خصائص المجرى المتوسط بتضاريسه غير المنتظمة وطبيعة عمل المجاري المائية المتقطعة، حيث يظهر غالبًا تباين كبير في حجم الحبيبات (الصورة 2). كما أن الطبيعة غير المنتظمة للسطح وغير المنتظمة مرتبطة بالديناميات القوية التي تؤثر عليه أثناء الفيضانات: حيث تقوم التيارات العنيفة بحفر قنوات، بينما تتراكم الرواسب الأكثر خفة مثل الحصى أو الطين في أماكن أخرى حيث تكون التدفقات أقل قوة.

صورة 2: توضعات المجرى المتوسط بمنطقة احد امسيلة

4-2-3. المجرى الأكبر: Lit majeur

في المقطع الطبوغرافي يظهر أن سطحه أفقي يفصل بينه وبين المجرى المتوسط منحدر. يتكون من عناصر ناعمة ناتجة عن ترسيب المواد المعلقة في نهاية الفيضانات، ولا يغمر إلا بالفيضانات الأقل تكرارًا (Ballais et all. 2007).

a. المجرى الأكبر العادي: Lit majeur ordinaire (L3)

يتكون من مستوى طبوغرافي مستوٍ، يتكون عادةً من رسوبيات ناعمة جدًا: الطمي (حوالي 0.05 مم في القطر) الذي يتم ترسيبه بواسطة الفيضانات السابقة. تعتبر هذه الأسرة مناطق مرغوبة جدًا من قبل المجتمعات البشرية نظرًا لخصوبة التربة وسهولة تهيئة أسطحها، هذا التركز البشري يجعله عرضة لخطر الفيضانات(Ballais et al. 2011 ; Masson et al. 1996) .

ويُفصل هذا الأخير عن المجرى المتوسط بواسطة منحدر غالبًا ما يتسم بارتفاع يتراوح بين 0.5 و1.5 متر، ويميل نحو المجرى المتوسط.

تكون التيارات في هذه المنطقة أيضًا أقل قوة، ولا توجد اضطرابات، تسمح هذه الظروف بترسيب المواد الناعمة (الرمال، الطمي، الطين) على شكل ترسبات أفقية (الصورة 3).

صورة 3: توضعات السهل الفيضي بمنطقة احد امسيلة

أخيرًا، تتميز هذه الرواسب الناعمة في المجرى الأكبر بألوانها الداكنة غالبًا، بسبب غناها بالمادة العضوية.

b. المجرى الأكبر الاستثنائي: Lit majeur exceptionnel (L4)

هو شكل تم التعرف عليه ووصفه مؤخرًا للمرة الأولى (Chave, 2002). يكون المجرى الأكبر الاستثنائي (L4) أقل تعرضًا للفيضانات مقارنة المجرى الأكبر العادي. المجرى الأكبر الاستثنائي، تمامًا مثل المجرى الأكبر العادي، هو سطح أفقي أو شبه أفقي يتكون من رواسب ناعمة، عمومًا من الطين والغرين. نظرًا لأنه يقع في موقع علوي من الناحية الطبوغرافية، فإن التيارات التي تؤثر عليه ضعيفة جدًا والفيضانات التي يمكن أن تغمره نادرة جدًا.

تحدد الحدود الخارجية للسرير الأكبر حدود الإحاطة لأكبر الفيضانات السابقة، أي حد الامتداد الأقصى للفيضانات، الذي قمنا بتعريفه كحد المنطقة المعرضة للفيضانات.

5. نتائج:

تكمن أهمية النهج الهيدروجيومورفولوجي قبل كل شيء في تحديد السهول الفيضية النشطة التي تغطي الحدود القصوى لامتداد الفيضانات (Nejjari et EL Ghachi. 2016). نظرًا لتوسع السهول الفيضي لواد لحضر، سنقدم رسم خرائطي لمقطعين من واد احد مسيلة، يمثلان لوحتين تمثيليتين لكامل الحوض : سافلة وعالية مركز احد مسيلة (الشكل 2. الشكل 3).

تم إعداد خرائط المناطق المعرضة للفيضانات وفقًا للنهج الهيدروجيومورفولوجي. تم تعزيز الحدود المحددة من خلال الشهادات التي تم جمعها في الميدان ونتائج استقصاءات السكان حول الفيضانات التاريخية.

تعد المناطق المعرضة للفيضانات التي تم استردادها نتيجة لتلخيص التحقيقات التاريخية والهيدروجيومورفولوجية وشهادات السكان المحليين. تم إعداد هذه الخرائط على أساس خريطة طوبوغرافية بمقياس (25000/1).

1-5. خرائط الهيدروجيمورفولوجية في وسط حوض واد لحضر:

يتخد الجريان في مركز احد امسيلة شكلا متعرجا (Méandre) كما تتخلله مجاري متشابكة (Anastomosé)، كما يظهر أن التمدد الجانبي للمجرى الصغير محدود في هذا الموقع. أما تحديد المجرى المتوسط، فهو أكثر دقة. لقد أدى التعديل الأكبر في هذا الموقع إلى تغيير الأشكال الطبيعية. وبالتالي، في عدة أماكن، يقتصر التمدد المكاني للمجرى المتوسط على الردم المستخدم في الأساسات والردم الطرقي، مما يفسر حدودها الخشنة إلى حد ما.

فيما يتعلق المجرى الأكبر، يتم تحديد حدوده انطلاقا من قدم منحدرات الدرجات النهرية أو انطلاقا من السفوح المشرفة التي تحد الواد. يمكن أن يغمر هذا المجرى بفيضانات نادرة إلى استثنائية تحدث كل خمسين إلى مئة عام، مثل تلك التي سجلت في عام 1987 في محطة احد مسيلة. يمكننا أن نميز بين مجرى كبير عادي ومجرى كبير استثنائي في بعض الأماكن.

تظهر النتائج المعروضة في الخرائط عن امتداد واسع للمناطق المتأثرة بهذه الفيضانات النادرة، مما يبرز إمكانية تأثير هذه الظواهر الطبيعية على المنشآت البشرية بشكل كبير.

تتفاوت العلاقات بين المجرى الصغير والمجرى المتوسط والمجرى الأكبر في واد احد مسيلة من نقطة إلى أخرى، اعتمادًا على نظام هذا المجرى. الحدود الأكثر وضوحًا هي تلك التي تفصل بين المجرى الصغير والمجرى المتوسط، والتي تظهر على شكل ضفاف بارتفاع عدة سنتمترات أو أكثر (الصورة 4).

الصورة 4: الشكل المورفولوجي لجوانب السهول الرسوبية.

توضح الصورة 4 مثالاً لعدة مواقع في واد لحضر، حيث يظهر المجرى المتوسط بسطح أفقي أو شبه أفقي، لكنه يقدم، في تفاصيله، طبوغرافيا غير منتظمة للغاية. تُعزى إلى وجود مجاري الفيضانات التي تشكلت بسبب التيارات التي تتجاوز المجرى الصغير. وبالتالي، فإن الديناميكيات الرسوبية الممكنة على هذا السطح متعددة. يمكن أن تتدفق تيارات سريعة جدًا داخل المجاري، بينما توجد تيارات أخرى، أبطأ بكثير، خارج هذه المجاري، وهي شائعة في هذه البيئات (Delorme-Laurent, 2007). خلال ارتفاع منسوب المياه، يمكن أن تعيد هذه التيارات المتكررة استخدام هذه المجاري.

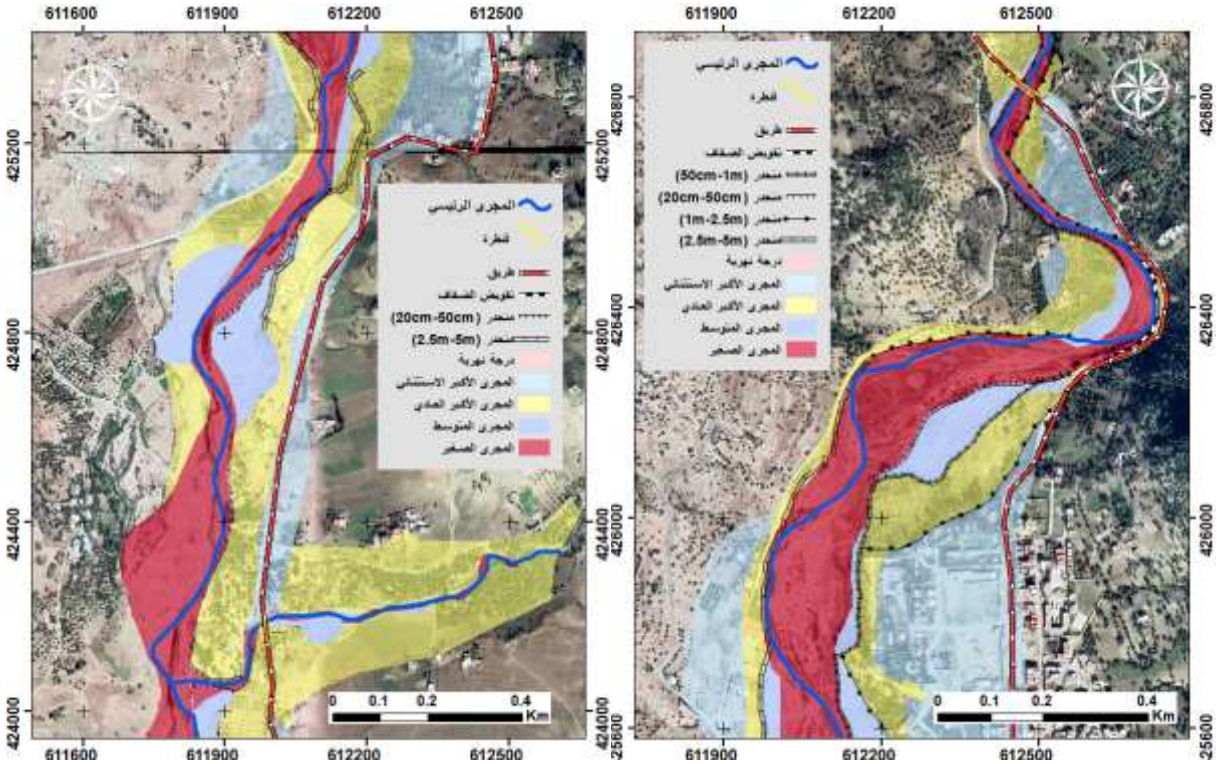

الشكل 2: خريطة هيدروجيمورفولوجية لأسِرّة السهل الفيضي لواد لحضر، عالية احد امسيلة.

الشكل 3: خريطة هيدروجيمورفولوجية لأسِرّة السهل الفيضي لواد لحضر، سافلة احد امسيلة.

2-5. خريطة المخاطر:Carte d'aléa

تساعد تقاطعات المعلومات المستمدة من التحليل الهيدروجيمورفولوجي مع بيانات الشهادات التاريخية غالبًا في تأكيد حدود المنطقة المعرضة للفيضانات. المعلومات التاريخية المجمعة عن حوض لحضر ليست سوى جزئية. فهي تصف الأماكن التي وقعت فيها الأضرار الأكثر أهمية، مثل الطرق المقطوعة، والمنازل المغمورة، أو الأحداث المناخية العنيفة. عند مراقبة الأحداث التاريخية على نطاق أكبر، قد تظهر المنطقة المعرضة للفيضانات، المحددة وفقًا للطريقة الهيدروجيومورفولوجية، خارج المنطقة المغمورة خلال الفيضانات المعترف بها.

استنادًا إلى قدرات التحليل المكاني للبيانات المدمجة في نظام المعلومات الجغرافية ArcGIS، قمنا بإعداد الخريطة النهائية من خلال تراكب النتائج التاريخية ونتائج الطريقة الهيدروجيمورفولوجية. بفضل هذه العملية، أنشأنا خريطة توضيحية للمخاطر في حوض واد لحضر، واعتمدنا في دالك على استخدام صورة الأقمار الصناعية.

تتوافق مستويات المخاطر عمومًا مع تلك المحددة لتراكب نتائج الطريقة الهيدروجيمورفولوجية والنمذجة الهيدروليكية، وتحديداً التصنيف التالي:

- مخاطر منخفضة (المجرى الأكبر الاستثنائي) = درجة منخفضة ووقوع منخفض إلى متوسط،
- مخاطر متوسطة (المجرى الأكبر عادي) = درجة متوسطة ووقوع منخفض إلى متوسط،
- مخاطر عالية (المجرى المتوسط) = درجة عالية (أو وقوع عالي)،
- مخاطر شديدة (المجرى الصغير) = درجة شديدة.

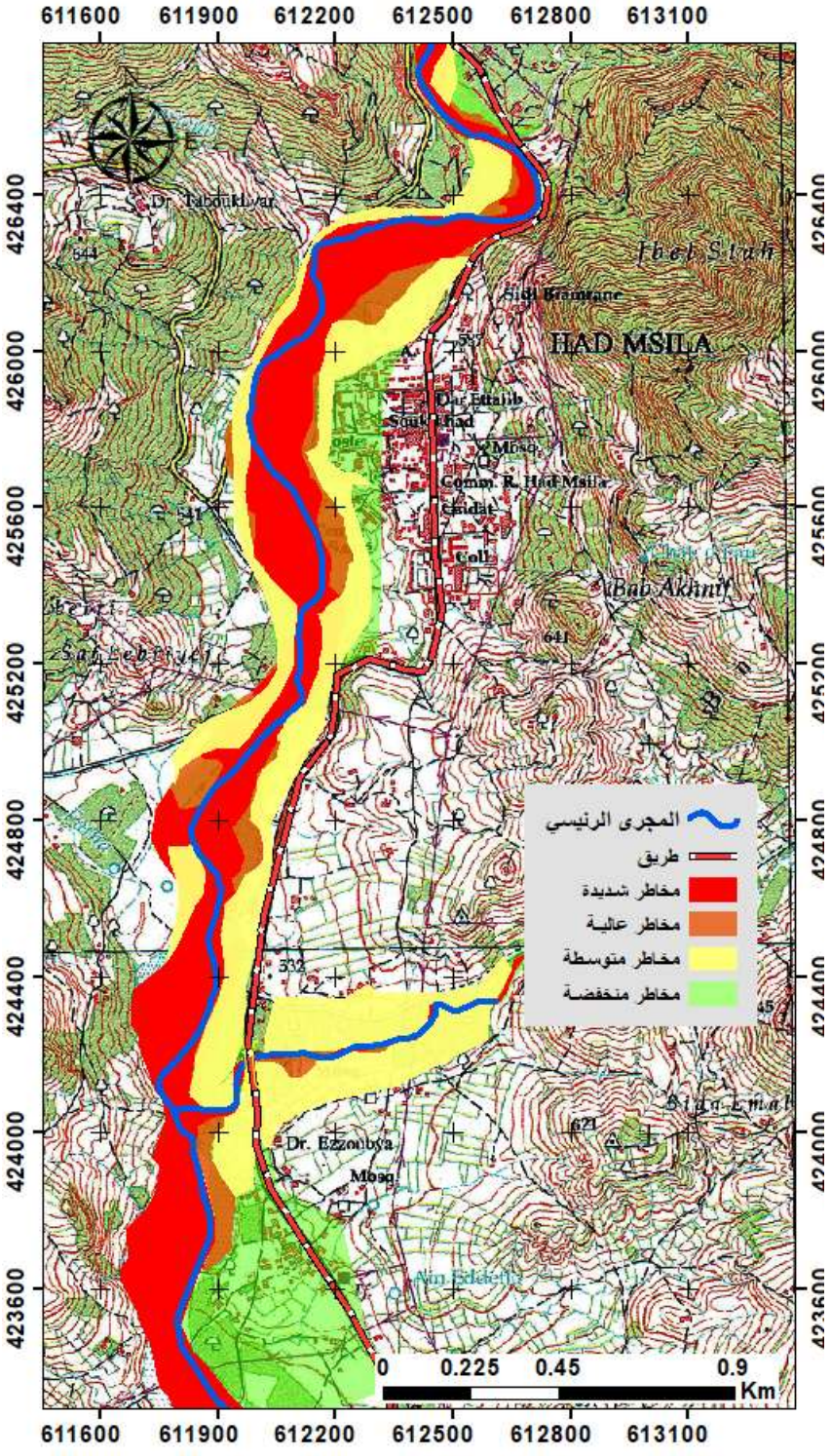

الشكل 4: خريطة تقسيم مناطق خطر الفيضانات بمركز احد امسيلة

6. مناقشة:

تشمل الوحدات الهيدروجيمورفولوجية في منطقة الفيضانات، في واد لحضر بالقرب من احد مسيلة، مواد تم وضعها بواسطة مجرى الماء مثل الطمي، والرمال، أو مواد أكثر خشونة مثل بفعل النقل النهري. بالمقابل، تتكون السفوح المشرفة على الواد من مواد أكبر مقارنةً بقدرة النقل للمجرى المائي. تعتبر دراسة المواد المترسبة مثيرة للاهتمام بشكل خاص عندما تبقى شكوك حول تحديد حدود منطقة الفيضانات: على سبيل المثال، بين المجرى الأكبر والسفوح المشرفة التي تحد

المنحدر الخارجي للمجرى الأكبر بفعل الجريان السطحي المتشتت (Ballais *et al.* 2011 ; Delorme-Laurent, 2007 ; Diren, 2007 ; Dupont *et al.* 2005 ; Masson *et al.* 1996).

تُظهر هذه الخريطة (الشكل 4) أن المناطق التي تتوافق مع المجرى الصغير واسعة إلى حد ما، وذلك بسبب شكل السهول الطينية، حيث أن المنحدر ضعيف جدًا، وخلال الفيضانات، تغمر مياه الواد كامل المجرى الصغير. بالنسبة للمناطق التي تتوافق مع المجرى المتوسط، فهي أقل عرضًا وأحيانًا قد تكون غير موجودة تمامًا. من ناحية أخرى، في بعض الأماكن حيث المنحدر ضعيف، يكون المجرى المائي الرئيسي كبيرًا إلى حد ما. وتكون الانقطاعات في المنحدر في هذه المنطقة محدودة.

تغطي الخريطة المستخلصة (الشكل 4) المقطعين التمثيليين لكامل منطقة مركز احد مسيلة. تعرض هذه الخريطة درجات خطر الفيضانات (عالية جدًا، عالية، متوسطة، ومنخفضة) وذلك باستخدام الألوان الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر. كل لون يُوصي بنوع معين من الإجراءات الواجب اتخاذها بهدف تقليل القابلية للتأثر.

يمثل اللون الأحمر المناطق التي يُحتمل أن تؤدي فيها الأحداث ذات الشدة العالية جدًا إلى فقدان الأرواح البشرية وتسبب دمارًا كبيرًا للممتلكات. في هذه المناطق، يجب فرض حظر صارم على البناء، ويجب اتخاذ تدابير وقائية من النوع الهيكلي للمباني الموجودة بالفعل. وتشمل هذه التدابير المباني وجميع البنى التحتية الاجتماعية والاقتصادية الواقعة في مناطق ذات مخاطر عالية ولديها قابلية تأثر مرتفعة.

يمثل اللون البرتقالي المناطق المتأثرة بأحداث ذات شدة عالية ولكن مع احتمال حدوثها مرتفع أو متوسط. لا يُتوقع حدوث فقدان للأرواح البشرية، لكن الأضرار المادية الأكبر ممكنة. في هذه المناطق، يجب أن تخضع الإنشاءات الجديدة لعدة تدابير لتقليل القابلية للتأثر. يجب أيضًا التخطيط لعمل توعوي وتثقيفي للسكان المحليين في هذه المناطق.

يمثل اللون الأصفر المناطق التي قد تؤدي فيها الأحداث ذات الشدة واحتمالية الحدوث المتوسطة إلى أضرار طفيفة. تعتبر توعية السكان المحليين هي التدبير الرئيسي المتخذ في هذه المنطقة.

أما اللون الأخضر فيمثل الأحداث الضعيفة جدًا، حيث تكون الفيضانات التي قد تغمرها نادرة جدًا. تم إعطاء هذا الدرجة للأراضي الزراعية والحقول المزروعة على طول الواد والأشجار المثمرة (مثل الزيتون، واللوز، والخروب).

بشكل عام، تمثل الخرائط الهيدروجيومورفولوجية نهجًا شاملاً. يعتمد هذا النهج على العلامات التي تتركها الفيضانات في المشهد النهري. يجب دمج الحدود القصوى للفيضانات النادرة إلى الاستثنائية بشكل مدروس في مخططات التهيئة. من أجل ذلك، من الضروري اعتماد رؤية متعددة التخصصات في تقييم تكرار الفيضانات وتحديد المناطق المعرضة للفيضانات في حوض واد لحضر. لقد كانت الأحداث المتطرفة عديدة في السنوات الأخيرة. في سياق تغير المناخ، من المتوقع أن تحدث هذه الأحداث بشكل متكرر أكثر. علاوة على ذلك، تستجيب الأنظمة النهرية بشكل كبير للتدخل البشري وقد يكون تقييم هذا التدخل من منظور إحصائي فقط غير كافية. يسمح التحليل الهيدروجيومورفولوجية لواد لحضر باستخدام الخرائط بفهم أفضل للفيضانات التي حدثت ويمكن أن توجه هذه النتائج الى الإدارات المعنية للاستفادة منها في إطار إدارة مخاطر الفيضانات.

7. خلاصة:

تظهر مورفولوجية السهل الفيضي أن ضفاف واد لحضر تتميز بامتدادات مسطحة واسعة، يتواجد فيها الإنسان وممتلكاته، خصوصا المجاري النهرية العلوية، أي المجاري L3 وL4، فتتميز بنفس التركيب الحبيبي والارتفاع ونسبة العناصر الدقيقة، مما يفسر امتداد الأنشطة البشرية فيها .

يساهم التحليل الهيدروجيومورفولوجية لواد لحضر في فهم أفضل للفيضانات التي حدثت في أكتوبر 2010، ويمكن لهده النتائج أن توجه تهيئة مركز احد مسيلة نحو إدارة فعالة لمخاطر الفيضانات .

يساعد التعرف على امتداد عناصر السهل الفيضي كالمجرى الرئيسي والمجاري الأخرى (L1 و L2و L3و L4)في رسم خرائط لمناطق الفيضانات. إن إنشاء مساكن في هذه المناطق المعرضة لخطر الفيضانات في مركز احد مسيلة، أو استغلالها من قبل الإنسان، يعرض الأرواح والممتلكات للخطر.

لاحظنا في الميدان التعديلات ذات الأصل البشري التي تؤثر على ظروف الجريان، مما صعّب تمييز المجاري التي تشكل السهل الفيضي، حيث قد تظهر بعض العناصر الطبوغرافية التي تعود للأنشطة البشرية وكأنها طبيعية عند التحليل المبدئي للموقع (مثل الردميات، والسدود، والمقالع، والنشاط الزراعي).

أخيراً، تتيح النتائج الهيدروجيومورفولوجية تحديد الحد الأقصى للفيضانات، إلا أن تحديد مستوى الخطر المقبول داخل هذه المنطقة يبقى مهمة صعبة.

8. لائحة المراجع:

- -**AIMON H., (2003)**, Détermination d'un niveau intermédiaire dans la plaine alluviale du Gardon (St Geniès-de-Malgoirès, Gard). Mémoire de DEA, Université de Provence, 91 p.
- **-BALLAIS J.L., CHAVE S., (2005)**, Rapport sur la cartographie hydrogéomorphologique de communes du Gard en vue de leur PPR Inondation. Édit. BRLI, Nîmes, 4 p.
- **-BALLAIS J.L., GARRY G., MASSON M., (2005)**, Contribution de l'hydrogéomorphologie à l'évaluation du risque d'inondation : le cas du Midi méditerranéen français. Comptes Rendus Géoscience, n° 337, pp. 1120-1130.
- **-BALAIS. J.L., CHAVE S, DELORME-LAURENT V., ESPOITO Ch., (2007),** Hydrogéomporphologie et inondabilité, géographie physique et quaternaire, vol.61, n°1, pp.75-84.
- **-BALLAIS J.L., CHAVE S., DELORME-LAURENT V. et ESPOSITO C., (2009)**, Hydrogéomorphologie et inondabilité. Géographie physique et Quaternaire, vol. 61, n° 1, 2007, pp 75-84.
- **-BALLAIS. J.L CHAVE S., DUPONT N., MASSON E., PENVEN MJ., (2011),** La méthode hydrogéomorphologique de détermination des zones inondables. Physio-Géo (www.physio-geo.fr), collection "Ouvrages", 168 p.
- **-BALLAIS. J.L CHAVE S., DUPONT N., MASSON E., PENVEN MJ., (2011),** La méthode hydrogéomorphologique de détermination des zones inondables. Physio-Géo (www.physio-geo.fr), collection "Ouvrages", 168 p.
- **-CHAVE S., (2002)**, Pertinence de la cartographie hydrogéomorphologique dans l'approche des inondations rares à exceptionnelles : exemples de sept bassins fluviaux dans les Corbières et le Minervois. Géomorphologie, n° 4, pp. 297-306.
- **-CHAVE S., (2003)**, Élaboration d'une méthode intégrée de diagnostic du risque Hydrologique. Thèse de l'Université de Provence, 284 p.
- **-DAVIS W.M. (1899)**, The geographical cycle. Geographical Journal, n° 14, pp. 481-50.
- **-DERRUAU M., (1974)**, Les formes du relief terrestre. Édit. MASSON, Paris, 120 p.
- **-DERRUAU M., (1986),** Les formes des reliefs terrestres. Edition. Paris, 119p.
- **-DELORME-LAURENT V., (2007)**, Contribution à la méthode hydrogéomorphologique de détermination des zones inondables. Thèse de l'Université de Provence, 830 p.
- **-DIREN PACA., (2007)**, L'approche hydrogéomorphologique en milieux méditerranéens. Une méthode de détermination des zones inondables. Guide méthodologique, 66 p.
- **-DUPONT N., PENVEN M.J., (2005),** Définition des indicateurs pour une cartographie de la courbe enveloppe des inondations dans le cadre de l'utilisation de la méthode hydrogéomorphologique. Rapport définitif à la DIREN Bretagne, 35 p.
- **-GARTET J., BALLAIS J. L., GARTET A., FONTUGNE M., (2001),** Polémique autour de la datation de la terrasse rharbienne du Maroc. Apport de la très basse terrasse de l'Ouerrha, (Rif - Maroc), pp. 361-369. «Colloque Datation» (XXI° Rencontre internationale d'archéologie et d'histoire d'Antibes, Juan les Pins 19-21 Octobre 2000). Publications du Centre d'Études Préhistorique, Antiquité, Moyen âge villes d'Antibes et Ministère de la culture et de la communication. Édit.

APDCA, 437 p.

- **-LEOPOLD. L.B., WOLMAN. M.C., MILLER. J.P., (1964)**, Fluvial processes in geomorphology. San Francisco, W.H. Freeman and Co., 522 p.
- **-MASSON M., GARRY G., BALLAIS J.-L., (1996)**, Cartographie des zones inondables. Approche hydrogéomorphologique. Ministère de l'Equipement, Ministère de l'Environnement, Editions Villes et Territoires, Paris, 100 p.
- **-NANSON G.C., CROKE J.C., (1992)**, A genetic classification of floodplains.Geomorphology, n° 4, pp. 459-486.
- -**NEJJARI A., EL GHACHI M., (2016),** Cartographie des limites inondables par l'approche hydrogéomorphologique : Cas de la vallée du Sânon (Lorraine, France**).** Géomorphologie, n° 1 pp 16-30.
- **-TRICAT J., (1949)**, Méthodes d'étude des terrasses. Bull. Soc. Géol. Fr., XVII, pp. 559-575.
- **-TRICAT J., (1961),** Observations sur le charriage des matériaux grossiers par les eaux. Courantes. Rev. Géom. Dyn. 12, pp. 3-15.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

مساهمة الهجرة الدولية في التحولات السوسيومجالية بأرياف ملوية الوسطى:
حالة جماعة افريطيسة بإقليم بولمان (المغرب)

The Contribution of International Migration to Socio-Spatial Transformations in the Rural Areas of Central Moulouya : The Case of the Afraitisa Community in Boulemane Province (Morocco)

*المحجوبي زكرياء، ** عبد القادر التايري
*طالب باحث بسلك الدكتوراه، مختبر دينامية الأوساط الجافة، الإعداد والتنمية الجهوية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب
zakariyae.elmahjoubi.d23@ump.ac.ma
**أستاذ باحث، مختبر دينامية الأوساط الجافة، الإعداد والتنمية الجهوية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب
abdelkadertayri@gmail.com

الملخص:
يشكل موضوع الهجرة ظاهرة إنسانية قديمة رافقت البشرية منذ نشأتها، بحيث تتنوع دوافعها وتتجاوز مفهوم الهجرة من أجل المعرفة، لتشمل السعي وراء تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والهروب من الحروب والأمراض في الماضي. حيث شهدت السنوات الأخيرة ازديادا ملحوظا في معدلات الهجرة الدولية، علما أن البلدان العربية أضحت منذ فترة طويلة تشترك بقوة في الهجرة السكانية دوليا وإقليميا ومحليا، حيثما لم تعد مقتصرة على الرجال كما كانت في السابق، بل شملت النساء والأطفال أيضا في إطار ما يسمى ب "ظاهرة الحريك" التي أصبحت الشغل الشاغل لأبناء جماعة افريطيسة كبارا وصغارا. وبالتالي تنوعت طرق الهجرة لتشمل الهجرة السرية التي تلقي بظلالها على المناطق الطاردة والمستقبلة على حد سواء.
تعد جماعة افريطيسة من بين أهم المناطق المُصدرة للمهاجرين في إقليم بولمان، حيث تتجه غالبيتهم نحو إسبانيا وفرنسا (88.9 بالمئة). حيث تخلق هذه الظاهرة تحديات جمة للمنطقة، خاصة مع افتقارها للإمكانيات التي تمكنها من توفير بيئة مناسبة للاستقرار. وتظهر التحولات العميقة التي شهدتها المنطقة مدى تأثير الهجرة على مختلف جوانب الحياة.

الكلمات المفاتيح: الهجرة الدولية، التحولات الاجتماعية، المجالات القروية، التنمية، افريطيسة.

Abstract :
Migration is an ancient human phenomenon that has accompanied humanity since its inception. Its motivations are varied and go beyond the concept of migration for knowledge, encompassing the pursuit of better economic and social conditions and escaping wars and diseases in the past. Recent years have witnessed a significant increase in international migration rates, with Arab countries having long been actively involved in population migration at international, regional, and local levels. Migration is no longer limited to men as it once was, but now includes women and children as well, within what is known as the “Hrig” phenomenon, which has become a major concern for the residents of the Afraitisa community, both young and old. Consequently, the methods of migration have diversified to include clandestine migration, casting its shadow on both sending and receiving regions.
The Afraitisa community is among the most prominent migrant-exporting areas in the Boulemane province, with the majority heading to Spain and France (88.9%). This phenomenon poses significant challenges for the region, especially given its lack of resources to provide a suitable environment for stability. The profound transformations that the region has undergone highlight the impact of migration on various aspects of life.
Keywords : International migration, social transformations, rural areas, development, Fritissa.

تقديم

تتداخل الأسباب والعوامل التي تدفع الأفراد إلى التفكير في الهجرة نحو الخارج داخل جماعة افريطيسة، وهي متفاوتة الأهمية وتختلف من فئة اجتماعية لأخرى، ومنها العوامل الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية، والتعليمية.

لقد كانت الهجرة في جماعة افريطيسة إلى عهد قريب تقتصر على بعض الأفراد، لكنها أضحت اليوم ظاهرة عامة تشمل شرائح اجتماعية مختلفة، وتهم مختلف الفئات العمرية، وتتم بطرق شتى. كما أنها باتت تتم بطرق غير قانونية، لعل أبرزها الهجرة السرية عبر تركيا واللجوء إلى دول البلقان، حيث يجتمع عدد من أبناء المنطقة ويسافرون معا إلى هذه الدول وعبرها ينتقلون إلى أوروبا الغربية.

وتتميز الهجرة الخارجية بجماعة افريطيسة بمجموعة من الخصائص والمميزات، بعضها مشترك مع باقي مناطق المغرب، بينما يكتسي البعض الآخر طابع التفرد. وقد ساهمت عائدات الهجرة الدولية بشكل كبير في التحولات العميقة التي شهدتها منطقة الدراسة على مختلف الأصعدة اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. وباتت تشكل بذلك أهم ركائز الاقتصاد المحلي لساكنة افريطيسة، خاصة في ظل ضعف الأنشطة الاقتصادية غير الفلاحية ونقص فرص العمل الموجهة للشباب.

المحور الأول: الإطار المنهجي للدراسة

1- تحديد الإشكالية

تحول وضع الهجرة الدولية بشكل كبير على مستوى الخصائص التي كانت تميزها في السابق، فبعدما كانت تقتصر الهجرة في بداياتها على الانطلاق من البلد الأصلي إلى البلدان المستقبلة، من أجل العمل لفترات موسمية منتظمة، والرجوع إلى البلد الأصلي عند الانتهاء، فقد أصبحنا اليوم أمام هجرة دائمة، كما أن السياسات الأوربية بشأن الهجرة عرفت بدورها مجموعة من التحولات في علاقتها بالبنية الاقتصادية الجديدة التي أصبحت تعيشها البلدان المستقبلة، حيث " بدأ الاهتمام بسياسات الهجرة العائدة في بداية السبعينيات حينما واجهت بعض بلدان المهجر ركودا اقتصاديا، وبالتالي انخفضت احتياجاتهم من اليد العاملة، وبدأ بعض المهاجرين بالاتجاه للعودة إلى بلدانهم الأصلية[83]"

لقد أصبحت دوافع الظاهرة الهجرية خلال السنوات الأخيرة متنوعة، حيث تتجاوز مفهوم الهجرة للمعرفة، وتسعى إلى تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية للمهاجرين، وأصبحنا نلاحظ أن الهجرة لم تعد تقتصر على الذكور كما كانت من قبل، وإنما همت العنصر النسوي كذلك، وشملت مختلف الشرائح العمرية، وظهرت أشكال أخرى للهجرة في منحاها غير القانوني، في إطار ما يسمى "بظاهرة الحريك"، التي أصبحت الشاغل الرئيسي لأفراد المجتمعات الإفريقية الكبيرة والصغيرة. وعلى هذا النحو، تنوعت طرق الهجرة السرية التي تلقي بظلالها على كل من مناطق الإرسال والاستقبال، وضمنها المجال المدروس.

[83]- إبراهيم المرابط (2021): "هجرة العودة وانعكاساتها السوسيومجالية على مناطق الانطلاق بالمغرب، حالة استثمارات مهاجري مدينة السبت أولاد النمة بتادلا"، ورد في: عبد القادر التايري وإبراهيم الأنصاري (تنسيق): الهجرة الدولية والديناميات السوسيومجالية :السياقات - التجليات -الإفرازات، منشورات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية برلين -ألمانيا ص 337.

أما على صعيد استثمار العائدات الهجروية فإنها عرفت مجموعة من التحولات، فبعدما كان مهاجرو مجال الدراسة يقتصرون في البداية على الاستثمار في العقار محليا، أي في دواويرهم الأصلية، فقد أصبحوا اليوم مساهمين في الحراك الاجتماعي الذي تشهده الجماعة، حيث اختار المهاجرون العائدون الهجرة من أجل الاستقرار ببعض المراكز، بالنظر إلى ما توفره من امتيازات مهمة للساكنة على مستوى التجهيزات الاجتماعية والخدمات... وهو ما يسميه الباحثون "هجرة الارتقاء الاجتماعي"، فالمكانة الاجتماعية الجديدة للمهاجرين تدفعهم إلى نقل أسرهم نحو المدن والمراكز الحضرية والشبه حضرية قصد الاستفادة مما توفره من خدمات، الشيء الذي ينطبق على مركز جماعة افريطيسة الذي يتوفر على مجموعة من الخدمات الاقتصادية (كالسوق الأسبوعي، محلات تجارية متعددة الخدمات...) والصحية (الصيدليات، المستشفى...)، والثقافية والاجتماعية (دار الشباب، دار الطالبة، دار الأمومة...) والإدارية (القيادة - الجماعة القروية...)؛ ومن ثم بات المركز مكان جذب رئيسي للاستثمارات الخاصة بالمستثمرين العائدين من الدول الأوروبية.

فإلى أي حد ساهمت استثمارات المهاجرين العائدين في الدينامية السيوسيو مجالية بمركز جماعة افريطيسة؟

وماهي مميزات الهجرة الدولية وخصائص المهاجرين الدوليين بالمجال المدروس؟

2- الفرضيات

تلعب الفرضيات دورا مهما في الدراسات التي تهدف إلى العمل على المواضيع المعقدة. حيث تعمل على توجيه الدراسة وتحديد مجالات التركيز الأساسية، بالإضافة إلى توفير إطار عمل لتفسير البيانات وتحليل النتائج المتوصل إليها من خلال العمل الميداني، ومن ثم فإن فرضيات هذه الدراسة تتمثل في:

- ✓ تؤثر العوامل المختلفة للهجرة بشكل ملحوظ على الاستقرار الديموغرافي في جماعة افريطيسة؛
- ✓ توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين نقص الإمكانيات في جماعة افريطيسة وزيادة معدلات الهجرة بنوعيها (القانونية والسرية)؛
- ✓ توجد علاقة قوية بين زيادة معدلات الهجرة، وانتشار الهجرة السرية في جماعة افريطيسة، نتيجة للصعوبات الاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت تعيشها المنطقة بسبب الجفاف وضعف انتشار القطاعات الاقتصادية الأخرى؛
- ✓ تؤثر الهجرة على التماسك الاجتماعي والانتماء المجتمعي في جماعة افريطيسة، مما يؤدي إلى تزايد العزلة الاجتماعية والاختلالات المجتمعية.

3- عينة مجتمع الدراسة

من أجل تحديد عينه الدراسة بشكل دقيق، لابد لنا من التوجه إلى الإطار المنهجي المساعد على تحديد هذه العينة، وبطبيعة الحال وقع الاختيار على معادلة ثامبسون، هذه المعادلة التي تستخدم لتحديد حجم العينة المطلوبة لبحث معين بناءً على تقدير مسبق للمتغيرات الإحصائية، والتي تهدف عموما إلى توفير حجم عينة كاف لتحقيق مستوى معين من الدقة والثقة في نتائج البحث.

لقد وقع الاختيار على الاحياء المتواجدة داخل مركز جماعة افريطيسة.والتي يطلق عليها "تانديت المركز"، في التقسيم الإداري المحلي للدواوير، والتي يبلغ عدد ساكنتها 2931 نسمة، بحيث تم اختيارها بناء على الأهمية التي تكتسيها على مستوى موضوع الهجرة، نظرا للتركز السكاني الذي باتت تشهده بفضل العوامل التي سنتطرق اليها في باقي المحاور.

بناء على حجم مجتمع الدراسة قمنا بحساب حجم العينة من خلال تتبع المراحل التالية:

لحساب حجم العينة المناسب لمجال الدراسة، تم تحديد عدد السكان بأحياء الدراسة، انطلاقا من إحصاء 2014، والمقدر ب 2931 نسمة (حجم المجتمع الإحصائي)، وتم تحديد الدرجة المعيارية أو المعنوية في 1.44 وهي التي تقابل مؤشر نسبة خطأ المعاينة 8%، ومستوى الثقة بـ 85%، أي نسبة الخطأ 0.08 من واحد.

- معادلة ثامبسون[84]

$$n = \frac{N \times p(1-p)}{\left[[N-1 \times (E^2 \div z^2)] + p(1-p)\right]}$$

حيث:

Nهو حجم المجتمع (عدد الأفراد في المجتمع الكلي).

pهو النسبة التقديرية للخاصية التي يتم دراستها.

Eهو هامش الخطأ المقبول (نسبة الخطأ المسموح بها).

Zهو الدرجة المعيارية المرتبطة بمستوى الثقة المطلوب.

- المعطيات:

N= 2931

p= 0.5

E= 0.08

Z= 1.44 (الدرجة المعيارية لمستوى الثقة 85%)

- تطبيق المعطيات في المعادلة:

$$n = \frac{2931 \times 0.5\ (1-0.5\ )}{\left[[2931-1 \times (0.08^2 \div 1.44^2)] + 0.5(1-0.5)\right]}$$

- مراحل حساب المعادلة:

حساب البسط:

$2931 \times 0.5(1-0.5)$

$=2931 \times 0.25$

$=732.75$

حساب المقام:

$2931 \times 0.082^2 \div 1.442^2 + 0.25$

$=0.25+0.0064 \div 2.0736 \times 2931$

$=2931 \times 0.003085 + 0.25$

$=9.0494+0.25$

[84] Steven K. Thompson, 2012. Sampling, Third Edition, p: 59-60

=9.2994

حساب النتيجة النهائية:

$$n = \frac{732.75}{9.2994}$$

$$n = \underline{78.77}$$

وهكذا، وجدنا أن حجم العينة المطلوبة هو 79 شخصا، من أجل تحقيق مستوى الثقة المطلوب بنسبة 85% وهامش خطأ بنسبة 8%.

لكن بعد القيام بالعمل الميداني، لم نتمكن من تعبئة سوى 56 استمارة بشكل مباشر مع المهاجرين، بعد مسح كلي لأحياء الدراسة، لذلك تم إعداد استمارة إلكترونية تم إرسالها إلى مجموعة من الأفراد المتواجدين بالخارج، والذين يتوفرون على مساكن داخل أحياء الدراسة، لكن عدد من تجابوا مع الاستمارة لم يتعد 16 مهاجرا؛ ليكون عدد الاستمارات المملوءة هو 72 استمارة من أصل 79 استمارة.

4- منهجية البحث

لتحقيق أهداف أي دراسة، يجب على كل باحث تحديد منهجه منذ البداية، فالمنهج العلمي هو الذي يعطي للمادة المدروسة الاستقلال النسبي، كما يجب على الباحث أن تكون له دراية كافية بمبادئ حقلها المعرفي وطرائق تحصيلها للمعارف.[85] ولهذا يظل الاختيار قائما بين عدة مناهج مختلفة، ما بين المنهج الاستدلالي، والاستقرائي، والوصفي، وغير ذلك. كما أن المقاربات الجغرافية في التحليل تختلف كذلك، وتحديد التحليل الأنسب للبحث يعتبر خطوة مهمة للعمل الجغرافي وقاعدة أساسية لتصور الباحث.

وبهذا فإن عملنا ينقسم إلى شقين، الشق الأول يتعلق بالجانب النظري الذي يتضمن العمل البيبليوغرافي، والذي مكننا من الوصول إلى أهم النقاط التي ساعدتنا في الانطلاق نحو دراسة واقع الهجرة الدولية بجماعة افريطيسة، ومن ثم فهم المجال الخاص بالدراسة، وتحديد مكوناته، بالإضافة إلى البحث عن العلاقة بين المجال المدروس وظاهرة الهجرة التي نحن بصدد دراستها، وذلك من أجل فهم هذه الظاهرة وتقييم الآثار الناجمة عن اختيارات المهاجرين الاستثمارية، الشيء الذي سيقودنا إلى تعزيز الجانب التطبيقي (الشق الثاني) الذي يحتاج إلى بيانات أولية تساعد في تحليل مختلف جوانب الموضوع، وعندما نتحدث عن الجانب التطبيقي لابد لنا أن نستحضر أدوات التحليل الاحصائي المتمثل أساسا في برمجيةSPSS، بالإضافة إلى الاستعانة ببعض برامج نظم المعلومات الجغرافية، التي تعتبر الأداة الأساسية في التحليل الجغرافي، والتي من خلالها قمنا بتوطين تيارات الهجرة.

أما فيما يخص المنهج، فالموضوع هو الذي يتحكم في هذا الجانب بنسبة عالية، بحيث قمنا في البداية بالاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي، من خلال وصف مكونات المجال المدروس وتحليلها من أجل ربطها بظاهرة الهجرة بمفهومها الدولي، والتي تعتبر جزءا من واقع المنطقة، ورصد تأثيراتها على البنيات الداخلية لجماعة افريطيسة.

5- أبعاد الدراسة: تشمل هذه الدراسة الأبعاد التالية: البعد المكاني، البعد الزماني.

[85] - بلفقيه امحمد (2002). الجغرافيا القول عنها والقول فيها، المقومات الإبستيمولوجية". دار نشر المعرفة، الرباط المغرب. ص 492

أ-البعد المكاني: هذه الدراسة أجريت في جماعة افريطيسة، حيث تم اختيار عينة من سكان مركز الجماعة. وتم اختيار هذه المنطقة لأنها تشهد ظاهرة هجرة سرية حديثة، حيث أصبح يفكر العديد من الأفراد في الهجرة بطرق غير قانونية. من خلال هذه الدراسة، نهدف إلى فهم أسباب هجرة هؤلاء الأفراد والطرق التي يختارونها للهجرة. كما نحاول تحليل تأثيرات الهجرة على المجتمع المحلي، من خلال دراسة المهاجرين العائدين دوريا إلى المجال المدروس.

ب- البعد الزماني: بدأ الاشتغال على هذه الإشكالية مع بداية شهر مارس من سنة 2024 إلى غاية شهر ماي من نفس السنة، وعرفت هذه الفترة العمل على بناء اشكالية الدراسة وتحديد عينة الدراسة المستهدفة ثم توزيع الاستمارات عليها، وعند جمع المعطيات، تم تفريغها وتحليلها وتفسيرها.

6- تحديد مجال الدراسة

تعتبر الجماعة الترابية افريطيسة من بين أكبر جماعات إقليم بولمان من حيث المساحة (1200 كيلومتر مربع) وعدد السكان (29460نسمة)، وتقع أجزاء مركز هذه الجماعة على الضفة اليسرى لواد ملوية والسفح الشرقي للأطلس المتوسط، ويخترق هذا الوادي الجماعة بشكل طولي من الجنوب في اتجاه الشمال، وتقع هذه الجماعة في أقصى الشمال الشرقي لإقليم بولمان، بحيث يحدها من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية إقليم تاوريرت، ومن جهة الشمال والشمال الغربي إقليم جرسيف، وتحدها جنوبا جماعتي تيساف والعرجان بإقليم بولمان. وقد تم استحداث هذه الجماعة سنة 1951، وأعطي لها هذا الاسم نسبة إلى قرية افريطيسة أولاد جرار التي تعتبر من بين أكبر قرى الجماعة.

خريطة رقم 01: الموقع الجغرافي لجماعة افريطيسة

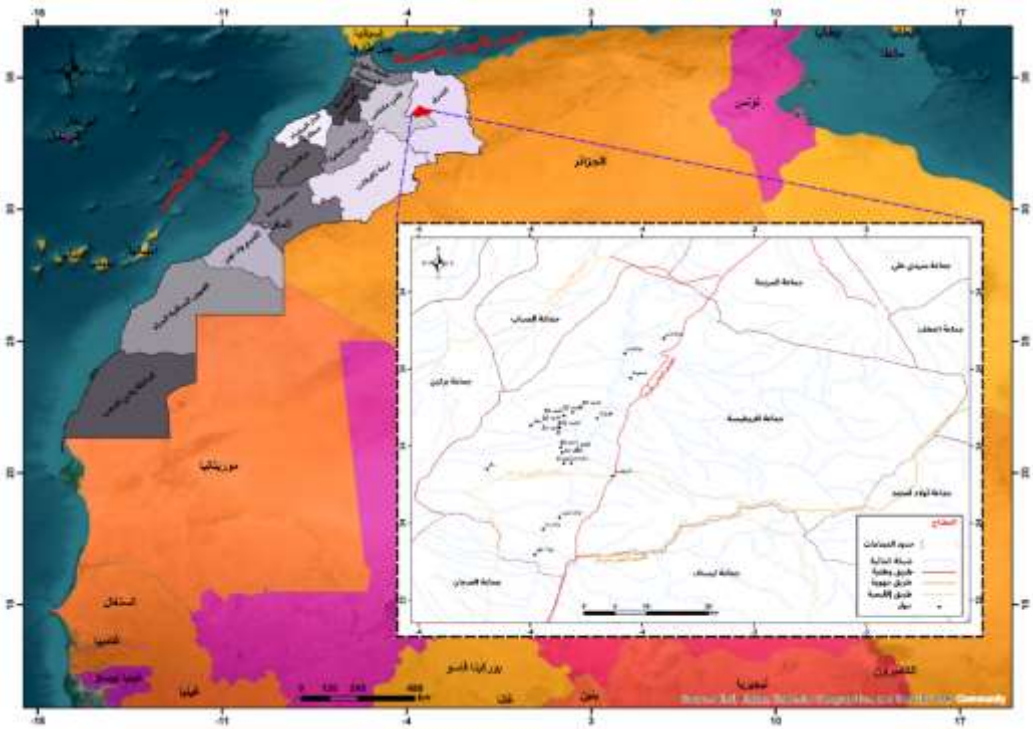

المصدر: إنجاز فريق البحث، اعتمادا على التقسيم الإداري لسنة 2015

نشأ مركز الجماعة "تانديت" نتيجة لعدة هجرات داخلية توافدت عليه من الدواوير المجاورة لوادي ملوية بضفتيه اليمنى واليسرى (السخونة، بلقاسمات، زرزاية، عيوش...)، وبعض الدواوير المتواجدة بالسفح الشرقي لجبال الأطلس المتوسط

(فقوس، ميطر، ركو...). الشيء الذي أدى إلى خلق دينامية سكانية سريعة أفرزت العديد من الاختلالات السوسيو اقتصادية والمجالية على مستوى المركز، ومع توالي فترات الجفاف أصبحت المنطقة تعرف تراجعا كبيرا على مستوى تردد الساكنة على أراضيها الزراعية نظرا لنضوب مجرى وادي ملوية وتراجع صبيبه خلال فترات طويلة من السنة، بالإضافة إلى إنشاء سد الحسن الثاني الذي يعتبر السبب الرئيسي في توقيف إمداد الساقية الرئيسية بالمياه الخاصة بالسقي، وبالتالي أصبحت الساكنة تبحث عن خيارات أخرى لضمان عيشها، وضمنها الهجرة الدولية التي أصبحت اليوم جزءا من المعيش اليومي للسكان، وباتت تغري مختلف الفئات المجتمعية كبارا وصغارا، وتتم بشتى الطرق الممكنة (القانونية أو السرية).

المحور الثاني: النتائج والمناقشة

1-دوافع الهجرة نحو الخارج بجماعة افريطيسة

تتعدد الأسباب التي قد تدفع الإنسان إلى ترك منطقته والانتقال إلى مجالات أخرى وبلدان مختلفة، لكن ما يميز الهجرة من مجال الدراسة أن دوافعها نتاج للأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمنطقة، وهذا ما أظهره لنا العمل الميداني، فمن خلال الرسم البياني رقم 01 يمكننا أن نستخلص أن 54% من العينة المستجوبة صرحت أن تحسين مستوى العيش هو الدافع وراء هجرتها، أما 25% فكانت البطالة سبب هجرتهم، لكن هذه الهجرات لم تهم فئة العاطلين فقط، بل همت الموظفين والمستخدمين والميسورين أيضا، الذين فضلوا مغادرة منطقتهم بحثا عن وضع أفضل لما كانوا عليه في السابق، بينما شكل الفقر العامل الطارد لنسبة 11% من المهاجرين بمجال الدراسة؛ أما الذين هاجروا بهدف الدراسة فقد مثلوا 7% فقط، في حين لم تتجاوز نسبة المهاجرين الذين رغبوا في الهجرة لأسباب أخرى 3%.

مبيان رقم 01: دوافع الهجرة نحو الخارج بجماعة افريطيسة.

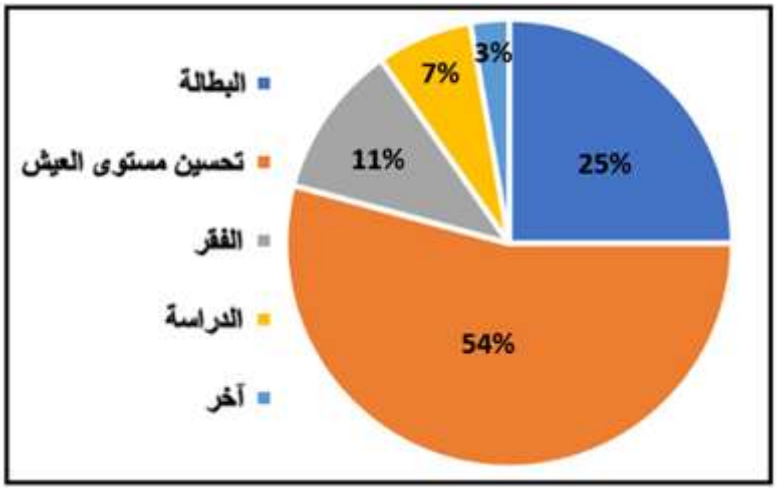

المصدر: البحث الميداني 2024

ويمكن تفسير هذه النسب بكون عينة الدراسة كانت تعرف نسبة بطالة مرتفعة، خاصة في أوساط الشباب (الفئة ما بين 17 و 44 سنة - الجدول رقم 01)، الذين يواجهون البطالة بمجرد الانقطاع عن الدراسة أو بعد الحصول على شواهدهم الجامعية أو المهنية والذين يشكلون نسبة 54 بالمئة من عينة الدراسة، كما تعرف جماعة افريطيسة ارتفاعا في نسبة الفقر بصفة عامة، إذ يصنف الإقليم ضمن الأقاليم التي تعرف وضعية متردية، حيث تتكون ساكنة المنطقة المدروسة من 4053

أسرة (حسب إحصاء 2014)، شهد فيها معدل الفقر بالجماعة الترابية افريطيسة في العقود الأخيرة تذبذبا واضحا وذلك بانتقاله من 27.39% من مجموع سكان الجماعة سنة 2004 إلى 24.3% سنة 2007 ليشهد ارتفاعا ملحوظا سنة 2014 ويصل إلى 27.7 % كما هو موضح في المبيان رقم 02، وهو ما يعني تدهور الأوضاع الاقتصادية بالجماعة في العقد الأخير، خاصة وأن الجماعة تصنف كثاني جماعة من حيث نسبة الفقر على مستوى جهة فاس مكناس بعد جماعة أولاد علي يوسف التابعة أيضا لإقليم بولمان.

جدول رقم 01: أسباب انخراط المهاجرين في الهجرة الدولية، حسب الفئات العمرية

الفئات العمرية	البطالة	الرغبة في تحسين مستوى العيش	الفقر	الدراسة	أسباب أخرى	المجموع	النسبة المئوية التراكمية
30 - 17	9	9	3	3	0	24	21
44 - 31	2	9	1	2	1	15	54
58 - 45	2	6	2	0	0	10	68
72 - 59	4	8	1	0	1	14	87
< 72	1	7	1	0	0	9	100
المجموع	18	39	8	5	2	72	

المصدر: البحث الميداني 2024

وكما هو الشأن بالنسبة لمعدل الفقر بالجماعة فقد شهد معدل الهشاشة الاجتماعية ارتفاعا متواصلا خلال نفس الفترة حيث انتقل من 22.66% سنة 2004 إلى 29.8% سنة 2007 ليواصل هذا المعدل الارتفاع بوصوله إلى 30.4% سنة 2014، وقد احتلت الجماعة أيضا مرتبة متقدمة في معدل الهشاشة باعتبارها الثالثة بالجهة بعد مركز أزوالات بإقليم مكناس 30,7% وجماعة مساسة 30.5% بإقليم تاونات[86].

إن الحديث عن الدوافع والأسباب الرئيسة التي دفعت بأفراد الجماعة إلى الهجرة نحو الخارج، يجعلنا نعيد تشخيص قاعدة العوامل الأولية التي أدت إلى الأسباب التي أبداها المستجوبون، فبعدما كانت المنطقة تعرف نشاطا على مستوى العمل داخل الاستغلاليات الفلاحية قبيل إنشاء سد الحسن الثاني، باتت اليوم تعرف تراجعا على مستوى الاهتمام بالعمل داخل الحقول، وتم اللجوء إلى أنشطة أخرى موازاة مع جفاف الساقية الرئيسية لمركز الجماعة.

وبالتالي يمكن اعتبار على أن عامل الجفاف (صورة رقم 01 و02 و03 و04)، ساهم بشكل غير مباشر في عدم الاستقرار البشري الذي أصبحت تعرفه منطقة الدراسة، إلى جانب العوامل الأخرى التي أفرزتها الدراسة، والتي تعد السبب المباشر في التفكير والقيام بعمليات الهجرة بشتى أنواعها.

[86]- المندوبية السامية للتخطيط، نتائج إحصاءي 2004 و2014.

اللوحة رقم 1: الصور 1- 2- 3 توضح وضعية الساقية الرئيسية يوم 2022-07-08، فيما تُظهر الصورة الجوية 4 مسار الساقية الرئيسية سنة 2024

المصدر: تصوير شخصي بالنسبة للصور 1- 2- 3 + Google Earth Pro بالنسبة للصورة 4

2- خصائص ومميزات الهجرة الدولية بدواوير جماعة افريطيسة

أ- اتجاهات الهجرة الدولية بدواوير جماعة افريطيسة

تعتبر أوروبا وجهة أساسية للمهاجرين من جماعة افريطيسة، بالنظر إلى فرص العمل التي تتوفر في البلدان الأوربية، والفوارق على مستوى الأجور بين المغرب وأوربا. ويشير الجدول رقم 02 والخريطة رقم 02 إلى أن حوالي 90 بالمئة تقريبا من المهاجرين من جماعة افريطيسة يتجهون نحو فرنسا وإسبانيا بنسبة 52.8 بالمئة و36.1 بالمئة على التوالي، ثم إيطاليا التي تأتي في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بنسبة 5.6 بالمئة، تليها هولندا بنسبة 4.2 بالمئة. بينما تستقبل بلجيكا نسبة 1.4 بالمئة فقط من مجموع مهاجري عينة الدراسة.

جدول رقم 02: نسبة المهاجرين حسب دول الاستقبال.

	عدد المستجوبين	النسبة المئوية	النسبة المئوية التراكمية
فرنسا	38	52.8	52.8
إسبانيا	26	36.1	88.9
إيطاليا	4	5.6	94.4

هولندا	3	4.2	98.6
بلجيكا	1	1.4	100
المجموع	72	100	

المصدر: البحث الميداني 2024

ويمكن أن نفسر توجه مهاجري منطقة الدراسة نحو الدول المذكورة بالجدول بعدة عوامل لها علاقة بالتاريخ. حيث أن دولة المتروبول فرنسا كانت تجذب العديد من الفلاحين من المغرب في القرن الماضي إبان الحقبة الاستعمارية للعمل بالفلاحة والأشغال العمومية والمناجم، وهذا الأمر يعزز الرغبة في الهجرة إلى هذا البلد خصوصا لسهولة العمل داخل هذه القطاعات غير المؤهلة،

أما بالنسبة لإسبانيا فتعد إحدى أقرب البلدان الأوروبية للمغرب، ولذلك يتم اللجوء للهجرة إليها، خاصة بالنسبة

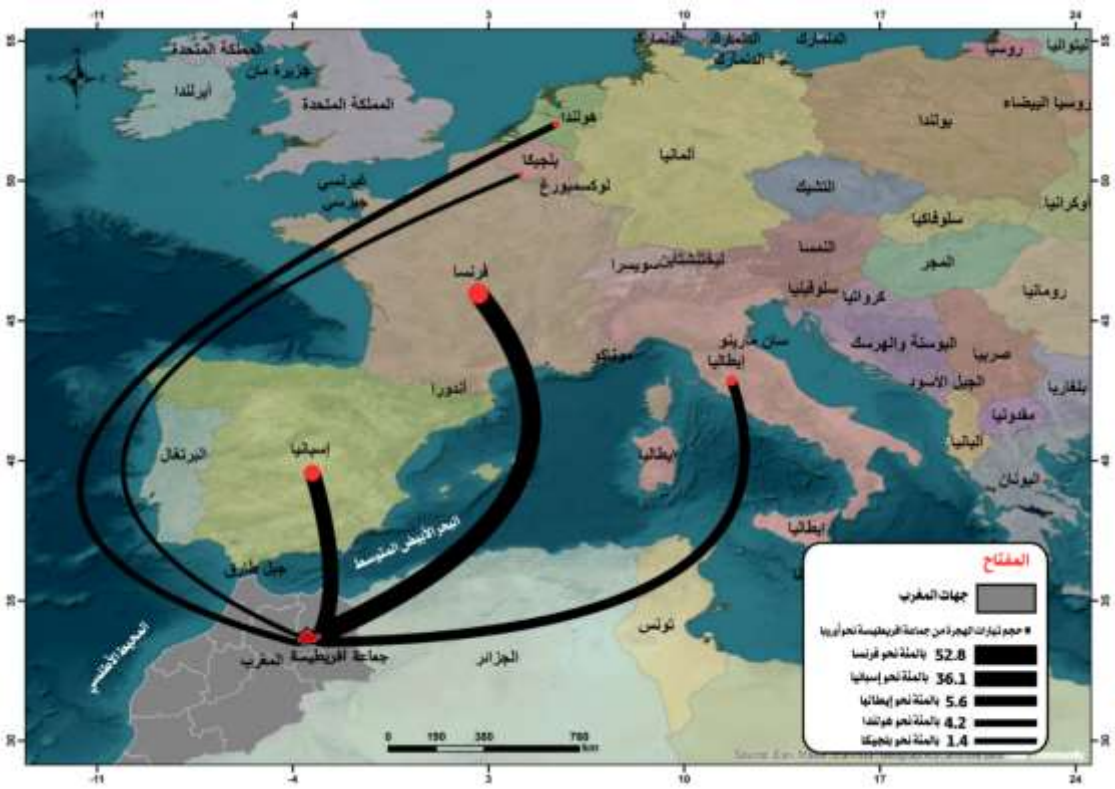

للأشخاص الذين يرغبون في الهجرة بطرق غير قانونية وسرية، فضلا عن أنها توفر فرص عمل مناسبة لأبناء المنطقة الذين لديهم مهارات محدودة تماما مثل إيطاليا، حيث يعمل غالبية المهاجرين في قطاعات اقتصادية لا تحتاج إلى مهارات مهنية متخصصة مثل الفلاحة والبناء.

خريطة رقم 02: تيارات الهجرة من جماعة افريطيسة نحو أوروبا.

مصدر المعطيات: البحث الميداني 2024

لقد تحولت مسارات الهجرة في الآونة الأخيرة، حيث أصبح مجال الدراسة يعرف انتشارا مهولا لظاهرة اللجوء إلى الهجرة بصيغتها غير القانونية من خلال السفر إلى تركيا عبر الطائرة، ليتم بعد ذلك تخطي الحدود التركية-اليونانية أو

التركية-البلغارية من أجل العبور نحو دول أوروبا الشرقية أو دول البلقان وصولا إلى أوربا الغربية. وتجدر الإشارة إلى كون هذه العملية تتم من طرف مجموعات متفرقة من الشباب وخلال فترات مختلفة، كما أن ثمة العديد من الأفراد ممن أعادوا المحاولة لأكثر من ثلاث مرات كما أفاد بذلك أحد المستجوبين، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على الرغبة الكبيرة لهؤلاء الأفراد في الهجرة نحو أوروبا، كنتيجة للأوضاع التي أصبحت تعيشها جماعة افريطيسة، وقد أبانت الدراسة على أن نسبة 33 بالمئة من المستجوبين هاجروا بشكل سري، ونسبة 67 بالمئة هاجروا بشكل قانوني، نسبة كبيرة منهم هاجروا قبل التسعينات عن طريق عقود عمل في هذه الدول.

جدول رقم 03: نسبة المهاجرين حسب دول الاستقبال وعلاقتها بطريقة الهجرة.

		طريقة الهجرة					
		سرية		قانونية		المجموع	
			النسبة		النسبة		
البلد المستقبل	فرنسا	10	%42	28	%59	38	
	إسبانيا	10	%42	16	%33	26	
	إيطاليا	2	%8	2	%4	4	
	هولندا	2	%8	1	%2	3	
	بلجيكا	0	%0	1	%2	1	
المجموع		24	%100	48	%100	72	%100

المصدر: البحث الميداني 2024

أما إذا ربطنا ظروف الهجرة بالأسباب المؤدية إليها، فإن النتائج ستكون كما يظهرها الجدول رقم 4 ، الذي يُظهر قوة الرغبة في تحسين ظروف العيش في تحريك المهاجر نحو الهجرة، ما يدفعه للبحث عن عقد عمل، أو المجازفة عبر الهجرة السرية.

جدول رقم 04: جدول تركيبي حول علاقة ظروف الهجرة بالأسباب المؤدية لها

		ظروف الهجرة				المجموع
		عقد عمل	الدراسة	عن طريق الزواج	هجرة سرية	
سبب الهجرة	البطالة	9	0	0	9	18
	تحسين مستوى العيش	23	0	4	12	39
	الفقر	5	0	0	3	8
	الدراسة	0	5	0	0	5
	آخر	0	0	2	0	2
المجموع		37	5	6	24	72

المصدر: البحث الميداني 2024

ب- مراحل الهجرة الدولية بجماعة الدراسة

عرفت معدلات الهجرة داخل مجال الدراسة تذبذبا واضحا، حيث تشير البيانات إلى أن هذه المعدلات قد ازدادت بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة، علما أن الفئتين العمريتين [17-30] و[31-44] تعتبران الفئتان الأكثر إقبالا على الهجرة. فبينما شهدت مرحلة الثمانينيات والتسعينات من القرن الماضي انخفاضا في معدلات الهجرة، شهدت الفترة ما بين عامي 2020 و2023 زيادة مطردة.

وإذا ما لاحظنا الجدول رقم5 فإننا نجد أن الهجرة من جماعة افريطيسة أصبحت تعد ظاهرة مهمة في السنوات الأخيرة. وعند قراءة الجدول بشكل عمودي حسب الفئات العمرية فإننا نجد أن الفئتين ما بين [59-72] و[72 فما فوق] تركزت هجرتهم في فترة ما قبل التسعينيات، وأغلب هؤلاء المهاجرين هاجروا بشكل قانوني، من خلال عقود العمل الموفرة من طرف الدول المستقبلة. ويمكن ربط هذا بالعلاقات التي كانت تجمع المغرب ببعض دول أوروبا الغربية بعد الاستقلال، والتي كانت تحكمها مجموعة من الاتفاقيات الثنائية، ما جعلها تستقبل تدفقات كبيرة للمهاجرين المغاربة خصوصا فرنسا بعد توقيع الاتفاقية الثنائية المبرمة بين البلدين، والمنشورة بالرباط في 9 أكتوبر 1987، بموجب المرسوم رقم 1-95-22787.

جدول رقم 05: كرونولوجية الهجرة وعلاقتها بالفئات العمرية.

الفئات العمرية	قبل الثمانينيات	الثمانينيات	التسعينيات	بين 2000 و2010	بين 2011 و2020	بين 2021 و2023	المجموع
17 – 30	0	0	0	0	2	22	24
31 – 44	0	0	0	2	3	10	15
45 – 58	0	0	8	2	0	0	10
59 – 72	1	5	7	1	0	0	14
72 <	2	7	0	0	0	0	9
المجموع	3	12	15	5	5	32	72

المصدر: البحث الميداني 2024

وبالمثل فقد أدت الروابط التاريخية بين المغرب وإسبانيا،[88] خاصة في المناطق الشمالية للمغرب إلى اتفاقيات تبادل لليد العاملة بين البلدين.

ج- أنماط الهجرة الدولية بجماعة افريطيسة

تواجه جماعة افريطيسة موجة هجرة متزايدة، حيث أصبحت تشمل شبابها وكبارها على حد سواء، مدفوعة بنقص كبير للفرص الاقتصادية والاجتماعية المتاحة. وازدادت حدة هذه الأزمة بتفاقم الأوضاع على مستوى القطاع

[87] ظهير رقم 1.95.227 بتاريخ 1 رمضان 1432 (2غشت 2011) القاضي بنشر الاتفاق المتعلق بالتشغيل الموقع بالرباط في 9 أكتوبر 1987 بين المغرب وفرنسا. وزارة الإدماج الاقتصادي والمقاولة الصغرى، وتشغيل الكفاءات. https://miepeec.gov.ma/mtip-espace-emploi/migrations-pour-des-fins-de-travail/instruments-juridiques/

[88] ظهير رقم 1.03.127 بتاريخ 28 ربيع الأول 1429 (17 أبريل 2007) القاضي بنشر الاتفاقية الثنائية المتعلقة باليد العاملة، الموقعة بمدريد بين المغرب واسبانيا. https://miepeec.gov.ma/mtip-espace-emploi/migrations-pour-des-fins-de-travail/instruments-juridiques/

الفلاحي، الذي كان يشكل مصدر رزق رئيسيا للعديد من أبناء الجماعة، ونتيجة لذلك، باتت الهجرة، سواء كانت قانونية أو غير ذلك، الخيار الأمثل للكثيرين سعيا وراء تحسين مستوى عيشهم.

ومن هذا المنطلق، ظهرت العديد من الطرق الخاصة بالهجرة، خصوصا على المستوى غير القانوني، بحيث نجد أن نسبة 33 بالمئة من أفراد عينة الدراسة هاجروا بشكل سري، إما عن طريق السفر إلى تركيا، ومن ثم اللجوء عبرها إلى أوروبا من باب اليونان أو بلغاريا، أو اللجوء إلى مدينتي سبتة ومليلية، حيث تعرف هذه الظاهرة محليا بمفردة "الحريك".

جدول رقم 06: كرونولوجية الهجرة وعلاقتها بطرق الهجرة

		طريقة الهجرة				المجموع	المجموع التراكمي
		سرية		قانونية			
سنة أول هجرة	قبل الثمانينيات	0	1	3	29	3	3
	الثمانينيات	1		11		12	15
	التسعينيات	0		15		15	30
	بين 2000 و2010	2	23	3	19	5	35
	بين 2011 و2020	1		4		5	40
	بين 2021 و2023	20		12		32	72
المجموع		24		48		72	

المصدر: البحث الميداني 2024

من خلال الجدول رقم 6، يمكننا أن نقسم المراحل التي مرت منها الهجرات تاريخيا إلى فترتين: أولهما فترة ما قبل سنة 2000، التي تميزت بوجود نسبة ضعيفة للأفراد الذين هاجروا بشكل سري (3 بالمئة) حسب نتائج الدراسة، في حين هاجر باقي الأفراد بشكل قانوني، إما عن طريق عقود عمل أو الدراسة (97 بالمئة). وقد بلغت نسبة المهاجرين بهذه المرحلة (42 بالمئة) من مجموع المهاجرين موضوع الدراسة. أما الفترة الثانية، فهي التي تتراوح ما بين 2000 و2023، والتي عرفت ارتفاعا ملحوظا على مستوى عدد الأفراد الذين هاجروا بصفة سرية، حيث أصبحت تمثل هذه الفئة نسبة (55 بالمئة) خلال هذه المرحلة، في حين أن نسبة المهاجرين بصفة قانونية انخفضت إلى (45 بالمئة).

من ناحية أخرى، قد تعكس الزيادة في الهجرة السرية للأفراد ازدياد المخاطر المرتبطة بالهجرة القانونية، حيث يؤدي تفاقم ظاهرة الهجرة السرية مثلا إلى فرض بعض القيود على تأشيرات الدخول، وصعوبة الحصول على تصاريح العمل داخل هذه البلدان المستقبلة.

مبيان رقم 03: تطور عدد المهاجرين بجماعة افريطيسة

المصدر: البحث الميداني 2024

وعموما فقد شهدت أنماط الهجرة تغيرا ملحوظا خلال العقود الماضية داخل جماعة افريطيسة، تمثلت في ازدياد الهجرة السرية وتراجع الهجرة القانونية، بحيث تشير هذه التحولات إلى تغيرات واضحة المعالم في العوامل المؤثرة على قرارات الهجرة، والتي تتطلب تحليلا أعمق لفهمها بشكل كامل.

واستنادا إلى ما تم التوصل إليه من خلال التصريحات التي جاءت على لسان المستجوبين بالجماعة فإن ظاهرة "الحريك" تعتبر حبل النجاة الوحيد من الفقر الذي يعيشونه، في ظل عدم قدرتهم على الحصول على تأشيرات وعقود العمل من أجل السفر بشكل قانوني. والملاحظ من خلال هذه الدراسة، أن عملية الهجرة بالاعتماد على قوارب الموت أمر نادر على مستوى مجال الدراسة، بل ظهرت أنماط جديدة للهجرة تتميز بكونها أقل خطرا من قوارب الموت التي تؤدي إلى إزهاق العديد من الأرواح، ويتعلق الأمر باللجوء إلى الهجرة عبر تركيا، وإن تطلب الأمر المحاولة عدة مرات.[89]

د- تأثيرات الهجرة الدولية على جماعة افريطيسة

يعتبر قياس آثار الهجرة الدولية على مناطق الانطلاق، من بين الأهداف الجوهرية في الدراسات المتعلقة بالهجرة، وتجدر الإشارة إلى أن الاهتمام بظاهرة الهجرة الدولية وتأثيرها على مناطق الانطلاق خاصة الريفية ليس حديثا، ويمكن إرجاعه إلى الدراسات التي ركزت على التحولات التي أحدثتها الصدمة الاستعمارية في الريف المغربي. وحتى أوائل السبعينات، لم تكن الهجرة الدولية كظاهرة تؤثر على العالم الريفي تعالج بشكل مباشر، وتعاملت الدراسات في تخصصات الجغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا مع هذه المسألة من منظور اقتلاع الريف واجتثاثه من حيويته نتيجة للهجرة. وبعد الصدمة النفطية الأولى عام 1973 شهدت الهجرة الدولية مجموعة من التحولات، حيث كان للقيود التي فرضتها الدول الأوروبية على استقبال العمالة من البلدان المغاربية ولوائح المساعدة على العودة ولم شمل الأسر، تأثير على بلدان منشأ

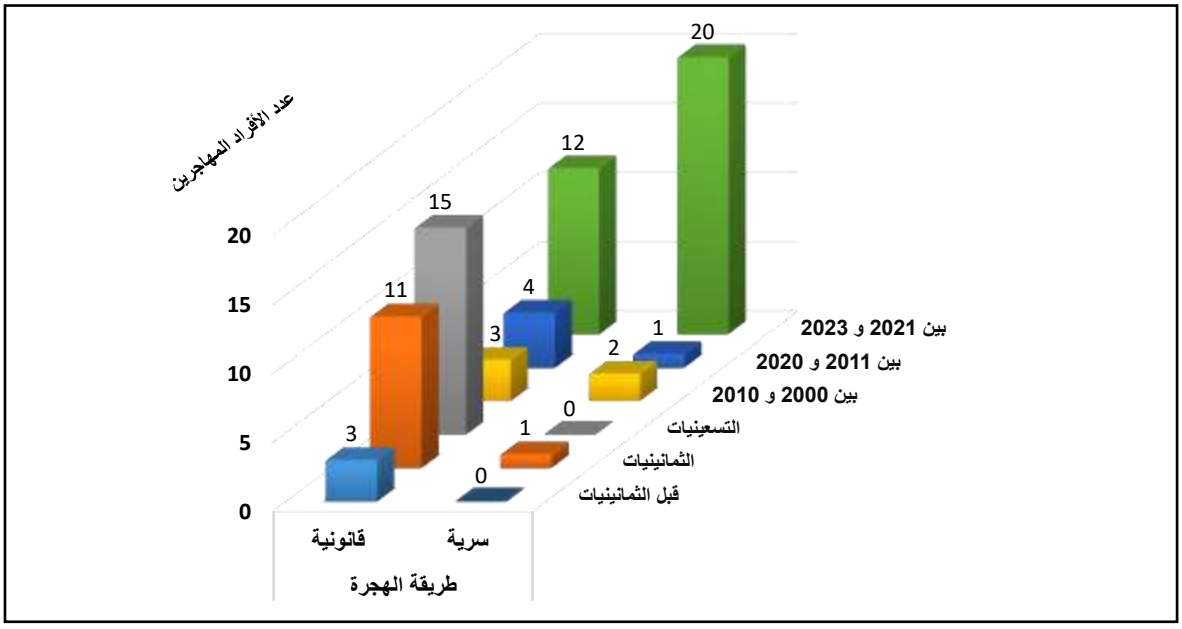

[89]- تصريح لأحد الأشخاص ممن جربوا الهجرة عبر تركيا ثلاث مرات، دون أن ينجحوا في مسعاهم.

المهاجرين. ومراعاة لهذه التحولات الاجتماعية المتعلقة بتحول ظاهرة الهجرة، لم تتناول مختلف فروع العلوم الاجتماعية جوانب أثر الهجرة الدولية على البيئة الريفية بنفس الأهمية.[90]

لقد عرفت جماعة افريطيسة مجموعة من التغيرات باعتبارها مجالا لعودة المهاجرين الدوليين الذين انطلقوا من الأرياف، وإذا ما لاحظنا الجدول رقم 07، فإننا نرى على أن نسبة كبيرة من المهاجرين انتقلوا إما للعيش أو الاستثمار داخل مجال الدراسة، وبالتالي سنصبح أمام هجرة داخلية تمس بالبنية الداخلية للدواوير التابعة لجماعة افريطيسة، وبالتالي سيؤدي هذا إلى فراغ البعض منها من الساكنة لا محالة.

جدول رقم 07: مكان الإقامة قبل وبعد الهجرة.

مكان الإقامة	قبل الهجرة			بعد الهجرة		
	العدد	النسبة المئوية	النسبة المئوية التراكمية	العدد	النسبة المئوية	النسبة المئوية التراكمية
دوار	35	48,6	48,6	4	5,6	5,6
مركز الجماعة	35	48,6	97,2	65	90,3	95,8
خارج الإقليم	1	1,4	98,6	1	1,4	97,2
خارج الجهة	1	1,4	100	2	2,8	100
المجموع	72	100		72	100	

المصدر: البحث الميداني 2024

لقد أبان البحث الميداني أن مركز جماعة افريطيسة أصبح يجذب العديد من الاستثمارات، التي ينحدر معظم أصحابها من الدواوير التابعة للجماعة مباشرة، كما تبين أن هؤلاء المهاجرين نادرا ما ينجزون مشاريع استثمارية (الجدول رقم 8)، وإن فعلوا فإن تلك المشاريع تكون غالبا منخفضة القيمة المالية، خصوصا وأن العقارات السكنية هي التي تهيمن على هذه الاستثمارات، مما يقلل من مساهمة الهجرة الدولية في تنمية المنطقة.

جدول رقم 08: استثمارات المهاجرين حسب دول الاستقبال

البلد المستقبل	المجموع	

[90] عبد الحق البكوري (2021): "الهجرة وقضايا الاندماج دراسة سوسيولوجية لإشكالية اندماج المهاجرين بجهة الشرق(المغرب). ورد في عبد القادر التايري وإبراهيم الأنصاري (تنسيق): "الهجرة الدولية والديناميات السوسيومجالية: السياقات - التجليات – الإفرازات"، منشورات مجلة المركز الديمقراطي العربي برلين-ألمانيا ص 420

		فرنسا	إسبانيا	إيطاليا	هولندا	بلجيكا		النسبة المئوية
الاستثمار	العقار	20	16	2	0	1	39	54
	التجارة	9	7	0	2	0	18	25
	الخدمات	9	3	2	1	0	15	21
المجموع		38	26	4	3	1	72	100

المصدر: البحث الميداني 2024

عموما فعند ملاحظة الشكل العام لمنطقة الدراسة (الصورتين الجويتين رقم 05 و06)، يتضح لنا جليا التحول الذي عرفته على مستوى دينامية التعمير والأنشطة، التي باتت تعرف انتشارا واسعا في الآونة الأخيرة، وبالتالي يمكننا أن نستشف الدور الكبير الذي لعبته فئة المهاجرين الذين استقروا بهذه المنطقة في بلورة مجال حيوي، يغلب عليه طابع الرواج الاقتصادي، حيث تحولنا من الحديث عن العمل في القطاع الفلاحي وبشكل موسمي، خصوصا في قطاع جني الزيتون، إلى العمل في مجالات مختلفة تجمع بين العديد من القطاعات (البناء، التجارة بجميع أنواعها...)، وبالتالي أصبحنا أمام بوادر اندثار العمل بالقطاع الفلاحي كما كان في السابق.

صورة جوية رقم 05 و06: أحد أحياء تانديت المركز سنة 2014 و2023.

المصدر: Google Earth Pro 2014/2023

خاتمة

تظل ظاهرة الهجرة من بين الظواهر الأكثر تعقيدا على عدة مستويات، بحيث تنوعت دوافعها تبعا للظروف التي تدفع الأفراد إلى الهجرة، فهناك من يهاجر بداعي تحسين مستوى عيشه، وهناك من يهاجر بداعي تلقي المعرفة إلى غير ذلك من الأسباب، وداخل هذا التنوع تتبلور العديد من أنماط الهجرة، خصوصا فيما يتعلق بالهجرة غير الشرعية، حيث تجاوز الأفراد فكرة الهجرة من خلال قوارب الموت لما تنطوي عليه من خطورة، وأصبح غالبيتهم يلجؤون إلى السفر إلى الدول المجاورة لبلدان الاستقبال (خاصة تركيا)، وعبور الحدود بشكل سري نحو هذه الدول، وهذا ما أوضحته هذه الدراسة. إلى ذلك فقد أثبتت الدراسة محدودية تأثير الهجرة الدولية على المجال المدروس، خاصة فيما يتعلق بالاستثمار، رغم أن الهجرة ساهمت بشكل بارز في الهجرة الريفية نحو مركز تانديت، وساهمت في حركة التعمير فيه، كما ساهمت في خلق دينامية اقتصادية بالمركز تساهم فيها بشكل فعال عودة المهاجرين، الشيء الذي ساهم في تغيير ملامح المجال المدروس.

البيبليوغرافيا:

- Thompson, S. K. (2012). *Sampling* (3rd ed.). Wiley & Sons, New York. 472 p

- أزهار محمد (2001). الإنسان في المناطق القاحلة السهبية، نموذج "منطقة ميسور" المغرب الشرقي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة.

- أحمد أمغار (2022). المخاطر الهيدرولوجية والجيومرفولوجية على الطرق المعبدة بالشمال الشرقي للمغرب، حالة عمالة وجدة-أنكاد وأقاليم بركان وتاوريرت وجرادة، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة.

- الأنصاري إبراهيم، (2017). تأثير الهجرة الدولية على تنوع وتعدد الأنشطة الحضرية بكل من مدينتي بني ملال والفقيه بن صالح، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال.

- إبراهيم المرابط (2020). هجرة العودة وانعكاساتها السوسيومجالية على مناطق الانطلاق بالمغرب، حالة استثمارات مهاجري مدينة السبت أولاد النمة بتادلا، ورد في عبد القادر التايري وإبراهيم الأنصاري (تنسيق): الهجرة الدولية في سياقات متغيرة، مقاربات متعددة، منشورات المركز الديمقراطي العربي، برلين.

- التايري عبد القادر (2018). الهجرة الدولية والدينامية السوسيومجالية بمدينة جرسيف ومحيطها، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة.

- البيض عبد العالي (1996). الهوامش الشمالية الغربية من الهضاب العليا الشرقية المغربية: التحولات السوسيومجالية بمنطقة ارشيدة بني ريس، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط

- التركاوي حبيبة (2021). المهاجرون المغاربة في فرنسا: أي مكانة للعمل الجمعوي في قضايا الهجرة وآليات الاندماج؟، ورد في عبد القادر التايري وإبراهيم الأنصاري (تنسيق): الهجرة الدولية في سياقات متغيرة، مقاربات متعددة، منشورات المركز الديمقراطي العربي، برلين.

- بلفقيه امحمد (2002). الجغرافيا القول عنها والقول فيها، المقومات الإبستيمولوجية". دار نشر المعرفة، رقم 10،الرباط، المغرب.

- بلفقيه امحمد (1991). الجغرافيا القول عنها والقول فيها، البحث عن الهوية". النشر العربي الإفريقي رقم 6، الرباط. المغرب

عبد الحق البكوري، (2021)، الهجرة وقضايا الاندماج دراسة سوسيولوجية لإشكالية اندماج المهاجرين بجهة الشرق(المغرب). ورد في عبد القادر التايري وإبراهيم الأنصاري (تنسيق): الهجرة الدولية في سياقات متغيرة، مقاربات متعددة، منشورات المركز الديمقراطي العربي، برلين.

- علي مجيد، حسام الدين. (2016). انبعاث ظاهرة الهويات: قراءة في منظور المفكر الكندي تشارلز تايلور". موقع حكمة. /تشارلز-تايلور/ https://hekmah.org

- ورويك موراي (2013). جغرافيات العولمة: قراءة في تحديات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية، ترجمة سعيد منتاق، سلسلة عالم المعرفة 397 الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

الحوض المائي لواد الأخضر بمنطقة "تالمست" دراسة هيدرولوجية

لحسن بوفكر طالب*، المختار المامون طالب**

* باحث مختبر الجيومورفلوجيا، البيئة والمجتمع بكلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش goodlahcen99@gmail.com

**باحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - محمد منسوم استاذ باحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش

ملخص:

تستهدف هذه الدراسة معالجة اشكالية تدبير الموارد المائية بإحدى الروافد الرئيسة لحوض "واد تانسيفت"، فهذا المجال يتسم بندرة الموارد المائية، غير أنه في الظروف المناخية الاستثنائية يشكل الحوض المائي لواد الاخضر خطر على الساكنة وممتلكاتهم بسافلة هذا الأخير (منطقة "تالمست").

لذا، فدراستنا تسعى لتشخيص السلوك الهيدرولوجي للحوض المائي لواد الاخضر واقتراح حلول للتخفيف من أثر هذه الفيضانات على منطقة "تالمست" بسافلته.

الكلمات المفاتيح: منطقة "تالمست" ، واد الاخضر، دراسة هيدرولوجية.

مقدمة

تعتبر الدراسة الهيدرولوجية من أهم الدراسات الجغرافية المعقدة والمتمحورة حول الماء كموضوع رئيسي يجمع بين الخصائص الطبيعية لهذا المورد الطبيعي وبين علاقاته بالإنسان وتأثيراته على المجال والمجتمع، والتي لم تبدأ في الظهور إلا منذ عهد قريب؛ أي مع بروز آثار التغيرات التي أخذت تطرأ على تعامل الإنسان مع الحياة، وقد فرضت هذه التغيرات إلى حد ما ضرورة إزالة الحواجز بين الجغرافيتين والتطرق إلى موضوع الماء بشكل موحد في إطار جغرافية الماء أو ما يسمى بالهيدرولوجية التي تفرض اللجوء إلى معطيات طبيعية وتقنية واقتصادية وبشرية في آن واحد، وداخل وحدة مجالية في الحوض السفحي قابلة للدمج في وحدات مجالية أكبر كما هي قابلة في الآن نفسه للتقسيم إلى وحدات أصغر عند الاقتضاء.

فالنظام الهيدرولوجي ببلادنا يعرف نقصا متزايدا في المياه نظرا لارتباطه الوثيق بالتساقطات المطرية والثلجية التي تتسم بعدم انتظامها في الزمان والمكان، فهناك وفرة في المياه خلال الفترات الممطرة وشح في الفترات الجافة، فالوضع الهيدرولوجي في المغرب يبقى متأثرا بعدم الانتظام والتغيرات السنوية للتساقطات المطرية وتوزيعها غير المتجانس، وتتجلى هذه الخاصية في تعاقب فترات رطبة وجافة يطبعها عدم الانتظام في التساقطات، فالرصيد المائي في المغرب غير ثابت زمنيا، فالمغرب يتميز بسياق هيدرولوجي يطبعه غياب انتظام الكميات المتوفرة من المياه في الزمان والمكان وكل المؤشرات توحي بتفاقم العجز الكمي بفعل تعاقب السنوات الجافة التي أضحت ذات أهمية في المغرب.

فالدراسة الهيدرولوجية تستحق الاهتمام في الوقت الحالي، خاصة دراسة الخطر الهيدرولوجي المتعلق بالفيضانات، نظرا لما يلحقه من خسائر مادية وبشرية، ونظرا أيضا لحداثة الاهتمام بهذا الموضوع ببلادنا، وما دامت الجغرافية هي ذلك العلم الذي يهتم بالعلاقة التفاعلية التأثيرية بين الإنسان وما يحيط به، فإنها دائما تضع في صميم أهدافها دراسة وحل المشكلات والظواهر الناتجة عن هذا التأثير، من هذا المنطلق ارتأت هذه الدراسة الهيدرولوجية إلى الحديث عن خطر الفيضان بحوض واد الأخضر، وإبراز تأثيره على المجال المدروس، أملا في إيجاد حلول كفيلة للتخفيف أو الحد منه. وذلك من خلال الاجابة عن السؤال التالي: كيف تؤثر الفيضانات بحوض واد الأخضر على منطقة "تالمست ؟.

☜ فرضيات الدراسة

للإجابة على الاشكالية المطروحة ننطلق من الفرضيات التالية:

- أن الظروف الطبيعية (الجيولوجية، الطبوغرافية، الغطاء النباتي، المناخ...) هي المسؤولة عن الإمكانات المائية بالحوض وعن حدوث الفيضانات به.
- الخصائص المورفومترية للحوض تساهم في خلق نظام استجابة سريع للحوض، وتزيد من سرعة الجريان الشيء الذي يتسبب في حدوث الفيضانات.

☜ منهجية البحث

إن طبيعة موضوع الدراسة الذي يتناول جوانب عدة لظواهر ومتغيرات هيدرولوجية متعددة ومتداخلة تفرض علينا إتباع المنهج الجغرافي الذي يتيح إمكانية الملاحظة والتحليل والتفسير، كما أنه يسمح بإخضاع الفرضيات للتجربة من خلال العمل الميداني، وحيث يكتسي البحث واقعية فلا بد من المرور عبر النقد وذلك بالاعتماد على المقاربة النسقية التي ترتكز على رؤية شمولية للمجال

☜ توطين مجال الدراسة

يعتبر حوض واد الأخضر من الأحواض النهرية الصغرى بحوض تانسيفت، ينتمي إلى هضبة الشياظمة، ويقع في الحدود بين حوض تانسيفت والأحواض الساحلية.

يقع حوض واد الأخضر من الناحية الجغرافية بين خطي طول '9°00 و'9°30 غرب خط غرينيتش، ودوائر العرض '31°30 و'32°00 شمال خط الاستواء، ويشكل واد الأخضر رافدا رئيسيا لواد تانسيفت، حيث يفرغ واد الأخضر حمولته بالضفة اليسرى لواد تانسيفت.

أما إداريا فحوض واد الأخضر يضم جماعتين رئيستين الأولى جماعة حضرية وهي تالمست والتي تقع على الطريق الوطنية رقم 1 والثانية جماعة قروية وهي جماعة سيدي عبد الجليل والتي تقع في سافلة حوض واد الأخضر، وتنتمي الجماعتان الترابيتان إلى إقليم الصويرة الذي ينتمي بدوره إلى جهة مراكش أسفي، ويحدهما من الشمال إقليم أسفي وجماعة المخاليف وجماعة سيدي العروسي غربا، أما من الجنوب فيحدها جماعة زاوية ابن حميدة، ثم جماعة سيدي علي الكوراتي شرقا، فمجال الدراسة يقع في أقصى شمال الصويرة حيث يبعد عن المجال الحضري لمدينة الصويرة بـ60 كلم.

ISSN 2569-734X

الخريطة رقم (1): موقع حوض واد الأخضر بالنسبة لوكالات الأحواض النهرية

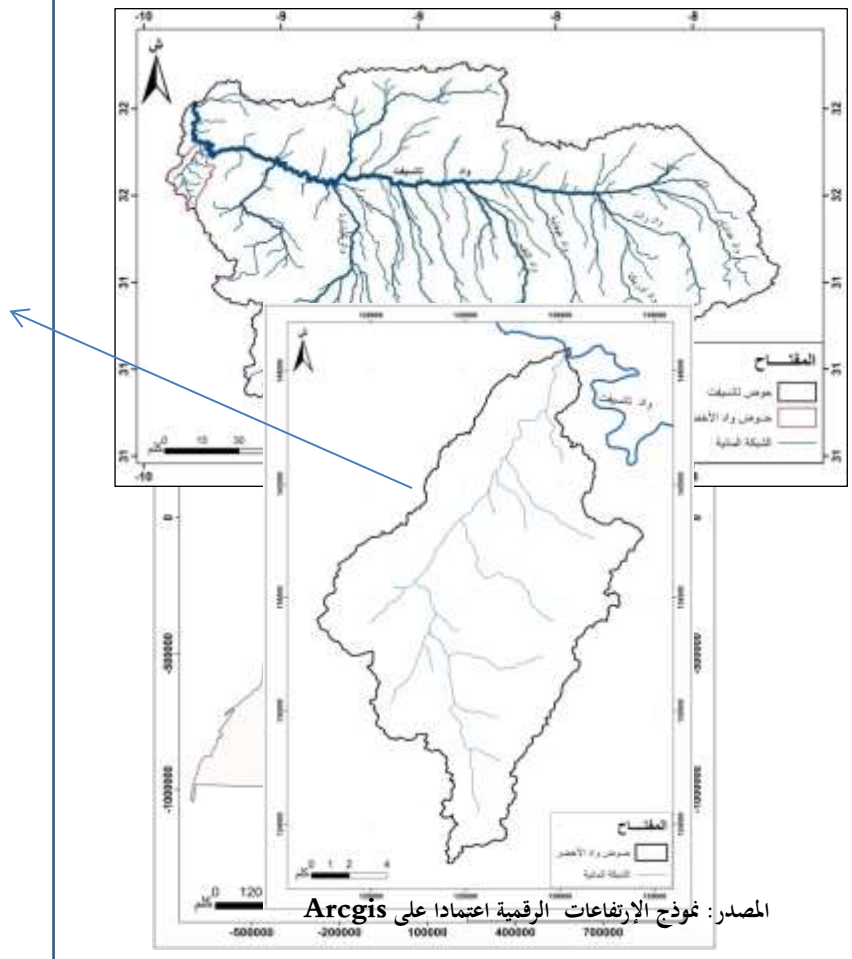

المصدر: نموذج الإرتفاعات الرقمية اعتمادا على Arcgis

I. الخصائص التضاريسية لحوض واد الأخضر

يلعب عامل التضاريس دورا مهما في تزايد أو تناقص الموارد المائية، فالانحدارات القوية تساهم في تسريع الجريان ومن ثم حدوث فيضانات على نطاق واسع وفي وقت وجيز في حالة التساقطات الغزيرة والمركزة. وأن دراسة كل هذه الخصائص تساعد في القيام بدراسة هيدرولوجية، ويبقى الهدف من دراستها هو معرفة طبيعة السلوك الهيدرولوجي لحوض واد الأخضر بمنطقة تالمست.

1- المستويات الارتفاعية

يعتبر الارتفاع من أهم العوامل المهمة داخل الحوض النهري إذ يمكننا من معرفة سلوك الجريان، فنحن نعلم مسبقا العلاقة التي تربط التساقطات بالارتفاع والحرارة السائدة، بالإضافة إلى ارتباط الحرارة بالتبخر والنتح، فالارتفاع يولد الانحدار الذي ينعكس على السلوك الهيدرولوجي للحوض المائي.

خريطة رقم2: توزيع الارتفاعات داخل حوض واد الأخضر

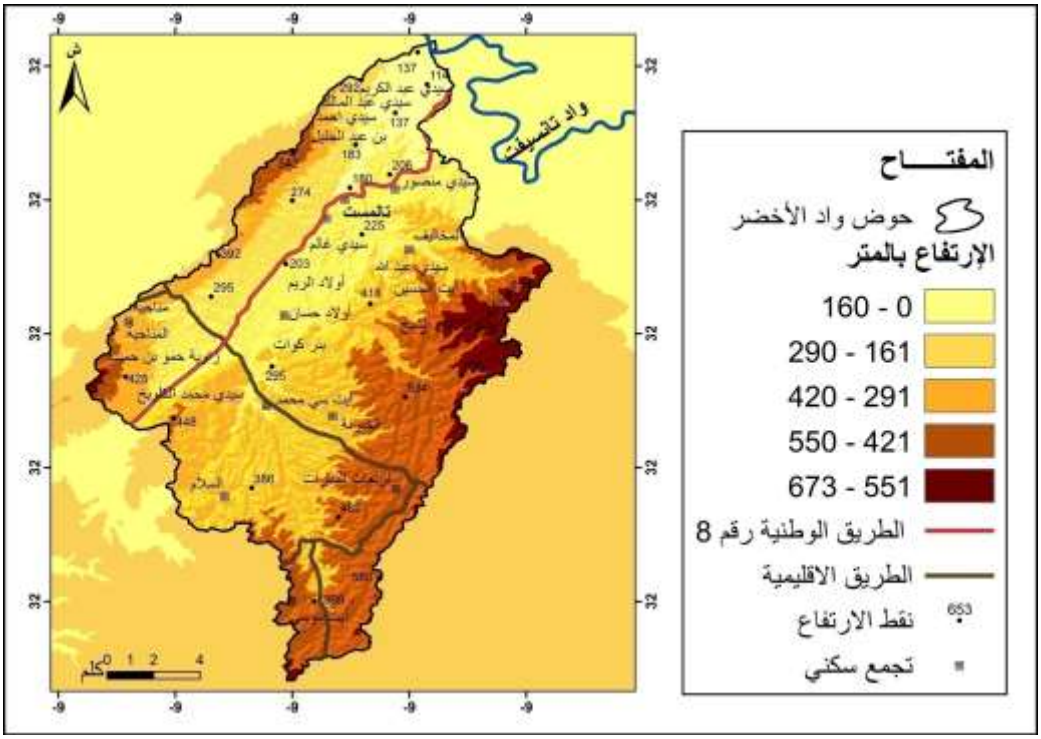

المصدر : نموذج الإرتفاعات الرقمية اعتمادا على **Arcgis**

تتسم الارتفاعات داخل حوض واد الأخضر بالتدرج من الجنوب إلى الشمال، حيث يصل ارتفاع أعلى نقطة بالحوض إلى 673 متر بهضبة سكياط، في حين نجد أخفض نقطة بالحوض 30 متر بمصب الحوض عند التقائه مع واد تانسيفت الذي يصب فيه واد الأخضر، وهي ارتفاعات متوسطة نظرا لقربه من البحر، كل هذا جعل حوض واد الأخضر يتميز بتضاريس متنوعة من حيث الخصائص.

وبناء على الخريطة رقم2 يتضح أن الفئة الأكثر انتشارا بالحوض هي التي يتراوح ارتفاعها بين (291-420م) إذ تغطي هذه الفئة حوالي 78.97 كلم² أي ما لا يقل عن 36% من إجمالي مساحة الحوض، تليها الفئة التي تتراوح ارتفاعاتها بين (161-290م)، حيث تغطي حوالي 28% من مساحة الحوض. وبالتالي فإن معظم مجال

الدراسة يتسم بارتفاعات متوسطة، حيث أن أكثر من 60% من مساحة الحوض لا تتعدى ارتفاعاتها 420م، الأمر الذي سيجعل السلوك الهيدرولوجي بالحوض يتخذ طابعا خاصا.

تختلف الارتفاعات بالحوض النهري لواد الأخضر بين عاليته وسافلته، بحيث يصل فارق الارتفاع بين أعلى نقطة 673م وأخفض نقطة 30م إلى 643م، وتتركز أعلى الارتفاعات بالجنوب والشرق وأقصى غرب الحوض، حيث تواجد هضبة سكياط والنعيرات بالجنوب والشرق وجبل الكوراتي بالغرب، أما أدنى الارتفاعات فتوجد شمال الحوض ووسطه، حيث تواجد المجرى الرئيسي لواد الأخضر ومصبه في واد تانسيفت.

2- الانحدارات بحوض واد الأخضر

خريطة رقم 3: توزيع الانحدارات داخل حوض واد الأخضر

المصدر : نموذج الإرتفاعات الرقمية اعتمادا على **Arcgis**

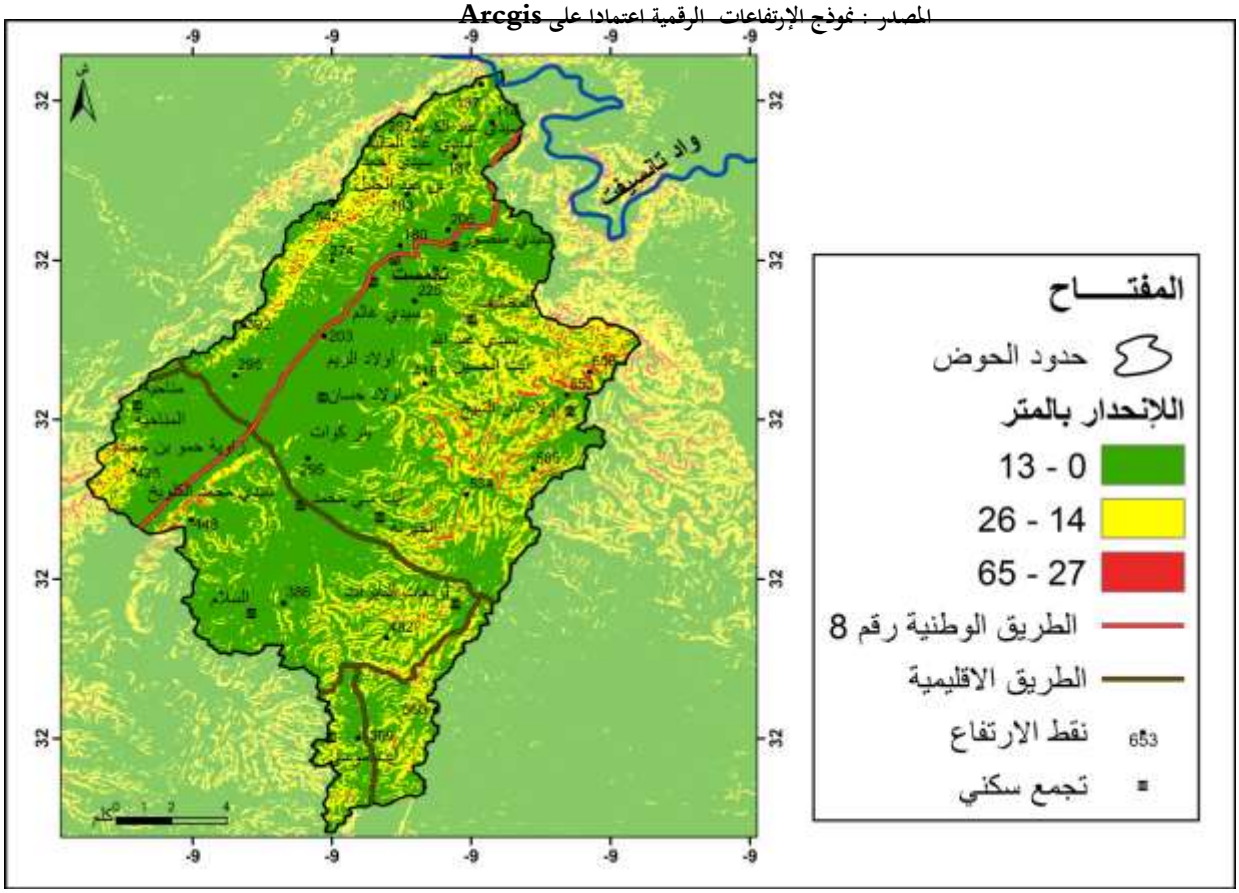

يعتبر الانحدار من أبرز الخصائص الهندسية التي يجب الاستعانة بها في الدراسات الهيدرولوجية حيث لها ارتباط بسرعة ووضعية الجريان ثم حركية المواد، ولها ارتباط كذلك باستجابة الحوض للتساقطات المطرية، ومن أجل دراسة عامل الانحدار بالحوض المائي لواد الأخضر قمنا بتقسيمه إلى ثلاث فئات انحدارية على النحو التالي: الانحدارات الضعيفة ، الانحدارات المتوسطة ، الانحدارات القوية.

واستنادا إلى الخريطة أعلاه فإن توزيع الانحدارات بالحوض يعرف تباينا مجاليا، حيث تنتشر الانحدارات القوية بالعالية ويفسر هذا التباين بالوحدات التضاريسية بعالية الحوض، ونميز فيه بين الوحدة الهضبية بالنصف الجنوبي والشرقي والوحدة الجبلية بالنصف الغربي، الشيء الذي سيؤثر في طبيعة الجريان المائي للحوض.

كما تختلف أن فئات الانحدار حسب طبيعة الوحدات التضاريسية السائدة، حيث تمتد فئة الانحدار القوية على جبل الكوراتي وهضبة سكياط بنسبة ضئيلة من مساحة الحوض، أما فئة الانحدارات المتوسطة فتغطي حوالي 24% في حين نجد فئة الانحدارات الضعيفة تغطي ما يفوق 70% من إجمالي مساحة الحوض وهي السائدة بالمجال.

1-2 متوسط الانحدار

يعتبر مؤشر متوسط الانحدار من المؤشرات الأساسية في خصوصية مجال معين، حيث يعطي فكرة حول الخصوصيات الطبوغرافية لذلك المجال.

ونعبر عنه بالصيغة التالية:

$$P_m = \frac{D_t}{L} = \frac{H_{max} - H_{min}}{L}$$

بحيث أن:

Pm: متوسط الانحدار بالمتر/الكلم

Dt: الفرق بين أعلى نقطة بالحوض وأخفض نقطة بالمتر

L: طول الحوض

التعويض:

Pm =Dt/L = 673-30/28

=643/28 = 22.96

إذن فمتوسط الانحدار بحوض واد الأخضر هو 22.96 متر/الكلم، وهو رقم يوضح طبيعة الانحدار بالحوض، حيث الانحدارات بالحوض متوسطة، وهذا ما يفسر بأن الحوض يعرف وثيرة جريان مهمة لكون الحوض يميل إلى الشكل الطولي.

2-2 معامل الانحدار العام

يعبر مؤشر الانحدار عن طبيعة الانحدار العام للمجال، فهو يساعد في إعطاء نظرة عن الانحدارات التي تشلكها المجاري المائية.

ونعبر عنه بالصيغة التالية:

$$Ig = D/L = H95-H5/L$$

بحيث أن:

Ig: معامل الانحدار العام

D: متوسط الانحدار

L: الطول بالمتر

التعويض

Ig = D/L = 548-161/28000

387/28000 = 0.01

وبناء على نتائج هذا المعامل والتي هي 0.01 Ig/الكلم، يتضح أن مجال الدراسة يتميز بتضاريس ضعيفة نوعا ما، وذلك اعتمادا على التصنيف الذي وضعه الباحث (Youngs سنة 1972).

الجدول رقم (1) : تصنيف youngs للفئات الانحدارية

خصائص التضاريس	معامل الانحدار العام Ig/كلم
تضاريس ضعيفة جدا	Ig<0.002
تضاريس ضعيفة	0.002< Ig <0.005
تضاريس ضعيفة نوعا ما	0.005< Ig <0.01
تضاريس معتدلة	0.01< Ig <0.02
تضاريس قوية نسبيا	0.02< Ig <0.05
تضاريس قوية	005< Ig <0.1
تضاريس قوية جدا	0.1< Ig

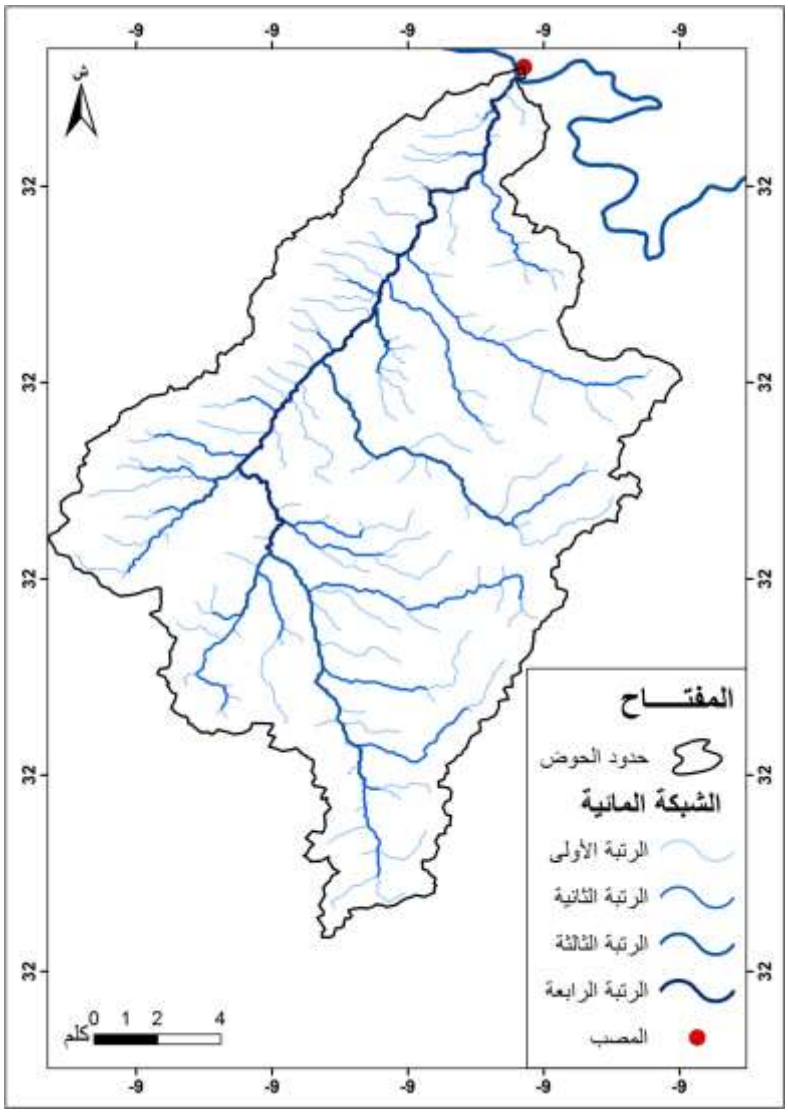

II. خصائص الشبكة المائية

تعتبر الشبكة المائية مجموع المجاري المائية الدائمة أو الموسمية، سطحية كانت أم باطنية، والتي تعمل باستمرار على تغذية وتزويد المحور الهيدروغرافي الرئيسي في منطقة معينة، فالمظهر العام لشكل التصريف النهري وتحديد نشاط أوديته يبرز من خلال العلاقة ما بين خصائص الصخور وأشكالها التركيبية من جانب وأحوال المناخ من جانب آخر.

III. المراتب النهرية وأطوالها

تهدف عملية ترتيب المجاري إلى إعطاء دليل تقريبي عن كمية الجريان الذي يمكن أن يكون في شبكة نهرية معينة، فكلما زادت مرتبة النهر كلما كانت كمية المياه فيه كبيرة بسبب الروافد التي تغذيه.

وقد اعتمدنا على التقسيم الذي وضعه سترايلر في دراسة الرتب النهرية، حيث تعتبر هذه الطريقة من الطرق المورفومترية الأكثر استعمالا نظرا لبساطة تطبيقها وسهولة إجراء مقارنات بواسطتها للأحواض النهرية. واعتمادا على هذا التقسيم توصلنا إلى النتائج التالية، حيث يعتبر واد الأخضر بمثابة المجرى الرئيسي ذو الرتبة الرابعة بالحوض.

الجدول رقم (2): الرتب النهرية وطولها بحوض واد الأخضر

النوع	العدد	الطول بالكلم
الرتبة الأولى	134	140,00
الرتبة الثانية	69	69,57

الرتبة الثالثة	30	24,71
الرتبة الرابعة	34	21,29

يزخر حوض واد الأخضر بشبكة مائية مهمة، حيث يعتبر واد الأخضر من أهم روافد واد تانسيفت، يعتمد في تغذيته على شبكة من العيون تتركز على الجانب الأيمن للوادي، ويجري على مسافة تصل 35.28 كلم باتجاه جريان جنوبي شمالي، حيث يفرغ حمولته بواد تانسيفت.

وتقسم الشبكة المائية لواد الأخضر إلى أربع رتب نهرية بلغت مجموع أوديتها 267 وادي، وحسب الجدول بلغت أودية الرتبة الأولى (134) وادي والرتبة الثانية (69) وادي والرتبة الثالثة (30) وادي، في ما بلغت أودية الرتبة الرابعة (34) وادي وهو المجرى الرئيسي، والحقيقة إن دراسة الرتب النهرية لها أهمية في معرفة كمية التصريف المائي الخاص بكل مجرى مائي.

مما سلف وبناء على الخريطة أعلاه نستنتج أن حوض واد الأخضر يتسم بشبكة مائية مهمة وكثيفة خاصة الشبكة المائية الموسمية المتمثلة في مجموعة من الشعاب والمسيلات.

1- الكثافة الهيدروغرافية

تعبر كثافة شبكة التصريف النهري عن درجة تقطع سطح الحوض بالمجاري المائية، كما تعكس فعالية الجريان المائي بالحوض. واعتمادا على العلاقة التالية تم حساب كثافة التصريف النهري لحوض واد الأخضر:

$$\text{كثافة شبكة التصريف} = \frac{\text{مجموع أطوال المجاري المائية /كلم}}{\text{مساحة الحوض/كلم}^2}$$

التعويض

= 255.57/217.74

= 1.17

وبلغت كثافة شبكة التصريف في حوض واد الأخضر 1.17 كلم/كلم²، ويلاحظ أن هذه الكثافة ضعيفة بالحوض، وقد يعود السبب في ضعفها إلى طبيعة الصخر الذي يتكون منه الحوض وانخفاض كمية الأمطار.

1- التكرار النهري بالحوض

يعبر التكرار النهري عن العلاقة بين عدد المجاري المائية ومساحة الحوض، ونحصل على هذه الأخيرة بقسمة العدد الإجمالي للمجاري المائية على مساحة الحوض وذلك طبقا للصيغة التالية:

$$F=\sum Ni/A$$

F= تردد المجاري المائية بالكلم²

Ni= عدد المجاري المائية بالحوض

A= مساحة الحوض بالكلم²

F= 267/217.74

= 1.22

وبتطبيق العلاقة المتعلقة بالتكرار النهري بلغت نسبة التشعب بحوض واد الأخضر 1.22 مجرى/كلم²، وهذه القيمة تشير إلى انخفاض التكرار النهري بالحوض، فقيمة التشعب تعكس مدى الانتظام في تتابع المجاري المائية للرتب النهرية.

عموما فمعرفة كثافة التصريف وتكرار المجاري المائية تكتسي أهمية بالغة بالنسبة لكل حوض نهري كيف ما كان، حيث تساهم في معرفة السلوك الهيدرولوجي السائد بالمنطقة، وبالتالي تعطينا فكرة عن طبيعة وقوة الجريان وتأثيرها على الظواهر الهيدرولوجية القصوى (الفيضان، الشح) التي يمكن أن تهدد المنطقة.

IV. علاقة العناصر المورفومترية بالعناصر الهيدرولوجية

أوصت مجموعة من الدراسات إلى الاعتماد على العناصر المورفومترية للوصول إلى المدلولات الهيدرولوجية في ظل غياب محطات قياس هيدرولوجية (علاجي، 2010،ص أ)، باعتبار الخصائص المورفومترية لأي شبكة مائية تقدم مؤشرات هامة للخصائص الهيدرولوجية لحوض التصريف، وذلك للعلاقة القوية بينهما، ولهذا نجد أن السيطرة على الفيضانات لا يمكن أن تتم دون فهم كاف للخصائص المورفومترية لأحواض التصريف.

وتعتبر الخصائص المورفومترية المسؤول الرئيسي عن مختلف الظواهر الهيدرولوجية وخاصة ظاهرة الفيضانات، لذلك تناولت الدراسة جميع الخصائص المورفومترية في علاقتها بمتغيرات هيدرولوجية ذات صلة مباشرة بعمليات الجريان السطحي من حيث بدايتها ومدى استمراريتها

1- زمن التباطؤ

وقد استخدمنا لحساب زمن التباطؤ المعادلة التالية والتي يعبر عنها كما يلي (Hick and others.1.5.P615) :

$$TL=K(A0.3)/(SA/Dd)\times0.6$$

TL= زمن التباطؤ

A= مساحة حوض التصريف بالكلم²

SA= متوسط انحدار حوض التصريف

Dd= كثافة التصريف

K= معامل ثابت يعتمد على الوحدات المستخدمة (قيمته 1.6)

$$TL= 1.6(217.74\times0.3)/(22.96/1.17)\times0.6$$

$$= 3.19$$

وبتطبيق المعادلة السابقة على حوض واد الأخضر اتضح أن معدل زمن التباطؤ بلغ 3.19 دقيقة وهذه القيمة تعطي فكرة على أن تولد الجريان بالحوض سريع.

2- زمن التركيز

يعرف زمن التركيز بأنه الفترة الزمنية اللازمة لمياه الأمطار الساقطة على الحوض من أبعد نقطة على محيط الحوض حتى تصل إلى المصب، ويتم الحصول على زمن التركيز بتطبيق المعادلة الآتية (Stephen.1999.P213):

$$TC=(L)^{1.15}/7700(H)^{0.38}$$

TC= زمن التركيز

L= طول المجرى الرئيسي بالمتر

H= الفارق الرأسي بين أعلى نقطة وأخفض نقطة في الحوض

1.15 و0.38 = أسس ثابتة تدل على خصائص الحوض من نبات طبيعي ومفتتات سطحية وخشونة سطح الأرض.

TC=(35280)^1.15/7700(643)^0.38

=257.20

ومن خلال تطبيق المعادلة السابقة يتضح أن معدل زمن التركيز للحوض المائي لواد الأخضر وصل 257.20 دقيقة، أي ما يقارب 4.17 ساعة وهو معدل يدل على أن منطقة الدراسة ذات درجة خطورة عالية.

3- زمن تصريف الحوض

زمن تصريف الحوض يعرف بأنه الفترة اللازمة للحوض حتى يتم تصريف المياه كاملة من منابعه حتى مصبه، وفي حالة الأحواض دائمة الجريان فإن هذا الزمن يقاس بوسائل متعددة، ولكن في حالة الأحواض الجافة فإن الجريان المائي يكون على فترات بعيدة وفجائية غير منتظمة في الكمية والسرعة والفترة الزمنية.

وبما أن الحوض المائي لواد الأخضر يدخل ضمن الأحواض المائية الجافة فقد اعتمدنا على المعادلة التالية لحساب زمن تصريفه (السلاوي، 1989،ص102):

TD=(0.305L)^1.15/7700(0.305H)^0.3

TD= زمن تصريف الحوض بالساعة،

L= طول المجرى الرئيسي بالمتر،

H= الفرق بين أعلى نقطة وأخفض نقطة في الحوض.

TD = (0.305×35280)^1.15/77500(0.305×643)^0.3

= 43311.44/37518.37

=1.15

وتشير نتائج تطبيق المعادلة السابقة على الحوض المائي لواد الأخضر إلى أن معدل زمن تصريف الحوض بلغ 1.30 ساعة، وما يفسر ارتفاع هذه القيمة هو طول المجرى الرئيسي والشكل المستطيل الذي يأخذه الحوض.

4- سرعة الجريان

ويتم حسابها رياضيا من خلال قانون حساب السرعة لأي جسم متحرك، وذلك إذا تم معرفة المسافة التي يحركها الجسم والزمن الذي استغرق هذه الحركة، وعلى هذا يمكن حساب سرعة المياه عن طريق قسمة طول الحوض على زمن التركيز من خلال المعادلة التالية: (خضر1997 ص 380)

سرعة المياه = طول الحوض/ زمن تركيز الحوض م³/ساعة

V= 28/4.17

=6.71

ومن خلال تطبيق المعادلة السابقة على الحوض المائي لواد الأخضر نجد أن معدل سرعة الجريان يبلغ 6.71 م³/ساعة.

5- معدل التصريف (تحديد الجريان السطحي)

يعبر معدل التصريف عما يمكن للحوض أن يصرفه من مياه كل عاصفة مطرية على اعتبار أن المطر يسقط بشكل منتظم وبدرجة غزارة واحدة على جميع أنحاء حوض التصريف، وان كمية الماء تصرف على كل أجزاء الحوض في كل مرة تسقط فيها الأمطار، وهو وضع لا يتحقق إلا في الأحواض الصغيرة المساحة والتي تقل عن 400 كم² والتي ينتمي إليها حوض واد الأخضر.

ويتم حساب معدل تصريف الحوض باستخدام المعادلة التالية:

ت = 1.5س

ت: معدل التصريف م³/ث

س: مساحة الحوض كلم²

ت = 217.74 ×1.5

= 326.61

وبتطبيق المعادلة أعلاه فإن معدل تصريف حوض واد الأخضر بلغ 326.61 م³/ث

6- حجم التصريف

من النادر أن تكون الأمطار موزعة توزيعا منتظما فوق كل مساحة الحوض فقد يسقط المطر على جزء من سطحه ولا يسقط على جزء مجاور له، وعلى هذا فقد تحدث الفيضانات نتيجة عاصفة رعدية مطرية شديدة وتغطي جزءا صغيرا من سطح الحوض وهناك عدة معادلات تستخدم في حساب حجم تصريف، وقد اعتمدنا في حساب حجم تصريف حوض واد الأخضر على المعادلة التالية: (الفيتوري،2011، ص9)

Q= A 0.5

Q= 217.74 × 0.5

= 108.87

ومن خلال تطبيق المعادلة السابقة على حوض واد الأخضر فإن حجم التصريف بالحوض بلغ 108.87م³/الثانية.

ترتبط الخصائص المورفومترية لحوض واد الأخضر بعلاقة مباشرة بالظواهر الهيدرولوجية لارتباطها بالمناخ ومدى استمراريتها وتأثيرها على الجريان المائي والفيضانات، فرغم ارتفاع نسبة استطالة حوض واد الأخضر وانخفاض معامل شكل الحوض إلا أن زمن وصول جريان المياه من المنبع إلى المصب حوالي ساعة و30 دقيقة وبذلك فإن السلوك الهيدرولوجي لحوض واد الأخضر يتسم بنوع من العدوانية.

V. دراسة حالة الفيضانات بمنطقة تالمست

من خلال المعطيات المتوفرة يتبين أن منطقة تالمست عرفت مجموعة من الفيضانات التي وقعت في أعوام (1984-1993- 1996- 2004- 2014)، ورغم قوة هذه الفيضانات وحجم الأضرار التي ألحقتها بالساكنة وبالمجال لم تسجل أي معلومات وصفية دقيقة لهذه الفيضانات؛ وذلك لكون بلدية تالمست لا تتوفر على جرد تاريخي لأهم الفيضانات التي شهدتها

ISSN 2569-734X

المنطقة. ولفهم هذه الفيضانات بشكل دقيق ومفصل سنعمل على ربطها بالمعطيات المناخية للتعرف على طبيعة التساقطات وتحديد مكانة هذه الفيضانات ضمن التوزيع الشهري للتساقطات.

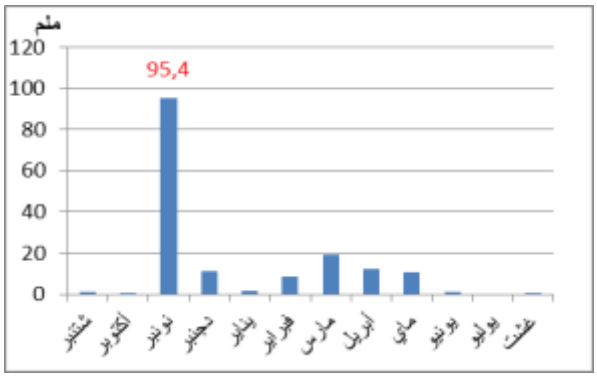

1- **فيضان 1984:** تميز هذا الموسم بالتباين والاختلاف في كمية التساقطات الشهرية، إذ سجلت حوالي 95 ملم في شهر نونبر في ما لا تتجاوز الشهور المتبقية 20 ملم، وبالتالي فهذا الفيضان كان في شهر نونبر؛ وإذا كان التوزيع الشهري لم يعطي فكرة واضحة عن هذه الفيضان، فإن التفسير الوحيد الذي يمكن الخلوص إليه في هذه الحالة هو أن هذا الفيضان جاء نتيجة قوة التساقطات المطرية اليومية المركزة.

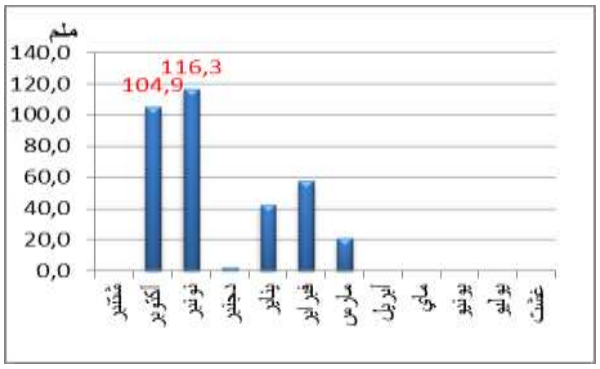

2- **فيضان 1993:** يعطينا المبيان فكرة عن زمان حدوث هذا الفيضان، حيث سجلت أكبر كمية للتساقطات بشهر نونبر بقيمة 116 ملم فيما سجلت 104 ملم في شهر أكتوبر، وهي القيم التي كانت وراء حدوث هذا الفيضان، كما أن هذه التساقطات جاءت بعد فترة جافة دامت لستة أشهر، مما سيكون له وقع كبير وأثر سلبي على المجال.

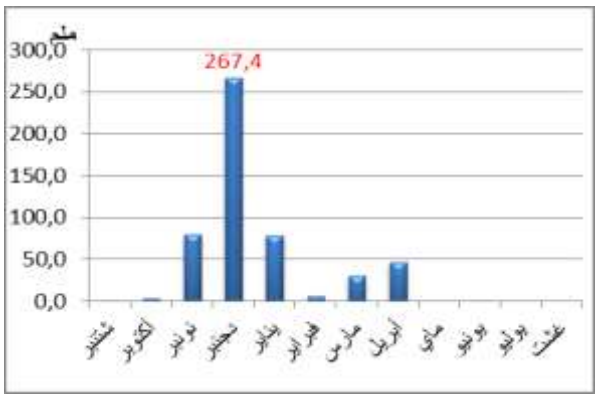

3- **فيضان 1996:** شهد شهر دجنبر من سنة 1996 تساقطات مطرية سجلت خلالها 267 ملم، أي 50% من المعدل السنوي لسنة 1996 والذي بلغ 544 ملم، فمن خلال هذا المعدل نستنتج أن هذه السنة مختلفة عن باقي السنوات السابقة سواء من حيث أهمية الموارد المائية التي استقبلها المجال المدروس وكذلك من حيث الأضرار التي ألحقها به.

التوزيع الشهري لموسم 05/2004

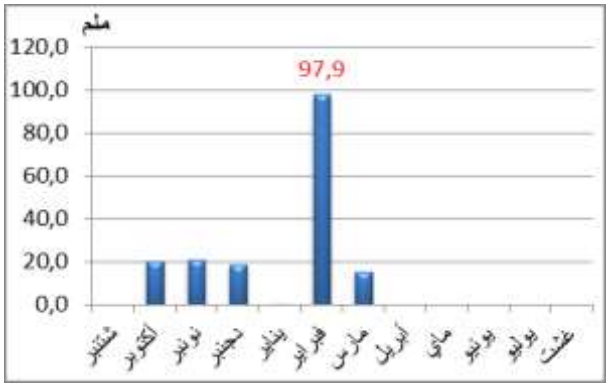

4- **فيضان 2004:** ومن أجل فهم دقيق ومفصل لحالة فيضان 2004 كان لا بد من ربطه بالمعطيات المناخية للتعرف على طبيعة التساقطات، وتحديد مكانة هذا الفيضان ضمن التوزيع الشهري للتساقطات. وبالتالي فإن جل أشهر السنة لم تتجاوز 20 ملم بما فيها 7 شهور لم تسجل بها أي تساقطات خلال السنة، وباستثناء شهر فبراير الذي بلغ متوسطه

الشهري 98 ملم، وبالتالي فهذه القيمة هي المسؤولة عن هذا الفيضان.

5- **فيضان 2014:** شهد المغرب خلال هذه السنة فيضانات عديدة في جل تراب المملكة، وفي هذا الإطار فإن منطقة الدراسة هي الأخرى تعرضت لهذا الخطر الهيدرولوجي. لكننا لم نتوفر على مدى قوة وحجم هذا الفيضان في ظل غياب المعطيات المناخية المتعلقة بسنة 2014، والسبب الرئيسي وراء ذلك هو هذا الفيضان الذي أدى إلى تعطيل محطة تالمست لقياس التساقطات. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى قوة وحجم هذا الفيضان.

VI. خاتمة

عملنا من خلال هذه الورقة البحثية على دراسة خصوصية المنظومة المائية بحوض واد الأخضر، حيث تمت دراسة علاقة العناصر المورفومترية بالعناصر الهيدرلوجية، على اعتبار أن هذه الأخيرة لا يمكن التوصل إليها إلا من خلال العناصر المورفومترية، والتي تعتمد عليها مجموعة من الدراسات خاصة الدراسة الهيدرولوجية في ظل غياب محطات هيدرولوجية لقياس الصبيب. وكذلك دراسة المعطيات المناخية التي توفرها محطة تالمست من خلال دراسة التوزيع الشهري، باعتبارها ذات أهمية بالغة، في تحديد زمن وقوة الفيضانات التي شهدتها المنطقة، حيث اتضح لنا أن نظام الجريان بحوض واد الأخضر يعرف مجموعة من التغيرات والتباينات على كافة المستويات خاصة كمية التساقطات وزمن تركزها، وبموازاة العوامل الطبيعية السائدة بالمجال التي من شأنها المساهمة في حدوث الظواهر الهيدرولوجية.

قائمة المراجع:

- ✓ محمد الغاشي، نادية لحلو (2014)، المناهج والطرق الإحصائية لنقد معطيات التساقطات المطرية نموذج حوض أسيف غزاف بالأطلس الكبير الأوسط 1976 – 2012، كلية الأداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، 32 صفحة.
- ✓ مصطفى وادريم (1998)، دراسة جيومورفولوجية لمنطقة تالمست سافلة واد تانسيفت، رسالة السلك الثالث، الرباط، 191 صفحة.
- ✓ مصطفى وادريم (2003)، دراسة جيومورفولوجية لمنطقة شياظمة (شمال مدينة الصويرة)، أطروحة نيل دكتوراه الدولة، كلية الأداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني، 433 صفحة.
- ✓ نادية لحلو (2013)، دراسة هيدرومناخية لحوض أسيف غزاف تحديد وتصنيف أنواع الإمتطاحات الفيضية معالجة إحصائية، بحث نيل شهادة الماستركلية الأداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، 292 صفحة.
- ✓ نادية لحلو، الخصائص المورفومترية للأحوض الجبلية ودورها في السلوك الهيدرولوجي حوض أسيف غزاف بالأطلس الكبير الأوسط، حالة امتطاح الفيضي لسنة 2009، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، 20 صفحة.
- ✓ آمنة بنت أحمد بن محمد علاجي (2010)، تطبيق نظم المعلومات الجغرافية في بناء قاعدة بيانات للخصائص المورفومترية ومدلولاتها الهيدرولوجية في حوض وادي يلميم، بحث لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإجتماعية جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

✓ علي محمد الفيتوري، تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في دراسة مورفومترية وهيدرولوجية لبعض وديان الهضبة الأولي بالجبل الأخضر – شمال شرق ليبيا، قسم الموارد والبيئة كلية الآداب والعلوم المرج جامعة بنغازي، ليبيا.

✓ Aahmed abourida (2007), Approche hydrogéologique de la nappe de haouz (Maroc) par télédétection, isotope, sig et modélisation, thèse de 3eme cycle, université cadi ayyad faculté des science semlalia, Marrakech,197.

✓ Mohammed el mehdi saidi (1995), contribution a l'hydrologie profonde et superficielle du basin du souss (Maroc),climatologie, hydrogéologie crues et bilans hydrologiques en milieu sub-aride, université Paris Srbonne, France.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

الحركة الوطنية بالمغرب الخليفي والانقلاب العسكري الإسباني لسنة 1936

The National Movement in the Khalifi Morocco and the Spanish Military Coup of 1936

نورالدين أحميان
باحث في التاريخ المعاصر
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة الشرق
ahmiane@gmail.com

ملخص

عرف شمال المغرب الخاضع للحماية الاسبانية في صيف عام 1936 انطلاق أحداث الانقلاب العسكري الذي قاده الجنرال "فرانثيسكو فرانكو" (Francisco Franco)، ضد النظام الجمهوري، مما أدى إلى إقحام المغرب والمغاربة في هذا الصراع الإسباني، خاصة بعد إقدام الثوار على تجنيد المغاربة في صفوفها، وفي نفس الوقت عملت الفرانكوية على استمالة الحركة الوطنية عبر منحها بعض الامتيازات مما جعلها تسكت عن هذا الانقلاب الذي اقحم فيه المغرب، أما القواد فقد دخلوا هم الأخرون في صف الداعمين للانقلاب بعدما عملت الفرانكوية على دعم وتقوية حظوتهم في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: المغرب الخليفي، الانقلاب الفرانكوي، الفرانكوية، الحركة الوطنية، القواد.

Abstract

In the summer of 1936, northern Morocco, under Spanish protection, witnessed the outbreak of the military coup led by General Francisco Franco against the republican regime, which led to the involvement of Morocco and Moroccans in this Spanish conflict, especially after the revolutionaries began recruiting Moroccans into their ranks. At the same time, Francoism worked to attract the national movement by granting it some privileges, which made it remain silent about this coup in which Morocco was involved. As for the leaders, they too entered the ranks of those supporting the coup after Francoism worked to support and strengthen their position in society.

Keywords: Morocco the Khalifi, the Francoist coup, Francoism, the national movement, the leaders.

مقدمة

شهدت اسبانيا خلال صيف سنة 1936 أحداث الانقلاب العسكري ضد النظام الجمهوري الحاكم، وقد انطلق هذا الانقلاب من شمال المغرب الخاضع للحماية الإسبانية، مما جعل المنطقة تشارك في هذا الحدث وهي مرغمة، وقد أبدى

قادة الحركة الوطنية ضد هذا الانقلاب ردود فعل متباينة، فحاولوا استغلال هذا الحدث للحصول على امتيازات لصالحهم. وتحديد الحركة الوطنية المغربية من الانقلاب يحتم دراسة موقف الأفراد وليس الجماعة، فلا يمكن الحكم على الحركة الوطنية ككل أنها مناصرة للجنرال "فرانثيسكو فرانكو" (Francisco Franco)، لا لشيء سوى لأن شخصا، أو مجموعة ناصرته، ووقفت في صفه، لكن هذا لا يمنع القول بأن بعض الوطنيين فعلا كانوا من مناصري الفرانكوية.

عقب إعلان الانقلاب بقيادة الجنرال فرانكو، عين على رأس المفوضية السامية بتطوان الكولونيل "خوان بيكبيدير" (Juan Beigbeder Atienza) الخبير في التفاوض والتعامل مع الأهالي، والذي نجح بدرجة كبيرة في كسب المغاربة والحصول على تأييدهم لهذا الانقلاب، عبر منحهم بعض الامتيازات أو التلميح لها، مخافة تمكن الجمهوريين من كسب المغاربة إلى صفهم وتوظيفهم ضد الانقلاب الفرانكوي.

فما موقف زعماء الحركة الوطنية بالمغرب الخليفي من الانقلاب الفرانكوي؟ وما رد فعل القواد والباشوات منه؟

1- سكوت بصيغة الموافقة

عانى الوطنيون المغاربة من مرارة سياسة النظام الجمهوري بالمنطقة، والذي تنكر للوعود التي كان يقدمها[91]، حيث قام التهامي الوزاني في هذا الاطار: "لم تقدم لنا الجمهورية شيئا يمكن الاعتماد عليه حتى نتمسك بالولاء لها، فكل ما فعلته أنها منحت الانتخابات البلدية، ثم سرعان ما اعتدت عليها وحل عليها وحل مقيمها – لوبيث فرير- المجلس المنتخب دون أن يتجدد بديله على شاكلته"[92]. فبعدما علقت الحركة الوطنية بالشمال آمالا واسعة على النظام الجمهوري على اثر انهيار الملكية، وقدمت له عدة ملتمسات، وحررت العديد من العرائض ضد تهاون إدارة الحماية ومماطلتها في تلبية مطامح الأهالي، إلا أن رد الحكومة جاء مخيبا للآمال، مما أغضب الوطنيين المغاربة[93]. وفي ظل هذا الجو المتميز بعدم رضى الوطنيين على سياسة الجمهورين بالمغرب الخليفي جاء الانقلاب العسكري الإسباني ضد الحكومة الجمهورية في صيف سنة 1936.

91- التهامي الوزاني، **المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في شمال المغرب**، تحقيق وتعليق محمد بن عزوز حكيم، مطبعة الساحل، الرباط، 1980، ص. 144.

92- التهامي الوزاني، **الرسالة الوزانية: من سيدي التهامي الوزاني إلى محمد داود**، تقديم وتعليق: حسناء داود، مطبعة شمس برينت، الرباط، 2018، ص. 38

93- عبد العزيز خلوق التمسماني، "أراء في الحركة الوطنية في المغرب الشمالي"، **العلم**، 19 نوفمبر 1988، ع.13989، ص. 9

مباشرة بعد اندلاع الانقلاب الفرانكوي تبنى الوطنيون في الشمال سياسة الحياد، قبل أن يقرروا استغلال هذه الوضعية لصالحهم، فشرعوا في جس نبض طرفي الصراع[94]، بعد أن أدركوا ضرورة استثمار هذه التطورات للحصول على أكبر قدر من الحقوق المدنية، لذلك أبدوا تعاطفا ظاهريا مع الانقلابين[95].وعملت الفرانكوية من جهتها، على كسب الوطنين إلى صفها عبر إطلاق الوعود، وسياسة التسامح والحرية التي أبدتها تجاه الوطنيين، خاصة وأن اتصالات الوفد الوطني بالجمهوريين قد أثارت قلق الجنرال فرانكو، الذي كان همه الأساسي هو إفشال حدوث أي تحالف بين الوطنيين المغاربة والجمهوريين، الذي كان من شأنه أن يقوض جهود الفرانكوية، لذلك كلف المقيم العام بيكبيدير بالاتصال مع قادة الحركة الوطنية، وتقديم الوعود التي يرغبون في سماعها، بالموازاة مع انجاز جملة واسعة من الإصلاحات بالمنطقة، إدراكا لأهمية كسب المغاربة والتحالف معهم[96].

وخلال استقبال الجنرال فرانكو لحجاج موسم 1937 بإشبيلية صرح بقوله: "أنتم خير من يفهم لماذا نخوض هذه الحرب، وعندما ستزهر شجيرات السلام سنمنحكم وردها"[97]، وقد فسر الوطنيون المغاربة هذا التصريح بأن فرانكو سيمنح للمغرب الاستقلال للمنطقة الخليفية بعد نجاح الانقلاب[98]، أما محمد بناني وهو أحد زعماء الحركة الوطنية في الشمال فقد صرح لابن عزوز حكيم، بأن فرانكو لم يقصد بأي شكل منح الاستقلال للمنطقة، ولو بنظام التسيير الذاتي[99].

وخلال مشاركة الوفد الممثل للمنطقة الخليفية في احتفال عيد السلالة بإشبيلية في 12 أكتوبر1936، برئاسة الصدر الأعظم أحمد الغنيمة[100]، وحضور عدد من رجال الحركة الوطنية وعلى رأسهم عبد الخالق الطريس، ومحمد

94- محمد بن عزوز حكيم، "موقف الحركة الوطنية في شمال المغرب من ثورة الجنرال فرانكو ومن تجنيد المغاربة في جيوشه ومشاركتهم في الحرب الأهلية الإسبانية سنة 1936(تابع)". **مجلة الوثائق الوطنية**، ع. 5-6، مارس- يونيو، تطوان، 1990، صص. 39-40

95- خلوق التمسماني، "أراء في الحركة الوطنية، *م.س.*، ص. 9.

96- عبد العزيز السعود، **الاستعمار الإسباني في المغرب: المقاومة المسلحة والنضال الإصلاحي والسياسي الوطني**، منشورات مؤسسة امحمد بن عبود وجمعية تطاوين أسمير، ط.1، مطبعة تطوان، تطوان، 2016، ج. 2، ص. 204

97- العربي المساري، **المغرب خارج سياج الحماية: العلاقات الخارجية للحركة الوطنية**، منشورات عكاظ، الرباط، 2012، ص. 171.

98- نفسه، ص. 171.

99- عزوز حكيم، "موقف الحركة الوطنية بشمال المغرب، *م.س.*، ص.8.

100- عين في منصب الصدر الأعظم بعد وفاة محمد بن عزوز في سنة 1931 ، بعد أن كان من قبل يشغل منصب الكاتب الأول بهذه الوزارة، واستمر على رأس وزارة الصدارة العظمى إلى أن توفي سنة 1945.
محمد داود، **تاريخ تطوان**، مراجعة حسناء داود، منشورات مؤسسة محمد داود للتاريخ والثقافة، دار أبي رقراق، الرباط، 2014، ج. 11، صص . 77- 80

طنانة، وأحمد غيلان، والطيب بنونة، ومحمد بن مصطفى أفيلال[101]، والتهامي الوزاني، وأحمد الرهوني والباشا أشعاش، وخليفة الصدر الأعظم بناحية الريف الحاج عبد القادر بن الطيب الشكري، وغيرهم[102]، وقدموا التهاني للمسؤولين الجدد على النصر الذي حققوه في انقلابهم على الجمهوريين، ردّ على ذلك الجنرال كيبودي يانوبا في راديوا اشبيلية بالثناء على المغاربة واعتبر مشاركتهم في الحرب دينا في عنق حكومة بورغوس وينبغي أن تفي به، كما تحدث فرانكو في خطاب له بنفس الإذاعة عن ضرورة الوفاء بدين المغاربة وترضية سكان المنطقة[103]، وجعلت مثل هذه التصريحات المغاربة يعقدون أمالا واسعة في الحصول على الاستقلال بعد أن يتحقق انتصار العسكريين.

كان وراء التعاون الذي حدث بين الفرانكوية وبعض الوطنيين، الكولونيل "بيكبيدير"، الذي عين على رأس المفوضية الإسبانية بالمنطقة الخليفية في سنة 1936[104]، وسهر على تنفيذ التوجه الجديد للإدارة الإسبانية بالمغرب، إذ عمل على تحقيق تقارب بين الفرانكويين والوطنيين المغاربة، عبر منحهم إرضائات شكلية في بعض الجزئيات، والسماح لهم ببعض الحريات التي من شأنها أن تذر الرماد في العيون، وقد برهن "بيكبيدير" على مهارته في هذه الاستراتيجية، وحاذقا في الإغراء والاستحواذ لصالح السياسة الإسبانية [105]، وهكذا، يبدو أن الوطنيين في الشمال لم يحصلوا إلا على بعض الارضاءات الشكلية فقط، من قبيل إصدار الصحف، والترخيص بتأسيس الأحزاب وإنشاء وزارة الأحباس التي عين على رأسها عبد الخالق الطريس[106].

وظف "بيكبيدير" مختلف الأليات والوسائل للحصول على دعم الوطنيين مثل الإغراءات، والامتيازات، والعطاءات، وشراء الذمم وما دون ذلك[107]، فسعى مباشرة بعد تعينه على الاتصال ببعض رموزهم مثل محمد داود، والتهامي الوزاني، وعبد الخالق الطريس، لكن مفاوضاته مع محمد داود الذي كان أول من اتصل به لم تكلل بالنجاح، إلا أنه نجح في الاتفاق مع الهتامي الوزاني[108].

101- محمد الخطيب، **الحركة الوطنية في شمال المغرب**، مراجعة محمد العربي المساري، محمد معروف الدفالي، منشورات أمل، ط.1، مطابع الرباط نت، الرباط، 2020، ص. 167

102- الوزاني، **الرسالة الوزانية**، م. س.، ص. 47

103- السعود، **الاستعمار الإسباني** ، *م. س.*، ، ج. 2، ص. 124

104- الوزاني، **المقاومة المسلحة والحركة الوطنية**، *م. س.*، ص. 144.

105- محمد حسن الوزاني، **مذكرات حياة وجهاد: التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية**، منشورات مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1982، ج. 4، ص. 242.

106- عزوز حكيم، "موقف الحركة الوطنية في شمال المغرب، *م. س.*، ص. 22.

107- بوهادي بوبكر، **المغرب والحرب الأهلية الإسبانية**، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، السنة الجامعية 2002-2003، ص. 550.

108- أبوبكر بنونة، **وثائق حزب الإصلاح الوطني**، مطابع الشويخ، ط. 1، تطوان، 2007، ج. 1، ص. 19.

وفي إطار السياسة الجديدة التي دشنتها الفرانكوية بالمنطقة الخليفية، سُمح بصدور الصحف، فبعد أن اتصل "بيكبيدير" بمحمد داود من أجل إعادة إصدار جريدة "الأخبار"، مع منحها إعانات مالية، وبطبيعة الحال مقابل موالاتها للفرانكوية، إلا أن محمد داود لم ينصع للأمر، وبعد أن طالبته الإدارة الإسبانية أن يقترح عليها شخص أخر أشار عليهم بـ التهامي الوزاني[109]، الذي نجحت في الحصول على موافقته، إذا كان الوزاني يرى بأن الحرب الاهلية الاسبانية تشكل فرصة بالنسبة للمغاربة من أجل تحقيق بعض المكتسبات لصالحهم، لذا عليهم اغتنام هذه الفرصة[110]، أما زملاؤه في الحركة الوطنية، فقد اعتبروا أن موافقته الإشراف على الجريدة هو موقف شخصي ولا يعبر عن موقف الحركة[111]. وبالنسبة لعبد الخالق الطريس، فكانت الفرانكوية تنظر إليه الشك والتوجس[112]، لمواقفه السابقة المنحازة للجمهوريين[113]، لذلك حاولت إضعاف نفوذه، وتأثيره.

بعد اتفاق التهامي الوزاني مع "بيكبيدير"، صدر أول عدد من "جريدة الريف" يوم 27 غشت 1936، ولضمان استمرارها خصصت لها الادارة الفرانكوية إعانة مالية قدرت بألف بسيطة في الشهر[114]، كما حاول "بيكبيدير" إقناعه بتأسيس حزب سياسي يحظى بالدعم المادي والمعنوي من الإدارة الإسبانية، بهدف إضعاف نفوذ الطريس وتكسير شوكته، تزامنا مع المفاوضات بين الفرانكوية والطريس من أجل السماح له بتأسيس حزب الإصلاح الوطني[115]. سعت الحماية قبل الإذن للطريس بتأسيس حزبه، إلى كسب التهامي الوزاني لتأسيس حزب سياسي يكون منافسا له، نتيجة التخوف من المكانة الاعتبارية التي كان يتمتع بها الطريس، فحاول "بيكبيدير" خلق صراع سياسي بين المكي الناصري والطريس، قصد إحداث شرخ في صفوف قادة الحركة الوطنية وإضعافها[116]، إلا أن الوزاني رد على طلب التعاون مع الإسبان بقوله: "كيف خطر لكم في البال إنني سأتعاون معكم في الوقت الذي يمتنع الطريس عن ذلك"[117]؛ ويبدو من خلال هذا التوجه، أن الحركة الوطنية كانت تشتغل بنوع من الانسجام فيما بينها.

109- حسناء داود، **مراسلات وطنية أخوية: موجهة إلى الأستاذ محمد داود**، ط .1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2016، ص. 202.

110- التهامي الوزاني،" المطالب المغربية"، **جريدة الريف**، 28 فبراير 1939، ع. 175، صص. 1-2
كان الوزاني مقتنعا بأن سياسة التسامح التي نهجتها الفرانكوية هي ظرفية فقط، ويجب على المغاربة استغلال ذلك

111- عزوز حكيم، "موقف الحركة الوطنية في شمال المغرب، م. س.، صص. 52- 54.

112- حسناء محمد داود، **على رأس الثمانين: الجزء المكمل لمذكرات محمد داود "على رأس الأربعين"**، منشورات تطاون أسمير، ط. 1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2011، ص. 193.

113- نفسه، ص. 193

114- الوزاني، **المقاومة المسلحة والحركة الوطنية**، *م. س.*، ص. 142.

115- خلوق التمسماني، "أراء في الحركة الوطنية، *م. س.*، ص.9

116- Abdelmajid Benjelloun, *Le mouvement nationaliste marocain dans l'ex-Maroc khalifien, 1930*-156, Publication El Maârif al Jadida, Rabat , 2011p. 135.

117- ورد في رسالة من رئيس المخابرات بمندوبية الشؤون الأهلية إلى الكاتب العام بإدارة المغرب والمستعمرات برئاسة الحكومة الإسبانية في مدريد. أوردها: التمسماني، "أراء في الحركة الوطنية، *م. س*، ص.9

لم يدم جو المهادنة كثيرا بين الإدارة الفرانكوية والوطنيين المغاربة، فسرعان ما توترت العلاقات بين الطرفين، إثر مضايقات المفوض السامي لنشاط الوطنيين، وكذا عدم قناعة الوطنيين بما حصلوا عليه من تنازلات وإصرارهم على تحقيق مطالبهم كاملة، واضطربت العلاقات بشكل واضح حينما أقدم الطريس على الاستقالة من منصب وزير الأوقاف يوم 27 غشت 1937، وانتقادات الوزاني لجور القواد وقسوتهم على سكان القبائل من خلال مقالاته بجريدة الريف[118].

عموما، اختلفت الكتابات حول تحديد موقف الحركة الوطنية من الانقلاب الفرانكوي، ففي الوقت الذي كتب عبد العزيز خلوق التمسماني بأن زعماء الحركة الوطنية في الشمال، وقفوا موقفا محايدا من تمرد فرانكو، أكدت كتابات أخرى مناصرتهم للفرانكوية، ويأتي في مقدمة هذا التيار الباحثة الإسبانية ماريا روسا، التي اعتبرت أن "الوطنيون المغاربة في مجال الحماية الإسبانية غير ممثلين ضمن لجنة الحركة المغربية، ليس فقط لظروف جغرافية ولكن سياسية أيضا، ذلك أن الوطنيين في مجال الحماية الإسبانية كانوا قد قرروا في ذلك التاريخ التعاون مع فرانكو"[119]، وذكرت أيضا أن كلا من الطريس والمكي الناصري، قد عبروا عن دعمهما لفرانكو، فكان الناصري يرى بأن الوطنيين المغاربة يمكنهم أن يتفقوا مع الوطنية في إسبانيا[120]، بل وصرح في محاضرة له أذيعت على أثير إذاعة تطوان، بأنه يدافع عن إسبانيا التي يقودها فرانكو ويناصرها، لأنها تقوم على العدالة والتفاهم مع الشعب المغربي[121].

وفي الاتجاه نفسه، سار أيضا الأستاذ بوهادي، الذي أشار إلى أن الوطنيين فضلوا "ركوب تجربة التعامل مع السلطات العسكرية واستغلال استعدادها للاقتراب منهم والتفاهم معهم لتحقيق أكبر قدر ممكن من التنازلات، مبدين بذلك انتهازية سياسية تخدم من جهة مصلحة الاستعمار في تلك الظروف ومن جهة أخرى تمكنهم من خدمة مصالحهم الوطنية"[122]. لذا، فإن الحصول على المكاسب السياسية جعل عددا من وطني الشمال يناصرون الفرانكوية.

يظهر أن هناك تضاربا في الكتابات حول موقف زعماء الحركة الوطنية في الشمال من الفرانكوية، أكانوا من مناصريها وعملوا على خدمتها، أم كانوا من معارضيها؟ فإذا كانت المرحلة الأولى اتسمت بسماح "بيكبيدير" لوطني الشمال بتأسيس الأحزاب وإصدار الصحف التي عملت في دائرة نظام الحماية، فإن هذا الوفاق لم يدم طويلا، فوقفت العناصر

118- بوبكر بوهادي، "الحركة الوطنية بشمال المغرب والحرب الأهلية الإسبانية: ملاحظات عامة". ضمن **تطوان في عهد الحماية**، مجموعة البحث في التاريخ المغربي والأندلسي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، 1992، ص. 45.

119- دي ماداريا غا مارية روسا، **مغاربة في خدمة فرانكو**، ترجمة كنزة الغالي، تقديم محمد العربي المساري، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006، ط. 1.، ص. 282.

120- دي ماداريا غا، **مغاربة في خدمة فرانكو**، *م.س.*، ص. 159.

121- بوهادي، **المغرب والحرب الأهلية**، *م.س.*، ص.567.

122- نفسه، ص. 556.

الوطنية بعدها موقفا محايدا من التمرد الفرانكوي[123]، كما أن التحالف الذي بدا بين الحركة الوطنية والفرانكوية لم يكن سوى تكتيك واستراتيجية ظرفية احتاج إليه الجانبان معا كل واحد لخدمة وتحقيق أهداف ومطامح معينة.

2- عبد الخالق الطريس بين الرفض والتحفظ

أقدم عبد الخالق الطريس على تحذير الجمهوريين في سنة 1934 من خطر حدوث الانقلاب بسبب تحركات جيش الأفريقانيين وفي نوفمبر 1935 شارك في مؤتمر "إسبانيا والعالم الإسلامي" بمدريد، صرح خلاله بارتياحه للنظام الجمهوري وجو الحرية الذي تمنحه إسبانيا في المغرب، وأثنى على السلطات الإسبانية بالمغرب، كما عبر عن عدم ثقته في جميع الدول الأوربية باستثناء إسبانيا[124]، كما كان يرى بأن تعاون إسبانيا مع المغاربة سيمكن من تحقيق اتحاد روحي، وثقافي، واقتصادي، بين الشعب المغربي ونظيره الإسباني[125].

وفي فبراير سنة 1936 توجه إلى مدريد إثر وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم، لإشعارها بخطر العسكريين، ومخططاتهم الهادفة إلى إحداث انقلاب ضد النظام الجمهوري انطلاقا من المغرب الخليفي[126]، معربا عن عدم رغبته في سقوط النظام الجمهوري، فعمل على تنبيه الجمهوريين إلى الأخطاء التي تعتري سياستهم في المغرب، بسبب احتفاظهم بالعناصر المناهضة للجمهورية في مناصب الحكم[127]،أكد على أهمية علاقة إسبانيا بالعالم الإسلامي، والدور الذي يمكن أن تقوم به الجمهورية الإسبانية في التقارب بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، حيث يمكن أن تشكل المنطقة الخليفية حلقة وصل في التقارب بين الشعبين المغربي والإسباني[128]، وقد أكدت أحداث يوليوز 1936 تخوفات الطريس ومدى مصداقية تنبيهه للجمهوريين.

بسبب المواقف التي أبداها عبد الخالق الطريس، قام الفرانكويون بفرض الإقامة الجبرية عليه[129]، ورفضوا إسناده الإشراف على "جريدة الريف" التي منحت للوزاني كما أشرنا إلى ذلك سلفا. فقد اتهمت الفرانكوية الطريس بالتعاون مع الجمهوريين، وهو ما دفعه إلى بعث مذكرة إلى بيكبيدير في فاتح غشت 1936 معنونة بـ"موقف الجمهورية الإسبانية إزاء

123- خلوق التمسماني، "أراء في الحركة الوطنية، *م. س.*، ص.9.

124- بالنسبة لفرنسا لم يكن الطريس وخطابه يشكل أي خطر عليها خلال هذه المرحلة، ولم تمنح أي أهمية لخطاباته لكونها اراء شخصية لا تمثل المغاربة.

A.N.F., Rapport de M. Jean Herbette, Ambassadeur de la république Française en Espagne à son excellence monsieur Pierre Laval, président du conseil, ministre des Affaires étrangères. Madrid, le 25 novembre 1935. F / 60/707

125- *Ibid*.

126- عزوز حكيم، "موقف الحركة الوطنية بشمال المغرب، م. س.، صص. 30-31.

127- عزوز حكيم، "موقف الحركة الوطنية في شمال، م. س.، ع. 3- 4، ص. 31.

128- دي مادارياغا، **مغاربة في خدمة فرانكو**، *م. س.*، ص. 152

129- بوهادي، **المغرب والحرب الأهلية**، *م. س.*، ص. 548.

حركتنا"، وهي عبارة عن جملة من الاتهامات المقدمة ضد الجمهورية وسلوكها مع الوطنين المغاربة[130]، ويبدو أن هذه المذكرة كانت مجرد مناورة من الطريس، أو أنه أراد اللعب على الحبلين، جهة الفرانكويين من جهة وجهة الجمهوريين من جهة ثانية، إذ حافظ على اتصالات مستمرة معهم، ففي سنة 1937 دخل في علاقات مع الحزب الاشتراكي الفرنسي (LA SFIO) بفاس، عن طريق الرسائل التي كانت ترسل مع زوار موسم مولاي عبد السلام بن مشيش، ويحتمل أن تكون هذه الرسائل موجهة من قبل القادة السياسيين الإسبان من اليسار الذين يتوفرون على روابط متميزة مع الأحزاب اليسارية الفرنسية[131]. كما كتب الطريس مقالا بجريدة "الحرية" جاء فيه أن فرانكو لم يَفِ بوعده بعدما صرح لوفد حجاج 1937 أن حينما تزهر شجيرات ورود السلام، فإن أجملها سيمنح للشعب المغربي، بينما فهم الوطنيون من ذلك أنه سيمنح لهم الاستقلال[132].

موقف الطريس القائم على المناورة بين طرفي الصراع والاتصال بكليهما كان وراءه إرشادات الأمير شكيب أرسلان، الذي كتب إليه في 16 نوفمبر 1936 رسالة ورد فيها: "أنا راض عن السياسة التي تنهجونها تجاه إسبانيا، وإن نهجتم عكس ذلك، سيثير الأمر لكم مشاكل كثيرة [...] إن حكومة مدريد لن تخرج على أغلب الظن منتصرة من هذه الحرب [...]والمسلمون لا يودون أن تنتصر حكومة مدريد[...] ولا أحد يجهل أن الحكومة الشيوعية تدعم الفوضى، وإذا كانت الجمهورية هي الأقوى فإن أفكارها الخبيثة توشك أن تنتشر في منطقة الشمال، ولم تعمل الجمهورية شيئا لمنطقة الشمال"[133]. يستنتج أن موقف الطريس هذا كان وراءه عاملين أساسيين، الأول يتمثل في ضعف قوة الجمهوريين واستحالة انتصارهم على العسكريين، مما دفعه إلى عدم معارضة الفرانكويين حتى لا يتعرض لأي محاسبة بعد حسم الحرب الأهلية لصالحهم، بمعنى الميل إلى الطرف الأقوى، أما العامل الثاني فهو العداء الذي يكنه المغاربة للجمهوريين، باعتبارهم لم يقدموا أي شيء يذكر لصالح المنطقة الخليفية.

وافق الطريس على التعاون مع انتفاضة الفرانكويين التي توقع منها تنازلات تتجاوز الأمور السياسية، مقابل عدم سياسة الفرانكويين بالمنطقة[134]، ويتضح انفتاح الطريس على الفرانكويين من خلال انخراط حزبه (حزب الاصلاح) في الدعاية لصالح الانقلابين، رغم ظهور مؤشرات سلبية حول مدى التزام العسكرين بالوعود التي قدمت من قبل الفرانكويين

130- السعود، **الاستعمار الإسباني**، *م.س.*، ج. 2، ص. 207. للمزيد من التفاصيل حول هذه المذكرة أنظر ص. 207

131- Benjelloun, Problematique des contacts entre torres et republicais, p. 118

132- عزوز حكيم، "موقف الحركة الوطنية بشمال المغرب، م. س.، ص.28.

133- جان وولف، **ملحمة عبد الخالق الطريس: حقيقة الحماية الفرنسية الإسبانية بالمغرب**، ترجمة محمد الشريف، منشورات جمعية تطاون أسمير، ط. 1، مطبعة ألطوبريس، طنجة، 2003، ص. 193

134 - Jorge Villanueva FARPON, «El islam popular a través de la óptica colonial: la ṭarīqa Darqāwiyya y el protectorado de España en Marruecos». *Revista siwo*, Vol. 11, N 1, 2018, p. 165

للمغاربة، إلا أن الأمل ظل قائما حول وفاء فرانكو بالتزاماته[135]، فكانت البداية باستقالة الطريس من وزارة الأحباس التي كان قد عين على رأسها، بسبب تحكم إسبانيا فيها وعدم استقلاليتها[136].

لم تسمح الإدارة الفرانكوية لعبد الخالق الطريس بإنشاء حزبه في غشت 1936[137]، إلا بعد أن استطاعت اقناع المكي الناصري بإنشاء حزب الوحدة المغربية، حيث منح له الانقلابيون بناية اتخذها مقرا لحزبه، بالإضافة إلى مقرات فرعية في باقي المدن، هذا الى جانب تمكينه بمساعدات مالية ومادية[138].

3- تباين مو اقف القواد من الانقلاب

مباشرة بعد اعلان الانقلاب، تهافت عدد من القواد والباشوات على اظهار الدعم والمساندة للسلطات العسكرية، والتقرب إليها، للحفاظ على امتيازاتهم[139]، ولا يعني انسياق القواد والباشوات وراء العسكريين أنهم لم يكن بمقدورهم رفض ذلك، وهذا الموقف الذي أبداه القواد لم يكن جديد عليهم، فقد سبق وأداروا ظهرهم للمغاربة خلال مرحلة المقاومة المسلحة حينما فضلوا التحالف مع الإسبان ضد أبناء جلدتهم[140].

ومن أبرز القواد الذين ناصروا الانقلاب الفرانكوي نجد باشا العرائش خالد الريسوني، الذي صرح في إحدى خطبه بما يلي: "مسلمون وإسبان نقاتل كلنا من أجل قضية واحدة في سبيل الله ومن أجل إحلال السلام والأمن والاستقرار والثقافة والحضارة. إسبانيا والمغرب متحدان كرجل واحد من أجل القتال حتى الانتصار، [...] إن الفلانخي الإسبانية لا تسعى للانتصار فحسب، بل إلى إرساء دعائم إسبانيا العريقة القوية التي تربطها بالمغرب علاقة وطيدة عبر مر العصور[...] عاشت إسبانيا، عاش الجنرال فرانكو، عاش السلطان مولاي الحسن، ودام المجد لإسبانيا"[141].

وبالريف الأوسط عُدّ سليمان الخطابي من أبرز مساندي فرانكو، حيث أقدم في نهاية يونيو 1936 على بعث رسالة إلى قائد الانقلاب تضمنت العبارات التالية: من أجل مجد الله للقوة، هذه القوة التي تكمن في البطل المجيد الجنرال فرانكو، نريد أن نساعد جيشكم بشعبنا وأطفالنا وإخواننا ومزارعنا لجعل إسبانيا تعود إلى ما كانت عليه، نحن معكم

135- محمد الصمدي، **الحركة الوطنية بالقصر الكبير1930-1956: جدلية المحلي والوطني**، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط.1، دار أبي رقراق، الرباط، 2017، ص. 148.

136- الوزاني، **مذكرات حياة وجهاد**، م.س.، ج.4، ص. 183.

137- José Miguel CAMPO RIZO, «El factor Marruecos en la guera civil española,una propuesta de investigacion». ***Hesperis Tamuda,*** N. 36,1998, p.223.

138- بوهادي، **المغرب والحرب الأهلية**، م.س.، هامش 154، ص.567.

139- نفسه، صص. 530-531

140- السعود، **الاستعمار الإسباني**، م.س.، ج. 1، ص. 128.

141 - دي ماداریاغا، **مغاربة في خدمة فرانكو**، م.س.، صص. 162-163

للقضاء على الاستبداد، لأن الله يساعد العبد مادامت مساعدة العبد لإخوانه مستمرة[142]، هكذا جعل سليمان الخطابي من مساعدة فرانكو واجبا شرعيا يستدعي التضحية بكل ما يملك في سبيل تحقيق نصرته، وبالإضافة إلى كل من الريسوني والخطابي نجد مجموعة أخرى من القواد الذين ساروا على دربهما، ففي الريف الشرقي كان نائب الصدر الأعظم عبد القادر بن الحاج الطيب ومحمد عمار أوشن على رأس القواد المناصرين للفرانكوية، أما في الناحية الغربية فكان الباشا محمد الملالي الرميقي أبرز دعاة مناصرة الانقلاب[143].

وما يجب الانتباه إليه، هو عدم تعميم انحياز القواد والباشوات إلى صفوف العسكريين ودعم انقلابهم عن النظام الجمهوري، صحيح أن الأغلبية دخلت في صف العسكريين، لكن يمكن رصد بعض الاستثناءات لقواد رفضوا وعارضوا هذا الانقلاب، ولعل من أبرزهم القائد إدريس الريفي باشا مدينة تطوان خلال المرحلة الجمهورية، الذي فر بعد اندلاع الانقلاب إلى المنطقة الفرنسية، حيث قام من هناك إلى جانب بعض القيادات الأخرى مثل القائد حدو الخطابي، ومحمد أزرقان، بحملة ضد المتمردين، لتأليب وإثارة القبائل ضد فرانكو[144].

وقد عارض محمد بن عبد الكريم الخطابي بدوره فرانكو، وانتقد دعم المغاربة لهذا الانقلاب، في رسالة له إلى التدلاوي معلقا على مساندة المغاربة لفرانكو ودعم ثورته بقوله: "ولا نزال نراهم (المغاربة) ينخدعون لحزب الغلمان السفهاء الجبناء من الفتيات باللحى ولا زالوا يعطون الأهمية للإصبنيول العريان الجائع الخائف الأحمق الطايش، وكفى الإسبان حمقا أنه خضع لذلك الأرعن الغدار فرانكتو[145] وكفا الإسباني حمقا وطيشا وجبنا أنه يلتمس القوة والبقاء في البلاد المراكشية من علال الفاسق وجماعته الجبناء"[146]. هاجم الخطابي فرانكو والمغاربة الداعمين له، وعلى رأسهم زعيم الحركة الوطنية علال الفاسي، الذي اتصل في بداية الانقلاب بالجمهوريين للعمل على إفشال ثورة العسكريين، لكن رفض الحكومة الجمهورية التوقيع على اتفاقية برشلونة، جعل الحركة الوطنية تدعم الفرانكويين، كما انتقد كذلك أولاد بنونة بتطوان الذين رأى بأنهم ليست لهم أي قيمة في المنطقة بالنسبة للدفاع عن الوطن[147].

142- Jose luis DE MESA, *Los moros de la guerra civil española*. Editorial ACTAS, Madrid, 2004, pp. 39-40

143- للمزيد من المعطيات حول هؤلاء القواد الذين ساندوا الانقلاب الفرانكوي في الريف الأوسط وفي المنطقة الغربية والشرقية، ينظر: DE MESA, *Los moros de la guerra civil española*, *op. cit.*, pp. 39-40

144- بوهادي، **المغرب والحرب الأهلية**، م.س.، صص. 531-532

145- يقصد به الجنرال فرانكو، وكان الخطابي يلقبه بـ: "فرانكتو" بصيغة التصغير، كما كان ينعته بـ: " الخنزير فرانكو".

أحمد السليماني، عثمان المنصوري، عبد الرحمن زكري، **الهيئة الريفية**، منشورات مركز محمد بنسعيد أيت إيدر للأبحاث والدراسات، مطبعة أوميكا كرافيك، 2018، ص. 28

146- نفسه، ص. 33

147- نفسه، ص. 28

خاتمة

أثار الانقلاب الفرانكوي ردود فعل متباينة سواء من قبل زعماء الحركة الوطنية أو من قبل القواد والباشوات، فإذا كان بعض رواد الحركة الوطنية قد ناصرو الانقلاب مقابل الحصول على بعض الامتيازات التي عملت الفرانكوية على تقديمها لهم، أو في بعض الأحيان التلميح بتقديمها لهم، مثل الترخيص بإصدار الصحف وإنشاء الأحزاب، التي شكلت بالنسبة للإدارة الفرانكوية تنازلات صغيرة بالنسبة لها. وفي المقابل، نجد اتجاه ثاني مثله عبد الخالق الطريس الذي تأرجح موقفه بين النظام الجمهوري والانقلاب العسكري، على الرغم من جهوده في البداية إلى تنبيه الجمهورين إلى خطورة العسكريين وسعيهم إلى الانقلاب على الجمهوريين.

وبالنسبة للقواد والباشوات، كان همهم الأساسي هو الحفاظ على مناصبهم وامتيازاتهم التي تمثل أساس قوتهم في القبائل وبين الأهالي، مما جعلهم يتهافتون على كسب رضى وعطف العسكريين عليهم. وبعد تحول الانقلاب إلى حرب أهلية امتدت من سنة 1936 الى غاية سنة 1939 عملت الادارة الفرانكوية على تجنيد المغاربة لحاجتها إلى المجندين المغاربة، مما يدفعنا للتساؤل عن: موقف المغاربة من تجنيد الأهالي في الحرب الأهلية الإسبانية ؟

ببليوغرافيا

- بن عزوز حكيم محمد، "موقف الحركة الوطنية في شمال المغرب من ثورة الجنرال فرانكو ومن تجنيد المغاربة في جيوشه ومشاركتهم في الحرب الأهلية الإسبانية سنة 1936(تابع)". **مجلة الوثائق الوطنية**، ع. 5-6، مارس- يونيو، تطوان، 1990، صص. 05 – 83.
- بوبكر بوهادي، "الحركة الوطنية بشمال المغرب والحرب الأهلية الإسبانية: ملاحظات عامة". ضمن **تطوان في عهد الحماية**، مجموعة البحث في التاريخ المغربي والأندلسي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، 1992، صص. 42-48
- بوهادي بوبكر، **المغرب والحرب الأهلية الإسبانية**، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، السنة الجامعية 2002-2003.
- جان وولف، **ملحمة عبد الخالق الطريس: حقيقة الحماية الفرنسية الإسبانية بالمغرب**، ترجمة محمد الشريف، منشورات جمعية تطاون أسمير، ط. 1، مطبعة ألطوبريس، طنجة، 2003.
- حسناء داود، **مراسلات وطنية أخوية: موجهة إلى الأستاذ محمد داود**، ط .1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2016.
- الخطيب محمد، **الحركة الوطنية في شمال المغرب**، مراجعة محمد العربي المساري، محمد معروف الدفالي، منشورات أمل، ط.1، مطابع الرباط نت، الرباط، 2020.
- خلوق التمسماني عبد العزيز، "أراء في الحركة الوطنية في المغرب الشمالي"، **العلم**، 19 نوفمبر 1988، ع.13989، ص. 9.
- داود حسناء، **على رأس الثمانين: الجزء المكمل لمذكرات محمد داود "على رأس الأربعين"**، منشورات تطاون أسمير، ط. 1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2011.

- داود محمد، **تاريخ تطوان**، مراجعة حسناء داود، منشورات مؤسسة محمد داود للتاريخ والثقافة، دار أبي رقراق، الرباط، 2014، ج. 11.
- دي مادارياغا مارية روسا، **مغاربة في خدمة فرانكو**، ترجمة كنزة الغالي، تقديم محمد العربي المساري، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006، ط. 1.
- السعود عبد العزيز، **الاستعمار الإسباني في المغرب: المقاومة المسلحة والنضال الإصلاحي والسياسي الوطني**، منشورات مؤسسة امحمد بن عبود وجمعية تطاوين أسمير، ط.1، مطبعة تطوان، تطوان، 2016، ج. 2.
- السليماني أحمد، المنصوري عثمان، زكري عبد الرحمن، **الهيئة الريفية**. منشورات مركز محمد بنسعيد أيت إيدر للأبحاث والدراسات، مطبعة أوميكا كرافيك، 2018،
- المساري العربي، **المغرب خارج سياج الحماية: العلاقات الخارجية للحركة الوطنية**، منشورات عكاظ، الرباط، 2012.
- الوزاني التهامي، **الرسالة الوزانية: من سيدي التهامي الوزاني إلى محمد داود**، تقديم وتعليق: حسناء داود، مطبعة شمس برينت، الرباط، 2018.
- الوزاني التهامي، **المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في شمال المغرب**، تحقيق وتعليق محمد بن عزوز حكيم، مطبعة الساحل، الرباط، 1980.
- الوزاني التهامي،" المطالب المغربية". **جريدة الريف**، 28 فبراير 1939، ع. 175، صص. 1-2
- الوزاني محمد حسن، **مذكرات حياة وجهاد: التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية**، منشورات مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1982، ج. 4.

- **A.N.F.,** Rapport de M. Jean Herbette, Ambassadeur de la république Française en Espagne à son excellence monsieur Pierre Laval, président du conseil, ministre des Affaires étrangères. Madrid, le 25 novembre 1935. F / 60/707
- FARPON Jorge Villanueva, «El islam popular a través de la óptica colonial: la ṭarīqa Darqāwiyya y el protectorado de España en Marruecos». *Revista siwo*, Volumen 11, N. 1, 2018, pp .133 – 174
- CAMPO RIZO josé Miguel, «El factor Marruecos en la guera civil española, una propuesta de investigacion». *Hesperis Tamuda***,** N 36,1998, pp .205- 242.
- MESA Jose luis de, *Los moros de la guerra civil española*. Editorial ACTAS, Madrid, 2004.
- Benjelloun Abdelmajid, *Le mouvement nationaliste marocain dans l'ex-Maroc khalifien, 1930*-156, Publication El Maârif al Jadida, Rabat , 2011.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

المجال والهجرة
من الاستقرار الاجتماعي نحو النزوح الجماعي
دراسة سوسيولوجية لواحة زيز الأسفل

Territory and Migration: From Social Stability to Mass Displacement
A Sociological Study of the Lower Ziz Oasis.

خريصي عبد الحكيم
باحث في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا/ المغرب

ملخص

إذا كان حقل الهجرة في الواحة ظاهرة معقدة ومركبة يصعب الحد من انسيابها فإنها اليوم تطرح قضايا اجتماعية واقتصادية وسياسية بأبعاد متعددة، سواء تعلق الأمر بمجال النزوح (الطرد) أو بمجال الاستقبال (الجذب).

وتعد التغيرات المناخية والبيئية في المجال المحلي من الإشكالات المهددة لاستمرار البنيات الاجتماعية لما لها من انعكاس على نمط الحياة السوسيو اقتصادية.

وستركز هذه المقالة على الدوافع الكامنة وراء طرد البنيات الاجتماعية بتافيلالت من المجال الأصل إلى مجال آخر، وعن العلاقة التي تربط الانسان بمجاله وجعلته يكافح كل التحديات والاكراهات من أجل الحفاظ على البقاء والاستمرار.

الكلمات المفاتيح: - المجال الواحي_ القصر– الهجرة -التغيرات المناخية- البنيات الاجتماعية.

Abstract

If migration in oases is a complex and multifaceted phenomenon that is difficult to control, it raises pressing social, economic, and political issues today. These challenges affect both areas of emigration (push factors) and immigration (pull factors). Climate and environmental changes in local settings threaten the sustainability of social structures due to their impact on socio-economic lifestyles. This article focuses on the factors driving the displacement of social structures in Tafilalt from their original environment to new areas. It also examines the human-environment relationship, highlighting the struggle to overcome challenges and ensure survival and continuity.

Keywords: Oases, ksar, migration, climate change, social structures.

تقديـم

تعد دراسة الهجرة في مجال واحة زيز الأسفل التي تشبه العالم القروي وتختلف عنه في نفس الوقت من الانشغالات الأساسية في تاريخ الفكر الاجتماعي، فالمجال الوحي هو مختبر حقيقي ومفتوح على الدراسات الاجتماعية والتاريخية والجغرافية والعلوم الطبيعية، وقد زادت أهمية هذه الدراسة بانفتاح علم الاجتماع على علوم وتخصصات أخرى لها علاقة بالمجال والإنسان، ساعدت في تشخيص حالة الاختلالات الاجتماعية والمجالية، والعلاقات بين المجال وبنياته الاجتماعية، خاصة علم الاجتماع، ولعل مجال واحة زيز الأسفل عرفت في السنين الأخيرة تحولات على مستوى البنيات الاجتماعية أفرزتها الهجرة، من جانبين أساسين الأول من حيث هجرة العديد من أهل الواحة إلى مجالات أخرى بحثا عن

الرزق وعن القوت اليومي وكان سبب ذلك عوامل عدة متداخلة منها البشري في الطبيعي، في حين الجانب الآخر: يوحي على أن الهجرة المحلية ساهمت في الانفتاح على مجالات أخرى بثقافات وعادات وتقاليد متعددة ومتنوعة.

وتتجلى أهمية هذه الدراسة في إعادة النظر في طبيعة مجال واحة زيز الأسفل، لأن أغلب الدراسات كانت تتمحور حول التاريخ والجغرافيا، وإغفال الدراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا التي نحن في حاجة ماسة لها لفهم وقراءة بنيات المجتمع الواحي بكل مجالاته، هذا المجال (المجال المنسي) هو ما جعلنا نقوم في هذه الدراسة بإعادة رد الاعتبار له الذي كان بالأمس القريب مجالا خصبا ومجالا للانفتاح، لكن اليوم بفعل مجموعة من العوامل كالتغيرات المناخية والجفاف الذي اكتساح أغلب أراضي ساكنة الواحة هو ما جعل السكان يرحلون، ومن هنا لا يمكن اعتبار التغيرات المناخية وانعكاساتها على شتى المجالات هي السبب في الهجرة بل هناك عوامل أخرى ذات طابع اجتماعي لا مرئية تساهم في ذلك.

ومن الأهداف التي نسعى من خلالها في هذه الدراسة هو التعرف على مجال الواحة، كمرحلة أولى، والتعرف على أهم الأسباب والدوافع الكامنة التي كانت وراء الهجرة، وهي لماذا هاجروا الناس الواحة وتركوا وراءهم كل آمالهم وعاداتهم وتقاليدهم وحتى حبهم وحنينهم لبلادهم؟، علاوة على ذلك كون المجال معزولا في الجنوب الشرقي ويصعب على من لا يقطن فيه التكيف والاستمرار في مغرب عميق (اسمه واحة زيز الأسفل)، التي تتميز بمناخ قاري بارد وجاف شتاء وحار وجاف صيفا، هذا المناخ بالفعل سيؤثر على البنيات الاجتماعية كيفما كانت مما يزيد من حدة الهجرة. ولا سيما أن المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي الذي يتلاءم مع التقنية الكيفية التي تروم لوصف الظاهرة الاجتماعية وتحليلها من كل زوايا النظر خصوصا أننا اليوم أمام ظاهرة مركبة يصعب التحكم فيها أو الحد من انسيابها (ظاهرة الهجرة).

ومن هنا فإشكالية هذه الدراسة؛ كيف انعكست التغيرات المناخية في هجرة البنيات الاجتماعية بواحة زيز الأسفل؟

وتتفرع هذه الاشكالية إلى مجموعة من التساؤلات: ما الواحة؟ وما الهجرة؟ وما العلاقة بين المجال والبنيات الاجتماعية ؟ وكيف أثرت التغيرات المناخية والبيئية في مجتمع الواحة؟ ولماذا هاجر الناس الواحة؟ ولماذا يعتبر المجال الواحي طارد لساكنته؟ كل هذه الاسئلة تستدعي الإجابة في ما هو آت من هذا البحث. لعلنا نجد حلا لهذه الإشكالية المرتبطة بالهجرة الواحية التي أصبحت تتفاقم يوما بعد يوم.

أولا: الاجراءات المنهجية والنظرية

1_ الإجراء المنهجي

يؤدي اختلاف مواضيع الدراسات الاجتماعية إلى اختلاف المناهج والأدوات الموظفة في البحث، حيث إن الباحث هو الذي يختار المنهج الملائم والمتوازن لطبيعة الموضوع كون طبيعة الموضوع هي التي تحدد طبيعة المنهج، وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يحاول وصف طبيعة الظاهرة موضوع البحث ثم تحليل بنياتها وبيان العلاقة بين مكوناتها، كما أنه منهج علمي يمكن من الكشف عن خبايا العناصر المرتبطة بالإشكالية. وموضوع الهجرة الواحية يستدعي عملية الوصف والتحليل (التحليل الموضوعاتي).

إن هذا التحليل بالفعل يعتمد على المقاربة الكيفية لمقاربة الموضوع من زويا نظر مختلفة و بالأخص المقاربة الاجتماعية التي تعد موضوع اهتمامنا لأنها تسمح لنا بالاعتماد على تقنية المقابلة كونها الأنسب لموضوع الدراسة قيد الاهتمام، أي الاعتماد على مجموعة من المشاركين في البحث(سواء المستقرين في المجال أو الذين هاجروا مع أسرهم)،

إما داخل مجالات الوطن أو خارجه، علاوة على ذلك معرفة تمثلاتهم حول ظاهرة الهجرة والدور الذي تلعبه داخل المجال الاجتماعي والاقتصادي لتنمية مجال الواحة اليوم.

إن المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج التاريخي والمنهج الوصفي الذي يقوم على التقنية الكيفية التي تروم لوصف الظاهرة الاجتماعية وتحليلها من كل زوايا النظر.

2_ الإجراء النظري للدراسة

تلعب الهجرة اليوم دورا فعالا في الحياة الاجتماعية لما لها من انعكاس على المجتمع بكل بنياته وذلك ما يتضح من خلال تحسين الوضع الاجتماعي(أي الانتقال من نمط مستوى العيش (الفقر) إلى مستوى الترقي والغنى، فالهجرة بصفة عامة أسهمت ومازالت تساهم في تنمية المجال على الرغم من الإكراهات والضغوطات التي يعانيها مجال الواحة بكل بنياته السوسيو اقتصادية، هذا المجال طرد العديد من الناس بحثا عن قوة يومهم في جل أقطاب العالم، فمجال الواحة ساهم من ناحية في طرد السكان ومن ناحية أخرى قام بجذب ذلك، إذن فالمجال من حيث المكان يبقى ثابت لكن البنيات الاجتماعية بداخله في حراكية وديناميةلا تتوقف.

وتعد مقاربات ظاهرة الهجرة من انشغالات المفكرين والباحثين في كل بقاع العالم نظر للأدوار المختلفة التي تقوم بها في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والحديث عن ظاهرة الهجرة نجد تلك التي أتت مع مدرسة شيكاغو، هذه الأخيرة التي تعد لحظة معرفية فارقة في تاريخ الفكر السوسيولوجي لما حملته من جدة من حيث الموضوعات والمنهج، بخصوص ظاهرة الهجرة سواء الداخلية أو الخارجية. حيث إن ما يميز الدراسة الامبريقية بمدرسة شيغاغو أنها مكنت روادها من بناء نماذج نظرية تفيد في تفكيك الظاهرة مقصد الاهتمام، وفي هذا الصدد سنكتفي باستحضار الدراسة الهامة التي قام بها كل من وليام اسحاق طوماس بمعية صديقه فلوريان زنانيكي، وهي الدراسة المعنونة (ب):"الفلاح البولوني" كما يتم استحضار المقاربة الايكولوجية مع "روبيرت بارك"، وفي العمل الهام الذي قام به كل من "طوماس وزنانيكي" الذين عمل على رصد وضعية المهاجرين البولونين في موطنهم الأصل ثم وضعيتهم في بلد الوفود، الولايات المتحدة الأمريكية لمحاولة استجلاء ما طرأ من تغير في نمط عيش هؤلاء المهاجرين بعد الهجرة. ومن هنا سوف نستعرض المقاربة الاثنوغرافيا والمقاربة الايكولوجيا للهجرة.

أ- المقاربة الاتنوغر افيا للهجرة" وليام اسحاق طوماس"، "وفلوريان زناينكي"

إن تعريف "**الوضعية**" حسب طوماس وزنانيكي تتخذ عدة أبعاد وتنطلق دوما من القيم (أي الشروط الموضوعية للفعل) والمواقف والاستعدادات الفردية «إن تعريف "الوضعية" (Tomas & Florian., 2000, p. 95.96.; Espace_réservé1) يعني: التصور الواضح إلى حد ما لشروط ودرجة الوعي بالمواقف. لأن تعريف الوضعية شرط مسبق لكل قرار إرادي، ذلك أنه في ظل شروط معينة وبحسب طيف مواقف معينة هناك عدة اختيارات ممكنة للفعل، لا يمكن الحسم فيها إلا بعد استعراضها وتأويلها والمقارنة بينها، والفعل المفضل لا يتحقق إلا بعد التوصل إلى ضرب من الترتيب النسقي للمواقف، بحيث يمكن لواحد منها أن يهيمن على الأخرى".

إن هذا التعريف لا يقوم على أساس إدراك الفرد لمحيطه وتحليله وفقا لمعارفه وتجاربه السابقة وكذلك من خلال القيم والثقافة كل هذا يوفر له معطيات تساعده في تأويل الوضع والتصرف وفقا بهذا التأويل والتحليل.

التنظيم: (عبد الرحمان، 2016، صفحة 110): يحيل على مجموعة من التوافقات والقيم المشتركة التي تتمتع بأولوية مقابل المصالح الفردية، وفي حالة المجتمع البولوني فإن التنظيم يحضر من خلال التوافق الذي يشهده جراء الانسجام الذي يتجلى في تضامن جماعي وسيادة الرأي العام المحلي للأفراد.

سوء التنظيم: «هو ضعف وتراجع تأثير القواعد الاجتماعية السائدة بين أفراد الجماعة (Tomas & Florian., 2000, p. 98.99). لقد ربطه ويليام إسحاق طوماس، بوضعيتين، وضعية المجتمع الأصلي للمهاجر، حيث إن التغيرات القيمية تتمثل في كون الأفراد بدؤو يعرفون وضعياتهم من خلال معايير اقتصادية وفكرية، فيصبح النجاح الفردي وإعطاء القيمة للنقد هو المحدد للاعتراف الاجتماعي، بدلا من الالتزام بالمعايير الاجتماعية التقليدية، ويتكرس هذا الوضع عند مجتمع الوفود الذي فيه المهاجر يعيش على واقع تفكك أسري وظهور أنماط جديدة من الاستهلاك، علاوة على انهيار قيم التضامن الاجتماعي، وهذا ما ينعكس سلبا على وضع المهاجر. حيث سيادة التفقير والانحراف والاجرام.

إعادة التنظيم: إن حالة سوء التنظيم ليست حالة دائمة، بل هي مؤقتة وذلك كون المجموعة المهاجرة تسعى جاهدة إلى تنظيم نفسها، من خلال قيم جديدة وبالخصوص القيم الدينية التي تبقى أقل عرضة للتغير، ولإذكاء الانصهار يبقى مدخل التربية والتعليم مدخلا مهما بحيث اعتماد المؤسسات المختلطة التي يسميها وليام طوماس مجتمع بولوني أمريكي الذي يسهل لانصهار الفرد الجديد. ليبقى الانصهار النهائي مرتبط بسيرورة سيكولوجية، حيث يتم إعطاء الأهمية لنفس الأشياء من طرف البولوني كالأمريكي، فيصبح عندها عضوا عند جماعته الجديدة.

ب- المقاربة الايكولوجيا للهجرة" روبرت بارك"

إن بارك من خلال مقاربته الإيكولوجية، وفي تناوله لموضوع الهجرة من خلال اعتماده على مفهومين أساسين ينتميان في الأصل لحقل الإيكولوجيا، وسيعتبر "بارك"" الهجرة الإنسانية طبيعية كما هي هجرة النباتات والحيوانات، وفي هذا الإطار سيسعى للبحث عن مفاهيم أيكولوجية للتأكيد على أن ظاهرة الهجرات الإنسانية قابلة للدراسة العلمية، وكان من بين تلك المفاهيم مفهومان أساسيان هما مفهوم الخلافة أو " الاستحلاف"،"succeession"، ومفهوم "التوازن" ،"équilibre".

إن مفهوم الاستحلاف قد استعمل بهدف إيجاد الأساس النظري لدراسات الهجرات الإنسانية "فماهي الهجرات- يتساءل بارك إن لم تكن استخلاف جماعة لجماعة أخرى على أرض معينة". إن هذا المفهوم مقتبس من الايكولوجية النباتية ووجد تطبيقاته العلمية في المجهود الذي كان يسعى لإيجاد تبرير علمي لموجات الهجرات الاستيطانية في عهد الاستعمار المباشر الذي شهدته مناطق عدة من العالم في نهاية القرن19 وبداية القرن20، وكذا لتبرير الاستيطان بالعالم الجديد، وهكذا فإن "المهاجرين الأوائل لأمريكا جاؤو لإستخلاف الهنود الحمر في اطار تحولات طبيعية (Duchac.(René)., 1974, p. 133).

والاستخلاف حسب بارك لا يخص المستوى الجغرافي والديموغرافي فحسب بل يتعداه إلى مستوى الاستخلاف الثقافي المرتبط بثقافة العيش ونمطه. وفي هذا الصدد يتحدث بارك عن مبدأ شهير عند الاثنوغرافيين (وعند دوركهايم)، مفاده "أن كل ثقافة بقدر ما تكون بدائية بقدر ما تكون الأرض التي تعيش عليها شاسعة بالنسبة لعدد أفرادها "وهذا هو الشيء الذي يعني أن "تركز السكان في المناطق الحضرية يبدو من وجهة نظر الايكولوجيا الإنسانية كمؤشر على تقدم الحضارات (Duchac.(René)., 1974, p. 134).

أما المفهوم الايكولوجي الثاني الذي استلهمه بارك، فهو مفهوم "التوازن"، وحاول من خلاله أن يبن أن التنظيم الاجتماعي للناس_ المجتمع، يخضع لضوابط التوازن الطبيعي، ولهذا ؛ "فالهجرة حسب بارك هي: أولا وقبل كل شيء ظاهرة تعمل على

إعادة التوازن للمجتمع"، وفي نفس السياق يقول بارك "لما يصل ضغط السكان على الموارد الطبيعية مستوى معينا من الكثافة فإن شيئا ما سيحدث، فإما أن يتشتت السكان ويتحررون من ذلك الضغط عن طريق الهجرة، وإما أن يتحطم التكيف السابق للنوع تماما (Duchac.(René)., 1974, p. 136).

وبالتالي فظاهرة الهجرة حسب بارك وخصوصا الهجرة من القرية إلى المدينة هي مؤشر على التقدم والتحول والانتقال من وسط طبيعي إلى وسط ثقافي أخر، وهو ما سماه بالتغير الاجتماعي، وحين انطلق من فرضية تعزز هذا التحليل مفادها "إن المدينة هي السكن الطبيعي للإنسان المتحضر، وهذا ما جعله ينظر إلى الفلاح المهاجر للمدينة كفلاح نموذجي عندما يتخلى عن العادات والتقاليد والأعراف الخاصة بمجتمعه مقابل أن يصبح سيد نفسه من خلال عملية "الانصهار" عبر الانتساب إلى القيم والتقاليد، والعادات الحضرية، فعوض أن يصبح هذا الفلاح المهاجر مشكلا اجتماعيا بالمدينة، يتحول إلى فرد مندمج بالمجتمع الحضري عبر دخوله في نسق من التفاعلات الاجتماعية أو ما يسميه" بدور العلاقات الاثنية (عبد الرحمان، 2016، صفحة 134.136).

وبعد المرحلتين السابقتين يظهر أن التأقلم باعتباره ظاهرة اجتماعية تفرض على الأفراد المهاجرين احترام المؤسسات والقواعد التي تنظم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وتحافظ على الاختلافات الثقافية.

إن هذه المقاربة النظرية مهمة في التحليل السوسيولوجي فهي التي تجعلنا نفهم كيف كانت الهجرة بالأمس ثم معرفة مسار التحولات التي لامست المجتمع إلى يومنا هذا لكي نرصد مآل واوقع الحال اليوم . وبكون هذه المقاربات المدخل الذي يضعنا أمام صلب الموضوع لتفكيك وتفسير ظاهرة الهجرة من خلال النظريات الجديدة والحديثة ، تلك التي سوف نعتمدها في هذه الدراسة، فالهجرة الواحية أو الهجرة الداخلية بكل أنواعها فهي بحاجة إلى دراسات بمقاربات متعددة من أجل ملامسة الموضوع من كل جوانبه المختلفة.

ثانيا: إشكالية المفهوم وتزيد الدينامية الهجروية بالواحة

1_لماذا الهجرة بالواحة؟

يعد مفهوم الهجرة بالحركية من مجال جغرافي إلى آخر، كما تعني الانتقال من فضاء اجتماعي وطني إلى غيره (لوبرون، 2017، صفحة 122).

شكلت ظواهر الهجرة منذ الأبحاث الأولى التي ظهرت في مدرسة شيكاغو بعدا أساسيا للتحولات الاجتماعية، والأبحاث السوسيولوجية الأمبريقية، كما أن احتواء الساكنة المهاجرة في مجتمع معين يعد مؤشرا على التماسك الاجتماعي في نفس هذا المجتمع.

والهجرة بصفة عامة تعني الانتقال للعيش في مكان إلى آخر مع نية البقاء في المكان الجديد لفترة طويلة، ويستثنى من ذالك الزيارة للسياحة أو العلاج الى غير ذلك...وقد تكون هذه الهجرة من دولة إلى أخرى، أو من قارة إلى أخرى، كما تعرف على أنها ؛ انتقال الفرد آو الجماعة من منطقة الارسال آو منطقة الأصل إلى منطقة الاستقبال أو مكان الوصول وقد ورد مفهوم الهجرة في العديد من المعاجم، فقد جاء في معجم المصطلحات الجغرافية مشيرا إلى انتقال الأفراد من مكان إلى أخر للاستقرار فيه بصفة دائمة أو مؤقتة كما ورد في المعجم الديمغرافي الصادر عن قسم الشؤن الاقتصادية والاجتماعية بالأمم المتحدة، تعريفها بأنها شكل من أشكال انتقال السكان من أرض تدعى المكان الأصلي، إلى آخر تدعى مكان الوصول،

أو المكان المقصود ويتبع ذلك تبدل في محل الإقامة، "وتعرف الهجرة بأنها التحرك تحت ظروف أساسية ورئيسية تتيح للأفراد والجماعات تحقيق قدر من التوازن أو الاستمرار في الوجود عن طريق إشباع الحاجة الإنسانية المختلفة البيولوجية والاجتماعية، والسيكولوجية والثقافية وغيرها. وباختصار فإنها عملية لإعادة التوازن للنسق الاجتماعي والثقافي (غانم، 1990، صفحة 16).

والهجرة على المستوى الإجرائي ظاهرة جغرافية لكن إنعكاسها على المجتمع أصبحت ظاهرة اجتماعية تعبر عن ديناميكية على شكل انتقال السكان من مكان لأخر وذلك بتغير مكان الاستقرار الاعتيادي للفرد وهي جزء من الحركة العامة للسكان أو هجرة البنيات الاجتماعية للبحث عن مصدر العيش والتحسين من وضعهم الاجتماعي وتنمية مجالهم.

إن ظاهرة الهجرة لا يمكن فهمها أو مقاربتها مقاربة منهجية دونما فهم السياقات التي أنتجتها وضاعفت من وثيرتها، الشيء الذي سيحتم علينا التركيز على فترة كان لها دور محوري في جعل ظاهرة الهجرة تشكل حلقة مهمة في تنمية المجتمع وفي التغيرات التي لاحقت كل مجتمع سواء كان مجتمع النزوح مجتمع "الانطلاق" أو مجتمع "الوفود" فالهجرة ترتبط بعوامل وسياقات اجتماعية واقتصادية وسياسية ساهمت في تغيير البنيات الاجتماعية للمجتمع المغربي أو غيره من المجتمعات الأخرى، فالهجرة اليوم تشكل دورا مهما في الحياة الاقتصادية لمجالات الانطلاق "البلد الأصل" وذلك عن طريق التحويلات المالية وغيرها. التي تعد مصدرا ايجابيا لكلا المجالين مجال الوفود ومجال الاستقبال الذي حصل على جلب يد عاملة سواء كانت خبيرة أو لا.

والسؤال المطروح هنا لماذا يهاجر الناس؛ لنجد أن العديد من الدراسات في حقل السوسيولوجية وغيره تحدد أن السبب الرئيس للهجرة هو تحسين الوضع الاجتماعي وضمان المستقبل للمهاجر ولأبنائه لكي يصبح مصيره ومصير عائلاته في أمان واستقرار من حيث الوضعية والترقي في المكانة الاجتماعية، علاوة على ذلك أن المهاجر في حد ذاته يحمل في واقع الأمر مشروعا وينظر بعيدا وبنظرة ايجابية ويتجلى هذا فيما يلي: تحقيق مشروع عائلي كالزواج لأنه من أولويات المجتمع المغربي، والبحث عن مداخيل اضافية ثم تثمين الشواهد الجامعية العليا والمحصل عليها، وهناك من يهاجر من أجل الالتحاق بالأقارب.

في الأسرة التقليدية أي في الأمس كان الفرد يهاجر وحيدا بمفرده للبحث عن الاستقرار والأمن وإن استقر وأصبح له داخل فردي فيقوم بجلب أبنائه وأسرته للعيش والاستقرار بجانبه، وهناك بعض المهاجرين من كانت لهم فكرة رفض جلب الأسرة، ويتركهم في المجال الأصل ويكتفي بإرسال التحويلات وكل الحاجيات الضرورية لإعالة أسرته وأبنائه، لكن اليوم أصبح الأمر مختلف حيث لم تعد الهجرة الفردية بل أصبحت الهجرة الجماعية هي حديث العصر.

ومن أنواع الهجرات بالمجال نجد: هجرة اليد العاملة المتخصصة وغير المتخصصة ثم هجرة الكفاءات المهنية العالية خصوصا الذين حصلوا على شواهد عليا ولم يجدوا عملا في مجالهم الأصل، وكذلك هجرة أطور ومتخصصين لأن الهجرة اليوم أصبحت رهانا لجميع الخطابات سواء الاجتماعي أو الاقتصادي، والسياسي، كما أصبحت رهانا أمنيا وتمكن من تحويل التقنيات والأموال وهي ما تساهم في تقدم النمو الاقتصادي لمجال المستقبل.

إن ظاهرة الهجرة بالمجال الواحي لا يمكن فهمها إلا من خلال المجتمع الأصل مجال الانطلاق وذلك من خلال فهم الأشياء المرئية واللامرئية التي كانت دافعا وراء طرد الانسان من مجاله الأصل، لأن وضعية المهاجر في مخياله بأن الهجرة داخل

مجاله ليست بمحض الارادة، بل بالرغم عنه وليس اختياريا، إذا فالبقاء في المجال في فترة الأمس كان له دور حيوي نظرا لما كان يكتنزه من خيرات وثروات مهمة ساهمت في التغير الاجتماعي الذي عرفه المجال بكل بنياته الاجتماعية. ومن هنا فالمجال الواحي اليوم يختلف كليا عن الأمس وعن المجالات الأخرى نظرا لتميزه بقساوة الظروف الاجتماعية والطبيعية المستعصية، حيث إن أغلب المجالات الواحية هي مجالات صحراوية تشبه العالم القروي وتختلف عنه من حيث أنها صحراء جرداء تتميز بالندرة، هذا ما جعلنا نتساءل هل المجال الواحي بتافيلالت مجالا للطرد أم مجالا للجذب؟ وهل يمكن أن نتحدث عن الحالات العائدة باعتبارها حالة نادرة في تافيلالت، وهنا سوف نبرز أهمية المجال بين الطرد والجذب.

2_ لمحة كرونولوجيةعن هجرة بنيات المجتمع الواحي

لقد ازدادت وثيرة الهجرة مؤخرا بتافيلالت نتيجة لعدة عوامل من بينها التحولات السوسيو اقتصادية التي عرفتها المنطقة، علاوة على ذلك التغيرات المناخية والجفاف الذي تسبب في تصحر جل الأراضي الزراعية، مما أثر على المجال بكل بنياته السوسيو ثقافية والاقتصادية التي كانت سببا في طرد كل ما يقطن به، مما يوحي على أن المتأمل في ظاهرة الهجرة لا يحصرها في عوامل محددة نظرا لتداخل الاجتماعي الثقافي في الاقتصادي الطبيعي وهذا التداخل يدل على أن هناك أشياء لا مرئية تتحكم في طرد كل صغير وكبير، الكل أصبح يفكر في الهجرة (الهجرة الجماعية، هذه الظاهرة المعقدة كانت منذ القدم لكن بوثيرة قليلة وفردية حتى حدود السبعينات والثمانينات لتظهر تحولات على مستوى البنيات الاجتماعية وتفككها، جعلت من الانسان داخل مجاله غير قادر على توفير قوته اليومي، هذا ما أثر بالفعل على مدخوله الفردي الغير الكافي لتحقيق ومواكبة متطلبات العصر الحديث، إذن فالهجرة لها انعكاس بشكل قوي على البنيات الاجتماعية سواء ايجابيا أو سلبيا، ولهذا فالهجرة لها ارتباط كبير بمرحلة ما قبل الستينات وما بعد السبعينات والثمانينات، إذن كيف كانت الهجرة بالأمس وكيف أصبحت اليوم؟

أ– الهجرة قبل الستينات

كانت أول الهجرة التي عرفتها تافيلالت ما قبل الاستعمار واتخذت طابع الموسمية والفردانية وقد شكلت الجزائر البلد المستقطب لها نظرا لقربها من المنطقة وتوفرها على فرص للعمل خصوصا في المجال الزراعي الذي أنعشه المستعمر الفرنسي،1930،1935(EL Messkini/1993) (عبد العزيز بويحياوي، 2016، صفحة 31)، وقد ازدادت حدة الهجرة المغادرة من تافيلالت بحثا عن مجالات توفر ظروف حياة أفضل مع دخول المستعمر إلى المنطقة وتدخله في الانظمة السوسيو اقتصادية للمجتمعات الواحية، من خلال محاولاته لتفكيك جل الأعراف التنظيمية والسيطرة على العديد من الأراضي الزراعية ومياه السقي اللذين يشكلان عمود الحياة داخل الواحة، وعموما فإن حركة الهجرة في هذه المرحلة بعدما كانت تتسم جلها بالموسمية والفردانية، بدأت تظهر بعض أشكال الديمومة خصوصا بعد فترات المجاعة التي خيمت على المغرب خلال فترة 1903،1913، 1921، 1928،1937،1945.

أما بعد الاستقلال فقد استمرت حركات الهجرة المنطلقة من تافيلالت نحو مجموعة من المدن المغربية وبعض الدول خصوصا فرنسا وليبيا والعراق وكانت تهم أساسا أرباب الأسرة أو أحد الأبناء الذين يعودون للعمل في أرضهم عندما يحس ببداية موسم فلاحي جيد من حيث الامطار، إذا كان المهاجرون يؤمنون بالمثال المحلي القائل "إلى ارتوات الصحراء أو البلد، الله اهنيك الغرب"(الصحراء يقصد بها تافيلالت محليا وهي الأراضي القاحلة قليلة السكان وتتميز بندرة المياه، والغرب

يقصد به بلد المهجر ونظر لتموقع تافيلالت في الجنوب الشرقي من المملكة فإن باقي المناطق بالنسبة لسكان تافيلالت يعتبر غربا).

لقد تميزت الأسر الفيلالية بالتضامن حيث إن مهاجر واحدا أو أكثر داخل الأسرة الممتدة: -(إن الأسرة الممتدة هي التي كانت تسود داخل تافيلالت)-، وهي نوع الأسرة التي تمتد خارج الأسرة النواة (الأسرة الأولية) المكونة من الأجداد والعمات والأعمام وأبناء العم الذين يعيشون جميعًا بالقرب من بعض أو في منزلٍ واحد. وفي بعض الظروف، تعيش الأسرة الممتدة إما معًا أو في مكان أفراد الأسرة النواة؛ العائلة التي تعيش في مكان واحد بجوار الأقارب إضافة إلى العائلة النواة.)، يمكن أن يعيل باقي أفراد الأسر، رغم الظروف القاسية التي يعاني منها المهاجر سواء في العمل أو السكن في المهجر، حيث إن جلهم يعملون في مهن شاقة خصوصا البناء ويبحثون عن ملاجئ للسكن بدون مقابل من أجل توفير المال، وما يميز فترة الهجرة ما قبل سبعينات القرن الماضي بهجرة التضامن الأسري، كما أكد ذلك عبد الرحمن المالكي(1993)، الذي خلص إلى أن استمرار وجود وسيطرة الأسرة الأبيسية التي يلعب فيها الأب دور رب الأسرة والمالك لكل شيء، هو الذي كان وراء استمرار هذا النوع من الهجرة، إن مرحلة ما قبل السبعينات كانت هجرة موسمية تتسم بالفردانية، فعندما يهاجر شخص واحد فهو قادر على اعانة والتكلف بالأسرة ككل، وهذه هي الميزة التي كانت تمتز بها تافيلالت ماقبل السبعينات لتتغير مجرى الأمور وتصبح هجرة جماعية ما بعد السبعينات والثمانينات.

ب- الهجرة ما بعد الثمانينات

عرفت حركة الهجرة في المغرب منذ بداية ثمانينات القرن الماضي تزايدا مستمرا من المجالات الريفية في اتجاه المدن، نظرا لتزايد تردد فترات الجفاف وطول مذهل، حيث قدر المتوسط السنوي لعدد المهاجرين ب193ألف مهاجر في الفترة الممتدة ما بين 1982و1994 وحوالي 106 ألف مهاجر في الفترة الممتدة ما بين 1994 و2004 (HCP) (المندوبية السامية للتخطيط www.hcp.ma).

وتعتبر واحة زيز الأسفل من أكبر المجالات الواحية الطاردة لسكانها في المغرب، حيث ازداد الوضع المعيشي تأزما بها خلال فترة ثمانينات القرن الماضي، بفعل طول فتارات الجفاف (عبد العزيز بويحياوي، 2016، صفحة 33)، وتزيد حدة هذا الأخير بعد إنشاء سد الحسن الداخل، وبالتالي تطور حدة وخطورة الهجرة وأخدها طابع الديمومة والجماعية وهكذا فقد سجل الميزان الهجري بتافيلالت عجزا واضحا سنة 1994 قدر ب 934 فردا بدائرة الريصاني وب 965 فردا بدائرة أرفود وهذا راجع إلى ارتفاع عدد المغادرين في كلتا الدائرتين، حيث وصل إلى 1034 فردا بالريصاني و1035 فردا بأرفود وذلك في الوقت الذي سجل عدد الوفدين أعدادا ضعيفة 100فرد بالريصاني و70 فرد ا بأرفود (DAT. 2002) (المعرض الدولي للتمر بأرفود، 2016). وهذا ما ينطبق بشكل واضح على قصر الجديد بالريصاني الذي عرف هجرة حوالي 365 أسرة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وكانت أكبر الهجرات خلال الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي خصوصا في اتجاه مدينتي فاس ومكناس.

ج_ الهجرة اليوم

تعد الهجرة اليوم بالهجرة الجماعية بالواحة نظرا لما يطغى عليها من تحولات مرتبطة بالمجال الذي انعكس على بنياته الاجتماعية و هددها بالطرد لتترك كل الآمال في الواحة من أرض من ثقافة ومن عادات وتقاليد ثم الاندماج والاستقرار في مجالات أخرى من أجل ضمان داخل فردي قار لضمان استمرارية الوجود. فالهجرة بالواحة أصبحت ظاهرة تتفاقم حدتها لأن لا شيء في المجال يضمن التكيف والاستقرار فيه، وهذا ذال على زيادة الضغط على البنيات الاجتماعية واستفحال ظاهرة التصحر والجفاف ثم ما نلاحظه من معضلات اجتماعية صعب التكيف معها كالهشاشة الاجتماعية ، الفقر، البطالة، التهميش، إذن فمآل وحال الانسان الواحي وهمه الوحيد هو الهجرة لأن لا مآل له إن استمر في الواحة نظرا لظروفها المستعصية.

بات واضحا أن سكان واحة زيز الأسفل لا يشعرون بالاطمئنان بخصوص مستقبل المياه في هذه المناطق، الأمر الذي دفع بالمئات من الأسر إلى طرح ممتلكاتها وأراضيها للبيع والهروب نحو المدن الداخل لضمان مستقبل لأبنائها ونحو مستقبل مستديم أفضل في بيئة اجتماعية آخرى يضمن فيها العيش بآمان .

وكما تواجه واحة زيز الأسفل(من أفوس إلى مرزوكة) خطر الزوال بسبب الجفاف الذي تتعرض له خلال السنوات الأخيرة وازدياد الكوارث الطبيعية، ما يتطلب تحركا سريعا لنجدتها .

3_ مجال واحة زيز الأسفل بين الطرد والجدب

المجال الطارد:

فدراسة الهجرة الواحية على المستوى المحلي يمكن أن نعتبر مجال واحة زيز طاردة لسكانها، وشبابها نظرا لطبيعة التغيرات المناخية وما يطغى عليها من جفاف وتصحر الذي تسبب في تهميش المجال وفقره، وأن عوامل الطرد هذه تتجسد في القصر والايكلوجية حيث لم يعد الاستقرار في القصر نظرا للظروف الاجتماعية والاقتصادية.

المجال الجدب:

ويمكن أن نعتبر مجال الجدب هي المدينة زد على ذلك القرابة والنسب والعائلات، حيث إن المهاجر يتصور المدينة وهو ما نسميه في تافيلالت(الغرب)، هو مجال للعمل ومجال للاستقرار نظرا لطبيعة العمل، وأن أغلبية المهاجرين منهم شباب وكبار السن يتجهون أغلبيتهم نحو مدن فاس/ مكناس/ الدار البيضاء / وجدة/ للبحث عن العمل وتوفير القوت اليومي وأغلبية المهاجرين يعملون في البناء في المرحلة الأولى لكن مع اكتشافهم مجالات أخرى وانفتاحهم جعلهم يعملون في الشركات والتجارة كمرحلة ثانية وبفضل هذا الانفتاح على الغرب جعلهم اقتحموا مجالات عديدة غير البناء. ومن هنا سوف نتحدث عن الحالات العائدة أي العودة إلى البلد الأصلي.

الحالات العائدة:

إن هذه الحالة غالبا ما تكون نادرة في المجال الواحي مثل تافيلالت والملاحظ من ذلك أن أغلب الذين يعودون إلى البلاد هم المهاجرون الذين أخذو سن التقاعد وأصبح لهم داخل قار فيفكر في الرجوع للبلاد حيث يقوم ببناء منزل من الاسمنت للاستقرار فيه دال على الرقي والمكانة الاجتماعية، ثم هناك حالات أخرى مثل الذين قاموا بمشاريع في الواحة فهم يفضلون

الاستقرار هنا بعيدا عن الغربة، وهناك بعض الحالات أغلبهم أنجزوا مشاريع عبارة عن فنادق للاستثمار فيها وتضمن لهم داخل فردي قار أو أولئك الذين قاموا بشراء أراضي فلاحية كبيرة وقاموا بغرس أشجار النخيل (المجهول) وحققوا أربحا ضئيلة فهم يفضلون الاستقرار في الواحة ولا حاجة لهم للغربة.

في حين مشاركين أخرون في البحث يعتبرون الرجوع لمجالهم الأصل بأن لا موطن لهم غير موطنه الأصل تافيلالت، علاوة على ذلك الأسر الميسورة الذين لا يرحلون كليا بل تبقى صلة وصل مع البلاد يأتون في الأعياد والمناسبات حيث يقولون " أن الراحة النفسية توجد في الصحراء (مشارك في البحث متقاعد، 70سنة) _(كان يعمل في مهنة التعليم فضل الرجوع للاستقرار في البلاد، وإتمام ما تبقى له من العمر، لأن هذا القصر ترعرعت فيه ولي فيه ذكريات، وانا سعيد جدا بالاستقرار بقصر أولاد ليمام، بعد غياب دام لأكثر من 35سنة)-، إذن فالهجرة هنا غير مستقرة تماما فهناك هجرة واحية فردية وجماعية وأيضا حتى في حالة العودة تنطبق تماما على ما ذكر سابقا.

رابعا: الهجرة الواحية والبنيات الاجتماعية

تعاني القرى المغربية من حصار جغرافي واقتصادي كبير ما عدا بعض المناطق التي عرفت الهجرة المكثفة خارج المغرب غير أن هذه الهجرة، حسب باسكون، لم تعمل على تغيير نمط عيش القرى بل خلقت أوضاعا معقدة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية أكثر من جلبها للحلول، فرغم احتكاك المهاجرين بأنماط اجتماعية مغايرة وحصولهم على موارد مالية، فإنهم لم يستطيعوا اختراق الأنظمة التقليدية للمجتمع القروي، لأن ذلك يتناقض مع استراتيجياتهم الاجتماعية التي كانت تسعى إلى الارتقاء الاجتماعي داخل التنظيمات التقليدية المهيمنة.

حاول باسكون في كتابه " بني بوفراح"(1983)معرفة عواقب الهجرة الخارجية على هذه المنطقة، وفهم الصدمة التي تخلقها العودة إلى الوطن لدى المهاجرين، والتي لا يمكن اختزالها إلى منزل أو سيارة أو تجارة صغيرة. كما أن هذه الدراسة كانت بهدف عن حلول تمكن من اعادة دمج هؤلاء المهاجرين العائدين إلى بلدهم ضمن إطار منتج، ليس فلاحيا بالضرورة، وكذا التفكير في سبل التقليص من الهجرات الحالية. (بول باسكون ،1985:18) (امحمد مهدان، 2017، صفحة 120).

وتماشيا مع هذا السياق يعتبر محمد مهدان بأن بول باسكون " أكد على ضرورة الاهتمام بنتائج نمو هذه المراكز الصاعدة حيث قال " إن ما يحصل في هذه المراكز القروية الصاعدة عنيف وخطير ولا ينظر إليه أحد بما ستحقه من الاهتمام، خاصة وأن الهجرات الداخلية للشباب نحو هذه المراكز بسبب تزايد البطالة في المدن الكبرى، وكذا تحول هذه المراكز إلى اقطاب للنمو خاصة مع ظهور إنتاج صناعي عصري يقوم على الحليب والدواجن والأوراش الميكانيكية والحرف الصغرى، الآمر الذي سيؤدي إلى افراغ القرى شيئا فشيئا من سكانها، خاصة طاقاتها الشابة والقادرة على العمل، وهذا الآمر سيساهم في ظهور نظام اجتماعي هامشي يعمق أزمة القرى بإفراغها من سكانها والواحة بدورها لم تسلم من هذا الأمر.

لقد تحدث عبد الرحمان المالكي (عبد الرحمن المالكي، 1993، صفحة 69.70) عن المحددات الأساسية للبنيات الاجتماعية في دراسات للهجرة القروية، حيث يقول لقد انتهى علماء الاجتماع المهتمون بالمجتمع القروي بالمغرب إلى القول بأننا غالبا ما نجد أن البنيات الاجتماعية غالبا ما تكون مطابقة للبنيات الزراعية (بول باسكون : الحوز، الجزء الثاني ص579) وفي منطقة سكماوة لاحظ بيرك نفس الظاهرة " إن بنية اجماعة تنتظم مع بنية البلد في القبيلة". ومن هنا يتساءل عن ماهي إذن هذه البنيات الاجتماعية التي تشد الناس وتساهم في الابقاء على نمط الهجرة الذي ندرسه؟ هل هي؟: بنية القرابة أم بنية اجماعة(القصر)، أم بنية القصر؟.

إن لكل هذه البنيات وحدة ووظيفة تؤديها وكل هذه البنيات تنتظم على بنية أساسية وهي البنية الايكولوجية. ومن هنا سنحاول أن نوضح كل هذه البنيات على حدة.

البنية الايكولوجية:

إن هذه البنية هي المحددة لكل البنيات الأخرى، لكن عامل الجفاف والتصحر جعل دورها يتقلص وتفقد قيمتها ودورها، وهذا بالفعل له انعكاس على مستوى بنية اجماعة وعلى مستوى التراتبية الاجتماعية. لقد كان للهجرة دورا كبيرا في تقليص جاه وتمثيلية بعض الآسر لفائدة أسر أخرى، ذلك أن ظاهرة غريبة وقعت بفعل الهجرة، حيث إن الأسر الموسرة قديما كان أفرادها يرفضون العمل مع الغير، بل سيلجأ البعض منهم إلى بيع أرضيهم (الجرداء)، ويشتريها الفقراء السابقون الذين بفعل الهجرة المبكرة استطاعوا تجميع ما يكفي من المال لإشباع رغبتهم في التملك.

بنية القصر:

إن الشكل المعماري للقصر لا يساعد سوى على تأدية الوظائف التقليدية (الدفاع، التكيف، المناخ) ولكن نجد أن للشكل المعماري للقصر تأثير على التنظيم الاجتماعي، وعلى شكل الهجرة بالتالي.

إن القصر في الغالب يكون موزع على النظام العائلي للأسرة الممتدة، ويكون موزع على الانتماء القبلي، وعلى الفخذ، والاخس، والتحالف، ولهذا نجد الأفراد داخل القصر يشعرون بالأمن ومن تم فلولا وجود بنية القصر لما اتخذات الهجرة الشكل الذي اتخذاته، لأنه رغم ما يقال عن انفجار القصر فإن بقاءه واستمراره في واحة تافيلالت لا يرجع فقط إلى عوامل بيئية(ضيق المجال الزراعي) وإنما إلى عامل اجتماعي هو التضامن الذي يسود بين الأقارب والجيران هو الذي يجعل المهاجر يترك زوجته وأبنائه في البلد، لأنه يعتقد أنه تركهم في وسط أخلاقي أمن. وفي اليوم كل ما نلاحظه أن الانسان لا يترك القصر بالمرة بل يبقى له ارتبط كبير به حتى وإن تم اهمال المنزل المبني بالطين فإنه يقوم ببناء منزل بالإسمنت خارج القصر في(الغابة)، ويسكن فيه وفي الأخير أصبحت الهجرة مكثفة من داخل القصر إلى خارجه وبهذا يقع زحف عمرني كبير على حساب الغابة والمساحات الخضراء، حيث إن هشاشة المنزل الطيني جعلته يقوم ببناء منزل جديد وعصري.

بنية اجماعة:

على الرغم من الدور الذي كانت تقوم به اجماعة في الواحة في الأمس لم يعد اليوم بتلك الوثيرة لكنها مازالت تلعب دور تعبيري داخل القصر كأشكال التضامن التقليدي الذي نعتقده اندثر، ويبدو أن الدولة مرتاحة حاليا للدور الذي تلعبه (مؤسسة اجماعة)، وما يدل على بقاء اجماعة في قصور تافيلالت هو أن عند الخلافات بين عائلات ما تتدخل اجماعة في ذلك واصلاح المأمورية حفاظا على كرامة البلاد بين القصور الأخرى، مازالت اجماعة تتدخل في التنظيم المائي بالإضافة إلى ذلك الدفاع عن حقوق القصر سواء من اصلاح أو ترميم أو أي تضامن هو في حق القصر.

بنية القرابة:

إن القصر ومعماره ووجود باب واحد يوحي بأننا لما ندخله كأننا ندخل الى دار واحدة كبيرة، وهذا يؤكد على أن السكان في انتسابهم لجد واحد مشترك وأن استمرار ذلك الاعتقاد يشكل بعد رمزي (الوعي المشترك) وأن الرأسمال الرمزي الذي يتجسد على مستوى القصر يتجسد على مستوى اجماعة.

إن الهجرة في واحة زيز الأسفل هي دائمة ومؤقتة في نفس الوقت، والهجرة غالبا ما تكون هجرة تضامن أسري فالمهاجر الذي يكد ويتعب ويعيش في ظروف قاسية لا يفعل ذلك إلا من أجل أسرته التي يبعث لها شهريا بكل مدخراته.

الانعكاسات الاجتماعية للهجرة بمجال الواحة

إن موضوع الهجرة بالعالم الواحي يشكل قضية مركبة ومعقدة تحضر فيها الأبعاد الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية والبيئية، وضحية ذلك هم الفئة الشابة الذين هاجروا اضطراريا لتحسين وضعهم الاجتماعي، وهذا يؤكد لنا أننا في مدى الحاجة إلى مبادرات وتدخلات من الأطراف المسؤولين في السياسات التنموية الموجهة للشباب المعنين بالهجرة، أي في

الحاجة إلى مقاربات إدماجية لدمج الشباب في سوق الشغل وتأهيله وتوجيههم لكي لا يكون عرضة لمجموعة من الآفات الاجتماعية.

وللهجرة أبعاد وانعكاسات منها الايجابي والسلبي في نفس الوقت. إن للهجرة انعكاسات ايجابية على المجتمع المحلي بالواحة لاسيما فيما يتعلق بتحسين مستوى عيش السكان المحليين، وما يتعلق بالتنمية حيث أن تحويلات المهاجرين غالبا ما تنفق في الاستهلاك المنزلي وصيانة البيوت ولا يتم الاستثمار والادخار إلا بعد أن تغطي الأسر حاجياتها الاستهلاكية،"وأن مساهمة التحويلات المالية للمهاجرين لا تساهم في التنمية المحلية إلا بشكل محتشم (جمال فزة، حسن احجيج، 2020، صفحة 189.198)، فالملاحظ أن معظم مداخيل المهاجرين تصرف في عملية الهدف من تعزيز المكانة الاجتماعية للأسرة مثل دعم إحياء الطقوس الاجتماعية وتنظيم حفلات اجتماعية باذخة وضمان الخدامات مثل الماء والكهرباء، هكذا فإن التعديلات تساهم في مفاقمة التفاوتات الاجتماعية المتأصلة في الفروق السوسيو- اقتصادية المحلية، ذلك أن الأسر الميسورة التي تستطيع تحمل تكاليف هجرة أفراد جدد تزداد ثراء عندما تنجح في إرسال بعض أفرادها إلى خارج المجال، لاسيما إلى البلدان الأوروبية بينما تظل الأسر العاجزة عن تحمل كلفة الهجرة والتي تفتقد إلى الرأسمال الاجتماعي فقيرة نسبيا نتيجة هذه الدائرة الجهنمية.

ومن أهم الانعكاسات السلبية على قصور تافيلالت نجد قلة اليد العاملة بالمجال لأن معظم الذين هاجروا هم في سن العمل وغالبا ما ينعكس سلبا على حجم القوى العاملة المحتملة في البلاد علاوة على ذلك الخلل الديمغرافي في مجتمع الواحة نتيجة أن معظم المهاجرين ذكور، وينعكس ذلك سلبا على التوازن بين الجنسين في المجتمع الأصل ويصبح عداد الاناث يفوق عدد الذكور، وبالتالي زيادة نسبة الاناث العازبات، زد على ذلك تفكك الأسرة بين المجتمع الأصلي والبلاد المضيف، فعندما يغادر الأب أو الابن يبقى بقية أفراد الأسرة في المجتمع الأصلي، ما يسبب تباعد اجتماعي. وإن كانت وسائل التواصل الاجتماعي قد ساهمت في ردم فجوة هذا التباعد، علاوة على ذلك استنزاف أصحاب الخبرة وذوي العقول النابغة، فغالبا أصحاب الشهادات العليا يغادرون بلدهم لتحسين أوضاعهم وهو ما يعرف بهجرة الأدمغة.

نتائج الدراسة

للهجرة الواحية عدة نتائج منها ما هو اجتماعي وديمغرافي واقتصادي، وسوف نتطرق لذلك كالآتي:

- ازدياد أعداد المهاجرين المتوجهين نحو مناطق المدن الصناعية (الغرب محليا)، والبعض الآخر نحو الدول الأوربية ، مما يؤدي إلى ازدياد ظاهرة المناطق العشوائية التي تفتقر لأبسط الخدمات.
- ارتفاع نسبة البطالة في المدن نظرا لكثرة المهاجرين إليها.
- قلة أعداد الشباب بالواحة الذي تتروح أعمارهم بين (15و35)سنة، في حين ترتفع نسبة صغار السن وكبار السن فيها. هذه القلة من الشباب يقابله ارتفاع في نسبة الاناث وما ينتج عنها من مشاكل اجتماعية متعلقة بالزواج.
- قلة اليد العاملة الزراعية في مجال النزوح وبالتالي انخفاض الإنتاج فيها.
- هجر الكفاءات العلمية من مجال النزوح.
- ارتفاع أعداد فئات العمال(الشيوخ) بسبب هجرة أعداد كبيرة من الشباب في بلدان النزوح.
- زيادة الضغط على فرص العمل في مجال الاستقبال وخصوصا المدن
- وجود بعض القصور بدون أزواج بسبب الهجرة على المستوى المحلي في الواحة (قصور مهجورة، أو قصور بدون أزواج)
- ازدياد أعداد السكان في المدن وقلتهم في العالم القروي.
- زيادة الضغط على فرص العمل في المدن

- حدوث خلال في التركيب النوعي العمري للسكان حيث إن أكثر المهاجرين هم من الشباب المهاجرين لتوفر فرص عمل تناسبهم أكثر من الإناث.
- وجود في قليلة في عدد الشباب بالقرية الذي تتروح أعمارهم بين (15و35)سنة، في حين ترتفع نسبة صغار السن وكبار السن فيها.

- ارتفاع عدد فئات العمال(الشيوخ) بسبب هجرة العديد من الشباب.

في الختام

تعد الهجرة بناء اجتماعي حيث إن علاقة واحة زيز الأسفل بالهجرة تتخذ أبعادا متعددة. وعليه فالهجرة عنصر بنيوي في حياة أهل الواحة وما دامت الهجرة عملية اجتماعية تحمل في طياتها مجموعة من المعاني الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فإنها أضحت تتخذ بعدا ثقافيا كذلك.

إن كل الباحثين في العلوم الاجتماعية أو غيرها يصعب عليهم أن يحضروا وصفة سحرية باستطاعتها أن تحد من انسيابية المهاجرين القرويين والمهاجرين من المدن الحضرية نحو المجالات الأخرى ونحو البلدان الأوروبية وغيرها؛ وبالخصوص الدول الأوربية التي تستقبل عدد كبير من المهاجرين المغاربة مادامت هذه الظاهرة تندرج في إطار الحركيات المجالية التي تعرفها مختلف الشعوب. لكن يمكن احتواء الهجرة والتخفيف من وثيرتها عبر رد الاعتبار للمجال الواحي وأهم القطاعات التي تحرك النمو الاقتصادي وتعد مدخولا فرديا وجماعيا في نفس الوقت وذلك يتم عن طريق بدل المزيد من الجهد من أجل تثمين المؤهلات الطبيعية والاستثمار في الإنسان البشري كونه المدخل الفعلي لتنمية المجتمع المحلي لأن هذا سوف يضمن نجاح الفعل التنموي على المستوى الاجتماعي والاقتصادي.

ومما لا شك فيه أن الهجرة بتافيلالت عرفت ارتفاعا مهولا بنسبة75%، نظرا لمجموعة من العوامل المختلفة ؛ إذ كانت في الأمس هجرة فردية فاليوم أصبحت هجرة جماعية لأن المجال الذي كان مجالا للجدب بالأمس - نظرا لما كان يكتنزه من ثروات طبيعية واقتصادية مرتبطة بالمجال الزراعي قبل مرحلة السبعينات - كان في هذه المرحلة استقرار تام للسكان مع أبنائهم و أجدادهم. إضافة إلى المجال الفلاحي الذي كان يعتبر مجالا للمعيشة بقصور تافيلالت هو ما كان يحافظ على استقرار البنيات الاجتماعية وثباتها من خلال القبيلة و"اجماعة" التي كانت توحد أواصر القرابة والتضامن، وهذا سوف ينعكس تماما على ما بعد السبعينات في البنيات الاجتماعية وتفكيكها بفعل الهجرة ومخلفات كل من الجفاف والتغيرات المناخية. وهذا ما جعله اليوم مجالا للطرد.

في حين نجد أيضا الحالات العائدة التي تتراوح بين مهاجر عائد ومؤقت ومهاجر مقيم وهذه الحالة تبقى نادرة في المنطقة نظرا لوصف المجال بالقاسي والجاف ويصعب الاستقرار فيه والتكيف مع طبيعته ومع التغيرات المناخية فيه، وأن كل من يبقى في المجال هم الشباب الذين خرجوا في سن مبكرة من الدراسة واقتحموا مجال الفلاحة والشيوخ الذين دائما لهم حب وحنين وانتماء للقصر الذي يقطنون فيه، وأغلبية معيشتهم تعتمد على الدخل المادي لأبنائهم المهاجرين عن طريق المساعدة بأقساط من المال شهريا وهو ما يعد السبب الرئيس الذي جعلهم يستطيعون التكيف في هكذا مجال جاف. ولا يفوتني أن أؤكد من هذا المنطلق أن للهجرة انعكاسات اجتماعية متعددة منها ما هو سوسيو- اقتصادي له ايجابيات تتمثل أغلبها في خدمة الصالح العام؛ ومنها ما له سلبيات يعكس المصالح الاجتماعية الفردية والجماعية، ونظرة الشباب اليوم للمجال بالقاسي والجاف أصبحت تعكس النظرة الشيئية للأغلبية لهم، واليوم نحن في أمس الحاجة إلى:

- معامل صناعية بتافيلالت مع توفير فرص للشغل وخاصة الفئات الشابة التي تعاني من جحيم الفقر والبطالة.

- عدالة مجالية واجتماعية تتجاوز كل الصراعات والإثنيات.

- لجامعة مستقلة داخل المجال، لأن اغلبية الشباب يهاجرون من أجل متابعة دراستهم بالجامعات والمدارس العليا في المدن.

Bibliographie

امحمد مهدان، السوسيولوجيا(2017) السوسيولوجيا القروية بالمغرب، مقاربات وقضايا، الطبعة الثانية: أكادير، طباعة ونشر سوس،ص، 120.

جمال فزة، حسن احجيج،(2020) فكيك الواحة المكلومة، الطبعة الاولى، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2020ص، 198.189.

عبد الحكيم خريصي، التصحر وتأثيره عل التحولات السوسيو مجالية بتافيلالت، بحث في أشكال التفاوض مع الطبيعة، بني امحمد نموذجا، بحث لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع، كلية الاداب والعلوم الانسانية سايس، فاس، سنة2021.

عبد الرحمن المالكي،(1993) البنيات الاجتماعية والهجرة القروية بتافيلالت، سلسلة الندوات رقم 6، مكناس: كلية الأداب والعلوم والانسانية،ص، 69.70.

عبد العزيز بويحياوي،(2016)، "وحات تافيلالت، بين إكراهات الوسط وجهود ثثمين الموارد الترابية"، الطبعة الاولى، مطبعة ورقة بلال ،ص، 33.

عبد الله عبد الغني غانم، (1990)، المهاجر المصري، دراسة سوسيو- أنتروبولوجية، مصر: الإسكندرية،ص، 16.

فريديريك لوبرون، (2017)، قاموس السوسيولوجيا، 250 كلمة من أجل فهم وممارسة علم الاجتماع، ترجمة زكرياء الابراهيمي، تقديم ومراجعة، خديجة الزاهي، الطبعة الاولى: مراكش: الناشر، فضاء آدم،ص، 122.

المعرض الدولي للتمر بأرفود2016

المندوبية السامية للتخطيط.

- *Duchac.(René). (1974). sociologie des migrations. Aux Etats-unis (éd. Mouton). paris, france.*
- *William Issac Tomas& Znaniecki, Florian. (2000). Fondation de la sociologie américaine(mor- çeaux choisis) (éd. l harmattan) .note méthologique. (*Suzie. Guth, *Trad.) .paris, france.*
- United Nations. (2016). *International Migration Report 2015*. New York: Highlights.

- *Edward (J), Taylor. (June 2006). International Migration and Econmic Développent , paper presented at.International Symposium on International Migration and développement. United Nations Int. Turin. Italy. 28_ 30.*

www.salon-datte.com.

www.hcp.ma

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

فاعلية تكنولوجيا الإتصال في البرامج التعليمية و إنعاكساتها على الأداء الأكاديمي للطالب الجامعي

(دراسة وصفية تحليلية على الجامعة العربية المفتوحة فرع السودان)

(في الفترة من 2020 -2021م)

The effectiveness of communication technology in educational programs and its reflections on the academic performance of university student through applying it on the Arab Open University, Sudan branch (in perid 2020 – 2021)

د.عبدالمولى موسى محمد موسى*، مشاعر الهلالي محمد خليفه**

*أستاذ الإعلام والإتصالات المشارك، عميد كلية الإعلام والإتصالات، جامعة السودان للعلوم والتكنو لوجيا، جامعة افريقيا العالمية، السودان الإيميل: abdelmoula.musa@gmail.com -

**طالب باحث في كلية الدراسات العليا، السودان الإيميل: mashier511@gmail.com

المستخلص

هدف البحث لدراسة فاعلية تكنلوجيا الاتصال في البرامج التعليمية والتعرف على الوسائل الاتصالية المستخدمة في العلمية التعليمية والتعليم المفتوح بالجامعات، وتقويم تجربة الجامعة العربية عامة وفرع السودان على وجه الخصوص، وكيفية استغلال التكنولوجيا الحديثة والإستفادة منها في العملية التعليمية والبرامج التعليمية التي ظهرت وتطورت مع ظهور التكنولوجيا في أشكال التعليم المفتوح وعن بعد والالكتروني والمدمج، أتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب لبحوث الاتصال والأعلام، وتمثلت مشكله البحث في السؤال الرئيس ما فاعلية تكنلوجيا الاتصال في البرامج التعليمية؟ واستخدمت الدراسة العديد من أدوات البحث العلمي منها الملاحظة والمقابلة وإداءة الاستبيان لجمع عينة البحث والتي تكونت من (60) طالباً من طلاب الجامعة العربية المفتوحة فرع السودان من مختلف الفئات والتخصصات تم اختيارهم حصريا للإجابة على أسئلة الاستبانة، وتمت معالجة البيانات إحصائياً ببرنامج إلفا كرو نباخ لقياس معامل الصدق والثبات للمتغيرات وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية: توجد في الجامعة العربية المفتوحة خطه استراتيجية كامله لتحقيق أهداف التعليم المفتوح والإلكتروني والمدمج، وتتيح الجامعة العربية المفتوحة المناهج التعليمية المعدة بالمواقع الخاصة بها عبر تطبيق micro soft teamبدلا عن go to trainingالذي تستخدمه الجامعة العربية المفتوحة في المنصات التعليمية بين الأساتذة والطلاب. ويواجه غالبيه طلاب الجامعة العربية المفتوحة فرع السودان مشكله لغة التدريس المستخدمة وهي اللغة الإنجليزية البريطانية المعتمدة من الجامعة البريطانية المفتوحة الأم وفرع الكويت المركزي، وتشمل الفروع التسعة الموجودة بالمنطقة العربية والسودان، وأهم التوصيات: ضرورة ضمان الجودة بواسطة هيئة المواصفات والمقاييس العالمية للتعليم العالي في المنطقة العربية عامه وبالجامعات السودانية خاصة حتى ترقى جامعاتنا بالتصنيف العالمي بكل أنواعة، وإعداد وتقويم المدخلات والمخرجات وكيفية معالجتها لتعديل مسار العملية التعلمية في برامج التعليم المفتوح والنظامي بالجامعات العربية والسودانية.

الكلمات المفتاحية: الفاعلية، التكنولوجيا الإتصال، البرامج التعليمية، الأداء الأكاديمي، الطالب الجامعي.

Abstract

This research aimed to study the effectiveness of communication technology in educational programs and its reflections on the academic performance of university students through applying it on the Arab Open University, Sudan branch, and identifying the means of

communication used in the educational process and open education at universities. The experience of the Arab Open University in general and Sudan branch in particular, is based on how to utilize the modern technology and benefit from it in the educational process and its positive impact on the university student. And educational programs that have emerged and developed with the emergence of technology in the forms of open, distance, electronic and integrated education, the researcher followed the descriptive analytical approach because it is the most relevant for communication and media research, the Arab Open University has an integrated strategic plan to achieve the goals of open, electronic and blended education, the research problem was represented in the main question: What is the effectiveness of communication technology in the field of educational programs and how does it affect the academic performance of the university student? the researcher used many scientific research tools, including observation, interview, and questionnaire performance in order to collect the research sample, which consisted of (60) students from the Arab Open University, Sudan branch, and from various categories and disciplines, selected exclusively to answer the questions of the questionnaire, the data were statistically processed using the Alpha Cronbach program to measure the validity and reliability coefficient of the variables. The study concluded the most important results, which are as follows: there is a complete strategic plan at the Arab Open university to achieve the student's goals and qualify him/her for admission to the global market, the Arab Open University provides the educational curricula prepared on its own websites through the Microsoft team application instead of (the Go to Training) that the Arab Open University uses on educational platforms between the professors and students, the vast majority of students of the Arab pen university, Sudan branch, face the problem of the language of instruction used, which is British English, which is approved by the main British Open University and the Central Branch in Kuwait. It includes the nine branches in the Arab Region and Sudan, the researcher recommended the following: Disseminating the experience of the Arab Open University and its technical richness to the higher education institutions whether in private, national or government universities in Sudan, the researcher also recommends the administrative stability of university employees and administrators for the longest possible period in order to benefit from their creativity and innovations, recommends and encourages the students, researchers and instructors to turn to the Arab Open University, Sudan Branch, in order to benefit from the available training courses and modern technology.

Keywords: The effectiveness, communication technology, educational programs, the academic performance, university student.

مقدمة :

يعد التعليم العالي من الأهداف العليا التي تسعي الدول لتطويرها وتنميتها؛ لأنه الركيزة الأساسية في عملية التنمية البشرية، وبنفس الوقت هو أيضاً من الأهداف الاستراتيجية التي تسعي الدول الحديثة الي تحقيقها، حيث نجد أن عملية التعليم والبحث العلمي غالباً ما تتحقق من خلالها التنمية القومية الشاملة في جميع دول العالم فهذه الدراسة تسعي لمقارنة فاعلية تكنولوجيا الاتصال في البرامج التعليمية في نام التعليم المفتوح وتأثيره على أهم مؤسسات الدولة التعليمية بالتعليم العالى والجامعات.

وقد أدت التطورات المتسارعة في مجالات تكنولوجيا الاتصال وتقنيات الحاسوب والوسائط المتعددة، إلى ظهور أثرها بوضوح في جميع مجالات الحياة اليومية ومنها التربية والتعليم، وما لها من مميزات عديدة في توفير الجهد والوقت والمال،

إلى جانب ما تتمتع به هذه التقنيات من إمكانية في التحاور مع المتعلم الذي أصبح محور العملية التعليمية وبالتالي لابد من إعطائه الدور الأكبر في تنفيذها.

هناك جملة من الأسباب التي استدعت إلى استخدام تكنولوجيا الاتصال بحيث أصبح استعمالها ضرورة لا غنى عنها في تفعيل العملية الاتصال بشكل عام وإنتاج البرامج التعليمية بشكل خاص، ومن هذه الأسباب الانفجار المعرفي، والانفجار السكاني والثورة التكنولوجية، واتساع التعليم العالي أفقياً وعمودياً.

يحتاج هذا الواقع إلى نوعية جديدة من الاتصال، تستخدم فيه التكنولوجيا الحديثة التي تم التوصل إليها.

وأحدث أنواع الوسائط لتفعيل العملية الاتصالية بالمؤسسات التعليمية وخاصةً في الجامعات، ومراكز البحث العلمي، وبرامج التدريب والتعليم المستمر والتعليم الإلكتروني والتعليم عن بُعد، لخدمة المجتمعات البسيطة والمعقدة، فنجد أن الجامعات تسعى لتحقيق هذه الأهداف من خلال استخدام تكنولوجيا الاتصال التي تتناسب معها.

مشكلة البحث :

ارتبطت بحوث الإعلام بالتطورات العلمية والتكنولوجية التي أثرت في بناء المجتمعات وتقدمها ونجاحها؛ بسبب التنوع والتطور السريع لوسائل الاتصال والإعلام التي أصبحت تحتل مكانة هامة في تنمية المجتمعات؛ ونظراً لحداثة ومحدودية استخدام تكنولوجيا الاتصال في الجامعات السودانية نسبياً، لابد للباحثة من القيام ببعض البحوث الاستكشافية لتوفير المعلومات اللازمة ورسم مسارات العلاقات السببية والعلاقات المتبادلة والمترابطة، وبما أن مشكلة البحث هي عبارة عن ملاحظة أو تساؤلات، يضع لها الباحث بعض الفرضيات من النفي أو الصحة، يكون الباحث في عملية بحث مستمر لربط السبب بالمسببات، ولإيجاد جواب مقنع وكافي لتساؤلاته .

ويمكن تلخيص مشكلة البحث في السؤال التالي: **(ما مدى فاعلية تكنولوجيا الاتصال في تطور البرامج التعليمية بمؤسسات التعليم العالي؟**

أهمية البحث: ويمكن تلخيص أهمية الدراسة فى ثلاث محاور أساسية وهي:

1/ أهمية استخدام تكنولوجيا الاتصال وفعاليتها وتأثيرها على التعليم العام والعالي.

2/ أهمية استغلال تكنولوجيا الاتصال والتعليم في تجويد العملية التعليمية .

3/ أهمية النتائج التى توصلت إليها الدراسة وانعكاساتها على مؤسسات التعليم بالدولة.

أهداف البحث

1- الوقوف على فاعلية تكنولوجيا الاتصال المستخدمة في التعليم العالي عامة والتعليم الإلكتروني على وجه الخصوص.
2- التعرف على تكنولوجيا الاتصال وانعكاساتها على العملية التعليمية بالجامعة العربية المفتوحة
3- الوقوف على طريقة استخدام الجامعة للوسائط التكنولوجية في إدارة العملية التعليمية.
4- الوقوف على البرامج المستخدمة في استيعاب المقررات الدراسية، والامتحانات الفصلية وربطها بالمركز بالكويت.
5- رفد المكتبة الوطنية بمثل هذا النوع من الدراسات التي ترتبط بالعلوم والتخصصات المختلفة .

التساؤلات:

1. ما نوعية تكنولوجيا الاتصال المستخدمة في العملية التعليمية بالجامعة العربية المفتوحة؟

2. إلى أي مدى نجحت تكنولوجيا الاتصال المستخدمة في توضيح البرامج التعليمية في التعليم عن بُعد وما مدى انعكاساتها على التعليم المفتوح في الجامعات؟
3. ما البرامج التطبيقية (الفنية) التي تستخدم في إعداد وإنتاج وإخراج البرامج التعليمية بالجامعة العربية المفتوحة؟
4. إلى أي مدى يتم استخدام الوسائل التعليمية والوسائط التكنولوجية في إدارة العملية التعليمية بالجامعة العربية المفتوحة؟
5. ما الخطط المستقبلية للجامعة العربية المفتوحة في تطوير إنتاج البرامج التعليمية الحديثة؟

فرضيات البحث:

من خلال الإحساس بأهمية استخدام التكنولوجيا بالعملية وتأطير مجالها وصياغتها الأولية، ثم تشخيص بعض المعايير والوسائل لاختيارها وتحديدها من أجل تقويمها، الأمر الذي ساعد الباحثة على انتقاء الفروض العلمية جوهر المشكلة من حيث وظيفتها وفاعليتها وحدودها .

الفروض:

1. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة بين تكنولوجيا الاتصال والتعليم عامة والتعليم الجامعي المفتوح على وجه الخصوص.
2. هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية سالبة بين تكنولوجيا الاتصال والبرامج التعليمية بالجامعة العربية المفتوحة.
3. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة في تدريب وتأهيل أعضاء هيئة التدريب والمنتسبين للجامعة على التقنيات الحديثة المستخدمة.
4. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية سالبة من خلال استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة والبرامج التعليمية.

منهج البحث:

استخدمت الباحثة كذلك المنهج الوصفي، التحليلي، والتاريخي بطرقه المختلفة وخاصة طريقة المسح والعلاقات السببية والمقارنة والتحليل إضافة إلى المنهج الإحصائي واستخدام صحيفة الاستبانة وتحكيمها، وكذلك تم استخدام المنهج المسحي التاريخي لتتبع مسيرة دخول تكنولوجيا الاتصال في الجامعة موضوع البحث ومعرفة انعكاس ذلك علي العملية التعليمية، ومن ثم تشخيص أنواع البيانات والمعلومات الضرورية للبحث، هذا بالإضافة إلى تحديد أساليب جمعها، وتشمل الملاحظة والمقابلة والاستقصاء والحرص الشديد على إعتماد الثبات والصدق للفروض وتطبيقاتهما في تصميم صحيفة الاستقصاء.

أدوات البحث:

1-الملاحظة:

هي واحدة من أكثر الآليات المتبعة قدمًا لجمع البيانات، وتقوم على أساس المراقبة الظاهرة، أو السلوكيات التي تخضع للبحوث وتتناولها الدراسات، ومتابعتها والنظر في توجهاتها، وهذا عن طريق أساليب علمية صحيحة، للتوصل إلى الروابط التي تجمع كل تلك المتغيرات، والعمل على إيجاد تفسير مناسب لها، والتنبؤ بما قد تسببه مستقبلًا، ومحاولة السيطرة على اتجاهاتها بما يخدم البشرية (مطر 2018م، ص47)، وإستخدمت الباحثة هذه الأداة منذ بداية الإحساس بمشكلة البحث، ومن ثم تم توجيهها بالأساليب العلمية الصحيحة لمنهج البحث العلمي، والخطوات المرتبة للوصول الى النتائج المرجوء.

2- الاستبانة:

هو أحد أدوات جمع البيانات للبحث العلمي، ويتمثل في استمارة تشتمل عدد من الأسئلة، والتي تخضع لترتيب محدد، وقد يتوافر لتلك الأسئلة عدد من الخيارات التي يجب على أفراد عينة الدراسة (المبحوثين) الاختيار فيما بينها، وقد يُضاف إلى تلك الخيارات إمكانية وضع الرأي الخاص بالمبحوث مع اختياره، أو تفسير لما فضل هذا الخيار، كما أنه قد لا تتوافر تلك الخيارات أساسًا، وتترك الحرية كاملة للمبحوثين للتعبير عن آرائهم؛ ويوزع عدد من الاستبيانات على أفراد مجتمع الدراسة، وتمثل الاستبانات الصالحة للاستخدام العدد الفعلي لأفراد عينة الدراسة(خليل، 2008م، ص43)، وقد صممت الباحثة إستبانة محكمة تم توزيعها على عينة الدراسة ومن ثم تم تحليلها وتوصلت الباحثة للمطلوب منها.

3-المقابلة:

هي الآلية التي يستخدمها الباحث لجمع البيانات في البحث العلمي، وهذا في حالة حاجته إلى بيانات تتخطى في طبيعتها الإطار النظري، حيث تتمثل المقابلة في نقاش يدور بين الباحث وأفراد عينة الدراسة، ويقوم الباحث بتوجيه هذا النقاش للحصول على آراء أفراد عينة الدراسة في المتغيرات التي يسعى لقياسها، وتتميز المقابلات في أنها لا توفر مجرد إجابة للباحث فقط، بل توفر له كذلك الاستجابات كاملة لأفراد العينة من إيماءات بالرأس، أو حركات بالجسد، من شأنها التعبير بدقة أكبر عن استجابات أفراد عينة الدراسة.(عطوان، 2018م ص39)،أتبعت الباحثة أداة المقابلة مع المبحوثين في مجتمع البحث والذين لابد من الوصول إليهم ومعرفة المعلومة التي قد تكون غائبة عن المبحوثين عن طريق الإستبانة لإكتمال الصوره المطلوبة لدي الباحث، أو هي أخذ المعلومة بإجراء مقابلة وجهاً لوجه مع منتجين وعاملين في مجتمع البحث، وإستفادة الباحث من تغطية الجوانب الأخرى من البحث التي لن تغطيها إلا المقابلة.

الدراسات السابقة:

إطلعت الباحثة على كثير من الأوراق العلمية المنشورة ووقائع المؤتمرات المتعلقة بموضوع الدراسة والمجلات العلمية المحكمة، والدراسات السابقة لتدعيم البحث بما توصل إلية الباحثين من قبل في هذا الموضوع مقارنتاً بماتطرحه من أسئلة وفروض في هذه الدراسة، ولتحقيق الأهداف المرجوه من الدراسة ، وتناولت الباحثة مضمون الدراسات السابقة التي وردت في البحث وهنا تناولت دراسة واحده بشي من المقارنة، وهي دراسة:

(محمود،2006م) بعنوان:توظيف تكنولوجيا التعليم في برامج التعليم عن بُعد في كلية التربية من وجهة نظر أعضاء هئية التدريس.

هدفت هذه الدراسة وبشكل أساسي للتعرف الى الواقع الحالي لتوظيف تكنولوجيا التعليم في كليات التربيه بالجامعات السودانية، وتأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تبنت نظام التعلم عن بعد، وذلك في برامج هذا النظام ومقرراته. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وصمم الباحث استبانة بغرض التعرف إلى واقع توظيف تكنولوجيا التعليم وثباتها قام بتوزيعها على المفحوصين من أساتذة كليات التربية، ثم اتبع العديد من المعالجات الاحصائية كاختبارات كاي ومعامل ارتباط بيرسون وتحليل التباين الأحادي لتحليل البيانات، ولقد توصل الباحث للعديد من النتائج أبرزها: توظيف تكنولوجيا التعليم في برامج التعلم عن بعد بهذه الكليات.

مقارنة الدراسة بالحالية :

من حيث الهدف توظف الدراسة السابقة تكنولوجيا التعليم في كليات التربية بالجامعات السودانية، بينما تهدف الدراسة الحالية لدراسة تكنولوجيا التعليم والاتصال بالجامعه بكل الكليات والتخصصات الخاصة والتعليم المفتوح . من حيث

المنهج سلكت الدراسة السابقة المنهج الوصفي التحليلي ومعالجة البيانات ببرنامج معامل اختبار بيرسون ، وخلصت الدراسة السابقة بالنتيجة التالية : إمكانية توظيف توظيف تكنولوجيا التعليم في برامج التعلم عن بعد بهذه الكليات، وهي من بعض النتائج التي خلصت بها هذه الدراسة.

النظريات الداعمة للبحث: إعتمدت الباحثة على بعض النظريات العلمية الخاصة بشقي البحث الإتصال والتعليم ومنها:

1. النظرية الحتمية التكنولوجية لوسائل الإعلام (أبو العلا،2013م، ص113)
2. نظرية الاستخدامات والإشباعات: (الضلاعين،2016م، ص22).

المصطلحات الواردة في البحث:

الفاعلية: عرفتها دائرة المعارف الأمريكية بأنها: المدى الذي عنده تستطيع المؤسسة تحقيق نتائج مقصودة.(المعجم العربي الأساسي ، ص801)

تقابل كلمة "الفاعلية" العربية كلمة (Efficacy) في اللغة الإنجليزية وهي تتحدد عندهم بكونها وصفاً لكلّ شيء فعّال، وجاء في كتاب البحث التحليلي لأوروبا أنّها الروح – ويقصد بها الفاعلية وهي: "ذلك الشعور القوي في الإنسان الذي تصدر عنه مخترعاته وتصوراته، وتبليغه لرسالته، وقدرته الخفية على إدراك الأشياء."

ويُعرّف مالك بن نبي الفاعلية بأنها: حركة الإنسان في صناعة التاريخ، قال – رحمه الله – : "إذا تحرّك الإنسان تحرّك المجتمع والتاريخ، وإذا سَكَنَ سكن المجتمع والتاريخ،." التكنولوجيا في الإصطلاح لها عدة تعاريف منها:

عرفت بأنها: العلم الذي يهتم بتحسين الأداء والممارسة، والصياغة في أثناء تخطيط العمل(الكلوب، 1988م، ص26).

كما عرفت بأنها: علم تطبيق المعرفة في الأغراض العملية بطريقة منظمة(الحلية، 2002م، ص16)، وأنها دراسة كيفية وضع المعرفة العلمية في الاستخدام العملي لتوفير ما هو ضروري لمعيشة الإنسان ورفاهيته(غزاوي،2000م، ص35)، وعرفت بأنها التنظيم الفعال لخبرة الإنسان من خلال وسائل منطقية ذوات كفاية عالية وتوجيه القوة الكامنة في البيئة المحيطة بنا للاستفادة منها في الربح المادي(المزاهرة والطباعة، 2014م ، ص42).

الإتصال:

الاتصال اصطلاحا : هو عملية نقل المعرفة بأنواعها المختلفة والمعلومات من شخش لآخر أو من نقطة لأخرى وتتخذ مسارات عدة من المصدر إلى المستقبل ثم يرتد ثانياً إلى المصدر وهذه الارتدادات تأتي في صوراً تساعد المصدر على معرفة مدى ما تحقق من أهداف فيغير المرسل من رسالته ومن محتوياتها وطريقة تقديمها وعرضها بما يحقق التفاهم المنشود.

ومن هنا يتبين لنا أن عملية الاتصال لا تسير في اتجاه واحد بل هي عملية دائرية (مصدر. مستقبل . مصدر) تحدث داخل مجال أوسع وأشمل يضم كل الظروف والامكانيات التي تحيط بعملية الاتصال ويؤثر فيها بالتفاعل المستمر بين عناصرها (الطوبجي، 1987م، ص23).

البرامج التعليمية:

اصطلاحاً: هي مجموعة من الأنشطة والإجراءات، التي تحدث داخل الصف الدراسي أو الفصل الدراسي، وذلك بهدف إكساب الطلاب مهارات عملية، أو معارف نظرية، أو إتجاهات إيجابية، وذلك ضمن نظام مبني على مدخلات ومعالجة ثم مخرجات. وتقصد بها الباحثة في هذه الدراسة برامج التعليم المفتوح بأنواعة وأدواته وأهدافه وتطوراته ومعالجاته ومخرجاته.

مفهوم العملية التعليميّة

هي العملية التي ينتج عنها ظهور سلوك جديد للمتعلم يختلف تماماً عن السلوك الذي كان يتبعه سابقاً نتيجة حصوله على كم ونوع جيدين من المعلومات اللازمة لإحداث هذا التغيير الإيجابي، أي أنّها تُشكل نمواً في استجابات المتعلم التي يكتسبها بفعل المثيرات البيئية المحيطة به.

وأيضاً هي العملية التي تقوم على جُملة من العناصر الأساسية التي تتمثّل في المُعلم أو المُدرس الذي تقع على عاتقه مسؤولية نقل المعلومات والمعارف، والحقائق، والأرقام إلى المتعلم بأساليب متعددة يثق بها ويؤمن بدورها الفعال في تحقيق الأهداف المراد الوصول إليها من العملية التعليمية، وكذلك المتعلم الذي يُمثّل المُستقبل لهذه المعلومات، والذي يهدف من خلالها إلى الانتقال من مرحلة اللامعرفة إلى مرحلة المعرفة، ومرحلة الجهل إلى العلم، وكذلك المادة التعليمية أو المساق أو البرنامج التعليمي الذي يضم الموضوعات الحياتية المختلفة من فيزياء، وكيمياء، وتاريخ، ولغات وغيرها، فضلاً عن الصف والبيئة التعليم

البرامج التعليمية : تناولت الباحثة هذه البرامج التعليمية كنموذج من نماذج البرامج التعليمية التي ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالتكنولوجيا الحديثة وتطورتها المستمره، وتتبعت هذه البرنامج منذ النشأة والمراحل المختلفة التي مرت بها، وتلخص الباحثة هذه البرامج فى:

(التعليم المفتوح، والتعليم عن بُعد، والتعليم الإلكتروني، والتعليم المدمج)

أولاً:الإطار النظري :

تتناول الباحثة في هذا الإطار توضيح مختصر لبعض محاور الدراسة من الناحية النظرية بشي من التفسير لبعض الكلمات، فكلمة الفعالية تقصد بها الباحثة الفعل وحدوثه بصفته الكامنه في الكلمة، أى بطريقة نشطة وفعاله، وياتي من خلال هذه الدراسة بمعني قياس فاعلية استخدام التكنولوجيا في الوسط التعليمي وبرامج التعليم المفتوح التي جاءت كنتاج حديث لثورة الاتصال والاعلام والمعلومات وما إذا كانت هذه التكنولوجيا تستخدم بصورة نشطة في مجال التربية والتعليم بوسطة البرامج التعليمية والعملية التعليمية التي تضمن إكساب خبرة نظرية وتطبيقية للمتعلمين بأساليب تقليدية وعصرية مختلفة يقع على المُعلم مُهمة اختيار الأفضل منها.

خصائص العملية التعليميّة:

عملية اجتماعيّة حيث تستهدف العمليّة التعليميّة العقول الإنسانية والبشرية، وتسعى إلى نقلهم من واقع إلى واقع أفضل منه، عن طريق إكسابهم المعارف المختلفة.

عملية فرديّة حيث يتمكن فيها الفرد من الحصول على المعارف التي يريدها عن طريق التعلم الذاتي، وقد انتشر هذا النوع من التعلم في الآونة الأخيرة بفعل انتشار التقنيات الحديثة.

عملية هادفة حيث تهدف إلى تحقيق الأهداف الرئيسية والفرعية، التي تشمل كلاً من الجانب العقلي والذهني، وكذلك النفسي والتربوي لدى المتعلم. (كلوب وفتحي، 2011م، ص431)

تعد العملية التعليمية مجموعة منظمة ومنسقة من الأنشطة والإجراءات التي تهدف إلى تلبية الاحتياجات التعليمية ضمن الشروط والأهداف التي يحددها التعليم العالي في الدولة، حيث ترتكز العملية التعليمية على المبادئ الأساسية ومنها:

الديمقراطية، والعلم، والإنسانية، وتهدف إلى إكساب المتعلم العديد من المهارات التعليمية التي تجعل من شخصية المتعلم أكثر قوة وإتزان، وتساهم في إتاحة فرص العمل أمامه. (كلوب وفتحي، 2011م، ص473)

عناصر العملية التعليمية :

تتضمن العملية التعليمية مجموعة من العناصر، وترى الباحثة أن أهمها:

1- المعلم: هو العنصر الأساسي الأول، والأكثر أهمية من بين عناصر العملية التعليمية.
2- المتعلم: وهو الركن الأساسي الثاني وهو المستهدف بالعملية التعليمية، ومن أجله يعد المنهج العلمي أو البرنامج الأكاديمي وله تهيأ البيئة الدراسية.
3- المنهج: يجب الاهتمام بمحتوى المنهج، بحيث يتضمن ويركز على تعليم وإكساب المتعلم المهارات والمعلومات الرئيسية في مواضيع مختلفة؛ مثل: التغذية، والنظافة وغيرها من المناهج التي تُعد وفقاً لطبيعة وحياة المتعلم.
4- الصف الدراسي: يجب الاهتمام في توفير بيئة تعليمية مناسبة تتوفر فيها شروط الأمان والسلامة، وتناسب جميع الفئات، وخصوصاً الطلاب ذوي الحاجات الخاصة.
5- الأداء الاكاديمي القيم والعالي: وهو رجع الصدى أو التأثير المطلوب من إعداد البرنامج التعليمي وتحقيق أهداف العملية التعليمية.

إدارة العملية التعليمية:

التمويل والتنظيم: وهو مدى تحمل الدولة للمسؤولية التي تقع على عاتقها تجاه المدرسة أو الجامعة؛ لكي تتمكن من ضمان كفاءة العملية التعليمية والاهتمام بأهم عنصرين من عناصرها هي المعلم والطلاب تتحقق جودة التعليم والتعلم عندما لا يقتصر أسلوب التعليم ونقل المعلومات على التلقين فقط من قِبل المعلم إلى الطلاب، بل عندما تتوفر أساليب تهدف إلى تحقيق المشاركة والارتباط بين المعلم والطلاب ضمن توجيهات وإدارة المعلم، مما يؤدي إلى بيئة تعليمية جيدة يتوفر فيها تفاعل وسعي وبذل جهد من قِبل الطلاب بهدف التعلم (الصاوي ، 2014م ، ص 37) .

حيث تركّز على الاهتمام بترتيب وتنظيم ساعات الدوام بشكل صحيح وهادف، والحرص على احترام إدارة المدرسة للمعلمين، واحترام المعلمين لبعضهم البعض، وكذلك احترام المعلمين للطلاب حيث ينبغي معرفة ما يملك كل طالب من مهارات وخبرات، ومعرفة طبيعة البيئة التي يعيش فيها ومعرفة نوع التخصص والبرنامج الذي يدرس به الطالب.

البرامج التعليمية

أولاً: التعليم المفتوح: التعليم المفتوح عبارة عن سياسة تعليمية تقوم فلسفتها على حق الأفراد بالوصول إلى الفرص التعليمية المتاحة ، أي أنه تعلم جماهيري لجميع الناس ويتسم بالمرونة من حيث شروط القبول به واختيار الدارسين ، وطريقة التعليم ، وزمنه ومكانه ، ومحتواه تبعاً لظروفهم وإحتياجاتهم .

ويعرف التعليم المفتوح في بعض الأحيان على أنه شكل من أشكال التعليم العالي يتيح الفرصة لجميع الأفراد للدراسة فيه أيا كان إهتماماتهم أو سماتهم ، ويتسم هذا النظام بالمرونة الكبيرة بالنسبة لمتطلبات الدراسة ، فالطالب له الحق في أن يدرس في أي وقت يشاء كلما سمحت ظروفه ، فقد يسرع أو يبطأ أو يؤجل وغير ذلك من حقوق تسمح له بمواجهة كافة الإحتياجات لكافة الأفراد . (إبراهيم وسعد الدين ، 1998م ، ص 67).

وينظر قاموس التربية إلى المفتوح على أنه تعليم يقوم علي مرونة كل من المكان والتوقيت والمناهج وعلي التخطيط المشترك بين المعلمين والطلاب من أجل رسم الاهداف والأنشطة التعليمية .

إشكال التعليم المفتوح:

- الدراسة بالمراسلة Corresponden Education .
- التعليم المفتوح Open Education .
- **الدراسات المستقلة Independent Study**

وتعد الدراسة بالمراسلة نظاماً تقوم فيه المدارس والجامعات وغيرها من المؤسسات التعليمية معتمدة على الكلمة المطبوعة المرسلة بالبريد إلى الدارسين حيثما يكونون، وبالرغم من أن أسلوب الدراسة قد تطور وانتشر في القرن العشرين ، إلا أن جذوره التاريخية تضرب في أعماق التاريخ .(الخوالدة ومحمد، 1998م، ص33) .

وقد يكون التعليم المفتوح في صورة جامعة مفتوحة Open Universityتعتمد على البرامج الإذاعية والتلفيزيونية المكملة للكتب والنشرات التي ترسل بالبريد إلى الطلاب ، في حين أن الدراسات المستقلة تتم بمنأى عن قيود الزمان والمكان التي تعد ضرورية في نظام تعليم يجعل من الممكن بالنسبة للمتعلم متابعة الدراسة في ميادين يميل إليها بطريقة مستقلة متحررا من أية قيود كالوقت أو المكان أو التوجيهات التي قد تفرض في ظل التدريس التقليدي .

أهداف التعليم المفتوح:

1- تمكين الدارسين من التعامل مع واقع الحياة داخل مجتمعاتهم وتبصيرهم بخصائصها ومشكلاتها وحاجاتها الإنسانية، وما تتطلبه هذه المجتمعات من معرفة وقدرات، وأنظمة التكنولوجيا .(أبوغريب،عايدة،2004م،ص40).

2- إعداد كوادر علمية وفنية ومهنية تتصل ببرامج التنمية الإجتماعية والإقتصادية داخل البيئات الإقليمية المختلفة. (دليل الجامعة،2005م، ص60)

أهمية التعليم المفتوح:

1- الغربة للدراسة خارج القطر من أهم الأسباب التي تؤدي إلى هجرة العقول البشرية التي تبني عليها الدولة آمالاً كبيرة للمساهمة في التنمية والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم ودراستهم العلمية .

2- يتيح التعليم عن بعد رؤية عالمية في البحث عن حلول دولية للمشكلات التي تعترض أنظمة التعليم التقليدي والتي منها تضخم المعرفة والإنفجار السكاني وندرة الموارد وغيرها .

3- يدعم التعليم الجماهيري، والتعددية الجانبية والأنظمة البيئية والتي تشكل المطلب الأساسي لتكوين رؤية عالمية للتنمية الدولية. (بكر وعبد الجواد،2000م،ص98).

ثانياً: التعليم عن بُعد:

هو نظام تعليمي يقوم على إيصال المادة التعليمية مقروءة أو منبثة أو إلكترونية للطالب عبر وسائل الإتصال التكنولوجية المتعددة، حيث يكون التعلم بعيداً عن بيئة المعلم .(محمد عصام نجيب ، 2005م ، ص18).

مبادئ التعليم عن بعد :

نجد أن هناك بعض المبادئ الأساسية التي يقوم عليها التعليم عن بعد من أهمها : (عامر , بدون ت, ص 26).

1- مبدأ الإتاحة Accessibility وهي تعني أن الفرص التعليمية في مستوى التعليم العالي متاحة للجميع بعض النظر عن كافة أشكال العقبات المكانية والموضوعية.

2- مبدأ المرونة وهي تخطي جميع الحواجز التي تنشأ بفعل النظام أو فعل القائمين عليه, لكن هذه الزاوية أخذت بكثير من الحذر في أكثر برامج التعليم عن بُعد المعاصرة .

3- تحكم المتعلم وتعني أن الطلبة يمكنهم ترتيب موضوعات المنهج المختلفة بحسب ظهورهم وقدراتهم, وإختيار أساليب تقويميه لذلك, إلا أن هذه الخاصية تؤخذ بتحفظ شديد في معظم برامج التعليم من بعد المعاصرة .

4- اختيار أنظمة التوصيل choice of delivery systemsوذلك أنه ؛ نظراً لأن المتعلمين لا يتعلمون بنفس الطريقة فإن إختيارهم الفردي لأنظمة التوصيل العلمي (بالمراسلة, بالحاسوب والبرمجيات بالهوائيات, بلقاءات) يعد سمة أساسية لهذا النمط من التعليم .

5- الإعتمادية Accreditation وتعني مدى مناسبة البرامج الدراسية ودرجتها العلمية للأغراض المتواخاة منها مقارنة بغيرها ومن زاوية أخرى فهي تعني الاعتراف بهذه البرامج وآلياتها وقابلية محتواها للاحتساب في مؤسسات مختلفة .

وترى الباحثة أيضاً من مبادئ التعليم عن بعد: مبدأ ديمقراطية التعليم، مبدأ برمجة التعليم وتفرده، مبدأ ضبط المتعلم لعملية تعلمه، مبدأ إثارة الدوافع الذاتية، مبدأ تطوير التعليم والاستمرارية.

أهمية التعليم عن بعد

لقد كان لازدياد الطلب الإجتماعي على التعليم دافعاً هاماً للبحث عن أساليب تتمشى مع الأعداد الكبير عليه، خاصة وأنه يعتمد على جهد الدارس من المعلم وترجع أهمية التعليم عن بعد إلى أنه يلعب أدوراً كثيرة لايمكن إغفالها صورة التنمية وخاصة التنمية الثقافية وتظهر أهمية في النقاط التالية (عامر, بدون ت, ص 26)

1. يعمل على توفير الفرص التعليمية لكل راغب فية بصرف النظر عن العمر.
2. يعمل في التنمية الإقتصادية على تدريب وإعداد الأيدي الماهرة والمدربة والمتخصصة في كافة المجالات وذلك من خلال تنفيذ البرامج التعليمية ذات الصلة بالحاجات التنموية للمجتمع وتحديد التخصصات اللازمة التي تؤدي دورها بفعالية في العملية التنمية والتعليم .
3. يحقق درجة عالية من التوازن والمداومة بين مطالب المجتمع المتغير والحاجات التعليمية المتنوعة، ولهذا يعد من أنسب البدائل للتعليم المستمر وتعليم الكبار والذاتي ويقدم إلى من يسعى لتنمية المعارف في مجال تخصصة أو دراسة تخصص جديد حتى توفير فرص التعليم للمحرومين منه، ولمن يعوقهم عائق اجتماعي أو مادي أو بدني.

عناصر التعليم عن بعد:إن وجود إطار فكري للتعليم عن بعد، يعد أمراً ضرورياً لكافة المهتمين بهذا النوع من التعليم ، وإن استخدام إسلوب النظم أحد الأساليب الهامة في تحليل مفهوم التعليم عن بعد والإدراك ما تقدم توضح (القحطاني ، 2010م ، ص 90) عناصر نظام التعليم عن بعد كالآتي :

1. المدخلات : المتعلم والمعلم والتقنيات والمواد التعليمية والمقررات الدراسية.
2. العمليات: سلسلة التفاعلات بين مدخلات من أجل بلوغ أهداف التعليم عن بعد .
3. المخرجات: نمو التعليم كافة الجوانب المعرفية والانفعالية والنفسية .

مستويات التعليم عن بعد :

يتم التعليم عند بعد من خلال عدد من المستويات المختلفة :

مؤسسات النظام الواحد single Mode Institutions : وفيها يعد التعليم عن بعد النشاط الوحيد حيث تكرس الجامعة وهيئة التدريس والعاملين بها نشاطهم حول التعليم عن بعد , وتختلف مسئولياتهم جميعاً عن مسئوليات العاملين بالجامعات التقليدية وعن المدارس والكليات وأقسام التدريبات الأخرى.

مؤسسات النظام المزدوج Dual Mode Institutions : وهي مؤسسة تضيف التعليم عن بعد إلى النظام الموجود مسبقاً وإلى التدريس داخل الفصل لوضع إدارة التصميمات الخاصة والأنشطة التدريسية اللأزمة للبرامج عالة الجودة في التعليم عن بعد، (مور وكيرسلي , 2009 , ص 16) .

مميزات التعليم عن بعد :

أهم مميزات التعليم عن بعد في النقاط التالية (مدني،2007، ص 157 – 179) .

1. يعد التعليم عن بعد طريقة جديدة في التعليم تعتمد على أساليب مغايرة لا تستخدم في التعليم التقليدي.
2. يعد التعليم عن بعد أقل تكلفة من نظم التعليم الأخرى، حيث أن هناك إقتصاد في النفقات .
3. إن التعليم يتميز بشيوع ظاهرة اقتصاديات الحجم الكبير كما يذكر desmond kegan في دراسة قام بها في ميدان التعليم عن بعد في جامعة هيجان عام 1983 قد حددت مميزات هذا النظام فيما يلي:

-1 التحرر من قيود المكان والزمان وهذا يعني القدرة على تنفيذ النظام في أي مكان.

-2 مميزات المعلمين، تتمثل في الاهتمام بالتعليم أكثر من التدريس حيث يحرر النظام المعلمين من القيود بسبب تحررهم من الأعمال الإدارية والأدوار التقليدية، كما يجعلهم على صلة بإستخدام وسائط ومداخل متعددة.

ثالثًا: التعليم الإلكتروني:

تعددت تعريفات التعليم الالكتروني تبعاً للمجال الذي يتناول ذلك المسطلح فالمتخصصون في نواحي التقنية يهتمون بالأجهزة والبرامج، بينما التربويون يهتمون بكيفية إستخدام هذه الأجهزة وتلك البرامج في العملية التعليمية، في حين تهتم قطاعات الأعمال بالعائد المادي المتوقع من هذا النشاط على أساس أنه فرع من فروع التجارة الالكترونية .

يمكن أن نتناول بعض المفاهيم حول التعليم الإلكتروني ومن وجهة نظر بعض العلماء:

يعرفه العويد والحامد بأنه : تعليم يهدف إلى أيجاد بيئة تفاعلية غنية بالتطبيقات المعتمدة على تقنيات الحاسب الآلي والشبكة العالمية للمعلومات وتمكن الطالب من الوصول إلى مصادر التعليم في أي وقت ومن أي مكان أثر التدريس بإستخدام الفصول الإفتراضية .

كما يعرفه العريفي بأنه : تقديم المحتوى التعليمي مع ما تضمنه من شروحات وتمارين وتفاعل ومتابعة بصورة جزئية أو شاملة في تفاصيل أو من بعد بواسطة برامج متقدمة مخزنة في الحاسب أو عبر الشبكة العالمية للمعلومات .

ويعرفه غلوم بأنه : نظام تعليمي يستخدم تقنيات المعلومات وشبكات الحاسوب الآلي في تدعيم وتوسيع نطاق العملية التعليمية من خلال مجموعة من الوسائل منها : أجهزة الحاسب الآلي, الشبكة العالمية للمعلومات والبرامج الالكترونية المعدا إما من قبل المختصين في الوزارة أو الشركات.

أهمية التعليم الإلكتروني :

قامت كثير من الأبحاث بدراسة أهمية التعليم الإلكتروني ومردوده ، وخلصت إلى أن للتعليم الإلكتروني الفعال نتائج واعده في تطوير المسيرة التعليمية وأكدت أن البيئية التعليمية الثرية تكنولوجيا تثمر مردوداً إيجابياً يمكن أن نحدده في مجالات التالية : (فرح، بدون ت، ص20)

في تدعيم وتوسيع نطاق العملية التعليمية من خلال مجموعة من الوسائل منها : أجهزة الحاسب الآلي, الشبكة العالمية للمعلومات والبرامج الالكترونية المعدا إما من قبل المختصين في الوزارة أو الشركات.

تطور التعليم الإلكتروني:

مرَّ التعليم الالكتروني بمراحل عدة، ولكن هنالك مرحلتان أساسيتان يجب الوقوف عليهما: (هاشم ، 1438هـ.2017م، ص 47).

المرحلة الأولى: من سنة 1993م . 2000م بدأت هذه المرحلة بظهور الإنترنت، ثم ظهور البريد الإلكتروني، والبرامج الإلكترونية لعرض أفلام الفيديو مما أضفى تطوراً هائلاً لبيئة الوسائط المتعددة .

المرحلة الثانية: من سنة 2001م وما بعدها ظهر الجيل الثاني والثالث للإنترنت حيث أصبح تصميم المواقع على الشبكة أكثر تقدماً وذو خصائص من ناحية السرعة وكثافة المحتوى.

أدوات التعليم الالكتروني المباشر (المتزامن): ويتم من خلالها نقل المعلومات والدروس والإمتحانات وتبادلها بين المعلم والمتعلم في الوقت الفعلي لتدريس المادة ومن أمثلتها: (الهاشمي ، 2014م، ص 49).

1. **المحادثة(chat) :** تتيح هذه الأداء الحوار أو النقاش المتزامن مع الآخرين, كما تسمح من خلال البرامج الجاهزة للمحادثة التفاعلية بين المتحدثين كتابتاً وصوتاً, وقد تضاف إلية الصورة في برامج معده لهذا الغرض، كما يمكن استضافة الخبراء والمتخصصين للرد على إستفسارات المتعلمين من خلال قنوات خاصة بجانب غرف النقاش المتاحة على شبكة الإنترنت.
2. **المؤتمرات الصوتية:** التقنية الالكترونية تعتمد على الانترنيت لإستخدام أحد الهواتف وآلية للمحادثة على هيئة خطوط هاتفية توصل المتحدث (المحاضر) بعدد من المستقبلين (الطلاب) في أماكن متفرقة.
3. **مؤتمرات الفيديو:** وهي المؤتمرات التي يتم التواصل من خلالها بين أفراد تفصل بينهم مسافة من خلال شبكه تلفزيونيه عالية القدرة عن طريق الإنترنت، ويستطيع كل فرد متواجد أن يرى المتحدث، يمكنه أن يتوجه إليه بأسئلة استفسارية أو التحاور معه.

رابعاً: التعليم المُدمج: عند التطرق إلى مفهوم التعليم المدمج يتضح أنه مفهوم قديم جديد، إذ أن له جذوراً قديمة تشير في معظمها إلى دمج طرق التعليم واستراتيجياته مع الوسائل، ويطلق عليه عدة مسميات مثل :

التعليم الخليط (Mixed Learning)، التعليم المزيج (Blended Learning)، التعليم التكاملي (Integrated Learning).

أهداف التعليم المدمج :

يهدف إلى مساعدة المتعلم على تحقيق مخرجات التعليم المستهدفة، وذلك من خلال الدمج بين أشكال التعليم التقليدية والتعليم الإلكتروني بأنماطه، داخل قاعات الدراسة والمجال العلمي وتدعيم المعلومات، كما أنَّه يُحقق زيادة رضا الطالب عن التعلم، وزيادة فاعلية عملية التعليم من خلال متابعة الممارسة الفعلية بالمؤسسة التعليمية..

مشكلات التعليم المدمج:

هناك العديد من المشكلات التي تواجه التعليم المدمج، نذكر لكم عدداً منها:

- **مشكلة اللغة:** إنَّ معظم الأدوات والبرامج التي تُستخدم في نظام التعليم المدمج هي باللغة الإنكليزية، الأمر الذي يسبب صعوبة لغالبية الطلاب في التعامل معها بيُسرٍ وسهولة.
- **العوائق البشرية:** إنَّ قلة وغياب برامج التدريب والتأهيل للطلاب بصورةٍ عامة، وعدم توفر الخدمات الفنية والأطر المؤهلة في المختبرات بصورةٍ خاصة، يُعدَّان من أهم العوائق البشرية .
- **العوائق المادية:** وتتضمن نقص أجهزة الكمبيوتر والشبكات والبرمجيات، وغلاء تكلفتها إلى حدٍ ما.
- **المناهج والمواد الدراسية:** يتطلب الأمر تحويل المناهج الدراسية إلى ملفات إلكترونية للتعامل بسهولةٍ معها، ولكنَّ معظمها لا يزال مطبوعاً ورقياً.(حسن، وآخرون، 2013م، ص66).

ثانياً: الإجراءات المنهجية (عينة البحث) :

إختارت الباحثة عينة من الطلاب الملتحقين بالجامعة العربية المفتوحة بفرع السودان والفروع الأخرى ،قصدت الباحثة في عينة البحث أن يكون الطلاب من جميع المستويات والتخصصات للإجابة على أسئلة الإستبيان،ولطبيعة الدراسة في التعليم المفتوح تعزر للباحثة وجود العينة والعددية المطلوبة من الطلاب، بعد تردد كثير لمباني الجامعة لغرض توزيع صحيفة الاستبيان وعندما استحال الأمر لجأت الباحثة إلا تصميم استبيان الإلكتروني بواسطة برنامج البريد الألكتروني وتطبيق Google Drive وبعد إختبار صلاحيته ومراجعته من قبل المسؤولين تم التصريح برفعه من البريد الإلكتروني الخاص بالباحثة إلى المنصة التعليمية للجامعة LMS ، ولقد تراوحت مدة رفعه ما بين 45يوم إلى 60يوماً ، مع إطلاع الباحثة يومياً على عدد الطلاب الذين تعرضو للإجابة على الإستبيان ، حتى بلغ عددهم83 طالباً منهم 20من الإجابات على صحيفة الاستبيان لم تصلح للتحليل كما ذكر (أ. أمين عمر،المحلل الإحصائي لهذه الدراسة).وتم تحليل 63إجابة مستوفية الشروط، ونسبة لطول الفترة الزمنية التي تم فيها عرض الاستبيان وبناءً على أمر الجامعة من المنصة التعليمية إكتفت الباحثة بهذا العدد (قصرياً) وكانت تطمع في أن يصل حجم العينة إلى 100فما فوق كما حدث ذلك في دراسة الماجستير ،وتم تحليل اللإستبيان بالبرامج التالية :

أ. قيم معامل ألفا لكرونباخ، برنامج إكسل Spps لحساب المتوسط الحسابي والإنحراف المعياري لإتجاهات العبارة، اختبار مربع كايChi-Square Test) لاختبار الفرروق بين الإجابات على كل عبارة من عبارات المحور، ولقياس الصدق الظاهري للإستبانة تم ذلك من خلال تحكيم المحكمين الذين بلغ عددهم سته أفراد بصفات علمية مابين أستاذ مشارك ومعاون وبروف، وقياس الصدق والثبات الداخلي يتضح من خلال قيم معامل الإرتباط لبيرسون.

ب. صدق وثبات المقياس:

جدول رقم(1):قيم معامل (ألفا) لكرونباخ (صدق وثبات محاور المقياس)

م	اسم المحور	عدد العبارات	الصدق	معامل ألفا (الثبات) معامل ألفا لكرونباخ
1	استخدام تكنولوجيا الاتصال في البرامج التعليمية بالجامعة العربية المفتوحة.	10	0.91	0.84
2	استراتيجية الجامعة العربية المفتوحة	10	0.93	0.87
3	مخرجات العملية التعليمية من خلال الأداء الأكاديمي للطالب.	11	0.82	0.68
	الكلي		**0.93**	**0.88**

المصدر: من واقع تحليل بيانات الدراسة الميدانية (2021).

شرح وتفسير نتائج الجدول رقم (1):

الجدول رقم (1) يوضح نتائج اختبار قياس ثبات الاستبانة بطريقة معامل ألفالكرونباخ(Cronbach Alpha)، حيث قامت الباحث بتحليل معامل ألفا لكل محور من محاور الدراسة وذلك بهدف اختبار ثبات هذه المحاور، ومعامل الصدق والذي يساوي الجذر التربيعي لمعامل ألفا. وتتراوح قيمة معامل ألفا بين (0) و(1) وكلما اقتربت من الواحد دلت على وجود ثبات عالي وكلما اقتربت من الصفر دلت على ضعف الثبات.

ثانياً: تحليل البيانات الموضوعية للدراسة:

أ- محور استخدام تكنولوجيا الاتصال في البرامج التعليمية بالجامعة العربية المفتوحة

جدول رقم (8): التوزيعات التكرارية والنسبية لإجابات الطلاب على عبارات استخدام تكنولوجيا الاتصال في البرامج التعليمية بالجامعة العربية المفتوحة. (ن= 60)

رقم	الأبعاد	أو افق بشدة		أو افق		إلى حد ما		لا و افق		لا أو افق بشدة	
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
1	تستخدم الجامعة النظام المتكامل متعدد الوسائط.	31	**51.7**	21	**35**	5	**8.3**	2	**3.3**	1	**1.7**
2	وظفت الجامعة تكنولوجيا الاتصال لتوفير المقررات المطبوعة.	30	**50**	21	**35**	6	**10**	3	**5**	0	**0**
3	استفادت الجامعة العربية من تكنولوجيا الاتصال في استخدام الإشرطة السمعية واشرطة الفيديو والأقراص المدمجة وبرنامج zoom mating.	25	**41.7**	22	**36.7**	9	**15**	4	**6.7**	0	**0**
4	أتاحت الجامعة المناهج التعليمية عبر الانترنت للمساهمة في تطوير العملية التعليمية	34	**56.7**	16	**26.7**	10	**16.7**	0	**0**	0	**0**

5	يعتمد المنهج التعليمي في الجامعة العربية المفتوحة على مزيج من الدروس والمحاضرات المجدولة مما أدى إلى استيعاب المقررات بصورة ممتازة.	32	**53.3**	19	**31.7**	5	**8.3**	3	**5**	1	**1.7**
6	توجد تقنيات حديثة في التواصل بين إدارة الجامعة والمنتسبين إليها.	30	**50**	17	**28.3**	11	**18.3**	2	**3.3**	0	**0**
7	سهلت تكنولوجيا الاتصال طريقة التواصل بين الأستاذ والطالب	27	**45**	20	**33.3**	10	**16.7**	3	**5**	0	**0**
8	يعتبر تطبيقMicrosoft teamافضل من تطبيق Go to Training الذى تستخدمه الجامعه العربية المفتوحه فى المنصات التعليمية.	26	**43.3**	19	**31.7**	11	**18.3**	2	**3.3**	2	**3.3**
9	قللت تكنولوجيا الاتصال بالجامعة من نفقات السفر والحركة للمستفيدين من الخدمات التعليمية.	37	**61.7**	17	**28.3**	3	**5**	2	**3.3**	1	**1.7**
10	تواجه الطالب مشكلة لغة التدريس المستخدمة في الجامعة العربية المفتوحة.	13	**21.7**	7	**11.7**	15	**25**	22	**36.7**	3	**5**

المصدر: من واقع تحليل بيانات الدراسة الميدانية- برنامج SPSSو إكسل (2021)

شرح وتفسير نتائج الجدول رقم (8):

يوضح الجدول رقم (8) استجابات عينة الدراسة على العبارات المكونة لمحور استخدام تكنولوجيا الاتصال في البرامج التعليمية بالجامعة العربية المفتوحة وعددها (10) عبارات على مقياس ليكرت (Likert) للموافقة.

أظهرت النتائج بأن العبارة الأولى كانت فيها مجموع نسب الموافقة أعلى من عدم الموافقة، حيث بلغت نسبة الموافقة بشدة (51.7%)، ونسبة الموافقة (35%) مما يشير إلى أن الغالبية من المبحوثين ترى بأن الجامعة تستخدم النظام المتكامل متعدد الوسائط.

أما العبارة الثانية كانت نسب الموافقة أكبر أيضاً من عدم الموافقة، حيث أبدى نصف الطلاب (50%) موافقتهم بشدة، بينما أبدى (35%) موافقتهم على أنّ الجامعة وظفت تكنولوجيا الاتصال لتوفير المقررات المطبوعة للطالب.

وقد اتفق الطلاب في الغالب مع العبارة الثالثة، حيث أبدى (41.7%) موافقتهم بشدة، وأبدى (36.7%) موافقتهم على أنَّ الجامعة العربية استفادت من تكنولوجيا الاتصال في استخدام الاشرطة السمعية وأشرطة الفيديو والأقراص المدمجة وبرنامج zoom mating.

ونجد أن النسبة الغالبة من الطلاب (56.7%) وافقت بشدة، وهناك (26.7%) وافقت على أنَّ الجامعةأتاحت المناهج التعليمية عبر الانترنت للمساهمة في تطوير العملية التعليمية.

وكذلك اتفق الطلاب مع العبارة الخامسة، حيث أبدى (53.3%) موافقتهم بشدة، وأبدى (31.7%) موافقتهم على أنَّ المنهج التعليمي يعتمد في الجامعة العربية المفتوحة على مزيج من الدروس والمحاضرات المجدولة مما أدى إلى استيعاب المقررات بصورة ممتازة للطلاب.

فقد اتفق الطلاب في الغالب على صحة العبارة السادسة، حيث وافق بشدة (50%)، ووافق عليها (28.3%)، مما يشير إلى وجودتقنيات حديثة في التواصل بين إدارة الجامعة والطلاب.

وكذلك اتفق الطلاب مع العبارة السابعة في الغالب على أنَّ تكنولوجيا الاتصال سهلت طريقة التواصل بين الأستاذ والطالب، بنسب موافقة بشدة بلغت (45%)، وموافقة بنسبة بلغت (33.3%).وكذلك اتفق الطلاب مع العبارة الثامنة بنسبة موافقة بشدة (43.3%) ونسبة موافقة (31.7%)، وهذا يدل على أنّ يعتبر تطبيقMicrosoft teamسافضل من تطبيق Go to Training(مقابلة ،عثمان ، 2020م،الساعة 10صباحاً) الذى تستخدمه الجامعة العربية المفتوحة في المنصات التعليمية بين الأساتذه والطلاب.

أما استجابات المبحوثين على العبارة التاسعة فقد حملت في غالبها الموافقة على صحة العبارة، حيث أبدى (61.7%) موافقتهم بشدة، وأبدى (28.3%) موافقتهم على أنَّ تكنولوجيا الاتصال بالجامعة قلَّلت من نفقات السفر والحركة للمستفيدين من الخدمات التعليمية.

وعلى التغيض، اختلف المبحوثون مع العبارة العاشرة والأخيرة في هذا المحور، فهناك (36.7%) لم يوافقوا عليها ، وهناك 528.3%) لم يوافقوا عليها بشدة، مما يدل على أنَّ الطالب تواجهه مشكلة لغة التدريس المستخدمة في الجامعة العربية المفتوحة.

جدول رقم (9):المتوسطات والانحرافات المعيارية والإتجاهات لعبارات محور استخدام تكنولوجيا الاتصال في البرامج التعليمية بالجامعة العربية المفتوحة. (ن= 60)، يتم استخدام برامج Sppsإكسل لحساب المتوسط الحسابي والإنحراف المعياري لاتجاهات العبارة ومن ثم يتم ترتيبها حسب الوسط الحسابي كما موضح بالجدول رقم (9).

م	العبارات	المتوسط الحسابي	الحراف المعياري	اتجاه العبارة	الترتيب حسب الوسط الحسابي
1	تستخدم الجامعة النظام المتكامل متعدد الوسائط.	4.32	0.892	موافقة	3
2	الاتصال لتوفير المقررات وظفت الجامعة تكنولوجيا المطبوعة للطالب	4.30	0.850	موافقة	4
3	استفادت الجامعة العربية من تكنولوجيا الاتصال في استخدام الاشرطة السمعية واشرطة الفيديو والاقراص المدمجة وبرنامج zoom mating.	4.14	0.918	موافقة	8
4	أتاحت الجامعة المناهج التعليمية عبر الإنترنت للمساهمة في تطوير العملية التعليمية	4.40	0.764	موافقة	2
5	يعتمد المنهج التعليمي في الجامعة العربية المفتوحة على مزيج من الدروس والمحاضرات المجدولة مما أدى إلى استيعاب المقررات بصورة ممتازة للطلاب.	4.30	0.944	موافقة	5

6	توجد تقنيات حديثة في التواصل بين إدارة الجامعة والطلاب	4.25	0.876	موافقة	6
7	سهلت تكنولوجيا الاتصال طريقة التواصل بين الأستاذ والطالب	4.18	0.892	موافقة	7
8	يعد تطبيقMicrosoft teamأفضل من تطبيق Go to Training الذى تستخدمه الجامعة العربية المفتوحة فى المنصات التعليمية بين الأستاذة والطلاب.	4.08	1.030	موافقة	9
9	قللت تكنولوجيا الاتصال بالجامعة من نفقات السفر والحركة للمستفيدين من الخدمات التعليمية. الجامعة	4.45	0.872	موافقة	1
10	تواجه الطالب مشكلة لغة التدريس المستخدمة في العربية المفتوحة.	3.08	1.253	موافقة	10

ملحوظة : المتوسط المرجح = (5+4+3+2+1)/5= 3

المصدر: من واقع تحليل بيانات الدراسة الميدانية- برنامج SPPSو إكسل (2021)

جدول رقم (10) نتائج اختباركاي لدلالة الفروق بين إجابات المبحوثين على عبارات استخدام تكنولوجيا الاتصال في البرامج التعليمية بالجامعة العربية المفتوحة (ن=60) ، يوضح الجدول رقم(10) نتائج إختبار كاي لدلالة الفروق على العبارات وذلك بحساب قيمة كاي لإيجاد القيمة الاحتماليه من خلال الإجابات والسلم الخماسي للإجابات .

م	الأبعاد	قيمة مربع كأي	القيمةالإحتمالية(sig)	معنوية الفروق عند مستوى (5%)
1	تستخدم الجامعة النظام المتكامل متعدد الوسائط.	59.333	0.000	دالة احصائياً
2	وظفت الجامعة تكنولوجيا الاتصال لتوفير المقررات المطبوعة للطالب	32.400	0.000	دالة احصائياً
3	استفادت الجامعة العربية من تكنولوجيا الاتصال في استخدام الاشرطة السمعية واشرطة الفيديو والاقراص المدمجة وبرنامج zoom mating.	19.847	0.000	دالة احصائياً
4	أتاحت الجامعة المناهج التعليمية عبر الانترنت للمساهمة في تطوير العملية التعليمية	15.600	0.000	دالة احصائياً
5	يعتمد المنهج التعليمي في الجامعة العربية المفتوحة على مزيج من الدروس والمحاضرات المجدولة مما أدى إلى استيعاب المقررات بصورة ممتازة للطلاب.	58.333	0.000	دالة احصائياً
6	توجد تقنيات حديثة في التواصل بين إدارة الجامعة والطلاب	27.600	0.000	دالة احصائياً
7	سهلت تكنولوجيا الاتصال طريقة التواصل بين الأستاذ والطالب	22.533	0.000	دالة احصائياً

8	يعتبر تطبيقMicrosoft teamافضل من تطبيق Go to Training الذى تستخدمه الجامعه العربية المفتوحه فى المنصات التعليميه بين الاستاذه والطلاب.	37.167	0.000	دالة احصائياً
9	قللت تكنولوجيا الاتصال بالجامعة من نفقات السفر والحركة للمستفيدين من الخدمات التعليمية.	79.333	0.000	دالة احصائياً
10	تواجه الطالب مشكلة لغة التدريس المستخدمة في الجامعة العربية المفتوحة.	18.000	0.001	دالة احصائياً

المصدر: من واقع تحليل بيانات الدراسة الميدانية- برنامج SPPSو إكسل (2021)

جدول رقم (10) نتائج اختبار كاي لدلالة الفروق بين إجابات المبحوثين على عبارات استخدام تكنولوجيا الاتصال في البرامج التعليمية بالجامعة العربية المفتوحة (ن=60) ، يوضح الجدول رقم(10) نتائج إختبار كاي لدلالة الفروق علىالعبارات وذلك بحساب قيمة كاي لإيجاد القيمة الاحتماليه من خلال الإجابات والسلم الخماسي للإجابات .

م	الأبعاد	قيمة مربع كأي	القيمةالإحتمالية(sig)	معنوية الفروق عند مستوى (5%)
1	تستخدم الجامعة النظام المتكامل متعدد الوسائط.	59.333	0.000	دالة احصائياً
2	وظفت الجامعة تكنولوجيا الاتصال لتوفير المقررات المطبوعة للطالب	32.400	0.000	دالة احصائياً
3	استفادت الجامعة العربية من تكنولوجيا الاتصال في استخدام الاشرطة السمعية واشرطة الفيديو والاقراص المدمجة وبرنامج zoom mating.	19.847	0.000	دالة احصائياً
4	أتاحت الجامعة المناهج التعليمية عبر الانترنت للمساهمة في تطوير العملية التعليمية	15.600	0.000	دالة احصائياً
5	يعتمد المنهج التعليمي في الجامعة العربية المفتوحة على مزيج من الدروس والمحاضرات المجدولة مما أدى إلى استيعاب المقررات بصورة ممتازة للطلاب.	58.333	0.000	دالة احصائياً
6	توجد تقنيات حديثة في التواصل بين إدارة الجامعة والطلاب	27.600	0.000	دالة احصائياً
7	سهلت تكنولوجيا الاتصال طريقة التواصل بين الأستاذ والطالب	22.533	0.000	دالة احصائياً
8	يعتبر تطبيقMicrosoft teamافضل من تطبيق Go to Training الذى تستخدمه الجامعه العربية المفتوحه فى المنصات التعليميه بين الاستاذه والطلاب.	37.167	0.000	دالة احصائياً
9	قللت تكنولوجيا الاتصال بالجامعة من نفقات السفر والحركة للمستفيدين من الخدمات التعليمية.	79.333	0.000	دالة احصائياً

10	تواجه الطالب مشكلة لغة التدريس المستخدمة في الجامعة العربية المفتوحة.	18.000	0.001	دالة احصائياً

المصدر: من واقع تحليل بيانات الدراسة الميدانية- برنامج SPPSو إكسل (2021)

النتائج:

1. تمتلك الجامعة المفتوحة تكنولوجيا حديثه عالية الجودة في تقديم التعليم بجميع أشكاله و أنواعه .
2. تعد تكنولوجيا الاتصال والتعليم وجهان لعملة واحده لإجراء العملية التعليمية.
3. تستخدم الجامعة نظام التعليم المدمج الذي يجمع بين كل أنظمة التعليم الحديثة ووسائله .
4. تعد تكنولوجيا الاتصال والتعليم فعالة في تسيير العملية التعليمية والبرامج التعليمية بالجامعة .
5. تطور وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة في الجامعة أدى إلى تطور الوسائل التعليمية.

والتوصيات:

1. توصي الباحثة تعميم تجربة التعليم المقتوح بكل أنواعه وخاصة الإلكتروني والمدمج لضمان نجاح العملية التعليمية، وأخذ نموذج الجامعة العربية المفتوحة وثراءها التقني وتعميمه على التعليم العالي والجامعات الحكومية والأهلية والوطنية الخاصة بالسودان .
2. توصي الباحثة الباحثين والمتدربين بالإقبال على الجامعة العربية المفتوحة فرع السودان والاستفادة من الدورات التدريبيه والتكنلوجيا الحديثة المتاحة بالجامعة.
3. توصي الباحثة بتدريب أعضاء هيئة التدريس والمتعاونين مع الجامعة على التكنولوجيا المستخدمة بالجامعة حتي يستطيع المعلم بأداء واجبه كاملاً غير منقوص، وبكفاءة عالية.
4. توفير بئية جامعية أفضل وارحب تتيح للطلاب للتواجد بالجامعة والتشاور وتبادل المعارف والثقافات المختلفة.

المصادروالمراجع :

- (المعجم العربي الأساسي ، ص801).
- بشير عبدالرحمن الكلوب، التكنولوجيا في عملية التعليم والتعلم، دار الشروق، عمان، 1988م، ص26.
- محمد محمود الحلية، تصميم وانتاج الوسائل التعليمية، ط2، دار المسيرة، عمان، 2002م، ص16.
- محمد ذبيان غزاوي، الأسس النفسية لتكنولوجيا التعليم، عمان، 2000م، ص35،
- منال هلال المزاهرة، تكنولوجيا الإتصال والمعلومات، دارالمسيره للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، 2014م، الطبعة الأولي
- حسين حمدي الطوبجي، وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، ط8، دار القلم، الكويت، 1987م.
- كلوب وفتحي سليمان، مهارات التعليم الإلكتروني ومدى توافرها لدى أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة القدس المفتوحة، بمنطقة غزة التعليمية، مؤتمر التعليم الإلكتروني وقتصاديات المعرفة، المنعقد في جامعة القدس المفتوحة، فرع غزة، في الفترة ما بين 13 .12 يوليو2011م
- محمد على أبو العلا كفر، نظريات الإتصال المعاصرة في ضوء تكنولوجيا الإتصال والعولمة، ط1، مصر، دار العلم النشر والتوزيع،2013م.
- نضال فلاح الضلاعين , نظريات الإتصال والإعلام الجماهيري , دار الإعصار للنشر والتوزيع طبعة الأولى 2016م .1437هـ , عمان الأردن

- محمد إسلام عبيد عبد الرحمن، الإذاعات المتخصصة ودورها في تعزيز رسالة التعليم الجامعي، رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة أفريقيا العالمية ، 2018م.
- إنتصار الفاضل حامد أحمد، استخدام وسائل الإتصال في التعليم عن بُعد(دراسة مقارنة 2001،-2003م)، 2004م.
- دفع الله موسى رزق الله ، فاعلية الاتصال التفاعلي في التعليم المفتوح والتعليم عن بعد(دراسة حالة جامعة السودان المفتوحة)، 2014م.
- عقيل محمود رفاعى، الإعلام التربوى دراسات مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية،2016.
- علاء الدين فرح، التعليم الإلكتروني كأحد روافد العملية التعليمية، بحث مقدم للمؤتمر السنوي الثاني بمركز التعليم المفتوح، جامعة عين شمس.
- جامع حسن، وسويدان أمل، درويش جوهرة، 2013م، دراسة النظم التعليمية للتعليم المدمج نحو تصميم نموذج مقترح، مجلة العلوم التربوية،ج21، العدد(4).
- ساميه عواج وساميه تبري , دور مواقع التواصل الاجتماعي في دعم التعليم عن بعد لدي الطلبه الجامعيين , ورقه بحثيه مقدمه للمؤتمر الدولي الحادي عشر بمركز جيل البحث العلمي حول التعليم بعصر التكنولوجيا الرقميه , طرابلس لبنان , الاتحاد العالمي للمؤسسات العلميه بالتعاون مع جامعه تيازاة ابريل 2016.
- إسماعيل محمد إسماعيل ، التعليم المدمج مجلة التعليم الإلكتروني ، العدد الخامس.
- بكر وعبد الجواد قراءات في التعليم عن بعد، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2000م.
- أبوغريب، عايدة ، ورقة علمية مقدمة التعليم المفتوح والتعليم عن بعد في الوطن العربي، الواقع والمستقبل ، الشبكة العربية للتعليم المفتوح والتعليم عن بعد الأردن ، 2004م.
- الخوالدة ، محمد 1998م الجامعة المفتوحة تجديد تربوي وإستجابة وطنية ديموغراطية للنهوض بالتعليم في الوطن العربي، مجلة الجامعات العربية ، العدد (5).
- علاء الدين فرح، التعليم الإلكتروني كأحد روافد العملية التعليمية، بحث مقدم للمؤتمر السنوي الثاني بمركز التعليم المفتوح، جامعة عين شمس.
- مجدي هاشم الهاشمي، تكنولوجيا الاتصال التربوي، ط1، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2014م.
- مجدي يونس هاشم، التعليم الالكتروني، الطبعة الأولى، الجيزة ، دار زهور المعرفة والبركة 1438هـ.2017م.
- عمرو حسن حسين محمد كامل، الملفات الالكترونية عن بعد، دراسه لتقنيات الوصف البيلو جرافى وأشكال الاتصال، رسالة ماجستير 2000م.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

سافلة واحة تافيلالت بين ندرة الموارد وأشكال التأقلم (الريصاني نموذجا)

The lower oasis of Tafilalet between resource scarcity and forms of adaptation (Rissani as a model)

أحلام ناجي[1]، د. عبد المجيد السامي[2]، د. رشيدة نافع[3]

[1] مختبر دينامية المجالات والمجتمعات، كلية الاداب والعلوم الإنسانية- المحمدية (المغرب)، njahlam25@gmail.com

[2] مختبر دينامية المجالات والمجتمعات، كلية الاداب والعلوم الإنسانية- المحمدية (المغرب)، abdelessami@yahoo.fr

[3] مختبر دينامية المجالات والمجتمعات، كلية الاداب والعلوم الإنسانية- المحمدية (المغرب) nafaarachida555@gmail.com

الملخص:

شهدت واحة تافيلالت كمجمل المجالات الواحية المغربية منذ أوائل الثمانينات لتغير في طبيعة المناخ الذي يتجه نحو الاحترار والتجفيف، وذلك راجع لارتفاع درجة الحرارة بالعالم بحوالي 0.75° في المتوسط مقارنة بسنة 1860، لتجد الآن أنها قد تعرضت لندرة مختلف مواردها الترابية، الشيء الذي دفع الانسان الواحي (الفيلالي) لابتكار طرق مختلفة ليتأقلم مع التأثيرات المتباينة للتغيرات المناخية التي تزيد من حدة جفاف وقحولة بالمنطقة، أو لتغيير في نمط العيش سواء بمزاولة أنشطة اقتصادية أخرى أو الهجرة نحو المدن المجاورة.

الكلمات المفاتيح: التغيرات المناخية، الواحة، الندرة، التأقلم

Abstract:

The oasis of Tafilalet, like all Moroccan oases has experienced since the early eighties, a change in the nature of the climate, which tends towards warming and drying out, due to the average increase in global temperature of about 0,75° compared to the year 1860, to see that it has been exposed to the scarcity of its various terrestrial resources , which pushed the human being into the oasis (El-Filali) to imagine different ways of adapting to the different effects of climate change that increase the severity of drought and aridity in the region, or to change their lifestyle, Whether by engaging in other economic activities or by migrating to neighbouring towns.

Keywords: climate change, oasis, rarity, adaptation.

مقدمة

يتأثر المغرب كمختلف بلدان العالم بشكل أو بآخر بالتغيرات المناخية، وذلك نظرا لموقعه الجغرافي المتواجد بأقصى الشمال الغربي للقارة الافريقية، ولموقعه المناخي أيضا المندرج ضمن النطاق المتوسطي والذي يضم نوعين متباينين من حيث الخصائص المناخية ، حيث يتمثل الاول في المناخ المتوسطي المنتشر في الشمال الغربي للمغرب، والذي يتميز بالرطوبة والدفيء شتاء وارتفاع درجة الحرارة صيفا .والنوع الثاني الذي يتجلى في المناخ الصحراوي الذي يسود في القسم الشرقي والجنوب الشرقي والجنوبي للبلاد، والذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة طيلة السنة.

كما يتميز المغرب أيضا بتنوع أوساطه الطبيعية المختلفة باختلاف خصوصياتها الطبيعية، والمتمثلة في الجبال، السواحل، الغابات، المنتزهات والواحات...حيث تعد هذه الاخيرة (الواحات) منظومة بيئية تحتوي على أراضي خصبة بالمجالات الجافة والقاحلة الصحراوية، كما تعتبر مجالات انتقالية بين المجالات الصحراوية الجافة والمجالات شبه الرطبة بالمغرب مما يجعلها تعاني من هشاشة توازناتها الايكولوجية و محدودية إمكانياتها الطبيعية من تربة و مياه سطحية و جوفية.والتي تعتمد على مجموعة متنوعة من المصادر المائية كالمياه الجوفية ومياه الانهار والخطارات والعيون، حيث تغطي الواحات بالمغرب 80000 هكتار أي ما يقارب 15% من مجموع مساحة البلاد، وتضم كل من واحة فكيك، تافيلالت، غريس، درعة، طاطا وامحاميد.

تعرضت واحة تافيلالت (زيز السفلي) مثلها مثل جميع الواحات بالمغرب منذ أوائل الثمانينات لتغير في طبيعة المناخ الذي يتجه نحو الاحترار والتجفيف، وذلك راجع لارتفاع درجة الحرارة بالعالم بحوالي 0.75° في المتوسط مقارنة بسنة 1860، لنجد الآن مجموعة من الأراضي الزراعية قد تغيرت وضعيتها جراء مجموعة من المخاطر البيئية، التي أصبحت تشكل تهديدا حقيقيا للإنسان والأنظمة البيئية، كالجفاف وما يرافقه من قحولة وتصحر وترمل بالمنطقة.

تعتبر الموارد المائية من بين القطاعات المرتبطة مباشرة بالمناخ وما يطرأ عليه من تغير، سواء الموارد المائية السطحية التي تعد التساقطات التي تقل عن 100 ملم بالمنطقة مصدرها، إضافة إلى الامتطاحات التي يجود بها سد الحسن الداخل سنويا والتي تساهم في ري وانتعاش الأراضي الزراعية بالمنطقة. أما بالنسبة للموارد المائية الباطنية، فيتجلى عمق الفرشة المائية بسافلة حوض زيز(6-12) م ويبلغ تركز ملوحة المياه بهذه الفرشة (1-70)غ/لتر[148]، حيث تلعب هذه الأخيرة دورا مهما في ري الأراضي الزراعية من خلال ضخ المياه الجوفية عبر الآبار الفردية أو الجماعية، أو من خلال الخطارات باعتبارها قنوات تحت-أرضية تكتسي أهمية في الحفاظ على المياه من التبخر.

إشكالية الموضوع:

من خلال هذه الدراسة سنحاول إبراز مظاهر ندرة الموارد الترابية بسافلة واحة تافيلالت و العوامل المساهمة والمفسرة لهذه الندرة.إذا ماهي خصائص ومميزات سافلة واحة تافيلالت؟ ماهي مظاهر ندرة الموارد الترابية بهذه المنطقة؟ وماهي أشكال التأقلم مع هذه الظاهرة؟

المنهجية المتبعة:

لدراسة هذه الاشكالية اعتمدنا العمل البيبليوغرافي الذي هم مجمل الدراسات والمراجع و أهم الاطروحات المنجزة حول واحة تافيلالت وهوامشها بصفة عامة، وذلك بغية محاولة الالمام بالموضوع والمفاهيم المهيكلة للموضوع من كل الجوانب، وكذا العمل الوثائقي الذي يشمل مجمل التقارير والمنوغرافيات الادراية والمعطيات الاحصائية التي تقوم بها المصالح الاقليمية الجهوية والمحلية كالمركز الجهوي للاستثمار الفلاحي بالرشيدية وفرعيه بأرفود والريصاني، وكذا وكالة الحوض المائي لكير زيز وغريس بالإضافة إلى الجماعات الترابية التي تناولت المجال المدروس، اضافة إلى اعتماد مقاربتين

[148]).J.pruhard : le bassin du Tafilalet p 30(مطبوع بخزانة المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي ORMVA-TF

تتمثلان في مقاربة معلوماتية من خلال اعتماد نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد ، من قبيل Arc gis 10.8: و Arc gis Pro و Google Earth Professional و terraincognita و Sasplanet 2021، ومقاربة كارطوغرافية تساهم في تخزين وتمثيل البيانات والظواهر المجالية كارطوغرافيا، مما سيخول لنا وضع خرائط وصفية للمنطقة.

♣ توطين المجال

يتموضع مجال الدراسة ضمن إقليم الرشيدية بالجنوب الشرقي للمغرب، حيث يحد هذا الاقليم شمالا وغربا وحدات جبلية للاطلس الكبير والصغير، بينما تنفتح جهتي الجنوب والشرق على الصحراء، حيث تقع منطقة الدراسة بواحة تافيلالت التي تبلغ مساحتها 77250 كلم مربع (منها فقط 60000 هكتار عبارة عن أراضي مسقية)، والتي تتواجد بسافلة حوض(زيز-غريس) الذي تبلغ مساحته 57419 هكتار، ويحده شمالا حوض ملوية، بالشمال الغربي حوض أم الربيع، بالغرب حوض درعة، شرقا حوض كير وجنوبا الجزائر.

تضاريسيا، تتميز واحة تافيلالت بالتنوع الذي لا ينعكس فقط على المناخ وحركة الرياح وطبيعة توزيع الغطاء النباتي، بل ينعكس أيضا على المعيشة والأنشطة الاقتصادية وعادات الساكنة الفيلالية، حيث يتسم سطح تافيلالت بالانبساط ويتجه الانحدار العام بالمنطقة من الشمال 1065م بمدينة الراشيدية في اتجاه الجنوب بمدينة الريصاني يصل إلى 760م، حيث ساهمت الشبكة الهيدرولوجية من وادي زيز وغريس في اختراق وتقطيع سطح المنطقة، مشكلة بذلك حافات تشرف على ضفاف الاودية. كما تتربع سافلة واحة تافيلالت (الريصاني) على منخفض رسوبي تجتمع فيه امتطاحات ومياه واديي زيز وغريس خلال فترات الفيض. الشيء الذي يغذي تربتها بالغرين الناجم عن الفيض ويحيي أنشطتها الزراعية.

الشكل (01): موقع مجال الدراسة ضمن الإطار الهيدروغرافي

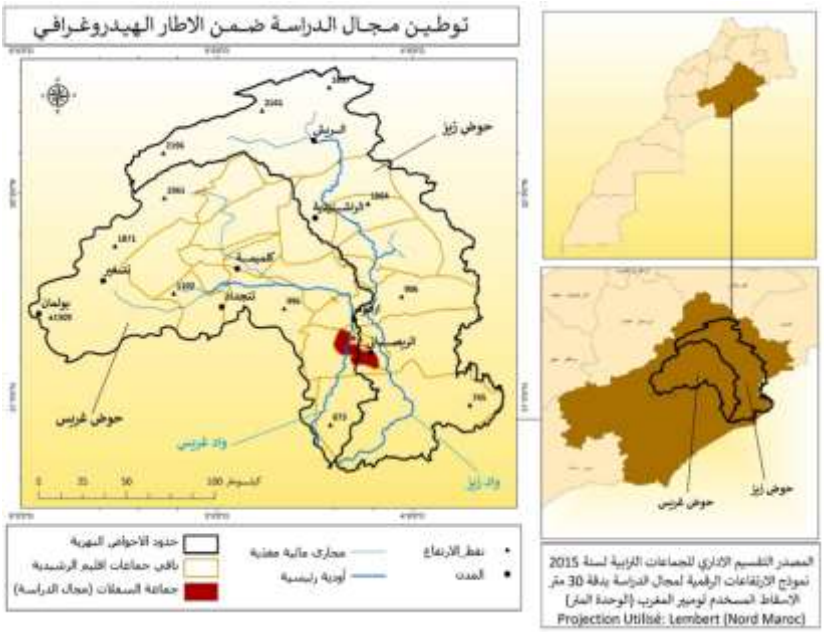

▪ الخصائص المناخية المميزة لسافلة واحة تافيلالت:

التساقطات:

تتسم سافلة منطقة تافيلالت بتساقطات لا تتجاوز 100 ملم/سنة، حيث تتلقى منطقة الدراسة كمعدل سنوي حوالي 64 ملم/سنة. انطلاقا من المبيان أسفله نلاحظ طيلة ثلاثين سنة الماضية (1990-2020) تذبذبا في طبيعة التساقطات، وأنه في الغالب لا تتعدى التساقطات سقف 100ملم، حيث تتساقط الأمطار بالمنطقة بشكل غير منتظم وأحيانا تتخذ شكل زخات مطرية مفاجئة ورعدية تنتج عنها فياضانات تساهم في انجراف التربة وتآكلها خاصة تربة الاراضي المتواجدة على ضفاف الاودية أو بالمناطق التي تتوفر على تربة غير نافذة مما يسرع من حدة الجريان السطحي، وأحيانا ولا قطرة تهطل طيلة مدة مهمة طيلة السنة.

الشكل (02): المعدلات المطرية السنوية بمحطة أرفود من 1990 إلى 2020

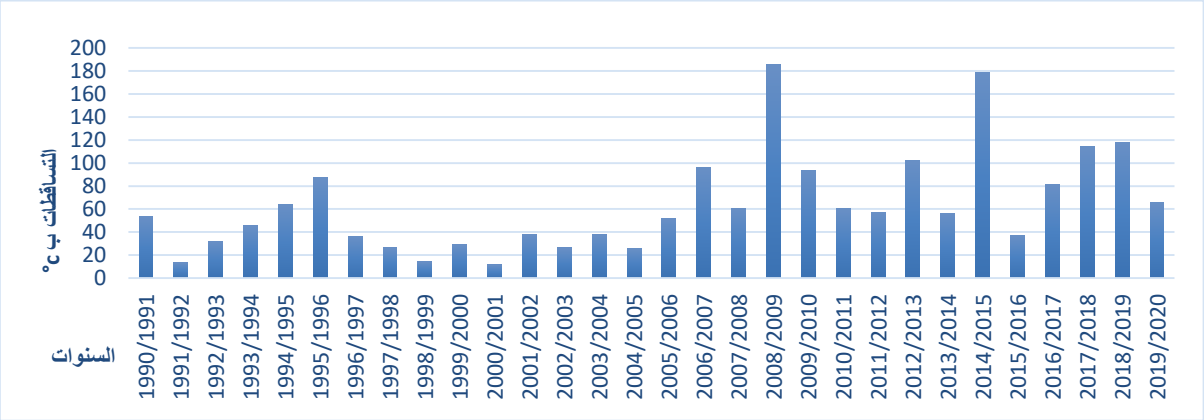

تتدخل مجموعة من العوامل في طبيعة التساقطات بالمنطقة وتتمثل فيما يلي:

- موقع المنطقة في ظل المطر (ubac) ،وبعدها عن المسطحات المائية باعتبارها المصدر الأساسي لبخار الماء في الهواء(Vapor Water) لأزيد من 600 كلم عن المحيط الأطلنتي، و بالتالي عدم الاستفادة من الكتل الهوائية الرطبة حيث تحدث هذه الظاهرة عندما تهب الرياح البحرية الرطبة على السفح الغربي للبلاد ويتم إجبارها على الصعود ثم التكاثف بالأعلى والسقوط على شكل أمطار غزيرة في حين تواصل الرياح الهبوط على السفح الشرقي ، ثم تصبح جافة حيث تقلل فرص تصعيد الهواء الرطب إلى الاعلى وبالتالي منع التكاثف وحدوث وهطول الأمطار بالمنطقة.
- استقرار أضداد الأعاصير (anticyclones) نظرا لارتفاع الضغط الجوي في الأجواء العليا للمناطق الصحراوية طيلة السنة أو ما يطلق عليه بالمرتفع الصحراوي الدائم فوق الصحراء، مما يؤدي إلى هبوط الهواء الحار و الجاف بفعل ثقله، و ذلك نتيجة قلة أو انعدام السحب في هذه المنطقة .[149]

الحرارة

تتصف درجة الحرارة بمنطقة تافيلالت بالارتفاع خلال فصل الصيف، حيث تتجاوز في بعض الأيام عتبة 40°c، إضافة إلى أنه يصل معدل أحر الشهور يوليوز إلى 48°c خلال سنة 2018 و8- °c بأبرد الشهور دجنبر ويناير خلال سنتي 1995 و 1998(حسب محطة ارفود). كما نلاحظ من خلال المبيان أسفله، أن درجة الحرارة العليا تفوق 40°c طيلة ثلاثين سنة الماضية (1990-2020)، حيث تتراوح ما بين 41°c و 48°c، وأن درجة الحرارة الدنيا لا تتخطى عتبة 6°c و

[149] عبد الكريم اكريمي .بحث ماستر حول المخاطر البيئية بحوض زيز السفلي (تافيلالت) نموذج الفياضانات 2010. ص 22

تتراوح هذه الاخيرة طيلة الثلاثين سنة الماضية ما بين 8°c- و 5.6°c. إذا من خلال ما سبق، نستنتج أن المدى الحراري السنوي لمنطقة تافيلالت مثلها مثل جل المناطق الصحراوية الداخلية منذ سنة 1990 يفوق40°c.

الشكل (03): مبيان يمثل التوزيع السنوي (1994-2020) لدرجات الحرارة العليا والدنيا بمحطة ارفود

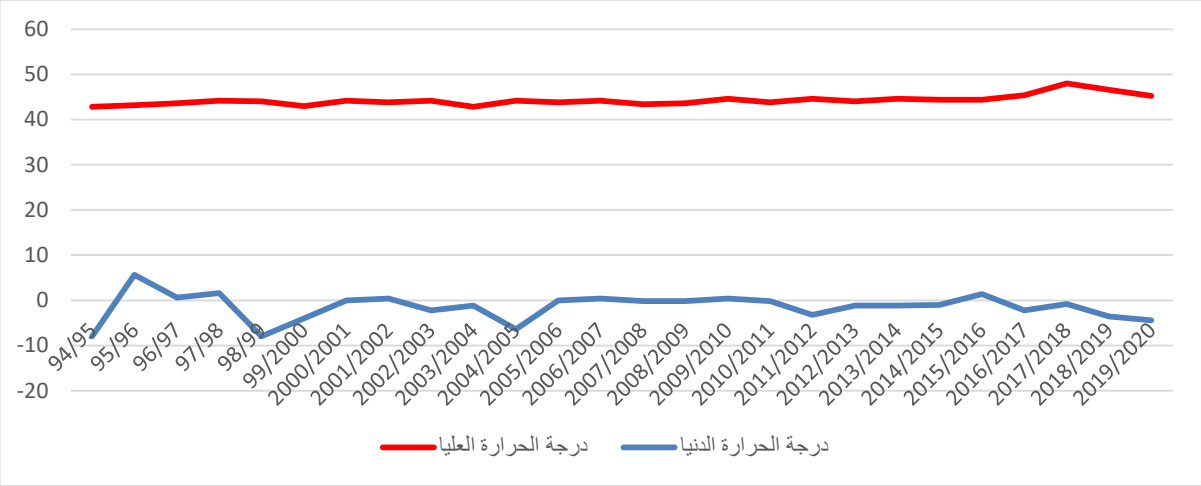

الرياح

تتميز الرياح بدور مهم في تشكيل السطح بصفة عامة وسطح منطقة تافيلالت خاصة، وذلك من خلال كفاءة هذه الاخيرة في النحت والنقل والترسيب، فحسب دراسة أجرتها الباحثة Monique Mainguetحول سرعة الرياح وتوقيتها بمنطقة تافيلالت، يظهر أن أعلى سرعة للرياح بمنطقة تافيلالت تحدث في الفترة الممتدة ما بين 14h و 21h ، حيث نلاحظ أن سرعة الرياح في الفترة الصباحية (7h – 14 h) ترتفع شيئا ما لتصل إلى حوالي (2-4) متر/الثانية ، ثم ترتفع أكثر في فترة الظهيرة 14h و 21h و تصل إلى أقصى سرعتها (4-8) متر/الثانية، لتعود وتنخفض في الفترة المسائية 21h و 7h وتصل إلى (0-2) متر/الثانية، حيث تهب على منطقة الدراسة نوعين من الرياح تتمثل في:

- **رياح الشرقي**: هي رياح حارة صيفا وباردة شتاء تهب من الشمال الشرقي (NE) في فصل الصيف بسرعة تناهز 7.5 كلم/الساعة، فأثناء هبوبها تحدث زوابع رملية حلزونية تساهم في إتلاف نسيج التربة.
- **رياح الساحل:** هي رياح محيطية رطبة لكن بقطعها لمسافة طويلة ومرورها عبر مرتفعات الأطلس الكبير كل هذا جعلها تفقد رطوبتها، وذلك بكونها تجتاح المنطقة خلال فصل الشتاء وبداية الربيع وتهب من الجنوب الغربي (SW) بسرعة 10.8 كلم/الساعة.

▪ الموارد المائية السطحية والباطنية

تعد مياه الفيض أهم مصدر للمياه السطحية في منطقة تافيلالت والتي تنقسم إلى قسمين يتمثلان في وادي زيز (160 مليون متر مكعب) وغريس (120 مليون متر مكعب). حيث تتحكم في النظام الهيدرولوجي لهذان الواديين مجموعة من المعطيات كمساحة حوض الصرف وشبكة الروافد المغذية وكمية التساقطات التي تتلقاها:

- **وادي زيز**: يمتد وادي زيز على طول 260 كلم، حيث يعتبر هذا الأخير من أهم مصادر المياه السطحية بالمنطقة، وتتعدد المصادر التي يتزود منها هذا الاخير منها الناجمة عن مياه الأمطار (65%) التي تتميز بعدم الانتظام مجاليا وزمنيا على طول مجرى الوادي، ومنها كذلك ماهو ناتج عن ذوبان الثلوج في قمم جبال الاطلس الكبير(24%).

- **واد غريس** : ينبع واد غريس من الســفوح الجنوبية للأطلس الكبير الشــرقي، ويحتوي على العديد من الروافد (واد تودغى، فركلة على الضفة اليمنى)، حيث نلاحظ أن وادي غريس يكون في شبه تواز مع وادي زيز بالمنطقة، كما تعتبر مناطق كل من أسول و أملاكو منبع هذا الاخير، ليصل بعد ذلك إلى تاديغوست و الجرف في اتجاه سهل تافيلالت.[150]

كما تمتد المياه الجوفية بمنطقة تافيلالت بحوض زيز-غريس على أزيد من 400 كلم ، على ارتفاع يتراوح ما بين (700-800) متر وعلى عمق يصــل في فترات انخفاض المياه من (2-18) متر، وبعرض يتراوح بين (12-15) متر، حيث يبلغ حجم الاحتياطي بهذه الفرشة المائية 200 مليون متر مكعب، كما يتراوح تركز الملح بهذه المياه ما بين (3-70) غرام في اللتر.[151]

الشكل (04): خريطة تبين الاطار الهيدرولوجي لمجال الدراسة

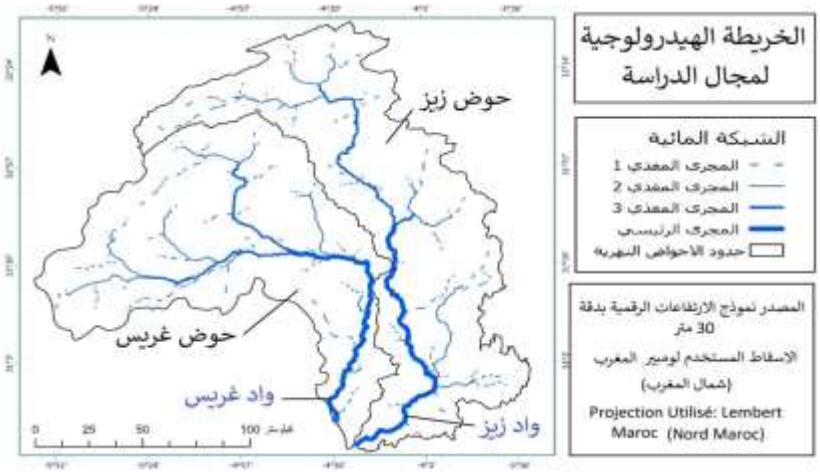

- **الخصائص الترابية**

تتضرر وتتدهور التكوينات الترابية بواحة تافيلالت نتيجة لما تعانيه من قساوة وتقلب للظروف المناخية، حيث نلاحظ انطلاقا من الخريطة أسفله، أن منطقة الدراسة تسودها تربة صحراوية رملية نظرا لتأثرها بالعوامل القارية والرياح التي تلعب دورا مهما في تشكيل سطح المنطقة، والتي تتواجد بمنطقة الرشيدية وتنجداد وكلميمة، نجد كذلك اكتساح التربة الحمضية ضعيفة التطور بالمنطقة وتتواجد بمنطقة بولمان وتنغير والريش، إضافة إلى تركز التربة الكلسية بمنطقة ارفود والريصاني وفي سافلة حوضي زيز وغريس وتركز كذلك التربة ضعيفة التطور في عالية حوض زيز.

- **الإشكالية الديموغرافية المميزة لمنطقة الدراسة**

تحتضن مجموع الواحات بالتراب الوطني 5% من الساكنة الوطنية، حيث تقدر ساكنة واحات أحواض زيز وغريس وكير بحوالي 480000 نسمة سنة 2004.حيث نلاحظ من خلال الجدول أسفله، أن معدل التزايد السكاني لسنة 2014،

[150] عبد الكريم اكريمي .المخاطر البيئية بحوض زيز السفلي (تافيلالت) نموذج الفياضانات 2010. ص 26
[151] Kniksi hanaa "Contribution au développement d'un modèle conceptuel sous SIG pour établir un diagnostic des ressources en eau utilisées pour l'irrigation des périmètres de GH et de PMH du bassin Ziz-Rhéris de Tafilalet 2011. P7-41

بلغ بالعالم الحضري المتمثل في جماعة مولاي علي الشريف (0.8 %)، مقارنة بالعالم القروي والمتمثل في كل من الجماعات الترابية السفلات بمعدل (2.92%-)، الريصاني بمعدل (1.01%-) وجماعة بني امحمد سجلماسة بمعدل (% 1.36-).

كما يظهر أن جماعة السفلات هي التي شهدت معدل نموسكاني سالب، والذي يترجم بحدوث هجرة قروية مهمة نحو المدن المجاورة كجماعة مولاي علي الشريف، التي تشهد ارتفاعا مهما في معدل الكثافة السكانية نظرا لمختلف الخدمات التي تتوفر عليها (مدارس ، مستشفى ...) وكذلك التوافد المستمر لسكان الجماعات القروية المجاورة واستقرارهم بهذه الاخيرة، التي تشغل حيزا جغرافيا ضيقا (3156.4 نسمة/كلم^2)، مقابل مختلف الجماعات القروية الاخرى من قبيل السفلات وبني امحمد سجلماسة التي لا تتعدى معدلات الكثافة السكانية 15 نسمة/كلم^2 وجماعة الريصاني التي حصلت على أدنى معدل لهذه الاخيرة والذي يقدر ب 1.1 نسمة/كلم^2 .

الشكل (06) :معدل النمو الطبيعي بسافلة تافيلالت لسنة 2014

الجماعات	الساكنة سنة 2004	الساكنة سنة 2014	نسبة النمو السكاني %
مولاي علي الشريف	20469	22095	0.8
السفلات	16163	11432	-2.92
الريصاني	5575	5010	-1.01
بني امحمد سجلماسة	16709	14433	-1.36

المصدر :المندوبية السامية للتخطيط بالرشيدية

من خلال المبيان أسفله يتبين أن جماعة السفلات عرفت تراجع بشكل تدريجي لعدد السكان منذ احصاء 1994 إلى سنة 2014، حيث انتقل عدد السكان في سنة 1994 من 22258 نسمة إلى 16163 نسمة سنة 2004، ثم تراجع عدد الساكنة بعد ذلك ليصل إلى 11432 نسمة حسب احصاء 2014، وهذا ليس راجعا للسلوك الديموغرافي لمنطقة تافيلالت ، بل هو راجع لمعدل التزايد السكاني السالب الذي يترجم كما سبق أن ذكرنا إلى الهجرة القروية المهمة والمتواصلة للساكنة القروية نحو المجالات الحضرية المجاورة كمدينة مولاي علي الشريف نتيجة الجفاف الذي شهدته هذه المنطقة.

الشكل (07) : تطور ساكنة جماعة السفلات ما بين سنتي 1994 و 2014

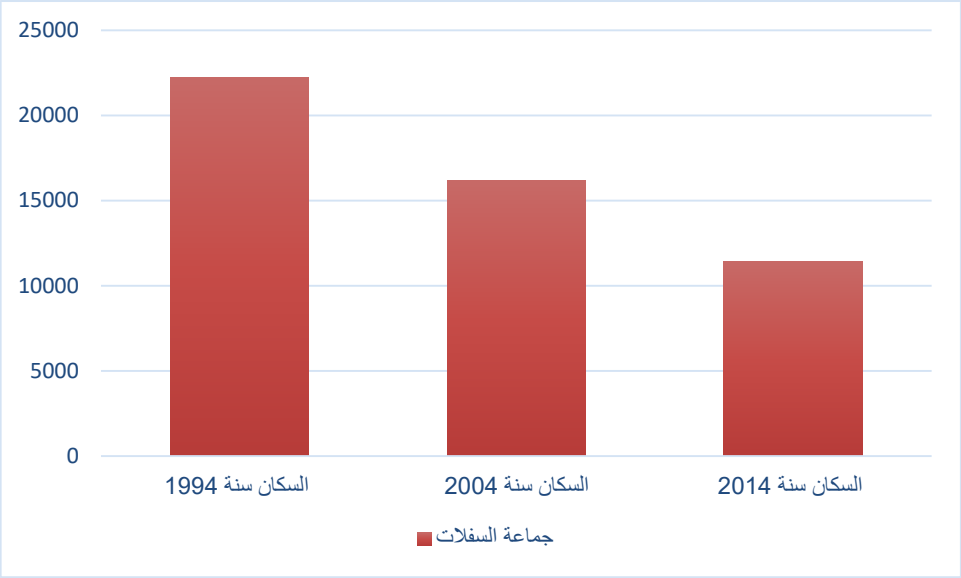

المصدر :المندوبية السامية للتخطيط بالرشيدية

مظاهر ندرة الموارد بسافلة واحة تافيلالت

- **الجفاف (بنيوي)**

تشهد سافلة واحة تافيلالت نتيجة لقلة التساقطات المطرية التي لا تتجاوز 100 ملم/سنة، وكذا للارتفاع الملحوظ لدرجة الحرارة والذي يظهر من خلال تجاوز المدى الحراري للمنطقة عتبة 40 °c منذ 1990، إضافة إلى قلة عدد طلقات سد الحسن الداخل التي ترتبط بشكل وثيق بطبيعة التساقطات بالمنطقة، حيث لم تتجاوز طلقتين في السنوات الاخيرة، كل هذا سيساهم في نزول مياه السدائم الباطنية عن المستوى المتوسط. الشيء الذي سيؤدي إلى حدوث جفاف مناخي بالمنطقة، فانحباس هطول المطر مدة طويلة يتسبب في انخفاض مخزون التربة من الماء المفيد، ونزوله تدريجيا إلى ما دون نقطة الذبول، وقد تجف التربة نهائيا بسبب نفاذ مخزونها المائي.

الشكل (08): ظاهرة الجفاف بسافلة تافيلالت (قصر تنغراس)

- **الفيضانات**

تعتبر الفيضانات المتميزة بالقوة وعدم الانتظام من بين العوامل الطبيعية المساهمة في تدهور الأراضي بسافلة تافيلالت، وذلك لما تسببه الامطار العاصفية والمسيلات العنيفة في تفكيك أنسجة التربة و انجرافها بالمنطقة، حيث تسبب هذه الحملات خسائر كبيرة في الارواح والبنايات والمواشي والتجهيزات والمحاصيل الزراعية ، كما يعتبر فيضان 5-6 نونبر 1965 الذي شهده حوض زيز بأكمله أخطر امتطاح سجلته المحطات الهيدرولوجية بالمنطقة والمتواجدة على طول المجرى (ايت عثمان، ايردي ، أرفود) ، حيث نتج هذا الفيضان عن أمطار إعصارية عرفتها الأطراف الشمالية لحوض زيز الأعلى حيث تجاوزت 300 ملم في ظرف يومين. كما تظهر الصورة جانبه التعرية الهيدرولوجية بسافلة واحة تافيلالت نتيجة الامتطاحات و السيول التي شهدها حوض زيز.[152]

الشكل (09): الصورة جانبه توضح أشكال التخديد الناجم عن السيول بسافلة واحة تافيلالت (قصر زاوية سيدي بوابراهيم).

[152] عبد الكريم اكريمي .بحث ماستر حول المخاطر البيئية بحوض زيز السفلي (تافيلالت) نموذج الفياضانات 2010 ص 39

- **التصحر**

تعد واحة تافيلالت خاصة منطقة الريصاني مجالا ملائما لنشاط التعرية الريحية والرملية والمائية كذلك، وذلك بفعل وجود مواد سهلة التنقل (الرمال)، حيث تعتبر ظاهرة الترمل من أخطر المشاكل التي تهدد الأراضي الزراعية واستقرار السكان في هذه المناطق، حيث بانقراض الغطاء النباتي بسبب تعاقب فترات الجفاف، وتفكك التربة لانعدام الرطوبة والمواد العضوية التي تمسكها، فبالتالي تبقى الرياح القوة الوحيدة التي تعمل على تحريك حبيبات الرمال.

الشكل (10): ظاهرة الترمل بسافلة تافيلالت (قصر زاوية الرمل)

- **تملح التربة**

يعد تملح التربة ارتفاع نسبة الأملاح في التربة، حيث يؤثر بشكل سلبي على البنية التحتية، وجودة المياه وكذا على قدرة النباتات على النمو، كما تتميز المياه الجوفية بسافلة واحة تافيلالت بتركز نسبة مهمة من الأملاح، تنقلها بدورها للتربة عبر السقي مما يقلص المنتوج ويضعف المردودية، حيث تعتبر مياه جنوب تافيلالت مياه مفرطة الملوحة و يبلغ تركز الاملاح فيها (10-35 غرام/لتر) تتراوح درجة أيون الكالسيوم ما بين (4-15 غرام /لتر) ، حيث يزداد هذا التركز من العالية نحو السافلة ، كما يتجاوز تركز الأملاح بالمياه الجوفية بالأراضي الزراعي المسقية خاصة بالجنوب الغربي لمدينة الريصاني 20غرام/لتر[153] .

- **بناء سد الحسن الداخل**

كانت مجمل أراضي منطقة تافيلالت قبل تشييد سد الحسن الداخل تعتمد على ما تجود به أودية زيز و غريس من مياه الفيض والامتطاحات جراء الفيضانات المنحدرة من أعلى الأطلس الكبير (فيضان واد زيز لسنة 1965) الذي أهلك الحرث و النسل بواحة تافيلالت، وما تسببه من انجراف للأتربة وضياع لمياه التساقطات في سافلة الحوض, وكذا تغيير تموقع بعض القصور المجاورة لمدينة الريصاني جراء غمرها بالمياه ، لكن بعد تشييد سد الحسن الداخل سنة 1971تم أولا الحفاظ على سلامة الأرواح من خطر الفيضانات، وكذا الحد من انجراف التربة من خلال تقليص حدة الجريان المائي لواد زيز، وتوفير الري للفلاحين وضمان استقرارهم.

- **تفكك النظام الاجتماعي**

[153] عبد الكريم اكريمي .بحث ماستر حول المخاطر البيئية بحوض زيز السفلي (تافيلالت) نموذج الفياضانات 2010 .ص 36

جاء تفكيك النظام الاجتماعي بسافلة تافيلالت بالسنوات الاخيرة، بعد الاستقلال نتيجة لمجموعة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية، و كذا سيادة الامان ورغبة الساكنة الفيلالية في تحقيق ظروف عيش أفضل وسكن مريح خارج أسوار القصور، بالإضافة إلى حدوث تغير في طبيعة النشاط الاقتصادي بالعائلات ، أي أنه لم تعد الفلاحة هي النشاط الرئيسي للعائلة و التي يزاولها جل أفراد الأسرة ، باعتبارها ليست مهنة قائمة بذاتها، ومستقلة ومفصولة عن الحياة اليومية وهذا يعني أنها نمط من العيش وموقف من المجتمع والقيم ، وأنها تقوم على التعاون بين أفراد العائلة والقصر.

- **الهجرة المناخية (اللارجعية)**

ساهمت الاضطرابات المناخية التي اجتاحت المنطقة في تسريع وتيرة الهجرة وارتفاع درجات الحرارة على مدار السنة وقلة التساقطات المطرية، بالإضافة إلى تملح التربة ونضوب المياه الجوفية، ولا ننسى زحف الرمال بالأراضي التي تقع بهوامش الواحة و اكتساح هذه الاخيرة (الرياح) لمساحات مهمة من الأراضي الزراعية ، الشيء الذي أدى إلى تدهور التربات ، وبالتالي تدهور الأراضي باعتبار التربة هي الركيزة الاساسية للأراضي الزراعية ، إلى جانب كل ما تم ذكره، نجد أيضا من بين الاسباب المسببة للهجرة بالمنطقة تغير في طبيعة النشاط الاقتصادي بالمنطقة، وفقدان اليد العاملة في النشاط الفلاحي و امتهان أنشطة اقتصادية مغايرة كالتجارة والبناء والحرف والخدمات.

♣ أشكال تأقلم الانسان الواحي بسافلة واحة تافيلالت

- **تقنيات المحافظة على المياه:**

يرجع السبب الرئيسي الكامن وراء الاستقرار البشري إلى عنصر الماء خاصة المياه الجوفية التي تزخر بها سافلة واحة تافيلالت، باعتبارها مجالا رطبا ضمن نطاق صحراوي جاف، حيث استطاع الفلاح الفيلالي منذ القديم التكيف مع التغيرات المناخية من خلال مجموعة من التقنيات للمحافظة على الموارد المائية بالمنطقة وتتمثل في:

التقنيات التقليدية:

- **الخطارة**

تعد الخطارة تقنية تقوم على استغلال مياه الفرشة الباطنية عن طريق نقل المياه عبر قناة باطنية من العالية (المصدر) نحو السافلة (المجال المسقي) وفقا للانحدار الطبوغرافي للمنطقة، وذلك للحد من ظاهرة التبخر وتراكم الرمال في القنوات بفعل الزوابع الرملية، حيث يقدر عدد الخطارات في اقليم الرشيدية ب 390 خطارة ولا يعمل الآن إلا حولي 80منها.[154]

الشكل (11): عناصر نظام السقي التقليدي الخطارة بواحة تافيلالت

[154] أحمد اوالطالب محند. أثر التغيرات المناخية على الموارد المائية وعلى أشكال تأقلم إنسان الواحات بالمغرب- نموذج واحات طاطا2016/2017. ص 186

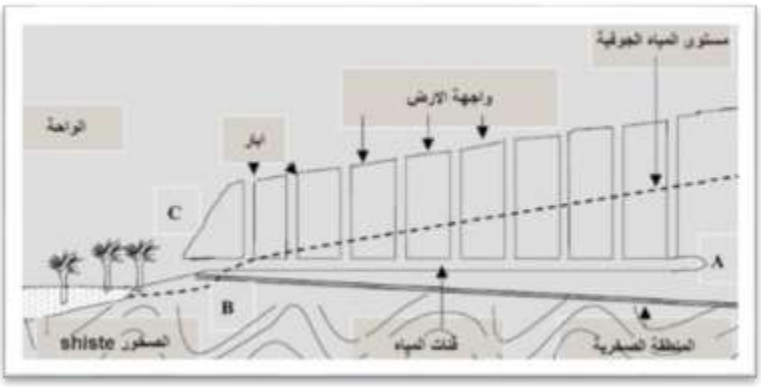

كما يظهر أن الخطارة تتكون من عدة عناصر نذكر منها:

منطقة التزويد: ويطلق عليها محليا اسم " رأس الخطارة "، وتمثل الآبار الأولى الأكثر عمقا، والي تضم العيون المغذية للخطارة.

مجرى المياه: وهي القنوات أو السرداب الذي يجري فيه الماء من رأس الخطارة في اتجاه السافلة، حيث يقسم هذا الجزء إلى مسافات محددة تسمى محليا " القنطرة "، وهي المسافة الفاصلة بين بئرين متواليين ولا يتعدى طولها في الغالب 40 متر.

مجاري التوزيع: وتمثل القنوات الصغيرة و "المصارف" السطحية التي توزع مياه الخطارة بعد خروجها من القنوات الباطنية نحو الحقول والمزارع.

- **أغرور**

تعد تقنية الأغرور من بين التقنيات التي تعكس التوازنات الايكولوجية بالمنطقة سواء في المغرب أو خارجه كالجزائر وتونس وليبيا و مصر..، لكن على الرغم من أن عدم توفر معلومات حول تاريخ وأصل دخول هذه التقنية إلى منطقة تافيلالت، إلا أنها ظلت التقنية الوحيدة السائدة بهذا المجال إلى أن اندثرت حاليا، حيث تعتمد تقنية الأغرور على تعبئة مياه الفرشة المائية بواسطة دلو باستعمال دواب الجر أو الطاقة البشرية إذا لزم ذلك، كما يتميز انتشار الاغرور بتافيلالت بنوع من الاختلاف بين العالية والسافلة ،حيث تقل هذه التقنية في تيزيمي شمال أرفود (J.Margat 1960) وتتركز في السيفا و أولاد الزهرة وبسهل تافيلالت.

- **المطفية**

تعتبر المطفيات من بين التقنيات التي أثبتت نجاعتها لتخزين وتدبير المياه خاصة بعد ما شهدته التساقطات المطرية من نقص وتراجع بسافلة واحة تافيلالت، كما يبرز دور المطفية في تجميع مياه الفيض عبر مجموعة من السواقي في اتجاه صهاريج عبارة عن آبار محفورة في ركن أو زاوية من المنزل على جنبات القصر، حيث طريقة بنائه لا تسمح بتسرب الماء نحو التربة، بالرغم من دورها المهم إلا أن المياه المجمعة في الصهاريج لا تكفي لسد مختلف حاجيات الساكنة، لكنها تقلص بشكل لا بأس به من ندرة الماء.

التقنيات العصرية:

- **المضخات المشتركة**

قامت الدولة بإنشاء مضخات عمومية في سافلة واحة تافيلالت وذلك في إطار مشروع تنمية الواحات، ثم تم تحويل ملكيتها إلى الساكنة المالكة للأرض وأصبحت مشتركة، ثم تأسست على إثر ذلك جمعيات بدأت تعمل على تدبير شؤون الآبار والأثقاب بالمنطقة، حيث كانت محطات الضخ في بدايتها عمومية ويتم تسييرها من طرف المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي، ونتيجة للنتائج الإيجابية التي حققتها دفعت الساكنة المحلية إلى إحداث مضخات أخرى جماعية وفردية تعتمد على الطاقة الكهربائية أو الشمسية أو على البنزين لسقي استغلالياتهم الزراعية التي تعتمد إلى جانب الحبوب على زراعة البرسيم و الخضراوات (الورقية و الملوخية...).[155]

- **تقنيات المحافظة على التربة:**

الترميل

يطلق على هذه التقنية أيضا الرديم وهي خلق تربات صناعية ، وذلك بجلبها من المناطق الغنية بالرمال، وتغطية المجالات العارية أو ضعيفة السمك بالمجالات الهشة كالواحات، حيث ترتبط تقنية الترميل بنوعية السطح الذي تم ترميله، إذ يمكن التمييز بين عدة حالات تتمثل في:[156]

- ✓ **سطح عاري تماما من غطاء واق**، ويكون الهدف الأساسي هو ربح أراضي زراعية جديدة، حيث يتم تفريش الرمال فوق السطح بسمك يصل إلى 60 سم في متر المربع.
- ✓ **سطح يتوفر على سمك ضعيف من التربة** التي تعوق عملية الحرث، وتتشبع بسرعة بالماء بعد التساقطات المطرية مما يؤدي إلى اختناق النباتات، كما يتم ترميل التربة للزيادة من سمك هذه الاخيرة لتعميق الحرث (ما بين 30 إلى 40 سم في المتر المربع).

استعمال الأسمدة

تستعمل الأسمدة العضوية بكثرة في المجالات الواحية وخاصة سافلة واحة تافيلالت، لما لها من تأثير كبير في تحسين خصائص التربة الزراعية وعدم ارتفاع الكلفة المادية، حيث تكمن أهميتها في تسخين الأرض، إضافة إلى عمل هذه الاسمدة العضوية على تهيئة المادة العضوية الفعالة حيويا وكيميائيا ضمن الطبقة المحروثة من التربة أو المحضرة.

- **التقنيات المتبعة لإيقاف زحف الرمال:**

تقنيات بيولوجية

لمكافحة زحف الرمال، وجب تثبيت الرمال بواسطة زرع نباتات حية باعتبارها أكثر فعالية لمقاومة التعرية وتدعيم دور الحواجز الميكانيكية، حيث يستحب انتقاء النباتات المستخدمة للمقاومة والتي تتأقلم مع الظروف البيئية الصعبة، حيث لإنجاح الإنبات من الضروري توفر الماء، لأنه ضروري ليس فحسب من أجل تقليص سعر استقرار المغروسات ولكن من أجل تلافي زيادة الملوحة في التربة، حيث تتمثل هذه التقنيات البيولوجية فيما يلي:

- ✓ **تثبيت الرمل البيولوجي (Bo-Fix):** تتمثل هذه التقنية في التثبيت البيولوجي لجهة الكثبان الرملية بطريقة تدريجية، من خلال حماية النباتات والري عن طريق نظام توفير المياه. كما يمكن ممارستها أيضا على مستوى مناطق نقل الرمال في مجموعات، لكن نجاحها يعتمد على قرب منسوب المياه الجوفية وملمس الرمال.

---

155 أ.ليلى مزور، أ. صباح بوصفيح، أ. محمد باباخويا. الموارد المائية بواحات تافيلالت بالمغرب بين إكراهات الندرة وإشكالية التدبير. دراسة حالة واحة الجرف. مجلة العلوم الاجتماعية ألمانيا برلين العدد 05 أوت 2008.ص 289-305

156 عبد الله العوينة التدبير المحافظ على المياه والأتربة في المغرب، تنوع استراتيجيات الفلاحين تجاه تدهور الأراضي. 2007. ص (12-15)

- ✓ **تنمية التربة الرملية:** تتضمن هذه التقنية زراعة المناطق المغطاة بالرمال والمزودة بالحد الأدنى من الموارد المائية، عن طريق زراعة نخيل التمر من خلال استخدام تقنية الري الموفرة للمياه (الري الموضعي). وتتمثل أهدافها في تدمير المناطق المحيطة التي تهيمن عليها حقول الكثبان الرملية واستعادة الأراضي التي غزتها الرمال.
- ✓ **السيطرة على تعرية الرياح على مستوى الوحدات المختلفة:** غالبا ما يعتبر التحكم في الرمال المتحركة بمثابة تثبيت للكثبان بالمعنى الضيق، ولكنه أيضا التحكم في حركة الجسيمات من منطقة المصدر إلى منطقة التراكم. حيث من الضروري في منطقة التعرية معرفة وتحديد آليات التعرية بفعل الرياح، ومدى تآكل المنطقة وأسباب وطرق تصدير الرمال.

تقنيات ميكانيكية

تهدف التقنيات الميكانيكية إلى إنشاء حواجز ما بين مصدر الرمال والهدف المراد حمايته، لكن لا يمكنه أن يؤمن التثبيت الدائم للكثبان، وذلك لأنه يتطلب صيانة دائمة. حيث هذه الوسائل تهدف كلها إلى التصدي للرمال أثناء هبوب الرياح من خلال:

- ✓ **لوحات الفيروسيمات:** نجد من بين إيجابياتها سهولة العمل الذي يمكن أن ينتهي في أي لحظة. هذا بالإضافة إلى تطلبها ليد عاملة محدودة. كما تعتبر هذه الوسيلة فعالة لكونها تساهم في تسريع وتيرة الأشغال.
- ✓ **الجريد:** يعتبر وافرا بالمنطقة وخاصة بالنسبة للنخيل المهجور. وتكمن فعاليته في نفاذيته للرياح. لكن يتطلب يد عاملة كثيرة عند وضع الحباك. بالإضافة إلى كونه يكون معرضا أكثر لأخطار الحرائق.

لهذا وجب أن تكون التقنية أو الوسيلة موازية للمقاومة الميكانيكية. ذلك أنه عندما تتدهور وسائل التثبيت الميكانيكية فإن الوسائل النباتية تقوم مقامها. حيث ينبغي أن نقوم بانتقاء النباتات المستعملة في المقاومة، للتصدي للظروف البيئية الصعبة.

المراجع:

- التصحر بجهة مكناس تافيلالت.

- اكريمي عبد الكريم. المخاطر البيئية بحوض زيز السفلي (تافيلالت) نموذج الفياضانات 2011/2010.

- اكريمي عبد الكريم. المخاطر البيئية بحوض زيز السفلي (تافيلالت) نموذج الفياضانات. بحث ماستر حول بكلية الاداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز بفاس2011/2010.

- المولودي محمد. مكافحة الترمل بواحة تافيلالت بين تدخل الدولة ومبادرات الفلاحين.

- أحمد او الطالب محند. أثر التغيرات المناخية على الموارد المائية وعلى أشكال تأقلم انسان الواحات بالمغرب – نموذج واحات طاطا أطروحة لنيل الدكتوراه بكلية الاداب والعلوم الانسانية بالمحمدية2017/2016.

- ليلى مزور، أ. صباح بوصفيح، أ. محمد باباخويا. الموارد المائية بواحات تافيلالت بالمغرب بين إكراهات الندرة وإشكالية التدبير. دراسة حالة واحة الجرف. مجلة العلوم الاجتماعية ألمانيا برلين العدد 05 أوت 2008.

- محمد ميوسي. تافيلالت من أطروحة التراجع والأزمة إلى أطروحة التحول والاستمرار أداء الواحات بين المقاربتين المشهدية والشمولية أي تنمية. أطروحة لنيل الدكتوراه بكلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط 2002/2001.

- ذ. محمد بوطلاقا، ذ. يوسف بنراهيم. ذ. جمال شعوان. ذ. عبد الواحد عمراني. تدبير الموارد المائية زمن الندرة من خلال نموذج المطفيات: دراسة حالات من حوض ورغة (الريف الأوسط) ص 207-208.

- ناجي أحلام. أنظمة استعمالات الأرض وآثارها على تدهور الأراضي في سياق التغير المناخي: حالة ملتقى واديي زيز وغريس. بحث لنيل دبلوم الماستر في شعبة الجغرافيا بكلية الاداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية 2021/2020.

- ناجي أحلام. تقرير تحت عنوان تقنيات توقيف زحف الرمال (نموذج واحة تافيلالت)2021/2020

- Khadri A. La conservation des ressources naturelles et le développement des oasis du Tafilalet .ORMVA du Tafilalet, Errachidia, Maroc.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

البقاء أو المغادرة؟
الديناميات الأسرية وسيرورات تشكل قرار العودة نحو الوطن

To stay or to leave?
Family dynamics and the process of shaping the decision to return home

محمد سالمين

طالب باحث، جامعة شعيب الدكالي الجديدة. المغرب

salmine.m@ucd.ac.ma

الملخص

تهدف هذه الورقة إلى استكشاف الدور المعقد للديناميات الأسرية في تشكيل قرار عودة المهاجرين إلى بلدانهم الأصلية، وتحليل تبعات هذه العودة على المهاجر وأسرته، مع التركيز على الأدوار الجندرية ضمن هذا السياق. وقد تناولت عديد الدراسات موضوع الهجرة عبر التركيز على الفرد المهاجر دون الأخذ في الاعتبار دور الأسرة في مشروع الهجرة، سواء كانت الأسرة مهاجرة بدورها أم مقيمة في البلد الأصلي. فعلى الرغم من أن الهجرة، في كثير من الأحيان، ما تبدأ كقرار فردي، إلا أن دوافعها وآثارها تتشابك بشكل وثيق مع سياقات أسرية تتجاوز في تأثيرها العوامل الاقتصادية والسياسية.

تلعب الأسرة دورًا محوريًا وحاسما في صناعة قرار الهجرة، بدءًا من دوافعها وطرق تنفيذها وتوقيتها، وصولًا إلى اختيار وجهة الهجرة ومصادر الدعم المالي وكيفية استخدام التحويلات المالية. وتمتد هذه التأثيرات لتشمل قرار العودة، حيث تعمل الأسرة كعامل جذب يدفع المهاجر للعودة لرعاية الوالدين المسنين، أو لم شمل الأسرة بعد فشل مساعي لم الشمل في بلد الإقامة، أو لتسهيل إعادة اندماجه في مجتمعه الأصلي. في المقابل، يمكن للأسرة أن تمثل عاملًا مثبطا يثني المهاجر عن العودة، فقد يترتب على إنهاء مشروع الهجرة مبكرًا وصم العائلة بالفشل، ما قد يلحق الضرر بسمعتها في مجتمع المنشأ، ويعرّض المهاجر لانتقادات مجتمعه وأسرته على حد سواء. كما تساهم المغادرة والعودة معا في تحول الأدوار الجندرية، نظرا للفراغ الذي يتركه المهاجرون الذكور داخل الأسرة، والذي تضطر النساء إلى ملئه، ما يدفعن إلى الاضطلاع بمهام كانت في الأساس من اختصاصات الرجل.

الكلمات المفتاحية: هجرة العودة، الديناميات الأسرية، مشروع الهجرة، الأدوار الجندرية.

Abstract

This paper explores the intricate role of family dynamics in shaping migrants' decisions to return to their countries of origin. It analyzes the repercussions of this return on both the migrant and their family, focusing on gender roles within this context. Many studies have addressed migration by focusing on the individual migrant without considering the family's role in the migration project, whether the family migrates as a unit or remains in the country of origin. Although migration often begins as an individual decision, its motivations and consequences are closely intertwined with family contexts whose influence extends beyond economic and political factors.

The family plays a pivotal role in the migration decision-making process, from its motivations, methods, and timing to the choice of destination, sources of financial support, and the use of remittances. These influences extend to the return decision. The family can act as a pull factor, motivating the migrant to return to care for aging parents, reunite with family after failed reunification attempts in the host country, or facilitate reintegration into their original

community. Conversely, the family can also be a deterrent. Prematurely ending the migration project may be perceived as a failure, potentially damaging the family's reputation in the community of origin and exposing the migrant to criticism from both their community and family. Furthermore, both departure and return contribute to the transformation of gender roles. The void left by male migrants within the family is often filled by women who are compelled to assume responsibilities traditionally assigned to men.

Keywords: return migration, family dynamics, migration project, gender roles.

تقديـــم

شهد موضوع الأسرة في سياق الهجرة الدولية تحولًا ملحوظًا في الاهتمام البحثي. فبعد فترة طويلة من التغييب النسبي، والتي امتدت حتى ثمانينيات القرن الماضي[157]، بدأ الباحثون يدركون أهمية دراسة الأسرة لفهم ظاهرة الهجرة في شموليتها. ويعزى هذا التغييب جزئيًا إلى هيمنة المنظور الاقتصادي الفردي في دراسات الهجرة المبكرة، والذي ركّز بشكل أساسي على دوافع المهاجر الفردية ومصالحه الشخصية. كما ساهم حصر الهجرة من منظور النوع الاجتماعي ضمن ثنائية "الرجل المنتج والمرأة المنجبة"[158] في إهمال دور ديناميات الأسرة وتفاعلاتها في سياق الهجرة. ونتيجة لهذا التصور الاقتصادي، انصبّت معظم الدراسات على المهاجرين الذكور العاملين، متجاهلةً أدوار أفراد الأسرة الآخرين كالنساء وكبار السن والأطفال.

بدأ الاهتمام بدور الأسرة في دراسات الهجرة يتصاعد في العقود الأخيرة[159]، مع تنامي الوعي بأهمية الجوانب الاجتماعية للهجرة، إلى جانب جوانبها الاقتصادية، وتسليط الضوء على تأثير الأسرة في فهم مسارات الهجرة. فالهجرة، كما يرى الباحثان برنارد نوك وباربرا سيتلز (Bernhard Nauck And Barbara H. Settles)[160] ليست مجرد قرار فردي، بل تتأثر بدورة حياة الأسرة وبالأحداث الهامة في مسار حياة أفرادها، وليست مجرد استجابة لظروف سوق العمل فقط، بل لظروف الأسرة أيضا، كونها تمارس تأثيرا كبيرا على قرارات الهجرة، لا يقل أهمية عن التأثيرات الاقتصادية. وكما أن للأسرة تأثير على قرارات الهجرة ومساراتها في مراحل مختلفة، منذ مرحلة المغادرة والاندماج في بلد المقصد، وصولا إلى مرحلة العودة

---

[157] Eleonore Kofman, 'Family-related Migration: A Critial Review of European Studies', *Journal of Ethnic and Migration Studies* 30, no. 2 (March 2004): 248, https://doi.org/10.1080/1369183042000200687.

[158] تشير عبارة "الرجل المنتج والمرأة المنجبة" إلى الأدوار التقليدية للجنسين التي كانت سائدة في دراسات الهجرة المبكرة. يؤكد هذا التصور على تقسيم العمل على أساس الجنس، حيث كان يُنظر إلى الرجال عادةً على أنهم المعيلون الاقتصاديون الأساسيون (المنتجون) بينما يُنظر إلى النساء في المقام الأول بالرجوع إلى أدوارهن المتعلقة بالأسرة والإنجاب (المُنجبات). أثر هذا الانقسام في سياق الهجرة على كيفية النظر إلى تجارب ومساهمات الرجال والنساء وتقييمها. فغالباً ما ارتبط الرجال بهجرة العمال، حيث كان يُنظر إليهم على أنهم ينتقلون للعمل لأسباب اقتصادية بالدرجة الأولى. في المقابل، كانت هجرة النساء مرتبطة في كثير من الأحيان بلم شمل الأسرة أو الزواج أو التحرر الاجتماعي، بدلاً من الاعتراف بهن لمساهماتهن الاقتصادية. (لتفاصيل أكثر أنظر: Eleonore Kofman المرجع السابق)(2004)

[159] Eleonore Kofman et al., 'Issues and Debates on Family-Related Migration and the Migrant Family: A European Perspective', in *Gender, Generations and the Family in International Migration*, ed. Albert Kraler et al. (Amsterdam: Amsterdam University Press, 2011), 17, https://doi.org/10.1515/9789048513611-002.

[160] Bernhard Nauck and Barbara H. Settles, 'Immigrant and Ethnic Minority Families: An Introduction', *Journal of Comparative Family Studies* 32, no. 4 (2001): 461–63.

وإعادة الاندماج في بلد المنشأ، فإن ديناميات العلاقات الأسرية تتأثر بدورها بفعل هذه الحركية[161]، فتظهر الديناميات الأسرية كفاعل ومتفاعل مع موضوع الهجرة.

يعزى الاهتمام المتزايد بدور الأسرة في الهجرة خلال السنوات الأخيرة إلى عاملين أساسيين: أولاً، تزايد هجرة العائلات في مختلف دول العالم بعد توقف موجات الهجرة الجماعية، وثانياً، التغير في النظريات المتعلقة بالهجرة، والتي أصبحت تنظر إلى الأسرة كنظام يربط بين مجتمعات المنشأ والمقصد من خلال شبكات عائلية وشخصية متعددة. وتُعتبر الأسرة في هذا السياق فاعلا اجتماعيا مركزيا في عملية الهجرة، حيث تساهم في دعم الجماعات الاجتماعية المشتتة جغرافياً، وتشكيل شبكات للدعم وتبادل المعلومات والالتزامات[162]، بل وتشكل، إلى جانب عوامل أخرى، عاملا مؤثرا على قرار الهجرة من عدمه، حيث يرتبط قرار الهجرة ارتباطاً وثيقاً بدورة حياة الأسرة إلى جانب التحولات الرئيسية في دورة حياة الجيلين الأول والثاني من المهاجرين، ولا يُفهم بالضرورة كرد فعل مباشر على ضعف فرص العمل المتاحة في بلد المنشأ[163].

رغم هذا الاهتمام المتزايد بدور الأسرة في الهجرة، فقد حُصر اهتمام الدراسات التي اعتمدت الأسرة كوحدة لتحليل ظاهرة الهجرة، في مقاربة العلاقات الأسرية في بلد المقصد، ورصد تجارب الأسر المهاجرة ومشاكل اندماجها، أو البحث في موضوع الزيجات المختلطة وما يترتب عليها من تبعات قانونية واجتماعية... دون الأخذ في عين الاعتبار دور الأسر غير المهاجرة، التي تمارس تأثيرا قويا على المهاجر وعلى قراراته، سواء في الهجرة لأول مرة، أو العودة لاحقا.

وإذا كانت الدراسات التي تناولت دور الأسرة، سواء المهاجرة أو غير المهاجرة، في تشكل قرارات الهجرة قد ظهرت بشكل متأخر مقارنة بتلك التي ركزت على دور الجانب الاقتصادي، فإن الدراسات حول دور الأسرة في هجرة العودة توصف بالندرة، كون الاهتمام بالهجرة العائدة عموما لم يظهر إلا خلال السنوات القليلة الماضية، ما دفع البعض إلى وصف دراسات العودة بـ«الفصل الكبير غير المكتوب من تاريخ الهجرة»[164]، نظرا للإهمال الطويل الذي طال هذه الظاهرة، ناهيك عن التركيز على دور الأسرة فيها.

لذا، سنحاول تسليط الضوء على العلاقة الجدلية التي تربط الأسرة، سواء المهاجرة أو غير المهاجرة، بهجرة العودة، باعتبارها عاملا مؤثرا إما جذبا أو دفعا للعودة من جهة، وبنية متأثرة بالديناميات الهجروية التي تتفاعل معها بشكل مباشر (الأسر المهاجرة) أو غير مباشر (الأسر غير المهاجرة) من جهة أخرى.

1. في دلالات مفهوم هجرة العودة

يعد مفهوم «هجرة العودة» من بين المفاهيم التي يعتريها الغموض في الدراسات المتعلقة بالهجرة بشكل عام، لذا يستعصي الحديث عن تعريف شامل وموحد للمفهوم. لكن، يمكننا الانطلاق مبدئيا من التعريف الذي قدمته المنظمة

[161] Brenda S.A. Yeoh, Elspeth Graham, and Paul J. Boyle, 'Migrations and Family Relations in the Asia Pacific Region', *Asian and Pacific Migration Journal* 11, no. 1 (March 2002): 1–11, https://doi.org/10.1177/011719680201100101.
[162] Monica Boyd, 'Family and Personal Networks in International Migration: Recent Developments and New Agendas', *International Migration Review* 23, no. 3 (September 1989): 641, https://doi.org/10.1177/019791838902300313.
[163] Nauck and Settles, 'Immigrant and Ethnic Minority Families: An Introduction', 462.
[164] Russell King, 'Generalizations from the History of Return Migration', in *Return Migration: Journey of Hope or Despair?*, ed. Bimal Ghosh (Geneva: United Nations and the International Organization for Migration., 2000), 7.

الدولية للهجرة (OIM)، والذي يرى أن هجرة العودة هي انتقال المهاجر للبلد الذي انطلق منه أول مرة (البلد الأصلي) بعدما استقر في بلد المهجر لسنة على الأقل، وقد تكون العودة في هذا السياق إما طوعية ومخطط لها، أو قسرية (الترحيل)[165]. تشمل هجرة العودة وفق هذا التعريف كل أشكال العودة إلى بلد المنشأ، سواء كانت عودة دائمة بغرض الاستقرار، أو مؤقتة مع نية تكرار تجربة الهجرة من جديد.

كمحاولة منها لتجاوز هذا التحديد الفضفاض لهجرة العودة، حاولت العديد من الدراسات حصر العودة في جانبها المستدام، باعتبارها تمثل نهاية المسار الهجروي للعائد (le parcours migratoire). فمثلا أستاذ الأنثروبولوجيا جورج غميلش (George Gmelch)، يعرف هجرة العودة بأنها حركة المهاجرين العائدين إلى بلدانهم الأصلية من أجل إعادة الاستقرار (réinstallation)، وإعادة الاندماج فيه سوسيو-اقتصاديا[166]. وبالتالي، فكل عودة مؤقته لا تدخل ضمن نطاق هجرة العودة. والمهاجر العائد هو الذي قرر الاستقرار في بلده الأصلي بشكل دائم بعد تجربة هجرة لمدة معينة.

ومن جانبها، اعتبرت دراسات أخرى أن العودة لا تكون بشكل نهائي دائما، بل قد تكون عودة مؤقتة، وفرصة لإعادة ترتيب الأوراق والتجهير لهجرة نازحة جديدة، في إطار ما يطلق عليه "الهجرة الدائرية" (La Migration Circulaire)، إذ تصبح العودة بموجب هذا التصور مجرد مرحلة ضمن المسار الهجروي للمهاجر، يمكن للمهاجر خوضها لمرات عديدة[167]. فهجرة العودة هي عودة المهاجر إلى نقطة انطلاقه دون حكم مسبق على الهجرات التي من المحتمل أن يقوم بها مستقبلا، فالعودة ليست نهاية مسار الهجرة.

بهذا المعنى، تأخذ العودة أشكالا عديدة، إذ قد تشير إلى عودة نهائية لبلد الانطلاق قصد الاستقرار بشكل دائم، كما قد تحيل على الرجوع نحو بلد الانطلاق بشكل مؤقت، مع معاودة الهجرة مرة أخرى تجاه بلد المهجر نفسه الذي تمت العودة منه، أو تجاه بلد جديد. كما أن هجرة العودة بأشكالها تتقاطع مع أشكال أخرى للهجرة مقاربة لها، ما يزيد من ضبابية المفهوم. وهو الأمر الذي حاول الأنثروبولوجي فرانك بوفنكورك (Frank Bovenkerk) توضيحه عبر عرضه لأشكال الهجرة الممكنة، والتي لا تخرج أن ست حالات[168] هي: هجرة النزوح (émigration) باعتبارها انتقالا للمهاجر من بلد المنشأ نحو بلد المقصد؛ وهجرة العودة (migration de retour) التي تشير إلى عودة المهاجرة من بلد المقصد نحو بلد المنشأ مرة أخرى؛ ثم هجرة العبور (migration transiliente)، أي انتقال المهاجر من بلد المنشأ نحو بلد المقصد الأول، ثم منه إلى بلد المقصد الثاني؛ بالإضافة إلى إعادة الهجرة (re-émigration)، أي مغادرة بلد المنشأ من جديد بعد العودة إليه تجاه نفس بلد المقصد الذي عاد منه؛ إلى جانب الهجرة لمرة ثانية (émigration de seconde fois)، أي مغادرة بلد المنشأ بعد العودة إليه من بلد المقصد الأول تجاه بلد ثان؛ وأخيرا الهجرة الدائرية (migration circulaire) باعتبارها تنقل مستمر ذهابا وإيابا بين بلد المنشأ وبلد الاستقبال.

---

[165] Richard Perruchoud and Katarina Tömölova, eds., *Compendium of International Migration Law Instruments*, First Edition (The Hague: T.M.C. Asser Press, 2007), 48.
[166] George Gmelch, 'Return Migration', *Annual Review of Anthropology* 9 (1980): 136.
[167] Mojùbàolú Olúfúnké Okome, 'THINKING ABOUT RETURN MIGRATION TO AFRICA: THEORIES, PRAXES, GENERAL TENDENCIES & AFRICAN PARTICULARITIES', *Ìrìnkèrindò A JOURNAL OF AFRICAN MIGRATION*, June 2014, 7 edition, 2.
[168] Frank Bovenkerk, *The Sociology of Return Migration: A Bibliographic Essay* (Dordrecht: Springer Netherlands, 1974), 5, https://doi.org/10.1007/978-94-015-1037-0.

ومن المهم التأكيد على أن العودة يمكن أن تكون مؤقتة أو دائمة كما أشرنا من قبل. وبالتالي لا يمكن تصورها على أنها نهاية دورة الهجرة. فعلى مدى عقد من الزمن، تمت دراسة هذه الفكرة بعمق من قبل مؤيدي نظرية النزعة عبر-الوطنية ونظرية الشبكات، إذ أظهروا أن العودة قد تشكل مرحلة من مراحل دورة الهجرة. وبالتالي فعودة المهاجر نحو وطنه الأصلي مسألة وقت، بغض النظر عن الظروف والحيثيات التي تكمن وراء هذه الأمر. مما يعني أن عودته هذه ستترتب عليها تبعات اجتماعية وأسرية، كما كان الحال عند مغادرته لأول مرة.

2. الأسرة وهجرة العودة: مقاربات نظرية

من أجل بناء فهم معمق حول ظاهرة هجرة العودة، يقتضي منا الأمر مراجعة شاملة لمختلف النظريات التي حاولت تفسيرها، والوقوف عند أهمية دور الأسرة بالنسبة لكل مقاربة من المقاربات النظرية. فكما هو معلوم، شهدت دراسة هجرة العودة مُنذ ستينيات القرن الماضي مقاربات مُتنوعة، إلا أنها لم تحظَ باهتمام بحثي واسع إلا في ثمانينيات القرن نفسه، بالتزامن مع ظهور نقاشات حول تأثيرات العودة على بلدان الأصل[169]. ويمكن حصر أهم النظريات تناولت ظاهرة العودة في كل من نظرية الاقتصادات النيوكلاسيكية، والاقتصادات الجديدة لهجرة العمالة، والنظرية البنيوية، والنظرية عبر الوطنية ثم نظرية الشبكات الاجتماعية. وقد فسرت هذه المقاربات النظرية هجرة العودة وفق تصورات متباينة، تجعل من الأسرة فاعلا أساسيا في المشروع الهجروي أحيانا، وتزيل عنها أي تأثير عليه أحيانا أخرى.

1.2. نظرية الاقتصادات النيوكلاسيكية (Neoclassical Economics Theory)

تُعتبر نظرية الاقتصادات النيوكلاسيكية من أقدم وأشهر النظريات التي قاربت ظاهرة الهجرة، وتركز أساسا على العوامل الكلية، مثل التفاوت في الأجور بين الدول، كما تراعي أيضاً العوامل الجزئية من خلال اعتبار الهجرة قراراً فردياً يهدف إلى تعظيم الدخل[170]. وبناء عليه، تنظر هذه المقاربة لهجرة العودة باعتبارها نتيجة لتجربة هجرة فاشلة لم تسفر عن تحقيق الأرباح والفوائد المتوقعة[171]. وبعبارة أخرى، ترتبط العودة بالعمال المهاجرين الذين أخطأوا في تقدير تكلفة الهجرة، والذين لم يجنوا ثمار الدخل المرتفع ببلدان المهجر كما كان متوقعا.

علاوة على ذلك، يعتبر أصحاب هذه المقاربة أن المهاجر لا يسعى لزيادة أرباحه فقط، من خلال استغلال فرق الأجر بين بلده الأصلي وبلد المهجر، بل يسعى أيضا لتمديد فترة إقامته في المهجر قدر الإمكان بُغية الاستفادة من تسوية دائمة لوثائق الإقامة ولم شمل الأسرة عبر استقطاب أفراد أسرته نحو بلد الهجرة. ووفقًا لهذا المنظور، «لا يمكن أن يكون الدافع وراء العودة إلا تجربة هجرة فاشلة، من حيث الأرباح المتوقعة والتوظيف والمدة»[172] وبالتالي تكون العودة بهذا المعنى نتيجة حتمية لتجارب المهاجرين الفاشلة في الخارج، لأن رأسمالهم البشري لم يكن بالكفاءة المرجوة.

[169] Jean-Pierre Cassarino, 'Theorising Return Migration: The Conceptual Approach to Return Migrants Revisited', *International Journal on Multicultural Societies* 6, no. 2 (2004): 253–79.
[170] Douglas S. Massey et al., 'Theories of International Migration: A Review and Appraisal', *Population and Development Review* 19, no. 3 (September 1993): 431–66, https://doi.org/10.2307/2938462.
[171] Cassarino, 'Theorising Return Migration'.
[172] Cassarino, 255.

من خلال النظر إلى قرارات الهجرة على أنها نتيجة لقرارات فردية ومصالح فردية، يتجاهل منظور الاقتصادات النيوكلاسيكية تأثير الأسرة على الهجرة. علاوة على ذلك، فمن خلال التركيز على المهاجرين العاملين حصرا، فإنه لا يسمح بالنظر في تجارب الأنواع الأخرى من المهاجرين العائدين.

2.2. نظرية الاقتصادات الجديدة لهجرة العمالة (New Economics of Labor Migration Approach)

على عكس المقاربة السابقة التي تعتبر مسألة العودة تعبيرا عن فشل المهاجر في تحقيق الأهداف المرجوة، تنظر مقاربة الاقتصادات الجديدة لهجرة اليد العاملة للعودة باعتبارها النتيجة المنطقية لـ "استراتيجية محسوبة" محددة سلفا من طرف المهاجر وأسرته، وناتجة عن النجاح في تحقيق الأهداف والغايات المسطرة سلفا[173]. وبالتالي فالعودة بهذا المعنى نتيجة منطقية لتجربة هجرة ناجحة، حقق خلالها المهاجر أهدافه وأهداف أسرته[174] (دخل أعلى، مراكمة المدخرات...) مع القيام بتحويل جزء كبير من دخله بشكل منتظم إلى أسرته. وتعتبر التحويلات المالية التي يقوم بها المهاجر لفائدة أسرته جزءا لا يتجزأ من استراتيجية تهدف إلى تنويع موارد الأسرة بهدف التعويض بشكل أفضل عن المخاطر المتعلقة بسوق العمل بالبلد الأصلي للمهاجر. كما أنها تشكل واحدا من العوامل الدالة المتعلقة بقرار العودة جنبا إلى جنب مع الارتباط العاطفي بالبلد الأصلي، فكلما ارتفعت نسبة هذه التحويلات واستمرت لفترات أطول، زادت معها إمكانية العودة لاستغلال هذه الموارد كنوع من التقاعد في البلد الأصلي.

تنظر هذه المقاربة إذن إلى الهجرة من منظور أوسع يأخذ في الاعتبار عوامل أخرى إلى جانب سوق الشغل، وتؤكد على أن الهجرة يجب أن يُنظر إليها باعتبارها قرارا للأسرة يهدف إلى ضمان رفاهها الاقتصادي[175]. ويُمكن اعتبار ذلك بمثابة عقد غير مُعلن بين المهاجر وأسرته، حيث يحصل المهاجرون على أجور أعلى بفضل التعليم الذي وفرته لهم أسرهم، ثم يقومون برد الجميل من خلال التحويلات المالية، فتُمكّن هذه التحويلات الأسرة من تحمل المزيد من مخاطر الاستثمار في بلد الأصل، مُدركة أن المهاجر سيدعمها مالياً، ويستمر الأبناء والبنات في إرسال التحويلات على أمل ضمان وضع جيد لهم في نهاية المطاف[176]. وتظهر المساهمة الكبيرة لهذه النظرية في أنها تُبرز أن وحدة تحليل سيرورات الهجرة هي الأسرة وليس الفرد، وتؤكد بالتالي على أن قرار الهجرة له سياق اجتماعي يتجاوز الفرد المهاجر نفسه.

تُقدم نظرية الاقتصادات الجديد لهجرة اليد العاملة مساهمة قيّمة في فهم تأثير الأسرة على الهجرة العكسية، لكنها يعتريها بعض القصور. فبتركيزها على التحويلات المالية، تُقصي النظرية أنواعًا أخرى من المهاجرين غير العمال (كالطلاب، وطالبي اللجوء) من نطاق تحليلها. كما أن تصويرها للتحويلات المالية على أنها تجسيد لعقد ضمني بين المهاجر وأسرته لا يُتيح فهم عودة المهاجرين الذين لا يُرسلون تحويلات مالية.

3.2. النظرية البنيوية (Structuralism)

على العكس من المقاربتين السابقتين، لا تنظر هذه المقاربة إلى هجرة العودة باعتبارها تجربة فردية تخص المهاجر وحده، بل تعتبرها نتاجا لمجموعة من العوامل الاجتماعية والمؤسساتية المرتبطة بالبلدان الأصلية للمهاجر، إذ تنظر للعودة

[173] Cassarino, 255.
[174] Oded Stark, *The Migration of Labor* (Oxford, UK: B. Blackwell, 1991).
[175] Massey et al., 'Theories of International Migration'.
[176] Stark, *The Migration of Labor*.

باعتبارها مسألة سياقية[177] (مرتبطة بالسياقات الاجتماعية والاقتصادية والمؤسساتية...). وعلى هذا الأساس يتم تقييم نجاح أو فشل المهاجرين العائدين من خلال ربط الواقع الاقتصادي والاجتماعي للبلد الأصلي بتوقعات وانتظارات هؤلاء.

وفي هذا السياق أنجز الباحث الإيطالي فرانشيسكو شيرازي (Francesco Cerase) دراسة حول المهاجرين الإيطاليين العائدين من الولايات المتحدة الأمريكية[178]، وقدم خلالها العديد من الأمثلة التي توضح مدى تعقد العلاقة بين توقعات وانتظارات المهاجرين العائدين، وبين السياق الاجتماعي والاقتصادي (أي الواقع) ببلدانهم الأصلية، معتبرا أنه لا يمكن الحكم على العودة بالنجاح أو الفشل، بل تتحدد طبيعة العودة بناء على عوامل بنيوية متداخلة، ترسم معالم المهاجرين العائدين. وفي هذا السياق حيث حدد شيرازي أربعة أنواع مختلفة من العودة ارتباطا بتوقعات العائدين وانتظاراتهم واحتياجاتهم:

- **عودة الفشل (Return of Failure)**: تتعلق بالعائدين الذين لم يتمكنوا من الاندماج بالبلدان المستقبلة بسبب التحيزات لصالح المواطنين الأصليين على حساب المهاجرين، أو بسبب الصور النمطية التي يواجهونها بهذه البلدان، هذا السياق تُرجم إلى صعوبة في الحصول على عمل، أو في التكيف مع المجتمع المضيف، وبالتالي تكون هذه العوامل قوية بما يكفي لدفع المهاجر إلى التفكير في العودة لبلده الأصلي.
- **عودة النزعة المحافظة (Return of Conservatism)**: يُعتبر العائدون من هذا النوع هم أولئك الذين ظلوا في المجتمع الجديد غرباء بسبب عقلياتهم المحافظة، فقد خططوا منذ البداية للعودة إلى بلدانهم الأصلية بأموال كافية لشراء قطعة أرضية بهدف تحرير أنفسهم من الخضوع لملاك الأراضي. في لحظة عودتهم النهائية لبلدهم الأصلي، كانوا ما يزالون في ذروة حياتهم النشطة والإنتاجية، والتي يستغلونها في القيام بأنشطة زراعية بالأراضي التي اشتروها. لقد قام هؤلاء بإعادة إنتاج نفس نمط العمل الذي كان سائدا قبل هجرتهم (الزراعة)، وساهموا في الحفاظ عليه وضمان استمراريته، إذ لم يتأثروا باحتكاكهم بالمجتمع الأمريكي، بل ظلوا محافظين على نفس التفكير، لكن مع فرق بسيط، يتجلى في انتقالهم من العمل في أراضي الغير، إلى العمل في أراضيهم الخاصة التي تملكوها بعد العودة. وبالتالي فالعائدون المحافظون لا يهدفون إلى تغيير السياق الاجتماعي والاقتصادي الذي تركوه قبل الهجرة، بل إن هجرتهم ساعدت على المحافظة على هذا السياق وتثبيته.
- **عودة التقاعد (Return of Retirement)**: تشير إلى المهاجرين الذين قرروا العودة إلى بلدانهم الأصلية، والحصول على قطعة أرض ومنزل يقضون فيه شيخوختهم بعد التقاعد. فالمعاش الخاص بهم يتيح لهم عيشًا مريحًا في بلدهم الأصلي أكثر من بلد الاستقبال. بالإضافة إلى ذلك، لم يكن لدى هؤلاء أي روابط عائلية في المهجر. وتجدر الإشارة إلى أن السمة المميزة لهذا الصنف من المهاجرين العائدين هي أنهم ينظرون إلى عودتهم على أنها بداية المرحلة الأخيرة من حياتهم، فقد عاشوا حياة كاملة في المهجر، وشاركوا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكثير منهم خدم في الجيش، إلا أن شعورهم بالانتماء لا يمكن أن يتجاوز حدًا معينًا،

[177] Cassarino, 'Theorising Return Migration'.
[178] Francesco Cerase, 'Expectations and Reality: A Case Study of Return Migration from the United States to Southern Italy', *The International Migration Review* 8 (1 February 1974): 245–62, https://doi.org/10.2307/3002783.

فمع تقدمهم في السن، وتراجع صحتهم، وتطور رغبتهم وحاجتهم للأمن، تحول كل تفكيرهم صوب البلد الذي هاجروا منه.

- **عودة التجديد (Return of Innovation)**: تعتبر هذه الفئة من العائدين الأكثر ديناميكية حسب تصنيف شيرازي، إذ تحمل همّ التغيير الاجتماعي على عاتقها. فهؤلاء هم المهاجرون الذين خططوا للاستفادة من جميع الموارد والمهارات الجديدة التي اكتسبوها خلال تجربة الهجرة بعد عودتهم لبلدانهم الأصلية، فحسب تقديرهم، تقدم لهم هذه الموارد والمهارات والخبرات فرصا أكبر لتلبية متطلباتهم وتحقيق تطلعاتهم. يعتبر هؤلاء أنفسهم مجددين، لاعتقادهم أن المهارات والموارد التي راكموها بالمهجر ستمكنهم من تحقيق التغيير الاجتماعي بمجتمعاتهم الأصلية.

4.2. النظرية عبر الوطنية (Transnationalism)

تشكل المقاربة عبر الوطنية محاولة لصياغة إطار نظري ومفاهيمي يهدف إلى فهم أفضل للروابط الاجتماعية والاقتصادية القوية بين بلدان المهجر وبلدان المنشأ. فمفهوم الهجرة عبر الوطنية يشير إلى «المهن والأنشطة التي تتطلب اتصالات اجتماعية منتظمة ومستمرة في الزمن عبر الحدود الوطنية»[179]، والتي يكون لها تأثير على هويات المهاجرين.

لا يُنظر للعودة باعتبارها نهاية دورة الهجرة، وإنما كسيرورة وجزء لا يتجزأ من نظام دائري للعلاقات والتبادلات الاجتماعية والاقتصادية التي تسهل عملية إعادة اندماج المهاجرين ببلدانهم الأصلية، وتمكنهم من نقل المعارف والخبرات من بلدان المهجر، يُجهّز خلالها العائدون لإعادة اندماجهم ببلدهم الأصلي من خلال زيارته بشكل دوري ومنتظم؛ إذ يحتفظون بروابط قوية مع مع الأسرة والأصدقاء على مدار سيرورة الهجرة بأكملها، ويرسلون بشكل دوري تحويلات مالية لأسرهم وأقاربهم[180].

يتأسس الإطار المفاهيمي الذي تعتمده المقاربة عبر الوطنية في دراستها للهجرة على مجالين مترابطين هما: الهويات عبر الوطنية، والتنقل عبر الوطني. فبخصوص الهوية عبر الوطنية، فهي عبارة عن «مزيج من أصول المهاجرين والهويات التي اكتسبوها في بلدان المهجر. ويؤدي هذا المزيج إلى تشكل "هويات مزدوجة" (double identities) أكثر مما قد ينتج عنه هويات متضاربة أو متصارعة. إذ تكون لدى المهاجر القدرة على التفاوض لإيجاد موقع له سواء داخل مجتمعه الأصلي أو المجتمع المضيف»[181]. كما قد يواجه العائدون ضغوطًا اجتماعية، أو يشعرون بالتهميش من قبل مجتمعهم الأصلي، إلا أنهم يحاولون في نفس الوقت التفاوض لإيجاد موقع لهم في المجتمع، دون التفريط في خصوصياتهم التي تتجلى في هوياتهم المزدوجة أو الهجينة (hybrid identities) التي اكتسبوها من خلال التوليف بين قيم المجتمع الأصلي، وقيم المجتمع المضيف[182].

5.2. نظرية الشبكات الاجتماعية (Social Network Theory)

[179] Alejandro Portes, Luis E. Guarnizo, and Patricia Landolt, 'The Study of Transnationalism: Pitfalls and Promise of an Emergent Research Field', *Ethnic and Racial Studies* 22, no. 2 (January 1999): 219, https://doi.org/10.1080/014198799329468.
[180] Cassarino, 'Theorising Return Migration', 261–62.
[181] Cassarino, 262.
[182] Cassarino, 263–65.

تعد مقاربة الشبكات الاجتماعية إطارا نظريا آخر اقترحه كاسارينو لتعميق تفكيرنا حول هجرة العودة. فكما هو الحال بالنسبة للمقاربة عبر الوطنية، فالشبكات الاجتماعية تشمل كلا من المهاجرين والعائدين الذين يحافظون على روابط قوية، مادية وشخصية وعاطفية، بكل من أسرهم وأصدقائهم ومجتمعاتهم ككل، والبلدان والمجتمعات "المضيفة". وهنا يكون الضغط على الأسرة والشبكات الاجتماعية الأخرى، التي تعمل كقنوات مؤثرة في قرار العودة، وفي العودة نفسها، وما يحدث بعدها أيضا.

تعتمد الشبكات الاجتماعية بشكل أكبر على الروابط بين مجموعة محددة من الأشخاص الذين يمتلكون سمات كالقرابة ورأس المال الاجتماعي والموارد الثقافية والاقتصادية والهوية... اللازمة لتكون جزءًا من شبكة معينة[183]. وبعبارة أخرى فالشبكات ذات طبيعة علائقية (relational)، إذ تتكون من فاعلين اجتماعيين يشاركون في تشعبات علائقية (relational ramifications) تؤدي إلى العودة، والتي قد تشكل "هوية عودة" مميزة.

يتضح من هذا الاستعراض الموجز لنظريات الهجرة العائدة أن مُختلف هذه النظريات قد أسهمت بشكل جوهري في دراسة تأثيرات الأسرة على العودة، إلا أن أياً منها لا تقدم بمفردها فهماً شاملاً للظاهرة. فلفهم تأثيرات الأسرة على الهجرة العائدة بشكل كامل، يتطلب الأمر إعادة النظر في النظريات المذكورة أعلاه. ومن شأن دمج عناصر مُختلفة من هذه النظريات أن يتجاوز المنظور الاقتصادي المحض، ويُركز على المستويات الأدق للعودة، مثل التجارب المعيشة للعائدين وكيفية تأثرهم بالدعم والضغوط الأسرية.

3. الأسرة وهجرة العودة: ما بين الجذب والدفع

لا يتوقف تأثير الأسرة عند حدود تشجيع أو تثبيط المهاجر على مغادرة البلد الأصلي بحثا عن فرص اقتصادية أفضل، أو طمعا في ترقي السلم الاجتماعي فقط، بل يتجاوز تأثيرها ليطال قرار العودة بعد نهاية دور الهجرة. فتشكل الأسرة في هذا السياق عامل جذب أحيانا، يجذب المهاجر نحو العودة إلى وطنه الأصلي، كما تشكل عامل دفع يثني المهاجر عن العودة، وذلك تحقيقا لرهانات اجتماعية وأسرية يلزم تحقيقها. وبالتالي تظهر الأسرة كفاعل مزدوج التأثير على قرار الهجرة، تزاوج بين الجذب والدفع.

يُعتبر العامل الأسري الدافع الرئيسي للهجرة العائدة إلى بلدان المنشأ. فالحنين إلى الوطن، أو لم شمل الأسرة أو تكوينها، بالإضافة إلى الالتزامات العائلية، كلها تشكل أسبابا مُتكررة يذكرها المهاجرون في مُختلف البلدان[184]. حيث تُشير مجموعة من الدراسات إلى أن المهاجرين يعبرون في الغالب عن الرغبة في التواجد مع أفراد الأسرة أو الرغبة في تكوين أسرة في بيئة مألوفة كأسباب رئيسية للعودة. وهو ما يمكن مُلاحظته بين المهاجرين العائدين المغاربة على سبيل المثال. ففي المغرب، أفاد ما يقرب من 60% بأن عودتهم طوعية، ومن بين هذه الحالات، 40% كانت عودتهم مدفوعة بأسباب عائلية[185]. ويُعتبر لم شمل الأسرة الدافع الرئيسي للعديد من العائدين، خاصة القادمين من أمريكا الشمالية (38%) والبلدان الأوروبية

[183] Cassarino, 266–67.
[184] Higinio Fernández-Sánchez et al., 'Return Migration in Latin America and the Caribbean: A Scoping Review', *Migraciones internacionales* 13, no. 3 (15 February 2022), https://doi.org/10.33679/rmi.v1i1.2431.
[185] OECD, *Return, Reintegration and Re-Migration: Understanding Return Dynamics and the Role of Family and Community* (OECD, 2024), 44, https://doi.org/10.1787/625fb5e6-en.

التقليدية للهجرة (24%)[186] وقد يكون المهاجرون الذين لا تسمح لهم وضعيتهم القانونية بلم شمل الأسرة في بلد الإقامة أكثر ميلاً للعودة لأسباب عائلية.

يمكن أن تدفع الالتزامات العائلية المُتعلقة بتقديم الرعاية المهاجرين أيضاً إلى العودة. ففي السياق الأرميني، أفادت المهاجرات العائدات بشعورهن بالضغط للوفاء بـ"واجبهن الاجتماعي" ومسؤولياتهن في رعاية أفراد الأسرة. وتوصلت دراسة أخرى عن الهجرة العكسية إلى المغرب إلى نتائج مُماثلة: فعندما تتدهور الحالة الصحية للآباء أو أهل الزوج، تشعر المهاجرات بحاجة ملحة للعودة لتقديم الرعاية[187]، رغم أن ظروفهن الاجتماعية والاقتصادية تكون جيدة في بلدان الاستقبال، إلا أنهن يجدن أنفسهم مجبرات على مغادرتها.

تلعب الوضعية العائلية للمهاجرين دورا حاسما في تشكل قرار العودة نحو الوطن. فكما أن الهجرة النسائية في بداياتها كانت مرتبطة أساسا بلم شمل الأسرة في بلد المهجر عبر الالتحاق بالزوج، فإن اختلال العلاقة الزوجية عبر الانفصال أو الطلاق يساهم في تحفيز الرغبة لدى المهاجرات خصوصا في العودة. ففي دراسة أنجزها الباحثان بيجوارد وفان دويسلار (Bijwaard and van Doeselaar)[188] حول تأثير التغيرات في الحالة الزوجية على هجرة عودة الأسر المهاجرة، وجدا أن أفراد الأسرة المهاجرين من البلدان المتقدمة أكثر عُرضة للرحيل بعد الطلاق.

رغم المشاكل التي قد يتعرض لها المهاجر في بلد الاستقبال، أو التحديات التي تفرضها العوامل الأسرية، سواء في المهجر أو في بلد المنشأ، تعارض العديد من العائلات فكرة العودة. ففي البلدان منخفضة ومتوسطة الدخل، غالباً ما يتم تمويل هجرة أحد أفراد الأسرة من قِبل أفراد الأسرة الآخرين كاستثمار جماعي. ومن المُتوقع أن يُرسل المهاجرون تحويلات مالية ويعودون برأس مال وسلع استهلاكية[189]. وهو ما يفسر في كثير من الأحيان تأجيل بعض المهاجرين لفكرة العودة رغم التحديات المختلفة التي يواجهونها في بلد الاستقبال، أو حتى تلك التي يطرحها بلد المنشأ، تفاديا لخيبة الأمل التي قد يخلفها هذا القرار بالنسبة لأسرته التي استثمرت دون تردد في مشروع الهجرة. بل يخشون أن يوصفوا بأنهم خانوا عائلاتهم ومحيطهم. حيث يعتبر المهاجر الطرف الذي يعوّل عليه الجميع ماديًا. ويعتبر عدم القدرة على إعالة الأسرة وتلبية متطلبات دعمها فشلاً ذريعًا لكل الجهود التي بُذلت في سبيل الهجرة[190] وهو ما يجعل من الأسر في بلدان الاستقبال تتوقع من المهاجرين أن يمكثوا في بلدان الاستقبال حتى عند مُواجهة صعوبات كبيرة أو أزمات خانقة.

بناء عليه، يبدو بشكل جلي أنَّ للعائلات تأثير كبير على قرارات المهاجرين بالعودة، إذ تتدخل في كل مرحلة من مراحل اتخاذ القرار وتجربة العودة بأدوار تدفع المهاجر في اتجاه أو آخر. ففي كثير من الأحيان تُمثل الأسرة الدافع الرئيسي للعودة، لكنها يُمكن أن تُمثل أيضاً عاملاً مُثبطاً إذا خشي المهاجرون عدم قدرتهم على تلبية توقعات أسرهم. وقد يعزل المهاجرون

[186] OECD, 44.
[187] OECD, 45.
[188] Govert E. Bijwaard and Stijn Van Doeselaar, 'The Impact of Changes in the Marital Status on Return Migration of Family Migrants', *Journal of Population Economics* 27, no. 4 (2014): 961–97, https://doi.org/10.1007/s00148-013-0495-3.
[189] OECD, *Return, Reintegration and Re-Migration*, 45.
[190] Mohammed Khalid Rhazzali and Rhizlane Michrafy, 'Migration de retour non désirée des Marocains d'Italie : Rentrer vers le « triangle de la mort »', in *Are we Europe? : Religion, identité et mobilité : étude de cas marocains et turcs*, ed. Farid El Asri and Maryam Kolly, Collection générale (Bruxelles: Presses universitaires Saint-Louis Bruxelles, 2022), 301–35, https://doi.org/10.4000/books.pusl.28277.

العائدون أنفسهم بدافع الخجل والذنب، كونهم لم يحافظوا على شرف وعزة أسرهم[191] وعلى المكانة الاجتماعية التي أتاحتها لهم الهجرة، مما يُؤثر سلباً على قدرتهم على إعادة بناء الشبكات الاجتماعية. كما يُمكن أن يُمثل رفض الأسر لقرار العودة عائقاً أمام إعادة اندماج العائدين اجتماعيا واقتصاديا، خاصة إذ أنها ستضطر لبذل مجهود إضافي، كانت في غنى عنه بينما كان المهاجر مقيما في بلد الاستقبال.

وهكذا، تبدو العلاقة بين الهجرة العائدة والأسرة قائمة على الإكراه في غالب الأحيان؛ فالمهاجر الذي يعيش حياة جيدة في بلد الإقامة، وتتوفر له الفرص الاقتصادية والاجتماعية التي كان مُحروماً منها في وطنه، قد يجد نفسه مُجبراً على العودة لأسباب عائلية، كرعاية أحد الوالدين أو الالتحاق بالزوجة والأبناء. في المُقابل، يُمكن للمهاجر الذي يُعاني في بلد الإقامة من ظروف صعبة، سواء على الصعيد الاجتماعي أو الاقتصادي، والذي يُفكر في العودة للتخفيف من حدة هذه الظروف، أن يجد نفسه تحت ضغوط أسرية تُثنيه عن العودة، حفاظاً على العزة والمكانة الاجتماعية التي حققتها لهم هجرته.

4. العودة وإعادة توزيع الأدوار الجندرية داخل الأسرة

عبر تاريخها الطويل، كانت الهجرة حركية ذكورية لعقود، حيث يقرر معظم الرجال المتزوجين، لأسباب اقتصادية بالدرجة الأولى، ترك عائلاتهم في بلدانهم الأصلية بينما يهاجرون بمفردهم. ففي النهاية، كان من العملي والأكثر كفاءةً أن يكونوا بلا عائلة في دولة الاستقبال؛ حيث تُصبح الحاجة إلى إيجاد سكن مناسب لحجم الأسرة ووسائل نقل خاصة ورسوم مدرسية... غير ملحة عندما لا يكون عليك القلق إلا على نفسك[192]. وبالتالي، فعند هجرة الأزواج، تجلت وظيفة زوجاتهم في رعاية الأبناء وتدبير شؤون الأسرة، وسد الفراغ الذي يخلفه غياب الزوج. فتضطلع النساء في هذا السياق بمهام جديدة تتجاوز الأعراف الجندرية التقليدية، ما يعيد تشكيل الديناميات الأسرية، وترتيب الأدوار داخل الأسرة.

توفر الهجرة بيئة ملائمة لإعادة تشكيل الأدوار الجندرية والتفاوض على طبيعة العلاقة بين الزوجين[193]. إذ تشير العديد من الدراسات إلى ازدواجية تأثير الهجرة على الأدوار الاجتماعية للجنسين، حيث يمكنها أن تُضعف من سلطة الرجل من جانب، وفي الوقت نفسه تُعززها من جانب آخر، مما يمنح المرأة فرصًا جديدة في بعض الجوانب ويُقيدها في جوانب أخرى[194].

تضطلع المرأة في ظل غياب الرجل، بمسؤولياتها ومسؤوليات زوجها على حد سواء. فمن المرجح أن تتولى النساء في الأسر التي هاجر منها الذكور أدوارًا إنتاجية كان يقوم بها أزواجهن سابقًا[195]. ففي بعض الحالات، تمنح الهجرة للزوجات فرصًا

[191] Katharina Klaunig, Saba Karim Khan, and Malte Reichelt, '"My Life Is Not to Be Called a Failure": How Family Reputation in the Origin Affects Return Considerations among South Asian Migrants in the Gulf', *Journal of Ethnic and Migration Studies*, 14 May 2024, 1–20, https://doi.org/10.1080/1369183X.2024.2346179.
[192] International Organization for Migration, *World Migration Report 2022* (Erscheinungsort nicht ermittelbar: United Nations, 2021).
[193] Peggy Levitt, *The Transnational Villagers*, Nachdr. (Berkeley, Calif.: Univ. of California Press, 20).
[194] Katharine M. Donato, Bhumika Piya, and Anna Jacobs, 'The Double Disadvantage Reconsidered: Gender, Immigration, Marital Status, and Global Labor Force Participation in the 21st Century', *International Migration Review* 48, no. 1_suppl (September 2014): 335–76, https://doi.org/10.1111/imre.12142; Emilio A. Parrado, Chenoa A. Flippen, and Chris McQuiston, 'Migration and Relationship Power among Mexican Women', *Demography* 42, no. 2 (1 May 2005): 347–72, https://doi.org/10.1353/dem.2005.0016.
[195] Deborah A. Boehm, '"Now I Am a Man *and* a Woman!": Gendered Moves and Migrations in a Transnational Mexican Community', *Latin American Perspectives* 35, no. 1 (January 2008): 16–30, https://doi.org/10.1177/0094582X07310843.

اقتصادية أوسع وبيئة أكثر عدالة، تساهم في تعزيز مكانتهن مقارنة بالرجال[196]. فقد أدت هجرة الأزواج إلى تحرر النساء من الرقابة وزيادة استقلاليتهن في القرارات المالية، كما زادت حريتهن في اتخاذ القرارات المتعلقة بالأسرة، كما هو الحال بالنسبة للمغربيات اللواتي تولين مسؤولية تدبير شؤون الأسرة خلفا لأزواجهن المهاجرين[197]. إلا أن الهجرة لا تمنع دائما استمرار الزوج في ممارسة سلطته والحفاظ على علاقات القوة داخل الأسرة، بل تستمر هذه السلطة من خلال تحكمه في الموارد التي يتم من خلالها تدبير شؤون الأسرة. كما أن النساء اللواتي تُقمن في عائلات ممتدة تواجهن رقابة من طرف أفراد العائلة والمجتمع المحلي، ما يفرض العديد من القيود على حركتهن[198].

بعد فترة من الإقامة في بلدان الاستقبال، سواء لمدة طويلة أو قصيرة، يعود المهاجرون إلى بلدانهم الأصلية، وإلى كنف أسرهم ومجتمعهم، سواء بشكل طوعي، أو بشكل قسري واضطراري. ومن المعروف أن رفاهية العائدين وعائلاتهم تعتمد على عوامل مثل تراكم الموارد والمدخرات، ومتانة العلاقات مع أفراد الأسرة[199]. ومع ذلك، يبقى من غير الواضح إلى حد كبير ما إذا كان المهاجرون العائدون يؤثرون على الأدوار الجندرية للأسر في بلدانهم الأصلية عند عودتهم، نظرا لارتباط تشكل الديناميات الأسرية والأدوار الجندرية بالسياقات البنيوية والثقافية في كل من مناطق المنشأ والمقصد. فعلى المستوى الكلي، وُجد أن الهجرة نحو بلدان أكثر مساواة، تساهم في تعزيز قيم المساواة بين الجنسين في مختلف المؤسسات الاجتماعية بالمجتمع الأصلي، بما فيها الأسرة. بينما الهجرة نحو بلدان أقل مساواة بين الجنسين يكون لها تأثير عكسي[200]. ما يبرز تأثر المهاجر بالسياقات الاجتماعية والثقافية لبلد الاستقبال، واستدماجه لبعض قيمه، التي تنعكس على الأدوار الجندرية داخل الأسرة، سواء قبل العودة أو بعدها.

في المقابل، تفقد الكثير من النساء اللواتي بقين في الوطن وحصلن على مكاسب متعلقة بتراتبية السلطة داخل الأسرة أثناء غياب أزواجهن مكانتهن هاته في الغالب بعد عودة أزواجهنّ. فقد تعود العلاقات بين الجنسين إلى ما كانت عليه قبل الهجرة بمجرد عودة الرجال[201]. وقد تُعزز مجتمعات المهاجرين والأسر سلوكيات الأدوار الجندرية "التقليدية" للنساء كوسيلة لإعادة ترسيخ التسلسل الهرمي الجندري للأسرة عند عودتهنّ. وربما تستمر النساء في مُواجهة تفاوت كبير بين الجنسين في الأسرة وفي المجتمع بشكل عام بسبب انتشار هذا التفاوت وتجذره[202]. ما يعني أن الأدوار الجندرية تتأرجح باستمرار، بين اضطلاع المرأة بأدوار أكثر "ذكورية"، أو تراجعها في هرم السلطة والمسؤولية داخل الأسرة.

خلاصة

[196] Sabnam Sarmin Luna and Md Mizanur Rahman, 'Migrant Wives: Dynamics of the Empowerment Process', *Migration and Development* 8, no. 3 (October 2019): 320–37, https://doi.org/10.1080/21632324.2018.1520446.
[197] Fatima Sadiqi and Moha Ennaji, 'The Impact of Male Migration from Morocco to Europe on Women: A Gender Approach', *Finisterra*, 13 December 2012, vol. 39 n.º 77 (2004), https://doi.org/10.18055/FINIS1561.
[198] Jamie McEvoy et al., 'Gendered Mobility and Morality in a South-Eastern Mexican Community: Impacts of Male Labour Migration on the Women Left Behind', *Mobilities* 7, no. 3 (September 2012): 369–88, https://doi.org/10.1080/17450101.2012.655977.
[199] Zana Vathi and Russell King, eds., *Return Migration and Psychosocial Wellbeing: Discourses, Policy-Making and Outcomes for Migrants and Their Families*, First issued in paperback, Routledge Research in Race and Ethnicity 18 (London New York: Routledge, 2019).
[200] Gaëlle Ferrant and Michele Tuccio, 'South–South Migration and Discrimination Against Women in Social Institutions: A Two-Way Relationship', *World Development* 72 (August 2015): 240–54, https://doi.org/10.1016/j.worlddev.2015.03.002.
[201] Robert E. B. Lucas, *International Migration and Economic Development: Lessons from Low-Income Countries* (Cheltenham, UK ; Northhampton, MA: Edward Elgar Pub, 2005).
[202] McEvoy et al., 'Gendered Mobility and Morality in a South-Eastern Mexican Community'.

تُشكّل ديناميات الأسرة والأدوار الجندرية عنصرًا محوريًا في فهم ظاهرة هجرة العودة. فهي تمثّل نقطة التقاء مُعقدة لعوامل الجذب والدفع المُؤثرة على قرار المهاجر بالعودة، وعلى كيفية تأقلم أسرته مع عودته. فعلى الرغم من كون الدوافع الاقتصادية الباعث الأساسي للهجرة، تظل الاعتبارات الأسرية عادةً هي ما يرجّح كفة قرار العودة، مما يُؤكد الدور الجوهري للأسرة في تجربة الهجرة. تستعرض هذه الورقة مجموعة من الأطر النظرية، من الاقتصاد الكلاسيكي الجديد إلى النزعة عبر الوطنية، مُشيرةً إلى أن أياً منها لا يُقدّم وصفًا مُتكاملاً لدور الأسرة المُركّب في هجرة العودة. ويتطلب الفهم الشامل لهذه الظاهرة تجاوز التحليلات الاقتصادية البحتة، والانغماس في التجارب المُعاشة للعائدين وأسرهم.

تُؤدي الأسرة دورًا مُزدوجًا في هجرة العودة، كما رأينا، فهي بمثابة عامل جذب، وعامل دفع في آنٍ واحد. فالحنين إلى الأهل، والرغبة في الوفاء بالالتزامات العائلية، والسعي لتوفير بيئة مُألوفة لتنشئة الأطفال، كلها عوامل تُحفّز على العودة. في المُقابل، قد تُعيق العودة عوامل أخرى، كالضغوط والتوقعات العائلية، والالتزامات المالية، والخوف من خذلان من ساهموا في تمويل رحلة الهجرة، ما يضع العائدين في موقف صعب، يضطرهم للعودة رغم نجاحهم في الخارج، أو بالبقاء رغم مواجهة الصعوبات.

بالإضافة إلى ذلك، تُؤثّر هجرة العودة بشكل كبير على ديناميات الأسرة، وخاصةً الأدوار الجندرية. فبينما يُمكن لغياب الزوج المُهاجر أن يُتيح للشريك المُتبقي، وخاصةً النساء، فرصةً لاكتساب قدر أكبر من الاستقلالية وتحمل المسؤولية، فإن عودته قد تُعيد إنتاج التراتبية الجندرية التقليدية. يُسلّط هذا الأمر الضوء على أهمية مُراعاة السياقات الثقافية والهيكلية الخاصة بكل من مجتمع المُرسل والمُستقبل عند تحليل أثر هجرة العودة على الأدوار الجندرية. كما يجب أن تُركّز الأبحاث المُستقبلية على الدراسات النوعية التي تتعمّق في التجارب المُعاشة للمهاجرين العائدين وأسرهم، وتبحث في كيفية تأثير دعم الأسرة وضغوطها على عملية إعادة اندماجهم، وعلى إعادة التفاوض على الأدوار الجندرية داخل الأسرة.

البيبليوغرافيا:

- Bijwaard, Govert E., and Stijn Van Doeselaar. 'The Impact of Changes in the Marital Status on Return Migration of Family Migrants'. *Journal of Population Economics* 27, no. 4 (2014): 961–97. https://doi.org/10.1007/s00148-013-0495-3.
- Boehm, Deborah A. '"Now I Am a Man *and* a Woman!": Gendered Moves and Migrations in a Transnational Mexican Community'. *Latin American Perspectives* 35, no. 1 (January 2008): 16–30. https://doi.org/10.1177/0094582X07310843.
- Bovenkerk, Frank. *The Sociology of Return Migration: A Bibliographic Essay*. Dordrecht: Springer Netherlands, 1974. https://doi.org/10.1007/978-94-015-1037-0.
- Boyd, Monica. 'Family and Personal Networks in International Migration: Recent Developments and New Agendas'. *International Migration Review* 23, no. 3 (September 1989): 638–70. https://doi.org/10.1177/019791838902300313.
- Cassarino, Jean-Pierre. 'Theorising Return Migration: The Conceptual Approach to Return Migrants Revisited'. *International Journal on Multicultural Societies* 6, no. 2 (2004): 253–79.
- Cerase, Francesco. 'Expectations and Reality: A Case Study of Return Migration from the United States to Southern Italy'. *The International Migration Review* 8 (1 February 1974): 245–62. https://doi.org/10.2307/3002783.

- Donato, Katharine M., Bhumika Piya, and Anna Jacobs. 'The Double Disadvantage Reconsidered: Gender, Immigration, Marital Status, and Global Labor Force Participation in the 21st Century'. *International Migration Review* 48, no. 1_suppl (September 2014): 335–76. https://doi.org/10.1111/imre.12142.
- Fernández-Sánchez, Higinio, Ingrid Stephanie Vásquez-Ventura, Pedro Iván Rivera-Ramírez, and Ziad Zahoui. 'Return Migration in Latin America and the Caribbean: A Scoping Review'. *Migraciones internacionales* 13, no. 3 (15 February 2022). https://doi.org/10.33679/rmi.v1i1.2431.
- Ferrant, Gaëlle, and Michele Tuccio. 'South–South Migration and Discrimination Against Women in Social Institutions: A Two-Way Relationship'. *World Development* 72 (August 2015): 240–54. https://doi.org/10.1016/j.worlddev.2015.03.002.
- Gmelch, George. 'Return Migration'. *Annual Review of Anthropology* 9 (1980): 135–59.
- International Organization for Migration. *World Migration Report 2022*. Erscheinungsort nicht ermittelbar: United Nations, 2021.
- King, Russell. 'Generalizations from the History of Return Migration'. In *Return Migration: Journey of Hope or Despair?*, edited by Bimal Ghosh, 7–55. Geneva: United Nations and the International Organization for Migration., 2000.
- Klaunig, Katharina, Saba Karim Khan, and Malte Reichelt. '"My Life Is Not to Be Called a Failure": How Family Reputation in the Origin Affects Return Considerations among South Asian Migrants in the Gulf'. *Journal of Ethnic and Migration Studies*, 14 May 2024, 1–20. https://doi.org/10.1080/1369183X.2024.2346179.
- Kofman, Eleonore. 'Family-related Migration: A Critial Review of European Studies'. *Journal of Ethnic and Migration Studies* 30, no. 2 (March 2004): 243–62. https://doi.org/10.1080/1369183042000200687.
- Kofman, Eleonore, Albert Kraler, Martin Kohli, and Camille Schmoll. 'Issues and Debates on Family-Related Migration and the Migrant Family: A European Perspective'. In *Gender, Generations and the Family in International Migration*, edited by Albert Kraler, Eleonore Kofman, Martin Kohli, and Camille Schmoll, 13–54. Amsterdam: Amsterdam University Press, 2011. https://doi.org/10.1515/9789048513611-002.
- Levitt, Peggy. *The Transnational Villagers*. Nachdr. Berkeley, Calif.: Univ. of California Press, 20.
- Lucas, Robert E. B. *International Migration and Economic Development: Lessons from Low-Income Countries*. Cheltenham, UK ; Northhampton, MA: Edward Elgar Pub, 2005.
- Luna, Sabnam Sarmin, and Md Mizanur Rahman. 'Migrant Wives: Dynamics of the Empowerment Process'. *Migration and Development* 8, no. 3 (October 2019): 320–37. https://doi.org/10.1080/21632324.2018.1520446.
- Massey, Douglas S., Joaquin Arango, Graeme Hugo, Ali Kouaouci, Adela Pellegrino, and J. Edward Taylor. 'Theories of International Migration: A Review and Appraisal'. *Population and Development Review* 19, no. 3 (September 1993): 431–66. https://doi.org/10.2307/2938462.
- McEvoy, Jamie, Peggy Petrzelka, Claudia Radel, and Birgit Schmook. 'Gendered Mobility and Morality in a South-Eastern Mexican Community: Impacts of Male Labour Migration on the Women Left Behind'. *Mobilities* 7, no. 3 (September 2012): 369–88. https://doi.org/10.1080/17450101.2012.655977.
- Nauck, Bernhard, and Barbara H. Settles. 'Immigrant and Ethnic Minority Families: An Introduction'. *Journal of Comparative Family Studies* 32, no. 4 (2001): 461–63.

- OECD. *Return, Reintegration and Re-Migration: Understanding Return Dynamics and the Role of Family and Community*. OECD, 2024. https://doi.org/10.1787/625fb5e6-en.
- Okome, Mojùbàolú Olúfúnké. 'THINKING ABOUT RETURN MIGRATION TO AFRICA: THEORIES, PRAXES, GENERAL TENDENCIES & AFRICAN PARTICULARITIES'. *Ìrìnkèrindò A JOURNAL OF AFRICAN MIGRATION*, June 2014, 7 edition.
- Parrado, Emilio A., Chenoa A. Flippen, and Chris McQuiston. 'Migration and Relationship Power among Mexican Women'. *Demography* 42, no. 2 (1 May 2005): 347–72. https://doi.org/10.1353/dem.2005.0016.
- Perruchoud, Richard, and Katarina Tömölova, eds. *Compendium of International Migration Law Instruments*. First Edition. The Hague: T.M.C. Asser Press, 2007.
- Portes, Alejandro, Luis E. Guarnizo, and Patricia Landolt. 'The Study of Transnationalism: Pitfalls and Promise of an Emergent Research Field'. *Ethnic and Racial Studies* 22, no. 2 (January 1999): 217–37. https://doi.org/10.1080/014198799329468.
- Rhazzali, Mohammed Khalid, and Rhizlane Michrafy. 'Migration de retour non désirée des Marocains d'Italie : Rentrer vers le « triangle de la mort »'. In *Are we Europe? : Religion, identité et mobilité : étude de cas marocains et turcs*, edited by Farid El Asri and Maryam Kolly, 301–35. Collection générale. Bruxelles: Presses universitaires Saint-Louis Bruxelles, 2022. https://doi.org/10.4000/books.pusl.28277.
- Sadiqi, Fatima, and Moha Ennaji. 'The Impact of Male Migration from Morocco to Europe on Women: A Gender Approach'. *Finisterra*, 13 December 2012, vol. 39 n.º 77 (2004). https://doi.org/10.18055/FINIS1561.
- Stark, Oded. *The Migration of Labor*. Oxford, UK: B. Blackwell, 1991.
- Vathi, Zana, and Russell King, eds. *Return Migration and Psychosocial Wellbeing: Discourses, Policy-Making and Outcomes for Migrants and Their Families*. First issued in paperback. Routledge Research in Race and Ethnicity 18. London New York: Routledge, 2019.
- Yeoh, Brenda S.A., Elspeth Graham, and Paul J. Boyle. 'Migrations and Family Relations in the Asia Pacific Region'. *Asian and Pacific Migration Journal* 11, no. 1 (March 2002): 1–11. https://doi.org/10.1177/011719680201100101.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

الاخطار الطبيعية والبيئية بالحوز الشرقي في ضل التغيرات المناخية (دراسة ميدانية)

Natural and environmental hazards in the eastern Haouz in light of climate change

(Field study)

عبد الرحمان الناطوس

دكتور في الجغرافية الطبيعية والبيئة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية القنيطرة، المغرب

abdnatouss@gmail.com

الملخص

انطلاقا من الدراسة التي تناولها هذا المقال يتبين أن التغيرات المناخية لها أثار عميقة على الوسطين الطبيعي و البيئي بالحوز الشرقي، شمل ذلك مختلف المجالات منها الموارد المائية التي عرفت تراجعا كبيرا ، جعل المنطقة تعرف خصاصا مائيا بنيويا ، كما جفت الأنهار والعيون والآبار و تزايد تواتر الكوارث الطبيعية، من خلال تكرار الفيضانات وتزايد خطورتها، و استفحال الجفاف، ومن جهة أخرى تزايد تواتر الكوارث البيئية عبر تضرر الوسط البيوجغرافي، وتدهور الغطاء النباتي، اضافة الى استفحال ظاهرة التصحر الناتجة عن كثافة الاستغلال البشري للتربة والتغيرات المناخية، و انتشار وهو ما فرض البحث عن اليات للتكيف مع هده المستجدات.

الكلمات المفاتيح: التغيرات المناخية، الاخطار الطبيعية، الاخطار البيئية، الحوز الشرقي

Summary :

Based on the study covered in this article, it is clear that climate change has profound effects on the natural and environmental environment in the eastern Haouz, including various areas, including water resources that have witnessed a significant decline, causing the region to experience structural water shortages, as rivers, springs and wells have dried up and the frequency of natural disasters has increased, through the recurrence of floods and the increase in their severity, and the spread of drought. On the other hand, the frequency of environmental disasters has increased through the damage to the biogeographic environment, the deterioration of the vegetation cover, in addition to the spread of the phenomenon of desertification resulting from the intensity of human exploitation of the soil and climate change, and the spread of which imposed the search for mechanisms to adapt to these developments.
Keywords: Climate change, natural hazards, environmental hazards, eastern Haouz

تقديم

وبحكم موقع المغرب الجغرافي، والمناخي المتراوح بين المناخ المعتدل الرطب والمناخ المداري الجاف: فإنه يصنف، حسب النماذج المناخية العالمية، من البلدان الأكثر عرضة للتغيرات المناخية. وتشير بعض المؤشرات إلى أن مناخ البلاد بدأ فعلا يتأثر بالتغيرات المناخية العالمية، وأخذ ينزع نحو مزيد من الاحترار والتجفيف، وتنبئنا السيناريوهات والإسقاطات المستقبلية المحتملة لتطور مناخ المغرب في القرن 21 م بمناخ أكثر حرارة وجفافا في مجموع البلاد. فعلى سبيل المثال:

الاعتقاد السائد بين عامة الناس أن غزارة الأمطار خلال موسم الشتاء وحده، ظاهرة جيدة لا تعكس تغيراً مناخية على خلاف الباحثين الذين يرون في ذلك أحد نتائج التغير المناخي...

ولا شك أن هذه التغيرات المناخية المحتملة مستقبلا، ستكون لها انعكاسات وخيمة في مختلف الميادين بحكم هشاشة البيئة المغربية، وهيمنة الأوساط القاحلة وشبه القاحلة عليها، واعتبارا لكون المناخ يشكل أحد العوامل المتحكمة في التوازنات البيئية، فإنه من المرجح أن يؤدي هذا الاحترار والتجفيف المتزايدين إلى حدوث تحولات كبرى في المنظومات البيئية للمغرب.

فالتغيرات المناخية لها تأثير على الموارد المائية من خلال جفاف الأنهار والعيون وتراجع الفرشة المائية الباطنية من خلال ازدياد عمق الابار وجفافها، كما رافق التغيرات المناخية حدوث ككوارة طبيعية وبيئية، الأولى تجلت في الفيضانات والجفاف، اما الثانية فتظهر من خلال تضرر الغطاء النباتي واستفحال ظاهرة التصحر وانتشار التلوث.

1- الموقع الجغرافي للمنطقة.

يعتبر **Jean Drech** أول من وضع حدودا لسهل الحوز التي حددها بين الجبيلات ودير الاطلس الكبير، وقسمه الى الحوز الشرقي والحوز الغربي والحوز الاوسط [203].

تنتمي تساوت لسهل الحوز الذي يقع بين الأطلس الكبير والجبيلات والذي تعد مراكش عاصمته [204]، وهي عبارة عن حوض في قطاعين كبيرين؛ وأحد في العالية، يسمى تساوت العليا، والآخر في السافلة شمال الجبيلات بين سهلي البحيرة وتادلة يسمي تساوت السفلى.[205]

ينتمي سهل تساوت العليا لسهل السراغنة، والذي ينتمي بدوره إلى الحوز الشرقي حيت تصل مساحة سهل السراغنة بصفة عامة 3370 كلمتر مربع، وهو منطقة سهلية ضمن سهول المغرب الداخلية وارتفاعاته ما بين 400 و500 متر، تتخلله سلسلة جبلية تسمى الجبيلات المنتمية للزمن الجيولوجي الأول، وارتفاعاتها في حدود 1000 متر، وتمتد على طول 100 كلمتر تقريبا من الشرق نحو الغرب.

ينقسم سهل السراغنة إلى قطاعين:

- **قطاع تساوت السفلى:** يحده شمالا نهر أم الربيع وجنوبا الجبيلات وغربا منخفض البحيرة وشرقا واد العبيد وسهل تادلة.
- **قطاع تساوت العليا:** والتي تعرف كذلك بتساوت الوسطى أو الحوز الشرقي وهو المجال الذي يهمنا في هذا البحث يحده شمالا الجبيلات وغربا الحوز الأوسط وشرقا إقليم ازيلال وجنوبا الأطلس الكبير.

تعد تساوت العليا أول دائرة سقوية يتم تجهيزها بسهل الحوز، وقد انطلقت بها عمليات التجهيز والاستصلاح منذ 1968 وانتهت سنة 1977، حيت تم بناء سد مولاي يوسف وتعبئة ما يناهز 260 مليون متر مكعب من المياه، وهو ما مكن من سقي 52 ألف هكتار؛ منها 30 ألف هكتار مجهزة 22 ألف هكتار غير مجهزة.

- من الناحية الإدارية

تنتمي تساوت العليا إداريا إلى جهة مراكش تانسيفت الحوز، وهي ضمن إقليم قلعة السراغنة، الذي يحده إقليم الرحامنة غربا، سطات شمالا، ازيلال من الشرق والجنوب الشرقي، الفقيه بن صالح من الشمال الشرقي ومن الجنوب إقليم الحوز.

---

[203]- Paul Pascon, Le Haouz de Marrakech ,tomme premier ,Rabat1983 , page 24.
[204] - Paul Pascon, Idem , page 18
[205] -A. lahlimi, les terres irriguées et le monde rurale dans la Tassaout de la moyenne , revue de la géographie du Maroc, N11, 1967, page 3.

ISSN 2569-734X

2-إشكالية الموضوع

ولا شك أن هذه التغيرات المناخية المحتملة مستقبلا، ستكون لها انعكاسات وخيمة في مختلف الميادين بحكم هشاشة البيئة المغربية، وهيمنة الأوساط القاحلة وشبه القاحلة عليها، واعتبارا لكون المناخ يشكل أحد العوامل المتحكمة في التوازنات البيئية، فإنه من المرجح أن يؤدي هذا الاحترار والتجفيف المتزايدين إلى حدوث تحولات كبرى في المنظومات البيئية للمغرب.

فالتغيرات المناخية لها تأثير على الموارد المائية من خلال جفاف الأنهار والعيون وتراجع الفرشة المائية الباطنية من خلال ازدياد عمق الابار وجفافها، كما رافق التغيرات المناخية حدوث كوارث طبيعية وبيئية، الأولى تجلت في الفيضانات والجفاف، اما الثانية فتظهر من خلال تضرر الغطاء النباتي واستفحال ظاهرة التصحر وانتشار التلوث.

ادن بناءا على ما سبق: **كيف تساهم التغيرات المناخية في حدوث الكوارث الطبيعية والبيئية بالحوز الشرقي؟**

المحور الأول: مظاهر التغيرات المناخية بالحوز الشرقي

يتميز موقع الحوز الشرقي ببعده عن المؤثرات البحرية، فهو يتميز بارتفاع درجات الحرارة في اغلب شهور السنة، كما يتميز بمدى حراري مرتفع نظرا للصفة القارية التي تطبعه، سنحاول دراسة الحرارة السنوية والفصلية والشهرية بالمنطقة لا براز خصائصها وتأثيرها على الوضعية المائية بالمنطقة.

المبيان رقم 1: المعدل الحراري السنوي في بعض محطات الحوز الشرقي

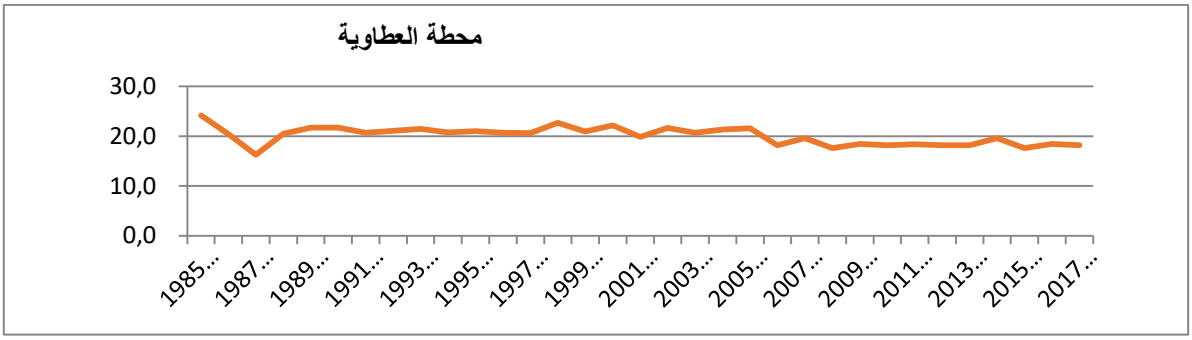

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي قلعة السراغنة 2024

المبيان رقم 2: المعدل الحراري الفصلي في بعض محطات الحوز الشرقي

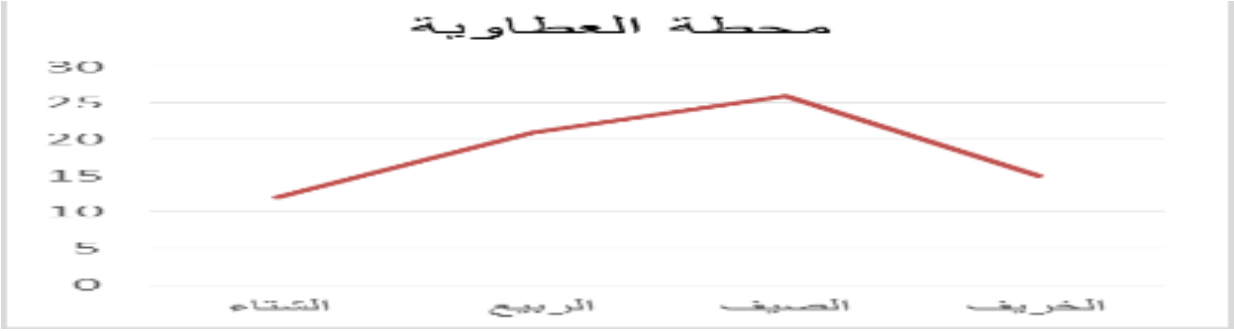

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي قلعة السراغنة 2024

انطلاقا من المبيانين أعلاه يتضح أن السلسلة الاحصائية تتميز بتباينات مهمة في المتوسطات الحرارية من سنة إلى أخرى، ففي سنة 1996 بلغ المتوسط الحراري °23، بينما سجلت سنة 2010 أقل من °20.

هذا وتمتاز الحرارة بالتفاوت الكبير بين الفصول؛ حيث تنخفض درجاتها خلال فصل الشتاء وتنزل أحيانا إلى ما دون الصفر، وتصل درجتها القصوى إلى 45 درجة، أما الدنيا فتسجل درجة واحدة في شهر يناير وفبراير، بينما يصل متوسطها السنوي 26 درجة مما يؤدي إلى وجود مدى حراري سنوي مرتفع يصل إلى 43 درجة.[206]

المبيان رقم 3: المعدل الحراري الشهري في محطة العطاوية

[206]- المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز مراكش،2024.

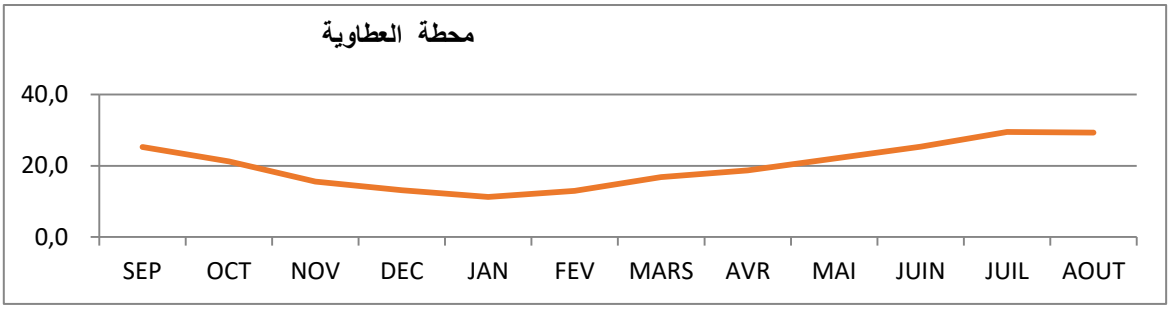

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز، مراكش 2024

تحيل معطيات المبيانين الى عدم انتظام درجات الحرارة على مدار السنة، حيث نلاحظ أنها تبدأ في الارتفاع ابتداء من شهر ابريل، لتصل أقصاها في شهر غشت وتنخفض تدريجيا إلى شهر يناير، لكن هذه الأوضاع قد تتغير من سنة إلى أخرى. كما نلاحظ أن المدى الحراري مهم طيلة أشهر السنة إذ تجاوز في يوليوز وغشت 10°.

وتعود هذه الاختلافات بالأساس إلى تأثير الرياح الجنوبية والشرقية الساخنة والتي تساهم في الرفع من درجة الحرارة خاصة خلال فصل الصيف، هذا بالإضافة إلى استقرار الضغط المرتفع شمال إفريقيا والذي يمنع تسرب المؤثرات الرطبة الغربية، لكن هذه المعطيات تتغير من سنة إلى أخرى.

سنتعرض لتغيرات المعدلات السنوية والفصلية والشهرية لكمية التساقطات في الحوز الشرقي وذلك بالاعتماد على مرصد العطاوية، وذلك ما بين 1980 و2018 وهي المعطيات المتوفرة والتي تغطي 38 سنة.

هذا ومن خلال دراسة وتحليل المعطيات الكمية للتساقطات على الحوز الشرقي ما بين 1980 و2018 يتبين ما يلي:

- سجل المجموع السنوي عدم الاستقرار واتجاه نحو الانخفاض والارتفاع حسب السنوات.
- رصد اتجاه نحو الانخفاض في المعدل الفصلي للتساقطات.
- سجل المجموع الشهري لكمية التساقطات تناقصا في معظم شهور السنة.

تتحكم التساقطات في باقي العناصر المناخية، ولها دور محوري في التحولات المجالية بالحوز الشرقي، سنقوم بدراستها من خلال سلسلة إحصائية لمدة ثلاثين سنة ما بين 1984و 2018..

المبيان رقم 4: معدل التساقطات السنوي في محطة تملالت

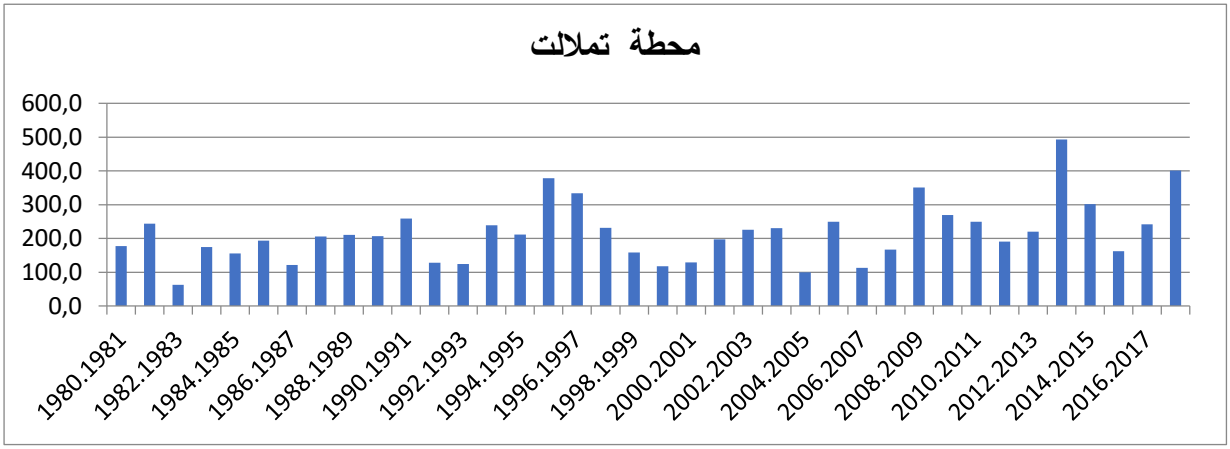

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي قلعة السراغنة 2024

من خلال المبيان أعلاه نلاحظ سيادة السنوات الجا 400 ملمتر في السنة، الا في سنة 1996 التي كانت سنة مطرية استثنائية، بل نسجل انخفاضها عن 250 ملمتر في السنة وهو ما يجعل المنطقة تعرف توالي فترات جافة وفترات رطبة كالتالي:

- شهد الحوز الشرقي عشر فترات جفاف أي أقل من 250 ملمتر في السنة.
- عرفت المنطقة أربعة فترات تراوحت فيها كمية التساقطات ما بين 250 و 300 ملمتر في السنة.

- تراوحت التساقطات ما بين 300و 400 ملمتر في السنة تماني مرات.
- بلغ عدد المواسم التي تجاوزت فيها التساقطات 400 ملمتر في السنة أربع مواسم.

وعليه فمن خلال معدلات السلسلة الاحصائية يتبين غلبة السنوات الجافة وشبه الجافة التي توزعت على 22 سنة بينما السنوات الرطبة توزعت على 8 سنوات وهو ما يؤكد على الطابع الجاف والقاحل بالمنطقة. وهو ما اتر على التحولات المجالية بالمنطقة.

يتبين من خلال تحليل المجموع السنوي لكمية التساقطات في العطاوية ما بين 1980 و2019 الخصائص المناخية لتغير هذه المتوسطات على المستوى الزمني:

- يدل تحليل السلاسل الزمنية للتساقطات على عدم الاستقرار والتذبذب بين الارتفاع والانخفاض.
- من خلال تحليل دورات تغير كمية التساقطات، يتبين أنه أخذ شكل دورات كالآتي:

+ دورة تدبدب بين الارتفاع والانخفاض ما بين 1980 و2005، بطول 25 سنة.

+ دورة تناقص في كمية التساقطات ما بين 206 و2012، بطول 7 سنوات من خلال تحليل السلسلة المناخية يتبين أن سنوات عرفت تساقطات مرتفعة مثل سنة 1996 ب 333.5 مليمتر وسنة 2010 ب 269.9 مليمتر وسنة 1981 ب 243.5 مليمتر ولكنها جميعها لم تصل 400 مليمتر.

أما السنوات التي عرفت أدنى معدلات التساقطات فهي سنة 1982 ب 62.6 مليمتر وسنة 200 ب 100 مليمتر وسنة 2006 ب 113.3 مليمتر.

المبيان رقم 5: رقم المعدل الفصلي للتساقطات المطرية في محطة العطاوية

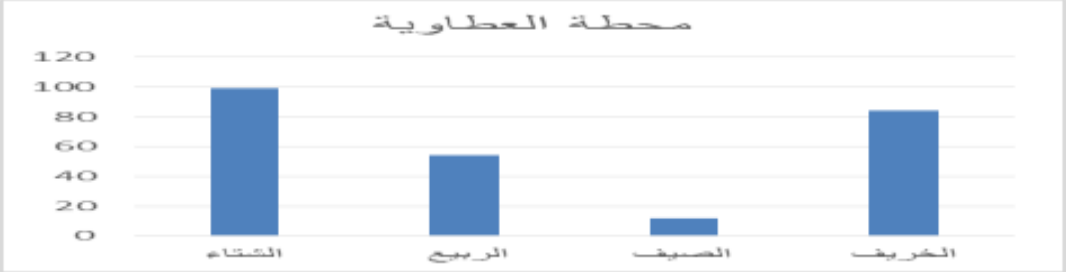

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز مراكش2024

تحيل معطيات المبيان الى أن التساقطات المطرية تعرف اختلافات فصلية واضحة، حيت ترتفع خلال فصل الشتاء، يليها فصل الخريف ، في حين يسجل فصل الربيع كمية ضعيفة من مجموع كمية التساقطات السنوية، بينما تسجل معدلات جد منخفضة خلال فصل الصيف، والتي تتخذ أحيانا طابعا عاصفيا ، وهكذا ففصل الشتاء وفصل الخريف فصولا رطبة ، بينما يبقى فصل الربيع و فصل الصيف ضمن الفصول الجافة.

من خلال تحليل المتوسطات الفصلية للتساقطات في الحوز الشرقي، تظهر العديد من الخصائص المناخية لتغير المتوسطات على المستوى الزمني. وهي:

يدل تحليل السلاسل المناخية للتساقطات الاتجاه نحو الانخفاض وعدم الاستقرار فيما يخص تحليل دورات تغير المتوسطات الفصلية لمجموع كمية التساقطات ما بين 1980 و2019 ما يلي:

+ بالنسبة لفصل الشتاء:

- دورة تزايد في التساقطات ما بين 1980 و1990، تمتد على عشر سنوات سجلت فيها التساقطات ارتفاعا في سنوات 1990 ب 140.6 مليمتر وسنة 1987 ب 117.3 مليمتر وسنة 1981 ب 101.1 مليمتر.
- دورة تناقص: في التساقطات ما بين 1991 و2019 فباستثناء سنوات 1995 التي سجلت 233.4 مليمتر فإن أربع سنوات فقط سجلت تساقطات ما بين 100 و200 مليمتر بينما 17 سنة سجلت أقل من 100 مليمتر.

بالنسبة لفصل الخريف:

- دورة تزايد ما بين 1980 و1993 حيث سجلت التساقطات ارتفاعا باستثناء سنة 1981 التي انعدمت فيها التساقطات خريفا، بينما سجلت في سنة 1980: 116.8 مليمتر وسنة 1993: 110.2 مليمتر.
- دورة تناقص وعدم استقرار ما بين 1994 و2019؛ حيث سجلت أكثر من 100 مليمتر في ثلاث سنوات فقط في 2008 ب 158.9 مليمتر وسنة 2011 ب 118.1 مليمتر وسنة 2012 ب 118.5 مليمتر. أما باقي السنوات فسجلت أقل من 100 مليمتر.

+ بالنسبة لفصل الصيف:

- دورة انعدام التساقطات ما بين 1980 و1984.
- دورة تدبدب وعدم استقرار ما بين 1985 و1997.
- دورة انخفاض ما بين 1998 و2019، في معظم السنوات كانت الأمطار منعدمة في تسع سنوات والباقي كانت ضعيفة جدا.

+بالنسبة لفصل الربيع:

- دورة تزايد ما بين 1980 و1996 حيث سجلت التساقطات أكثر من 100 مليمتر ست مرات في السنوات 1996 ب 153.7 مليمتر وسنة 1994 ب 143.7 مليمتر وسنة 1981 ب 142.5 مليمتر.

أما بالنسبة لتحليل السلاسل المناخية فيتبين من خلاله أن تمت سنوات عرفت قيم مرتفعة وأخرى عرفت انخفاضا في التساقطات.

+ بالنسبة لفصل الشتاء:

سجلت أعلى المعدلات الفصلية خلال سنوات 1995 ب 233.4 مليمتر و سنة 2009 ب 167.5 مليمتر وسنة 2005 ب 151.4 مليمتر، أما السنوات التي عرفت أدنى المعدلات المطرية الفصلية فهي: 1983 ب 20 مليمترو1994 ب 20.1 مليمتر و2011 ب 35.2 مليمتر و سنة 2012 ب 37.1 مليمتر.

+ بالنسبة لفصل الخريف:

رصدت أعلى المعدلات السنوية في سنوات 2008 ب 158.9 مليمتر و سنة 2011 ب 118.1 مليمتر و سنة 2012 ب 118.5 مليمتر، وتبرز هذين السنتين تحولا مناخيا فلم يسجلا في الشتاء إلا 35.2 و 37.2 على التوالي في 2011 و 2012. أما السنوات التي رصدت فيها أدنى معدلات التساقطات فهي: 1981 ب 00 مليمتر و 1998 ب 5.1 مليمتر و سنة 2001 ب 12 مليمتر وسنة 1982 ب 15 مليمتر.

+ بالنسبة لفصل الصيف:

رصدت أعلى المعدلات الشهرية للتساقطات في سنة 1985 ب 44 مليمتر وسنة 1997 ب 28.2 مليمتر، وسجلت أدنى المعدلات في 16 سنة التي انعدمت فيها التساقطات صيفا مثل سنة 1980، 1981، 1982 و1983.

+ بالنسبة لفصل الربيع:

سجلت أعلى المعدلات الفصلية ب 143.7 مليمتر. وسجلت أدنى المعدلات الفصلية خلال الربيع سنة 2004 ب 04.5 مليمتر وسنة 1999 ب 8.2 مليمتر وسنة 2000 ب 15.5 مليمتر.

المبيان رقم 6: المعدل الشهري للتساقطات في بعض المحطات بالحوز الشرقي

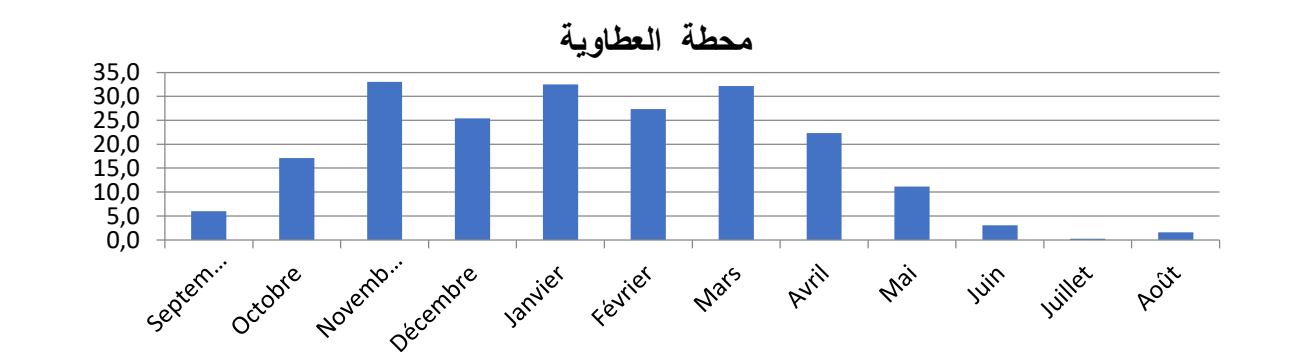

المصدر :المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز قلعة السراغنة 2024

من خلال الرسم يتبين أن التساقطات المطرية متواجدة طيلة السنة مع اختلافات واضحة من شهر لآخر، بحيث تتركز الامطار من شهر نونبر إلى شهر أبريل في حين تسجل الشهور الباقية تساقطات ضعيفة مما ينعكس على المزروعات الفلاحية، إضافة إلى محدودية عدد الأيام الممطرة التي لا تتعدى 50 يوم في السنة.

من خلال هذه المعطيات ، يظهر أن المنطقة تعاني من عدم انتظام التساقطات ، ويزداد الأمر حدة خلال فصل الصيف الذي يعرف درجة حرارة مرتفعة، وبالتالي انعكاسات واضحة على النشاط الفلاحي مما يحتم على المنطقة اللجوء إلى تحريك الموارد المائية السطحية أو اللجوء إلى المياه الباطنية .

يدل تحليل السلاسل الزمنية للمجموع الشهري لكمية التساقطات على الحوز الشرقي ما بين 1980 و2019، على خطية الاتجاه نحو الانخفاض والتذبذب في معظم الشهور.

من خلال تحليل دورات تغير المجموع الشهري لكمية التساقطات في الحوز الشرقي أن هذا التغير أخذ شكل دورات غير منتظمة، وتباينت في طول كل منها من شهر لآخر. ويتضح ذلك مما يلي:

- تمثلت أطول فترات التزايد في المجموع الشهري لكمية التساقطات على الحوز الشرقي في شهر يناير ما بين 1984 و2000 حيث بلغ طولها 17 سنة.
- تمثلت أطول فترات التناقص في المجموع الشهري لكمية التساقطات في شهر يوليوز حيث تجاوز مليمتر ثلاث مرات فقط في سنوات 1990 و1992 و 2003.

أما تحليل الشهور التي عرفت أعلى وأدنى كمية التساقطات فتظهر مما يلي:

- **شهور سجلت أعلى معدلات كمية التساقطات:**

سجلت أعلى معدلات التساقطات في شهر يناير سنة 1995 ب 129.9 مليمتر و سنة 1984 في نفس الشهر ب 78.4 مليمتر، و سنة 1995 ب 74.9 مليمتر وفي شهر دجنبر وسنة 1994 سجل شهر أبريل 129.7 مليمتر.

- **شهور سجلت أدني مجموع التساقطات:**

سجلت أدنى معدلات التساقطات في شهر يوليوز وشهر غشت وشهر يونيو حيث انعدمت التساقطات في أغلب السنوات.

المحور الثاني: ساهمت التغيرات المناخية في تزايد الاخطار الطبيعية بالحوز الشرقي

2-1-عرفت الموارد المائية تراجعا كبيرا في الحوز الشرقي

2-1-1 جفاف الأنهار في الحوز الشرقي.

أمام الوضعية الحرجة المتسمة بالهشاشة وكثرة الضغط على المارد المائية، فإن الإسقاطات المستقبلية ترى أن الرصيد المائي سيتضرر أكثر بالتقلبات المناخية المرتقبة في القرن 21 بفعل الاحترار والتجفيف. فمن المحتمل أن تتراجع هذه الموارد المائية المحدودة أصلا خلال الربع الأول من القرن 21م.

-**الموارد المالية السطحية**: يعتبر كل من حوض أم الربيع وتانسيفت هم الأحواض التي ستتأثر بتغير المناخ خلال 40 سنة المقبلة بحيث ستقل طاقة المياه القابلة للتعبئة بحوالي الثلث[207]، وهذا يؤثر أيضا على الفلاحة وينعكس سلبا على الوضعية السوسيو-اقتصادية للساكنة.

[207]– وكالة الحوض المائي لام الربيع ،2024.

ISSN 2569-734X

- **الموارد المائية الباطنية**: تشكل حلقة وصل مع المياه السطحية ورهينة بتغيرات هذه الأخيرة، فهي أيضا آخذة في الانخفاض بالمنطقة، شأنها شأن الموارد المائية السطحية، لكنها تبقى مرتبطة أشد الارتباط بالتساقطات المطرية التي تعرف تراجعا وتفاوتا كبيرا في السنوات الأخيرة.

الصورة رقم1: جفاف واد تساوت

المصدر: تصوير عبد الرحمان الناطوس 2024

تتسم جميع المحاور المائية الموجودة بالحوز الشرقي بأنها تنتمي إلى الحوض الهيدروغرافية لأم الربيع ما عدا واد غدات الدي ينتمي للحوض المائي لتانسيفت، حيث يعتبر هذا الحوض ثاني حوض بالمغرب من حيث الأهمية بعد حوض سبو، ونميز فيه بين عدة محاور هيدروغرافية ما بين محاور رئيسية وأخرى ثانوية.

لقد أكدت المعاينة الميدانية ان المحوران الرئيسيان هما واد تساوت وواد الأخضر الدين ينبعان من قلب السلسلة الأطلسية، إضافة إلى المجاري الثانوية التي تنبع إما من الدير العلوي أو من سفح الهضاب العليا. اما المجاري الثانوية عديدة أهمها واد مهاصر ثم واد إيسيل وواد سرسيف حيث تنبع من الغرب نحو الشرق وتشكل روافد جد مهمة لكل من واد الأخضر وواد تساوت قد جفت تقريبا . إضافة إلى ذلك نجد السيول الثلاثية التي تتسم بالتعدد والضعف كما يصعب تعدد مجاريها حيث هي كثيرة التفرع على شعاب مختلفة، ونذكر من أهمها واد تيدلي وواد واركى كان تتغذى من العيون التي جفت خلال العقود الأخيرة.

يتفق جميع الدارسين لهيدرولوجية الوديان بالحوز الشرقي بأن نظام الجريان نظام مطري تلجي يرتبط بكمية الأمطار والثلوج المتساقطة فوق حوضي السكب اللذين هما جزء من الأطلس الكبير الأوسط الكلي زد على ذلك السدود التي أقيمت عليها والتي تتحكم في جريانها.

من خلال الدراسة الميدانية تبين أن 82 % يروا أن الأودية لم تعد تجري كما كانت في العقود السابقة وخاصة واد تساوت وواد الأخضر ويعود ذلك لإقامة السدود وخاصة سد ايت عادل الذي أقيم في الستينيات من القرن الماضي على واد تساوت إضافة إلى سد تمنولتين، كما أقيم سد الحسن الأول وسد تشاوريت سيدي دريس على واد الأخضر وهو ما أثر على جريانهما، زد على ذلك التغيرات المناخية وضعف التساقطات إضافة إلى نضوب العيون التي كانت توجد على طول الأودية كل ذلك أثر على جريان هذين النهرين.

ISSN 2569-734X

2-1-2- نضوب العيون

المبيان رقم 7 والصورة 2: جفاف العيون

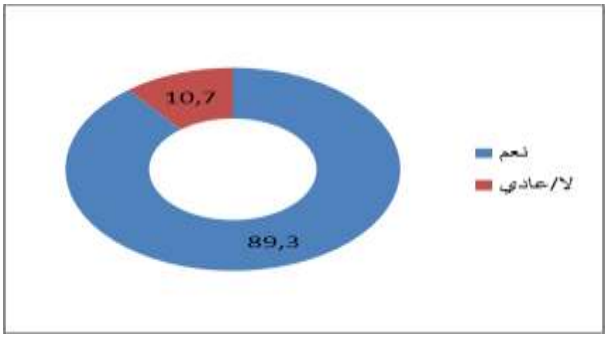

المصدر: انجاز عبد الرحمان الناطوس 2024

أثبتت الدراسة الميدانية من خلال استمارة الشيوخ أن 89,3% يقولون إن العيون نضبت ولم تعد تجري كما كانت في الماضي وخير مثال على ذلك عين غبري بدوار اولاد خالد والعوين البيضة بأولاد سيدي علي والأمثلة كثيرة على ذلك أدى إلى لجوء الفلاحين إلى حفر الآبار لتعويض ذلك.

الجدول رقم1: بعض العيون بالحوز الشرقي:

اسم العين	المجال الذي تشغله	الوضعية الحالية
عين أيت الكناوي	أراضي الكناوي	جفت سنة 1998
عين السوق	الحمادنة	جفت سنة 1999
عين الحداد	دواوير أولاد الحداد وأولاد أعمر	جفت منذ 1999
عين أيت أحميدة	دواوير ايت أحميدة ودوار المهازل و اولاد عكو ايت حمو و ايت أحمد بلا	جفت منذ 2001
عين الصهريج	دوار الصهريج	جفت منذ سنة 2002
عين أولاد الحداد	دوار الصهريج	جفت سنة 2000
عين غبري	دوار أولاد خالد	جفت سنة 2000
الغزولية عين البصيلى	دوار أولاد سيدي علي و أولاد ونزار أولاد البخاري واولاد سيدي بوعزون	جفت سنة 2000
عين للا شافية عين بن خضرة	أولاد سيدي عليو دوار حليليفة وجميع الدواوير على طول واد تساوت	جفت سنة 1999

عين اسول وبرنوص والمكلف	أولاد البخاري ودوار أولاد سيدي علي ودوار أولاد ونزار	جفت سنة 1999
عين الحبورية	دوار أولاد سيدي علي ودوار أولاد عامر	جفت سنة 1998
عين حلابو	دوارأولاد سيدي علي ودوار أولاد الوندة	جفت سنة 1999
عين العوانا وعين جدي وعين الحمارة	دوار أولاد لقصور ودوار أولاد الوندة و دوار القارية	جفت سنة 1998
العوين البيضة وعين بلعيون	دوار أولاد البخاري و دوار أولاد بوعزة ودوار أولاد سيدي علي ودوار أولاد ونزار	جفت سنة 2001
عين ضراوى	دوار رحي الماء	جفت سنة 2001
عين الكليتة	أولاد ونزار	جفت سنة 2000
عين القصر	أولاد الوندة	جفت سنة 2000
عين مدربالة	دوار حليليفة ودوار أولاد سيدي علي الشرقاوي	جفت سنة 2000

المصدر البحث الميداني 2024

يتبين من خلال الجدول أن الحوز الشرقي كان يضم إلى حدود التسعينيات مجموعة من العيون تمثل المصدر الرئيسي للموارد المائية بالمنطقة، وكانت تستعمل لطحن الحبوب (الرحى) وكانت تقام عليها المزروعات العلفية كالدرة والفصة وبرسيم والخضر والرمان والفلفل ومختلف الفواكه والكروم. إلا أن سنوات الجفاف التي توالت على المنطقة خلال العقود الأخيرة عجلت من جفاف ونضوب جميعها، ويلاحظ من خلال الجدول نجد أنها جفت ما بين 1998 و2002 وهي فترات تزامنت مع ظروف مناخية جد صعبة امتدت من 1997 إلى سنة 2003.

من خلال الدراسة الميدانية يتبين أن 80,6% من المستجوبين صرحوا بجفاف العيون والآبار مقابل 19,4%. ويعود ذلك إلى معايشة سكان المنطقة لهذه التحولات حيث زاد عمق الفرشة المائية الباطنية مما أثر على عمق الآبار، زد على ذلك نضوب مياه العيون كليا مثل عين غبري وبرنوص واسيول وعين للاشافية المكلف عوينت مودربالة العوين البيضة عين الليمون.

تتميز هذه العيون بارتباطها بالكلس الياسي الذي ينتهي مائلا بالشمال مساهما في ذلك في تغذية السديمة الرباعية ومن أهم العيون هي عين غبري التي كان يبلغ صبيبها 400 لتر في الثانية[208] أما حاليا فهي جافة تماما.
ساهم عودة الساكنة المهاجرة بخبرة فلاحية واستثمارية اكتسبها في المهجر هذا جعل عملية حفر الآبار عملية يرى فيها الفلاح الشاب، وسيلة للتنمية الفلاحية خاصة داخل الأراضي البورية مما ساهم في ارتفاع عدد الآبار بأربع أضعاف تقريبا في الحوز الشرقي خلال العشر سنوات الأخيرة[209].

3-1-2- تزايد عمق الابار وجفافها

[208] – أحمد زروال، بلاد السراغنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش.

[209] – مديرية وزارة التجهيز والنقل بقلعة السراغنة، (قسم الهيدرولوجيا) 2019.

تساهم التغيرات السنوية في صبيب كل من واد الأخضر وواد تساوت بشكل كبير في تذبذب الميزانية العامة للمياه الجوفية بالمنطقة. وهو ما يتضح من خلال المتابعة الميدانية للعديد من الآبار. إذ تبين أن عمق الفرشة المائية بهذه الآبار يتأثر بشكل كبير بهذه التغيرات العنيفة، إذ أنه مباشرة بعد كل صبيب يسجل ارتفاع ملحوظ في مستوى الفرشة المائية، وخاصة بالنسبة للآبار المتواجدة بالقرب من واد تساوت و الواد الأخضر، إلا أن المعاينة الميدانية أثبتت أن كل الآبار المتواجدة على ضفاف واد الأخضر تسجل ارتفاعا ملحوظا في الفرشة المائية هذه الآبار، وهو ما يفسر بتسرب كميات جد مهمة من المياه إلى السديمة المائية الجوفية، بحيث تساهم التشكيلات الجيولوجية من جهة والجريان الشبه الثابت من جهة ثانيه في ضمان تسرب كميات مهمة من المياه لهذه الآبار، عكس الآبار المتواجدة على ضفاف واد تساوت والتي لا تتأثر بنفس الوتيرة المسجلة بالأخضر، على الرغم من تواجد تشكيلات جيولوجية تسمح بتسرب كميات مهمة من المياه، إلا أنه يمكن تفسير عدم تأثر الفرشة المائية للآبار المتواجدة على طول ضفاف واد تساوت بموسمية الجريان التي تميز واد تساوت بالإضافة إلى ندرة جريان واد تساوت هذا الاختلاف في التأثير يتضح بشكل جلي من خلال تباين عمق الآبار المتواجدة بالقرب من واد الأخضر عكس الآبار المتواجدة على ضفاف واد تساوت.

المبيان رقم8 هل كانت الآبار تجف أحيانا؟

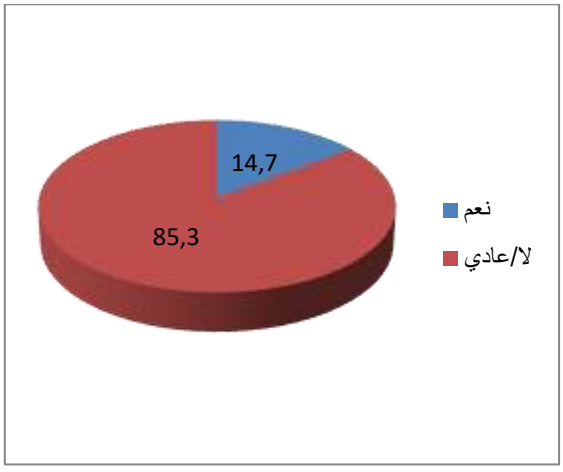

المبيان رقم 6: تراجع الفرشة المائية الباطنية

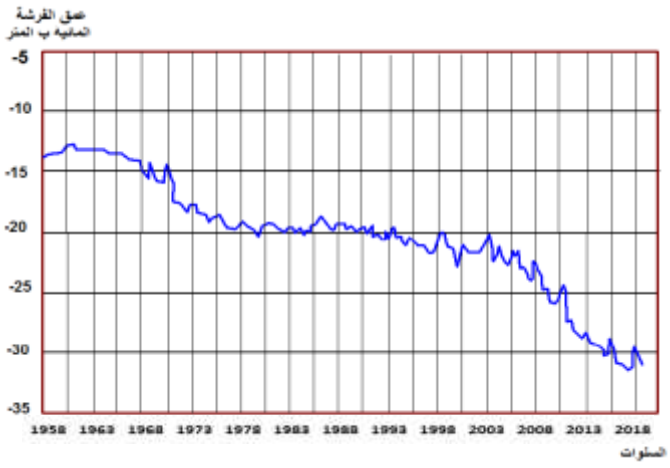

المصدر: الدراسة الميدانية 2024

أظهرت الدراسة الميدانية أن 85,3% من المستجوبين أقرو أن الآبار لم تجف في الماضي مع العلم أن عددها كان محدودا نظرا لتوفر السواقي الترابية والعيون والأودية مقابل ذلك أقر 14,7% بأن آبارهم كانت تجف ويتراجع مستواها المائي مما كان يدفع السكان إلى زيادة العمق في الآبار أو تغييرها إلا أن الغالب أن الموارد المائية الجوفية كانت متوفرة في المنطقة.

2-2-حدوث الفيضانات في الحوز الشرقي.

تفيد معرفة الصبيب اليومي الاقصى والمؤقت في احتمال الفيضانات وايضا في حماية وتأمين المنشأت المائية، وايضا يهمنا هذا في تنظيم ام الربيع عبر التحكم في وديانه وهي تساوت والاخضر وواد العبيد.

فالصبيب اليومي الاقصى بواد تساوت يختلف من سنة لأخرى ،يتذبذب بين 17 متر مكعب في الثانية و 600 متر مكعب في الثانية ،هذا الصبيب الاقصى يرجع الى تساقطات فصلي الخريف والربيع بالرغم من ان وابل الخريف يضل ضعيفا ولا يؤثر على الفيضانات لان المياه تمتصها التربة التي تعرضت لجفاف في الصيف ولضعف الفترة الزمنية لهذه التساقطات ،مقارنة بنضيرتها في الربيع ،فالفيضانات القوية في فصل الخريف تمت في نونبر 1942 وشتنبر 1943على واد تساوت وهي حالات نادرة حيت ان اغلب الفيضانات تكون في الربيع ومصدرها دوبان التلوج بفعل الحرارة والتساقطات المهمة على تربة مشبعة .

تعود الفيضانات لمورفولوجية الحوض النهري ووعورة الانحدار وضعف التشجير وتعود الفيضانات في تساوت والاخضر الى التكوين الكلسي الجيوراسي.

لقد بينت الدراسة الميدانية أن ساكنة المنطقة قد عايشت مجموعة من الفيضانات كما يظهر من خلال المبيان التالي:

المبيان رقم 9: هل تحدث الفيضانات في المنطقة؟ المبيان رقم 10 : و اقع خطر الفيضانات في مدن الحوز الشرقي

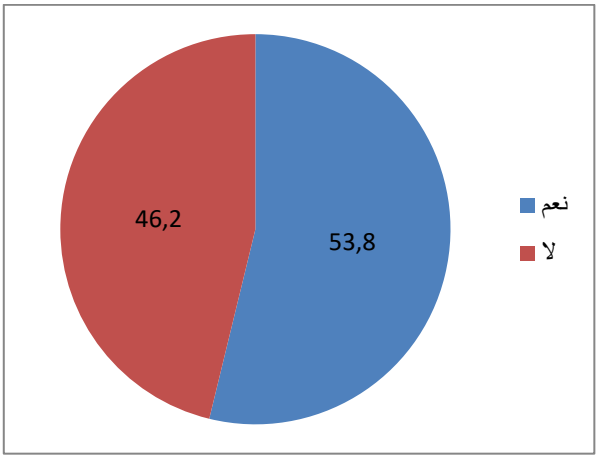

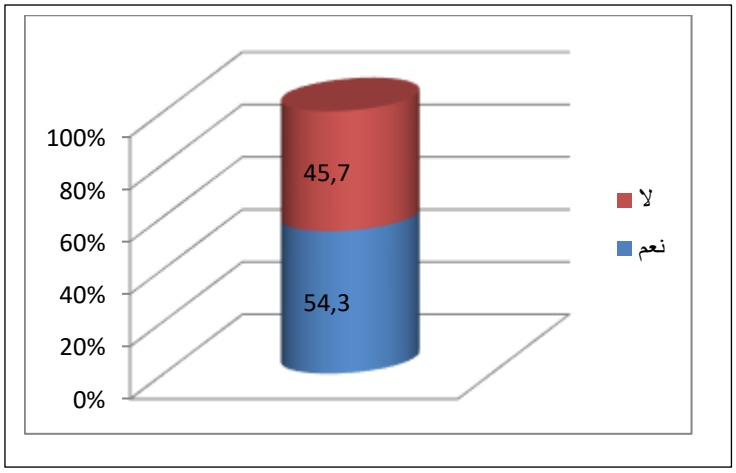

المصدر: الاستمارة الميدانية 2024

يتبين من خلال المبيان أن 53,8% من المستجوبين يقرون بحدوث الفيضانات في حين أن 46,2% يرون أن الأمور عادية، ويفسر هذا بالقرب أو البعد عن الأودية الرئيسية فمثلا القاطنين بالقرب من الأودية يتضررون من فيضانها مثل جماعة سيدي عيسى بن سليمان جماعة الفرايطة اللتين يخترقهما واد تساوت والأخضر، مقابل ذلك فسكان زمران الشرقية والعطاوية بعيدين عن التأثير السلبي للفيضان.

فيما يخص تأثر المدن بالحوز الشرقي بخطر الفيضانات، فيظهر من خلال المبيان التالي:

تطرقنا فيما سبق أن منطقة الحوز الشرقي بصفة عامة معرضة للفيضانات بشكل متفاوت حسب المناطق، أما بخصوص احتمال تعرض المدن للفيضانات فتظهر من خلال الدراسة الميدانية أعلاه والتي أكدت أن 54,3% من السكان المدن الثلاثة معرضة للفيضانات خصوصا مدينة سيدي رحال التي يجاورها واد غدات والعطاوية التي تأتيها السيول من الأطلس الكبير

مما يغرق المدينة في كميات مائية كبيرة كما أن الساقية التي تخترق المدينة تؤدي إلى حدوث فيضانات في المدينة ومقابل ذلك تبقى مدينة تملالت محمية من ذلك نظرا لكونها بعيدة عن الأنهار والوديان.

المبيان رقم11 : هل مسكنكم مهدد بالفيضانات.

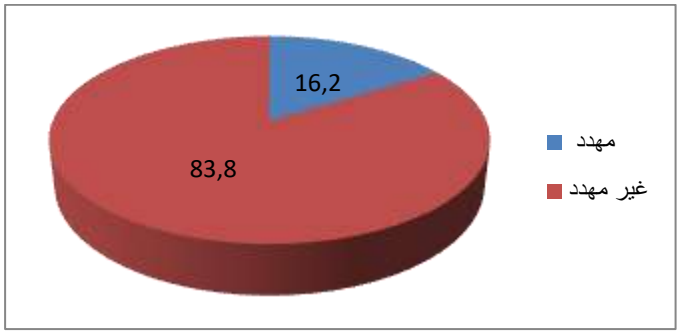

نستخلص من المبيان أن أغلبية المنازل غير مهددة بالفيضانات بالمنطقة بنسبة 83,8% مهددة بخطر الفيضانات.

يقصد بالجفاف الهيدرولوجي عجز حاد في الموارد المائية نتيجة شح الأمطار حيث يلاحظ انخفاض كبير في صبيب الأودية وفي نزول مستوى المياه الباطنية عن مستواها العادي وقد ينتهي الأمر بجفاف العيون والينابيع ونضوب مياه الآبار. ويرتبط الجفاف الهيدرولوجي ارتباطا وثيقا بالجفاف المناخي.

أما الجفاف الفلاحي يأتي نتيجة ندرة التهاطلات المطرية أو بفعل توزيعها بين فصول السنة، وبالإمكان أن يظهر هذا النوع من الجفاف بالرغم من أهمية التساقطات إن هي جاءت متأخرة عن الدورة الزراعية أو العكس (المقصود هنا الزراعة في المناطق البورية)، وهو ما يعنى أن الجفاف الفلاحي لا يتحدد بكمية الأمطار وحدها وإنما كذلك بأسلوب التوزيع الفصلي لها ومدى مطابقته للمتطلبات المائية للمزروعات.

وللجفاف الفلاحي ارتباط كبير بالجفاف المناخي فانحباس المطر لمدة طويلة يؤدي إلى انخفاض في منسوب التربة من الماء ومع مرور الوقت قد تجف مما يتسبب في ذبول المزروعات وموتها، وتختلف حدة الجفاف الفلاحي وتأثيراته على المزروعات حسب نوع المناخ ونوعية نظامه المطري وكذا حسب الفصول التي يحدث فيها.

لم تخرج منطقة الحوز الشرقي عن هذا الإطار فقد عرفت توالي سنوات الجفاف وهو ما عبرت عنه الساكنة من خلال الدراسة الميدانية، كما يظهر من خلال المبيان التالي.

المبيان رقم 12 : هل يحدث الجفاف في منطقتك

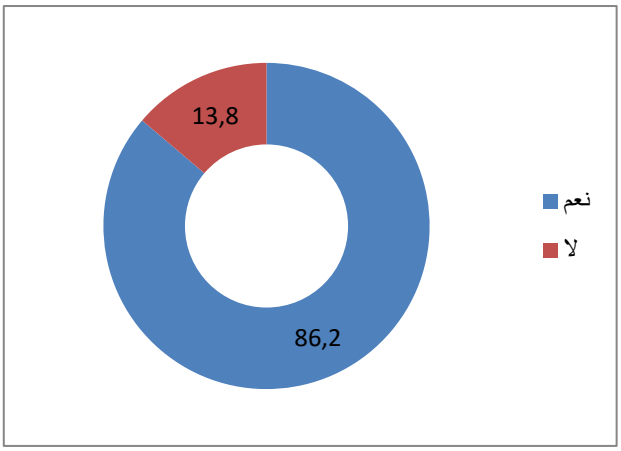

تبين الاحصائيات أن الجفاف واقع معاش تعرفه المنطقة بنسبة 86,2% وخاصة في المجال الريفي حيث يتم الاعتماد على الفلاحة البورية بالإضافة بينما أكد 13,8% أن الظروف عادية بالنسبة وخاصة في المناطق السقوية التي تستفيد من مياه السقي العصري.

المصدر: الاستمارة الميدانية2024

المحور الثالث: التغيرات المناخية ودورها في حدوث الكوارث البيئية بالحوز الشرقي

3-1- آثار التغيرات المناخية على الغطاء النباتي

رغم تنوعه البيولوجي والنباتي والحيواني، فإن الغطاء النباتي يتميز بالهشاشة والضعف. وهذا ما جعل مساحته تتقلص باستمرار مع مرور الزمن، ويعزى ذلك إلى تأثير وتضافر مجموعة من العوامل والضغوط الطبيعية (الأمراض والطفيليات، الحرائق، التعرية وانجراف التربة التغيرات المناخية، وخاصة توالي السنوات الجافة) والبشرية (الاجتثاث، الرعي الجائر، الاحتطاب...). ونتيجة لكل ذلك، تراجعت مساحة الغطاء النباتي كثيرا.

لكن هذا المورد يتعرض بالدرجة الأولى للعوامل الطبيعية (تغير المناخ)، حيث يتدهور تدريجيا إلى جانب التدخل البشري العنيف، ويتجلى ذلك في جانبين:

- طبيعة المناخ المتوسطي والذي يتسم بشدة التقلب البيسنوي وبطول مدة الفصل الجاف (الصيف)، فهذا الأخير يمتد غالبا من شهر ماي إلى شهر شتنبر أو أكتوبر، وهذا ما يؤثر سلبا على نمو وتجدد الغابات بفعل: قلة الأمطار، وارتفاع درجة الحرارة، وشدة التبخر -النتح، واندلاع الحرائق خلال هذا الفصل.
- آثار توالي فترات طويلة من الجفاف العنيف في العقود الأخيرة منذ ثمانينيات القرن الماضي.

هذه الظروف المناخية هي التي ساهمت في تدهور الغطاء النباتي، وجعلتها أكثر ضعفا وهشاشة، أمام مشكل الضعف والهشاشة والتدهور الذي يعاني منه الغطاء النباتي حاليا، فإن أكبر خطر يهددها هي تلك التغيرات المناخية المستقبلية المتوقعة في القرن 21م والعاملة في ارتفع درجة الحرارة في البلاد.

- الهشاشة والضعف الفيزيولوجي للفصائل الغابوية، مما يمكن أن ينتج عنه ذبولها بسرعة،

- تعرض هذه الفصائل الضعيفة والهشة أصلا للأمراض و الطفيليات،

- الإضرار بدينامية التجدد الطبيعي لمكونات هذه الغابات، بفعل الاستغلال البشري الكثيفة،

- تقليص وحيش الغابات،

بشكل عام، يمكن رصد التصورات المستقبلية لوضعية الغابات المغربية في ارتباط بالتغيرات المناخية التي ستشهدها البلاد فيما يلي:

- بفعل ظاهرة الاحترار والتجفيف المناخيين المرتقبين سيحدث انتقال وتزحزح في نطاقات النبات الطبيعي بفعل تغير في ظروفها البيئية، وسينجم عن ذلك انخفاض كبير في إنتاجيتها.
- موازاة مع هذا التزحزح، سيؤدي زحف، النطاق الجاف إلى اندثار وتقلص كبير مساحة بعض الأصناف الغابوية المتسمة بالهشاشة والضعف.

تراجع التنوع الحيوي بالمغرب باختفاء بعض الأصناف النباتية والحيوانية التي لن تستطيع التكيف مع التغيرات المناخية التي ستشهدها البلاد.

3-2- آثار التغيرات المناخية على تزايد وثيرة ظاهرة التصحر:

يعود التصحر الى توالي سنوات الجفاف نتيجة لانخفاض معدل تساقط الأمطار. هشاشة وضعف التربات المحلية الصحراوية، الاستغلال غير الرشيد للغطاء النباتي والأراضي الزراعية. تراجع الغطاء النباتي بفعل الإتلاف والاجتثاث. ارتفاع الحرارة. ثم وجود، الرياح الرملية القوية.

يمكن القول في البداية بأن تراجع الغطاء النباتي رهين باستفحال ظاهرة التصحر التي تعد ظاهرة لا نطاقية تتحكم فيها الرياح ولا يمكن التحكم فيها إلا بالاستعانة بالصور الجوية والخرائط ثم مجهودات الدولة.

3- 3-علاقة التلوث بالتغيرات المناخية بالحوز الشرقي

يعتبر تلوث الهواء أحد القضايا الأساسية على الصعيد العالمي والوطني والمحلي، فتبعا للأمم المتحدة يشكل تلوث الهواء أكبر خطر بيئي مؤثر على الصحة في العالم، في كل عام حسب نفس المصدر يموت سنويا 6,5 مليون شخص من جراء التعرض لتلوث الهواء الخارجي والداخلي. ويستنشق 9 من 10 أفراد هواء خارجيا ملوثا يتجاوزوا المستويات المقبولة التي توجهها المبادئ التوجيهية لمنظمه الصحة العالمية. ولا تقتصر تأثيرات التلوث الهوائي على الجوانب الصحية بل تشمل لتشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية الأخرى.
لقد خلصت الدراسة الميدانية إلى النتائج التالية:

المبيان رقم 13 و14: ادراك وتمثل السكان لتلوث المجال الحضري بالحوز الشرقي

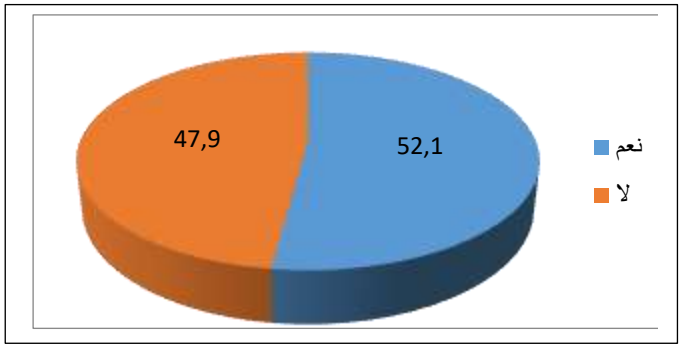

يتبين من خلال المبيان أن 52,1% يرى أن مدنهم معرضة لتأثر الهواء بشكل سلبي بالتغيرات المناخية، ومقابل ذلك نجد 47,9% يروا أن الأمور عادية بحكم أن هذه المدن غير صناعية.

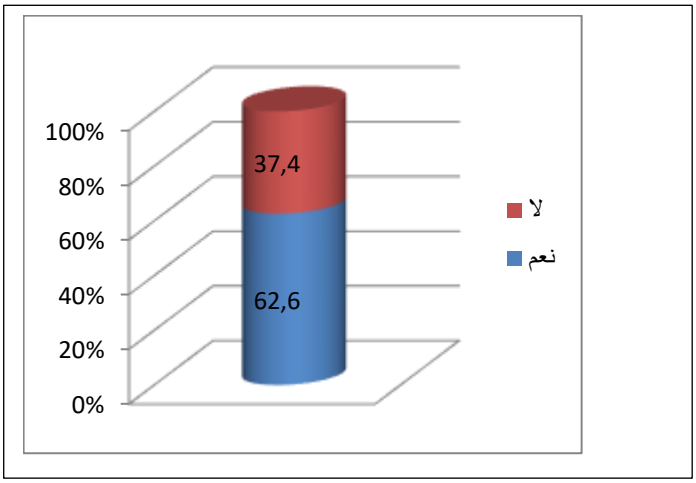

لا تتوفر المدن الثلاثة المتركزة في الحوز الشرقي على قطاع صناعي قوي إلا أنها تتوفر على أحياء صناعية صغرى تؤثر بشكل سلبي على الوضعية البيئية حيث سجلت الاستمارة الميدانية 62,6% من السكان أقروا بتلوث مدنهم مقابل 37,4% قالوا إن الوضع عادي.

المصدر: الاستمارة الميدانية2024.

ISSN 2569-734X

الصورة رقم 3: التلوث الهوائي من مصنع الزيتون بتملالت

المصدر: تصوير عبد الرحمان الناطوس 2024

الجدول رقم 2: نسبة الوحدات التي تلقي المرجان في الحوز الشرقي.

النسبة المتلقية	نسبة الوحدات التقليدية %	نسبة الوحدات العصرية والشبه العصرية %
أحواض اسمنتية	0	26
حفر أرضية الترية	100	62
مجاري مائية	0	5
الصرف الصحي	0	7
المجموع	100	100

المصدر: المملكة المغربية، الوزارة المكلفة بإعداد التراب الوطني والماء والبيئة 2024

من خلال الجدول نلاحظ تفاوت نسبة الوحدات التي تلقي المرجان بدون معالجة وبطريقة عشوائية تلحق ضررا كبيرا بالبيئة حيت تهيمن الحفر الأرضية في الترية سواء بالنسبة للوحدات التقليدية او العصرية وشبه العصرية ، تم تأتي في المرتبة الثانية الاحواض الاسمنتية بالنسبة للوحدات العصرية والشبه عصرية ، كما انه يتم القاء المرجان في المجاري المائية مما يلوث الموارد المائية ، زد على دلك ان الصرف الصحي يتم تصريفه مباشرة في الوسط الطبيعي دون معالجة وهو ما يلحق اضرارا كارتية على هد الوسط .

+خاتمة

عموما يمكن القول إن الوضعية المائية بمنطقة الحوز الشرقي، تبدو إلى حد ما مرتبطة أشد الارتباط بالظروف المناخية المحلية، وكذا الخاصة بالسفوح الشمالية للأطلس الكبير الأوسط، ظروف تعرف تذبذبات يطغى عليها توالي سنوات الجفاف، كما أن الضغط عليها أصبح أكثر حدة من سابقه نظرا للتزايد السكاني وبالتالي تزايد أنشطتهم الاقتصادية

ومتطلباتها من المياه خصوصا منها الفلاحية، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار ما أصبح يسمى بالتغيرات المناخية وانعكاساتها السلبية على المنطقة (ارتفاع درجات الحرارة في السنوات الأخيرة)، بالإضافة إلى المخاطر التي أصبحت تهدد صحة و استقرار الساكنة، كلها عوامل تجعل من مشكل الماء بالمنطقة يطرح أكثر من علامة استفهام، خاصة فيما يتعلق بإشكالية التنمية المستدامة، هذه الأخيرة التي لا يمكن الحديث عنها أو عن سبل تحقيقها دون الوقوف عند أوجه استعمالات المياه، وأوجه التدبير الحالي لها، وكذا الآفاق المستقبلية الخاصة بذلك، مرورا بالتحديات والمشاكل العالقة. عموما يمكن القول بأن هده الظروف المناخية التي تميز المنطقة، تظل غير مساعدة على تكوين فرشاة مائية باطنية قادرة على تغذية السديمة المائية للمنطقة، الشيء الذي يجعل المياه الجوفية بالحوز الشرقي رهينة بالدرجة الأولى بالمعطيات المناخية.

كما أدت التغيرات المناخية إلى تزايد وتواتر الكوارث الطبيعية، من خلال تكرار الفيضـــانات وتزايد خطورتها، زد على ذلك اســـتفحال الجفاف الذي أصـــبح كارثة بنيوية تضـــرب المنطقة مما يخلف آثار خطيرة على المنطقة، ومن جهة أخرى تزايد تواتر الكوارث البيئية من خلال تضـرر الوسـط البيوجغرافي، وكذا تدهور الغطاء النباتي، وقد أدت التغيرات المناخية إلى اسـتفحال ظاهرة التصحر الناتجة عن كثافة الاسـتغلال البشـري للتربة والتغيرات المناخية، أضـف إلى ذلك انتشـار التلوث رغم ضـعف المجال الصـناعي. لقد أدت التغيرات المناخية إلى تحولات بنيوية في المجالين الريفي والحضـري حيث تضرر السكان من هذه الظاهرة كما تضرر القطاع الفلاحي والسكن.

المراجع

-الوكالة الحضرية قلعة السراغنة 2020

- وكالة الحوض المائي لام الربيع ،2018.

- أحمد زروال، بلاد السراغنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش.

- مديرية وزارة التجهيز والنقل بقلعة السراغنة، (قسم الهيدرولوجيا) 2019.

-المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز، قلعة السراغنة 2020

-المملكة المغربية، الوزارة المكلفة بإعداد التراب الوطني والماء والبيئة 2020

- المكتب الوطني للماء الصالح للشرب بتملالت 2020

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

الجفاف وتحديات استدامة الموارد المائية بالمغرب

-حالة تساوت السفلى-

Drought And Water Sustainability Problems

-Tassaout Essoufla As an Exemple -

عبد الفتاح دالي*، الدكتور التهامي ديبون**
باحث بسلك الدكتوراه ،جامعة ابن طفيل –القنيطرة.abdelfattah.daly@uit.ac.ma
جامعة ابن طفيل –القنيطرة.Touhami.daiboun@uit.ac.ma

الملخص:

لعب الماء على مر التاريخ دورا محوريا في استقرار الشعوب وتشكيل المجال الذي يستوطنونه وفق شروطه والمتوفر منه ،فقد كان حافزا للجماعات البشرية المستوطنة بالعالم كما بتساوت السفلى على تبني نظام فلاحي ونشاط رعوي يقوم على الماء وعلى الإمكانيات التي يوفرها وكثيرا ما عاد على الساكنة بثرواته وخيراته.

تتطرق الورقة البحثية اعتمادا على المنهج الوصفي- التحليلي وأدواته الميدانية إلى وصف وتفسير التغير الجذري الذي طال الموارد المائية جراء الجفاف المتكرر في الزمان والمكان وتشخص وضعيتها،حيث انقلبت الموازين في ارتباطها بالماء من الوفرة إلى الندرة والنضوب التام أثرت بشكل ملفت على الساكنة وأنشطتها المختلفة والمتنوعة، وغيرت من معالم الريف التساوتي أيما تغيير ،مما جعل إشكاليات استدامة الموارد المائية تفرض نفسها على الكل من خلال أزمات في الاستقرار البشري وضمان سبل العيش الكريم .

الكلمات المفاتيح: الجفاف– المناطق الجافة - الموارد المائية – الاستدامة –التنمية.

Summary:
Throughout history, water has played a pivotal role in the stability of peoples and in shaping the area they settle on its own terms. It has been an incentive for the world's endemic human groups, as well as the lower level (search zone), to adopt a peasant system and pastoral activity based on water and on the possibilities it offers.
Based on the descriptive-analytical approach and its field tools, the paper describes and explains the radical change in water resources caused by recurrent drought in time and space, where the scales have flipped in their water connection from abundance to scarcity and total depletion. sustainable water resources through crises in human stability and decent livelihoods.
Keywords: Drought - Dry lands - water resources - sustainability – development.

تقديم اشكالي

أثرت الازمات المناخية التي يعرفها العالم أجمع ومعه المغرب - وعلى رأسها الجفاف- على الموارد المائية بشكل كبير وعلى عدة مستويات ، وتساوت السفلى واحدة من المناطق المغربية بإقليم قلعة السراغنة التي أنهكها الجفاف واستنزف مواردها المائية وجعل مشاكل الاستدامة قائمة لا مفر منها،من أهمها استمرار تقلص نصيب الفرد من المياه سنويا فحسب احصائيات مديرية إعداد التراب الوطني تقلصت نسبة المياه المرصودة حسب الفرد من 1200 متر مكعب سنة 1999 إلى 950 متر مكعب سنة 2000،وستتقلص إلى 632 متر مكعب سنة 2025 - وهو الوضع الذي نعيشه ونعايشه اليوم في العديد من المناطق المغربية ونحن على مشارف الدخول في سنة 2025- [210]

إن التحكم في الموارد المائية بالمغرب يكتسي طابعا حيويا،لأن الإطار المناخي و الهيدرولوجي جد هش ،حيث أن التباين في المكان والزمان للموارد المائية المتاحة و التأثير المتزايد لفترات الجفاف(الست مواسم الأخيرة المتتالية خاصة) ،وكذا ضغط الطلب على الماء تعد من العوامل التي تلزم بأن تكون إستراتيجات التنمية وتدبير الموارد المائية تخضع لمنهجية ملائمة لهذا الإطار الهيدرولوجي الهش. ونظرا للرهانات الكبرى التي تحيط بالمسألة المائية يتعين مراجعة أنظمة تدبير الموارد المائية الوطنية بكيفية جذرية ،تواصل تعزيز المكتسبات وتتجاوز أخطاء تجارب الإعداد السابقة ،خاصة بعد تشخيص جوانب من وضعيتها انطلاقا من هذه الورقة التي تبرز بالإحصائيات والأرقام حجم الازمة وتجلياتها في منطقة جغرافية شكل الماء مصدر تشكلها في الماضي وهاهي على مشارف الإفلاس المائي بفعل الاجهاد المائي ومايترتب عليه من اختلال بين المجال والانسان. ومن هنا، فإن الإشكالية العامة التي تتمحور حولها هذه الورقة تتلخص في السؤال الإشكالي التالي :**ماهي وضعية الموارد المائية بتساوت السفلى في ظل اكراهات الجفاف ،وما افاق استدامتها ؟**

1- **الأسئلة البحثية:**

1- كيف أثر الجفاف على الموارد المائية السطحية بتساوت السفلى ؟

2- ما مصير الفرشة المائية الباطنية وما مدى استدامتها ؟

2- **الفرضيات :**

- تراجعت الموارد المائية بشكل غير مسبوق بسبب الجفاف الذي توالى على تساوت السفلى في السنوات الأخيرة ،واختفت العيون المائية كليا بالمنطقة.
- فرشة مائية باطنية استنزفت كثيرا بفعل الجفاف مما أثر على ديمومتها واستدامتها بتساوت السفلى .

3- **المفاهيم الرئيسية للورقة البحثية :**

- الجفاف (la sécheresse) ، يقصد به حدوث عجز مؤقت في الموارد المائية الطبيعية، سواء تعلق الأمر بالتساقطات، أو بالجريان السطحي، أو بالمياه الباطنية. ومن خصائص الجفاف أنه غير دائم، بحيث تكون مدته محدودة زمنيا، سواء كانت قصيرة، أو متوسطة، أو طويلة. وفي نفس الوقت، فهو لا مرتبط بمناخ معين أو بمنطقة ما، إذ أنه عبارة عن ظاهرة مناخية عامة، تشهدها جميع أنواع المناخات بدون استثناء، بما

[210] السرغيني عبد الرحيم، تدبير الموارد المائية والتنمية الترابية بأرياف تساوت السفلى، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، 2019، ص 75.

في ذلك المناطق المعتدلة والإستوائية الرطبة. بيد أن حدته وتردده هما اللذان يتباينان، من مناخ إلى أخر، ومن منطقة لآخرى) (. وترتبط هاتان الخاصيتان بحدوث تذبذبات في آليات الدورة الهوائية. ورغم تأثير الجفاف على باقي مكونات المنظومات البيئية، فإن مظاهره وآثاره ليست دائمة، بل هي ظرفية، إذ سرعان ما تزول بتلاشي أسباب الجفاف[211].

- أما الثاني، فقد ورد فيه ما يلي : " بصفة عامة، يعتبر الجفاف بمثابة حدوث عجز في الموارد المائية الطبيعية، فوق مساحة جغرافية معينة، خلال فترة زمنية طويلة، مقارنة مع الحالة المتوسطة لهذه الموارد، سواء تعلق الأمر بالتساقطات، أو بالجريان السطحي، أو بمياه الفرشات الباطنية. ويجب في هذا الصدد عدم الخلط بين مفهومي الجفاف والقحولة، ذلك أن هذ المفهوم الأخير ينطبق على المناطق القاحلة، التي تتميز بالجفاف الدائم، وبقلة الموارد المائية، حتى في الظروف العادية " [212]
- الموارد المائية : يشير معجم La Rousse إلى أن المورد هو الشيء أو الشخص الذي يمكن من رفع وتجاوز التحدي وحالة القلق. الموارد هي الوسائل المادية واللامادية الموضوعة رهن إشارة دولة أو جهة معينة، الموارد الفلاحية، الصناعية، الطاقية...، إلى جانب الموارد البشرية، التي تمنح إمكانيات الفعل ، والموارد المائية تمثل المصادر الطبيعية للمياه، والتي تتوزع على سطح الأرض، سواء أكانت بالحالة السائلة، أو الصلبة، أو البخار، والتي تكون صالحة للاستخدام البشري، ومن الجدير بالذكر أنّ مياه المحيطات، والأنهار، والبحيرات؛ هي من أكثر الموارد استخدامًا، بالإضافة إلى المياه الجوفية[213].
- الاستدامة : في عام 1987، عرّفت لجنة برونتلاند التابعة للأمم المتحدة الاستدامة بأنها "تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة"[214]. واليوم، هناك ما يقرب من 140 دولة نامية في العالم تسعى إلى إيجاد السبل لتلبية احتياجاتها الإنمائية، ولكن مع تزايد التهديد المتمثل في تغير المناخ، فلا بد من بذل جهود ملموسة لضمان عدم تأثير التنمية اليوم سلباً على الأجيال القادمة،لقد أصبح مصطلح الاستدامة واسع النطاق ويمكن تطبيقه تقريبا على كل وجه من وجوه الحياة على الأرض، بدءًا من المستوى المحلي إلى المستوى العالمي وعلى مدى فترات زمنية مختلفة. المناطق الرطبة والغابات السليمة هي أمثلة على النظم الحيوية المستدامة. إن الدورات الكيميائية الحيوية الخفية تعيد توزيع الماء والأكسجين والنيتروجين والكربون في النظم الحية وغير الحية في العالم، وأمنت حياة دائمة لملايين السنين. ولكن مع ازدياد عدد البشر، سكان هذه الأرض، انحدرت النظم البيئية الطبيعية وكان للتغيير في ميزان الدورات الطبيعية أثرًا سلبيًا على كل من البشر والمنظومات الحية الأخرى[215].

---

[211]- باحو عبد العزيز ،الجفاف المناخي والزراعات المسقية بالمغرب ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا ،كلية الاداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط سنة 2002 ،ص 32 بتصرف.

[212]- باحو مرجع سابق ص34

[213]-

[214] -https://www-un-org.translate.goog/en/academic-impact/sustainability?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=rq تاريخ التصفح 2024/09/16 الساعة 22:00

[215]- كافي يوسف مصطفى،التنمية المستدامة،شركة دار الاكاديميون للنشر والتوزيع ،عمان الأردن ،الطبعة الأولى 2017

- التنمية : عرفها بعض علماء الاجتماع بأنها ثمرة الجهود الرسمية والشعبية لإحداث تغييرات في البنى الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للمجتمع ،وهم بهذا التعريف يربطون بين التنمية والتغيير الاجتماعي ويجعلون الأمر تلازما بينهما[216].

في حين تعرف الأمم المتحدة التنمية بأنها عبارة عن"مجموعة من الوسائل والطرق التي تستخدم بقصد توحيد جهود الاهالي مع السلطات العامة من أجل تحسين مستوى الحياة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات القومية والمحلية ،وإخراج هذه المجتمعات من عزلتها لتشارك ايجابا في الحياة القومية ،ولتساهم في تقدم البلاد[217]. "

ويبقى أفضل تعريف يفي بأغراضنا هو ما ورد في التقرير العشري للأمم المتحدة عن التنمية "التنمية هي النمو الذي يصاحبه التغيير ،والتغيير بدوره اجتماعي وثقافي بقدر ما هو اقتصادي ،وهو يشمل الكيف والكم معا" .

تقديم مجال الدراسة :

- **تساوت السفلى :ارتباط الاسم بالواد ارتباط للاستقرار البشري بالماء.**

يقع المجال الترابي للدراسة بسهل تساوت، الذي هو امتداد لسهل الحوز من الناحية الشمالية الشرقية. وينقسم إلى قطاعين كبيرين: الأول في العالية بين قدم جبال الأطلس الكبير وسلسلة الجبيلات، يسمى تساوت الوسطى، والآخر في السافلة، يشكل منطقة انتقالية بين سهلي تادلة والبحيرة (تساوت السفلى) ،تشكل سلسلة الجبيلات (جبل الدزوز)،ومقدمة أطلس بني ملال حدوده الجنوبية، ليمتد شمالا حتى نهر أم الربيع، يحده شرقا وادي موسمي صغير يدعى محليا بالملو، وغربا منطقة البحيرة الوسطى و يمكن تقسيم هذا المجال إلى قسمين، يفصل بينهما وادي تساوت:

- الضفة اليمنى لوادي تساوت: وهي عبارة عن منطقة سهلية شاسعة ومنبسطة، وذات انحدار عام من الجنوب نحو الشمال.

- الضفة اليسرى لوادي تساوت: وهي أيضا عبارة عن سهل شاسع، تعلوه تلال متناثرة، تتراوح ارتفاعاتها ما بين 310 متر و450 متر.

- هيدروغرافيا: يمثل مجال البحث جزءا من الحوض النهري لواد تساوت، المنتمي للحوض الهيدروغرافي أم الربيع. وتتشكل الشبكة المائية لتساوت السفلى من واد تساوت الذي يخترق المنطقة من الجنوب نحو الشمال، وواد كاينو، وبعض العيون التي اختفى جلها.

[216]- علي جرقندي النعيم وآخرون ، مقال تحت عنوان التحديات التي تواجه التنمية في العالم العربي ، 2007 ،منشور بالأنترنت http://www.welfare.gov.sd

[217]- مرجع سابق

خريطة رقم 1،2، 3: موقع تساوت السفلى ضمن الإطار الطبيعي والإداري

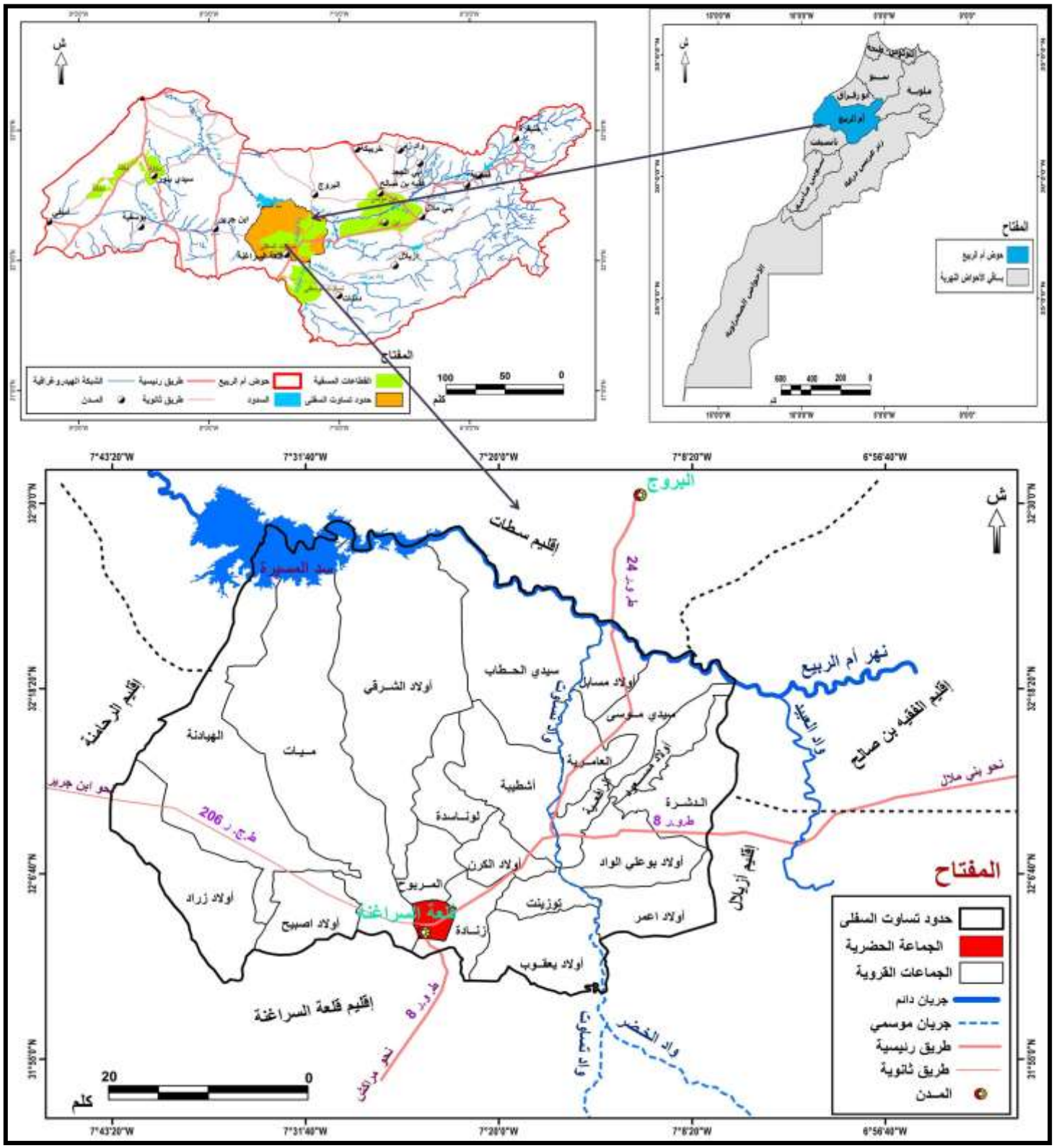

المصدر: خريطة التقسيم الجماعي للمغرب 2002/ مونوغرافية قلعة السراغنة 2017/ الخرائط الطبوغرافية (مشرع الحمري، مزيزوة، جبل خرو، قلعة السراغنة، بزو، اثنين المحرة، الصهريج، العطاوية الشعيبية وتملالت، مقياس 1/50000)

النابض لحيوية المنطقة وخصوبتها وقوتها الفلاحية ،فتساوت السفلى تتموقع بالقرب من الواجهة الشمالية

لسلسلة الأطلس الكبير جعلها تستفيد من موارده المائية، وذلك باستغلال مياه الوديان النابعة من هذه السلسلة: وادي تساوت والواد الأخضر، إضافة إلى توفر المنطقة على فرشة مائية باطنية. وتعتبر جزء من الحوض الهيدروغرافي لنهر أم الربيع الذي يعتبر ثاني أكبر حوض هيدروغرافي في المغرب بعد حوض سبو بمساحة 34.000 كلم مربع، يمثل فيها حوض تساوت السفلى ما يقرب من 5900 كلم مربع.[218]،وقد تاترت هذه الموارد بشكل واضح من اتار الجفاف سواء منها مياه الموارد السطحية كواد تساوت والواد الأخضر او العيون التي جفت تماما كعين ايكلي وعين الزرقا ...او على مكستوى الفرشة الباطنية التي شكلت الحل الوحيد للساكنة وانشطتها الفلاحية مما عرضها للاستنزاف الكبير .

.(الخريطة رقم 04 الخاصة بالشبكة الهيدروغرافية بتساوت السفلى)

الخريطة رقم 4 الشبكة المائية بتساوت السفلى

[218] عبد الرحيم بنعلي، منطقة تساوت السفلى: المقومات البيئية وتدبير الموارد المائية، ورد في اقليم قلعة السراغنة: الانسان، المجال، التنمية، تنسيق محمد الاكلع، كلية الآداب والعلوم الانسانية، مراكش، 2004، ص80.

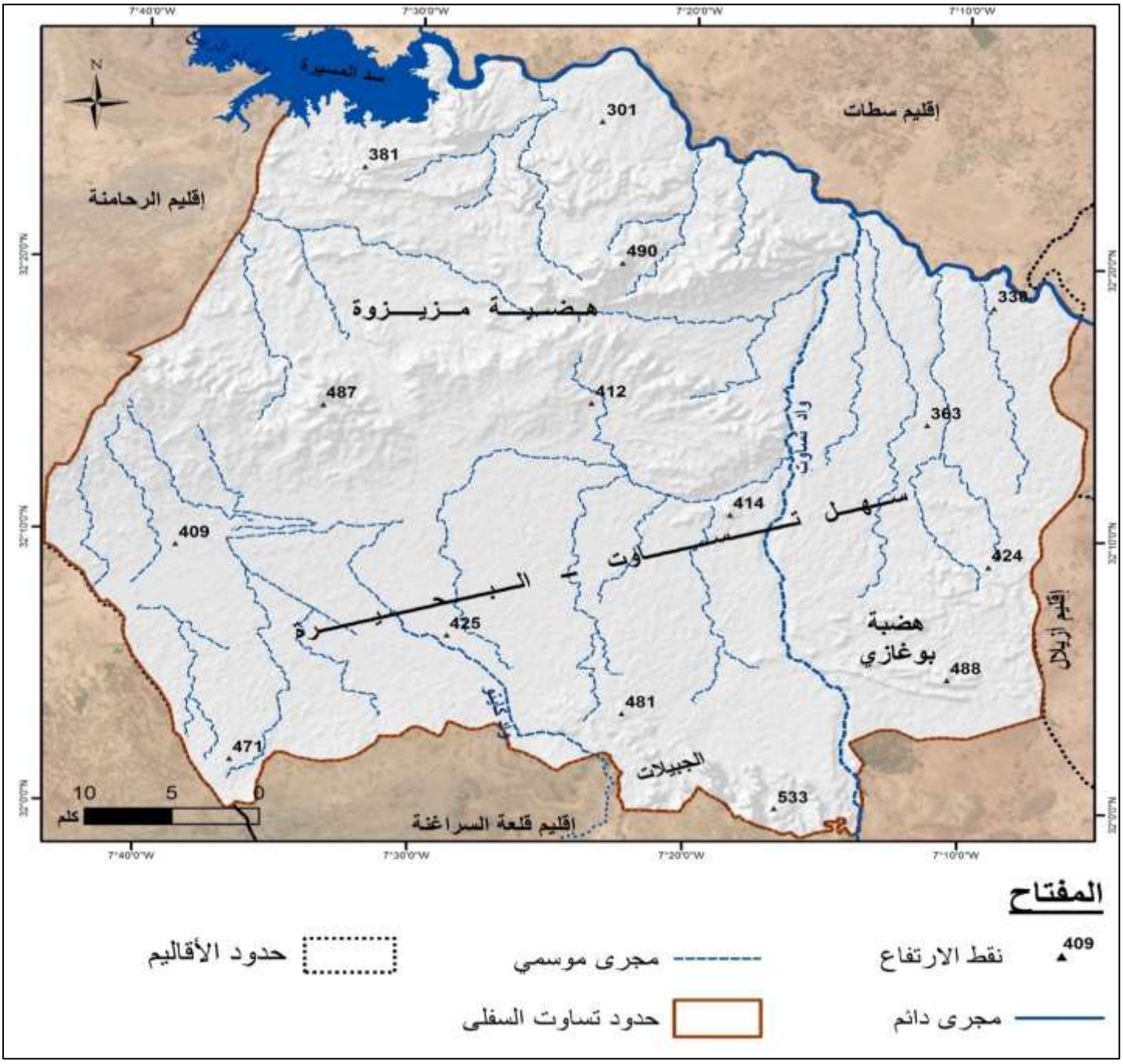

المصدر: وكالة الحوض المائي لأم الربيع بتصرف

1-1 يعتبرواد تساوت ورو افده شريان تساوت السفلى قبل الجفاف.

تستفيد المنطقة ومن خلال جغرافيتها الأصلية من مجموعة من المياه القادمة من الأودية، وذلك بتحويل مياهها عبر السواقي الترابية التي توجد على طول الأودية قبل التجهيز الهيدروفلاحي، لكن تم القضاء عليها بعد ذلك عندما تم تحويل مياه السدود عبر القنوات العصرية للري. ويمكن حصر الموارد السطحية المائية بتساوت السفلى كالتالي:

1-1-1- يعتبروادي تساوت والواد الأخضر أهم مورد مائي بتساوت السفلى.

يأخذ واد تساوت مصدره من أسفل جبل مكون (2800 متر) قرب جبل تاركديت، طوله 150 كلم وتبلغ مساحة الحوض الذي ينحدر منه 1073 كلم مربع[219]، ويبلغ صبيبه السنوي 375 مليون متر مكعب في أكادير بوعشيبة،[220] ويتميز بعدم انتظامه نظرا لطبيعة حوضه الجيولوجية وللشروط المناخية شبه القارية، إذ بلغ صبيبه 111 مليون متر مكعب في موسم 1936-1937، في حين وصل إلى 726 مليون متر مكعب في موسم 1955-1965. [221]

ويذهب الجيولوجيون المعاصرون إلى أن واد تساوت كان جزء من حوض تانسيفت ليستقطب فيما بعد من طرف أم الربيع، هذا الوادي -منذ دخوله إلى السهل- يغير اتجاهه من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي لينثني سريعا وفجائيا نحو شمال الشمال الشرقي بعد أن يكون قد اتصل عن يمينه بالواد الاخضر. وينبع هذا الوادي من الأطلس الكبير ثم ينزل في اتجاه الانحدار إلى منطقة الدير ليلتقي برافده الرئيسي واد لخضر، فيتجه نحو الشمال قاطعا مسافة 45 كلم ليخترق تساوت السفلى وصولا إلى نهر أم الربيع.

ويعتبر -قبل التجهيز الهيدروفلاحي- المصدر الوحيد فيما يخص السقي عبر مد مجموعة من السواقي التقليدية، وكان هذا الوادي من الأسباب الرئيسية في الاستقرار الكثيف للسكان بالمنطقة، لكنه في الفترة الأخيرة -وبعد إقامة مجموعة من السدود وخاصة سد مولاي يوسف، تحول إلى جريان موسمي يستغل في اقتلاع الأحجار والرمل ويقتصر في جريانه على مياه الفيض في الأوقات المطيرة، وهذا ما اثر بشكل سلبي على سكان المنطقة الذين يعتمدون في اقتصادهم على الفلاحة.[222] كما يتسم بعدم الانتظام خلال شهور السنة، ففي فصل الربيع يبلغ أقصاه بفعل ذوبان الثلوج ليبلغ 600 متر مكعب في الثانية بينما يتدنى الصبيب إلى 0.7 متر مكعب في الثانية في فصل الصيف[223]. ويتغير صبيب واد تساوت من سنة إلى أخرى.

يكون الصبيب مهما في الشهور الأكثر مطرا وخاصة في شهور ذوبان الثلوج (مارس وأبريل)، بينما في الشهور الجافة ينزل مستوى الصبيب بشكل ملحوظ، وتتفرع منه عدة سواقي في العالية والسافلة لكن أغلبها تم تدميره خاصة في السافلة إثر تحويل مياه السدود نحو الحوز الأوسط.

يعد الواد الأخضر أهم رافد لواد تساوت، وينبع من جبال أزوكتي ليمتد على طول 117 كلم، وتبلغ مساحة الحوض المنحدر منه 2844 كلم مربع، لكنه يعرف مثل سابقه تذبذبا في صبيبه السنوي، إذ بلغ في المعدل بين 1939 و1976 حوالي 16 متر مكعب في الثانية بسبب توالي سنوات الجفاف[224].

---

[219] - الحسن شوقي، الماء بتساوت ، المطبعة والوراقة الوطنية، الداوديات، مراكش، الطبعة الأولى 2012، ص24.

[220] A.Lahlimi, Les terres irriguées et le monde rural de la tassaout moyenne, revue de géographie du Maroc, n°11, 1967, p.5

[221] A.Lahlimi, op.cit, p6.

[222] - الحسن شوقي، الماء بتساوت ، المطبعة والوراقة الوطنية، الداوديات، مراكش، الطبعة الأولى 2012، ص26..

[223] - الحسن شوقي، الماء بتساوت ، المطبعة والوراقة الوطنية، الداوديات، مراكش، الطبعة الأولى 2012، ص28.

[224] - الحسن شوقي، الماء بتساوت ، المطبعة والوراقة الوطنية، الداوديات، مراكش، الطبعة الأولى 2012، ص29.

يضاف إلى هذا وجود واد كاينو الذي يتميز بصبيب ضعيف وعدم الانتظام، وينبع من السفح الجنوبي الشرقي للجبيلات ويتجه نحو الشمال الغربي لتساوت السفلى. ويقدر صبيبه تحت سطحي بحوالي 50ل/ث. يمد هذا الوادي الجزء الجنوبي من تساوت السفلى خلال كل فترة فيض ما يقرب من 5 ملايين متر مكعب سنويا.[225]

1-1-2- يساهم نهر أم الربيع أحد أهم الموارد المائية بالمغرب في تغدية الفرشة الباطنية لتساوت السفلى.

يتميز هذا النهر بجريان دائم وصبيب مرتفع، ويعد الحد الشمالي لمنطقة تساوت السفلى، لكنها لا تستفيد منه إلا في إغناء وتغذية الفرشة الباطنية وذلك عبر التسربات الجانبية خاصة في بني عامر وقرب سد المسيرة، لكن بعد التجهيز الهيدروفلاحي، سيشكل أهم مورد للمياه بتزويده قناة T2 بأزيد من 235 مليون متر مكعب سنويا عبر سد بين الويدان لسقي سهل تساوت السفلى[226].

ويعد واد العبيد أحد أهم روافد أم الربيع الذي يتصف بأنه مواز لمسار واد تساوت في الجزء الأخير من مجراه، ويبعد عنه بحوالي 24 كلم عند الطريق الوطنية رقم 8 التي تربط بين مراكش وفاس، ويحد هذا الوادي المنطقة من الجهة الشرقية ويبلغ صبيبه السنوي 6.2 متر مكعب في الثانية مع وجود أودية كثيرة تشكل أساسا روافد الأودية السابقة .[227]

1-1-3.العيون المائية السطحية تراث واستقرار بتساوت السفلى

ساعدت العيون المائية التي انتشرت كثيرا بتساوت السفلى على الإستقرار البشري بالمنطقة، إلا أنها عرفت في العقود الأخيرة تراجع منسوب بعضها ونضوب البعض الآخر وهو ما كانت له نتائج وخيمة على المنطقة.

وينبع من فرشة تساوت السفلى فقط زهاء عشرة عيون مهمة، أغلبها يتواجد في سرير الوادي أو قريبا منه كعين إكلي 6 كلم شرق هذا السرير. ومن أهم العيون التي تتواجد بمنطقة السراغنة نذكر عين لالة شافية وعين إيسول بجماعة الفرائطة، وعين ابسبيسة بسيدي الحطاب،...لكن بعض هذه العيون باتت عرضة للجفاف أو انخفاض صبيبها بفعل توالي سنوات الجفاف.

1-1-3-1 عين إيكلي

تبعد عن واد تساوت ب 6 كيلومتر في اتجاه الشرق وتوجد على مستوى الجماعة القروية أولاد اسعيد على الضفة اليمنى للوادي، كانت هذه العين تمكن من سقي 8000 هكتار سنويا.

وتنبع من النهاية الشرقية لسهل السراغنة على الضفة اليمنى لواد تساوت على بعد 36 كلم من مدينة قلعة السراغنة على الطريق الرابطة بين هذه الأخيرة وسطات عبر البروج، تعتبر الشريان الحيوي والمحرك الاقتصادي للساكنة بمنخفض عين إيكلي،[228] لكن توالي سنوات الجفاف أثر على هذا المورد الطبيعي بالمنخفض، حيث تراجع صبيبها بعدما كان يتجاوز 400 لتر/ثانية سنة 1976، وانخفض إلى 300 لتر/ثانية في 1992 ثم 100 لتر/ثانية سنة 2001 لتعرف جفافا نهائيا

[225] عبد الرحيم بنعلي، منطقة تساوت السفلى: المقومات البيئية وتدبير الموارد المائية، ورد في اقليم قلعة السراغنة: الانسان، المجال، التنمية، تنسيق محمد الاكلع، كلية الآداب والعلوم الانسانية، مراكش، 2004، ص82.

[226] الطالبان حسن الزيتوني وعبد االرحيم الصابري، مرجع سابق، ص21.

[227] نفس المرجع.، ص21.

[228] الأكلع محمد، المياه بمنخفض عين إيكلي الوضعية والمشاكل، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مراكش، 2004، ص 160.

في 2003، مما انعكس سلبا على المشهد الفلاحي حيث تم اجتثاث واحتطاب أغلب الغطاء النباتي القائم على هذا المورد المائي.[229]

1-1-3-2 عين بسيبيسة

تشكلت من انبثاقين تفصلهما مسافة 100 متر، وتقع على الضفة اليسرى لتساوت على مقربة من دوار بسيبيسة بجماعة سيدي الحطاب على بعد حوالي كيلومترين ونصف من ملتقى وادي تساوت بنهر أم الربيع.[230] وقد استخدمت مياه العين في سقي الضيعات المجاورة لها، ووصل صبيبها إلى 100ل/ث سنة 1997 إلى أن جفت هي الأخرى سنة 2003.

1-1-3-3 العين الزرقاء

تقع جنوب مصب وادي تساوت بنهر أم الربيع مباشرة وتتكون من منبعين يقومان بتغدية الوادي بالقرب من مصب هذا الأخير بأم الربيع، كما يقومان بتلبية حاجيات الساكنة من مياه السقي، من خلال جلب الماء بواسطة الضخ لتوجيه المياه إلى الأعلى في الأماكن التي تساعد طبوغرافيا على قيام الزراعة، بالإضافة إلى تلبية حاجيات الساكنة المجاورة من مياه الشرب.

ويتغير الصبيب حسب الهطولية، فقد كان مرتفعا في الفترات الرطبة: 85-91، 96-97، 98-99، وانخفض الفترات الجافة: 91-95، 97-98 وما بعد 1999.[231] وتقسم الى قسمين:

- ✓ العين الزرقاء العليا: تجاوز صبيبها سنة 1997 400 ل/ث يتسم صبيبها بالارتفاع في المواسم الرطبة والانخفاض في المواسم الجافة متأثرة بتراجع الفرشة المائية.
- ✓ العين الزرقاء السفلى: تتواجد على الضفة اليمنى لوادي تساوت على بعد كيلومترين من ملتقاه بنهر أم الربيع. لا زالت إلى اليوم توفر للساكنة المجاورة مياه الشرب والسقي،[232] لكنها تأثرت هي الأخرى بنوبات الجفاف مما جعلها تعرف تراجعا على مستوى الصبيب وفيمايلي بعض الصور الموضحة لبعض هذه العيون.

1-1-3-4 عين لالة شافية

---

[229] وكالة الحوض المائي لأم الربيع، أطلس الخرائط الهيدروجيولوجية للفرش المائية بحوض أم الربيع، ص 54.

[230] Dirrhami. S, contribution à l'étude hudrogéologique et hydrogéochimique de la plaine de la Tessaout Aval Bahira orientale(Maroc), Thèse pour obtenir le diplôme d'études superieures de troisième cycle, Faculté des sciences Marrakech, 1990, P 95.

[231] وكالة الحوض المائي لأم الربيع، مرجع سابق، ص 54.

[232] السرغيني عبد الرحيم، تدبير الموارد المائية والتنمية الترابية بأرياف تساوت السفلى، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، 2019، ص 75.

تقع هذه العين بملتقى وادي الأخضر وتساوت بدوار أولاد سيدي علي بجماعة الفرائطة، كانت هذه العين تشكل رافدا لوادي تساوت بجريان وصبيب مهمين، واعتقد السكان بقدسية مائها الذي يقضي حوائجهم، فالاستحمام بمائها في نظرهم كفيل بتزويج العانس وشفاء المريض ومداواة المرض الجلدي. لكن هذه العين قد جفت كعدد من عيون المنطقة بسبب توالي سنوات الجفاف وإقامة السدود بالعالية.

الصورة رقم 01: عين لالة شافية نموذج لبعض عيون تساوت السفلى.

1-1-4. الفرشة المائية الباطنية خزان احتياطي من الماء بتساوت السفلى

نظرا لقلة المجاري المائية السطحية وعدم تلبيتها لحاجيات السكان من مياه السقي، لجأ سكان المنطقة إلى استغلال السديمة الباطنية عبر حفر مجموعة من الآبار واستخراج مياهها باستعمال المضخات، ويقدر صبيبها حوالي 77 مليون متر مكعب سنويا (5 مليون من تسرب مياه الوديان، و70مليون من تسرب مياه السقي ومليونان من الباطن)[233]، لكن صبيب هذه السديمة سرعان ما عرف تراجعا مهولا يهدد استدامتها بسبب توالي فترات الجفاف والاستنزاف الذي تتعرض له مياهها في الفترة الراهنة بانتشار طرق الري الحديثة بواسطة الضخ. وبالرغم من كل هذه المظاهر فإن عمق الآبار كان لا يتجاوز في أغلب الأحيان 30 مترا مما يدل بشكل قاطع على غنى المنطقة بالمياه الجوفية، مما ساهم في ضمان منتوج زراعي يرضي الفلاحين ويحسن مستوى معيشتهم مثل دوار ركراكة ،الا ان ضمان استدامة حقيقية ومنصفة للأجيال القادمة وللتراب التساوتي وضمان استمراريته الزراعية اصبح في محك التغيرات المناخية وما حملته من اثار الجفاف .

2- الموارد المائية بتساوت السفلى :من التذبذب الفصلي والسنوي الاعتيادي الى الجفاف الكلي المفاجئ

2-1. واد تساوت وسيناريو الاتجاه الكلي نحو الجفاف .

[233] - مرجع سابق

شهد صبيب واد تساوت تباينات بيسنوية كبيرة (المبيان رقم 01)، فقد ارتفع ليتجاوز 2700 متر مكعب في الثانية في بعض الفترات، خاصة في سنوات 1984، و1986، و1989، و1991، و1993 و1995، وانخفض في فترات أخرى حيث يجف في معظم أشهر بعض السنوات مثل 1985، و1994، و1997، و1999، و2000 و2001..وقد كانت هذه الوضعية مألوفة ولا تثير أي مخاوف على استدامة الموارد المائية بتساوت السفلى حتى في الفترات الزمنية التي كانت تعرف تراجعا شديدا في صبيب الواد(كما هو مبين في الرسم البياني رقم 01).

المبيان رقم (01): التطور السنوي لصبيب واد تساوت عند قنطرة الطريق الوطنية رقم 8 (2001 - 1984).

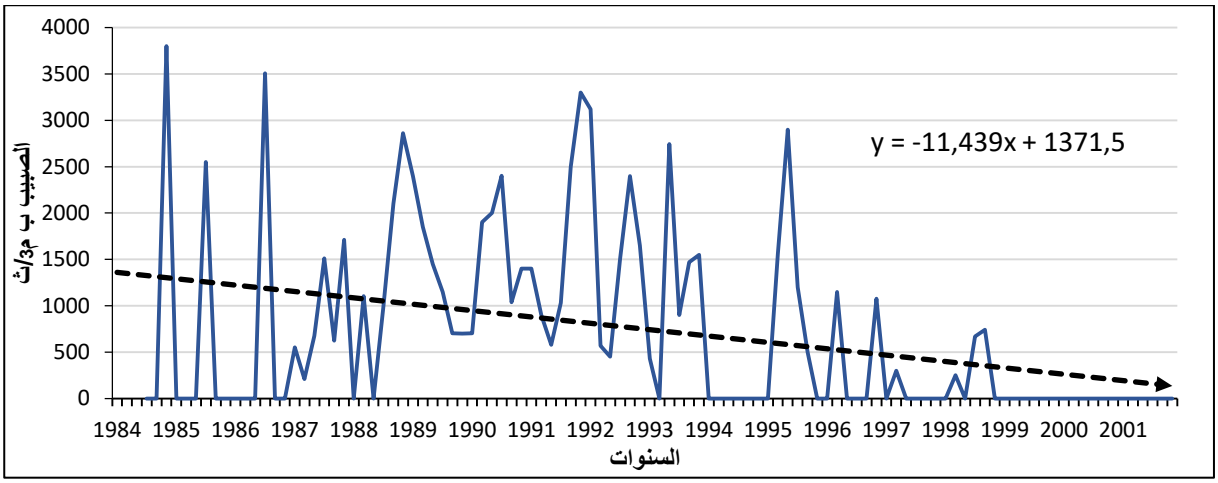

المصدر: وكالة الحوض المائي لأم الربيع(بتصرف)

إضافة إلى التباين الكبير، يوضح المبيان أعلاه أن الصبيب السنوي شهد تراجعا كبيرا إذ يفقد الواد 11 متر مكعب من صبيبه سنويا، هذا التراجع كان أكثر حدة منذ 1995، وبعد سنة 2001 أضحى الوادي عبارة عن مجرى جاف أغلب فترات السنة.

يرتبط تذبذب صبيب واد تساوت ،بل وجفافه في أغلب فصول السنة بقلة التساقطات المطرية بالمنطقة على المستوى البيسنوي أو البيفصلي، إذ أن معدل التساقطات تراجع إلى مقاييس لم تكن معهودة من قبل وأصبحت تستغرق مدة زمنية طويلة من سقوط المطر والسقوط الذي يليه .دون أن نغفل الدور الذي تلعبه السدود في العالية سواء بتنظيم جريان النهر في فترات الفائض المائي ويظهر ذلك في الفترة الممتدة من 1986 حتى سنة 1994 إذ تميز الواد بصبيب دائم ومنتظم نسبيا، أو بحجز المياه المتدفقة من العالية في فترات الشح وخاصة بعد استفادة المنطقة من الاعداد الهيدروفلاحي بعد سنة 1995، ما يفسر التراجع الكبير في صبيبه ابتداء من هذه السنة.

تغيرت الوضعية المائية بواد تساوت تغيرا واضحا في الخمس سنوات الأخيرة نتيجة تأثره الشديد بالجفاف العام الذي ضرب المنطقة ،وهي وضعية بدأت ملامحها تتضح مبكرا منذ 1984 الى الان بحيث كانت تنحو سنة بعد أخرى نحو الجفاف وهو الامر الذي كشفت عنه السنوات الأخيرة التي عرفت ارتفاعا متزايدا في درجات الحرارة وتناقصا حادا في معدلات هطول الامطار ،وما يعزز التأثر الشديد للوادي وشدة جفافه هو التراجع الملحوظ للنشاط الزراعي بدرجاته النهرية

ISSN 2569-734X

وتدهوره بالكامل بعدما كان من أهم ركائز العائدات الفلاحية لمجموعة من الاسر بالمنطقة ، يضاف الى ذلك تدهور غطائه النباتي الطبيعي وتغير معالمه الكبرى والتي فقد من خلالها الوادي الكثير من تشكيلاته النباتية المميزة له (كما توضح ذلك الصورة رقم 2 المرفقة) .

الصورة رقم(2) :واد تساوت في وضعية جفاف كلي وتدهور واضح لغطائه النباتي وتدهور النشاط الزراعي على درجاته النهرية

المصدر :تصوير شخصي بتاريخ 17شتنبر 2024الساعة 14.30

2.2.1- تتسم الواردات المائية لبين الويدان بتباينات بيسنوية كبيرة

اثرت نوبات الجفاف المتكررة بمنطقة تساوت السفلى على الواردات المائية لسد بين الويدان فمن خلال دراسة وتحليل التغيرات الزمنية في الواردات المائية السطحية للسد منذ موسم 1981/1980 إلى موسم 2020/2019 (أنظر المبيان رقم02) نستنتج أنها اتسمت بالتذبذب الكبير وعدم الانتظام البيسنوي، حيث أن معامل تغيريتها يصل إلى 45 %.

المبيان رقم (02): التطور السنوي لواردات سد بين الويدان ما بين 1980 و2019.

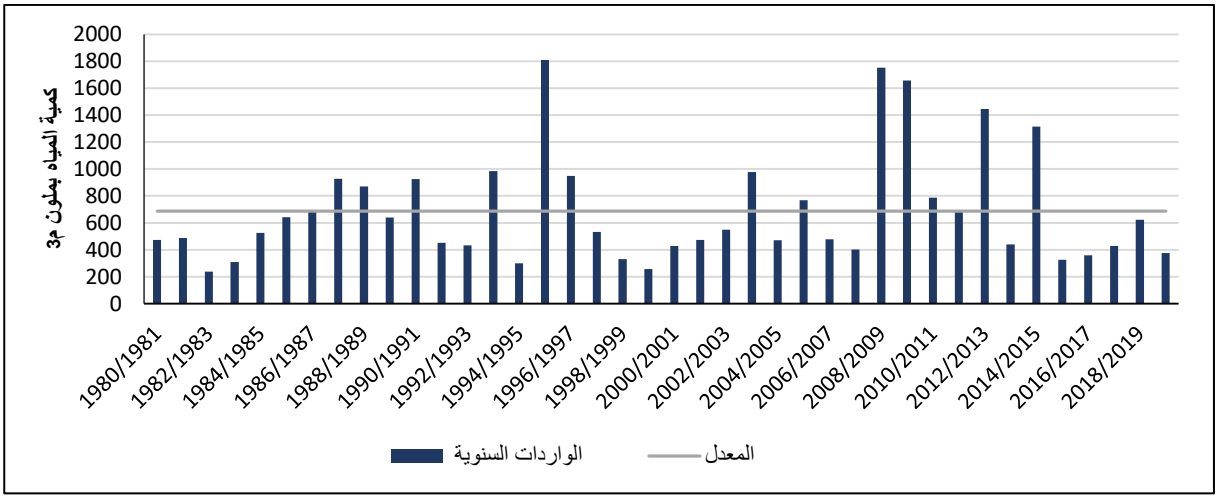

المصدر: وكالة الحوض المائي لأم الربيع 2020.

سجلت الواردات المائية لسد بين الويدان أقصى كمياتها في مواسم (1996/1995، 2009/2008، 2013/2012، 2015/2014) حيث تجاوزت المليار متر مكعب، بينما انخفضت هذه الواردات إلى أدنى مستوياتها في بعض المواسم مثل 1983/1982 (282مليون متر مكعب)، و1995/1994 (299مليون متر مكعب)، ثم سنة 2000/1999 (258مليون متر مكعب)، وأخيرا 2020/2019 (375 مليون متر مكعب).

خلقت الوضعية الجديدة التي ال إليها صبيب واد تساوت سواء السنوي أو الشهري تأثيرات كبيرة على مستوى مياه السقي واترت كذلك على الزراعة المسقية بالمنطقة ، وفي جزء اخر مرتبط بالمياه فقد أثرت على الفرشة المائية الباطنية والعيون التي تقع على جنباته وتتغدى منه وهو ما تكشفه لنا التحولات التي طالت هذه العيون جراء الجفاف .

2.2. العيون: التراث المائي الذي أنهكه الجفاف وأوقف استدامته بتساوت السفلى.

شكلت العيون مصدرا أساسيا للمياه بتساوت السفلى وخاصة على ضفاف وادي تساوت، إذ ساهمت التكونات السطحية الغرينية ذات النفاذية المهمة والتي تغذيها مياه التساقطات الى جانب تسرب مياه واد تساوت في انبثاقات مائية مهمة على رأسها عين إكلي وبسيبيسة... هذه العيون كانت مصدرا مهما للمياه استفادت منه الساكنة التساوتية، غير أن صبيبها -قبل جفافه- اتسم بتذبذب كبير على المستويين البيسنوي والفصلي.

1.3.2- عين اكلي.

قبل جفافها سنة 2003، وتوقف مسار استدامتها كليا ، تميزت بصبيب مهم تجاوز في بعض السنوات 500 لتر في الثانية، هذا الصبيب المرتفع سمح بسقي مساحة مهمة داخل قبيلة أولاد سعيد شرق تساوت السفلى. لكن هذا الصبيب

لم يكن ثابتا بل عرف تذبذبا كبيرا على المستوى البيسنوي ميزته الأساسية والواضحة التراجع السنوي لصبيبها الى ان جفت كليا (المبيان رقم 03).

المبيان رقم (03): تطور صبيب عين إيكلي ما بين 1976 و2006

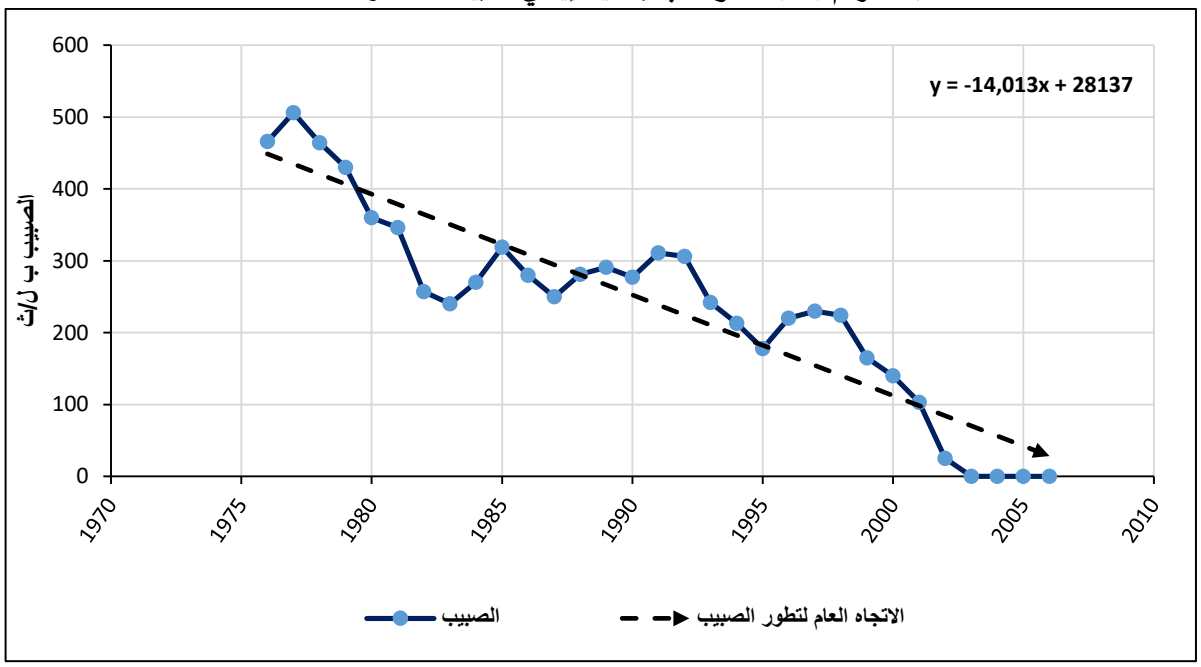

المصدر: وكالة الحوض المائي لأم الربيع 2006.

كما يوضح ذلك الرسم البياني نجد أن تذبذب التساقطات المطرية ومنها تذبذب تغايرية صبيب واد تساوت وتراجعهما الحاد كان له انعكاس كبير على تدفق عين إيكلي، فالملاحظ أن صبيبها شهد تراجعا عميقا و واضحا مع اتجاه عام نحو الانخفاض حيث فقدت في المتوسط 14 لتر في الثانية سنويا منذ 1976، وقد تزايدت حدة التراجع ابتداء من سنة 1997 تزامنا مع تراجع صبيب الواد إلى أن جفت بشكل تام سنة 2003، ما يعكس تأثير تدفق مياه الواد على تغذية المياه الجوفية. ويتأكد هذا التأثير من خلال مؤشر الترابط حيث يعكس الارتباط المهم بين متغير الصبيب بالنسبة لكل من وادي تساوت وعين إيكلي حيث بلغت قيمة المؤشر **0,7** - (المبيان رقم04).ترتبط استدامة الموارد المائية السطحية والمتمثلة أساسا في صبيب واد تساوت ارتباطا شديدا بتدفق صبيب الواد اثر بشكل مباشر على تراجع صبيب العيون الى ان اختفت بشكل تام سنة 2003 .

المبيان رقم (04) : مؤشر الترابط بين صبيب واد تساوت وصبيب عين إيكلي ما بين 1984 و2001.

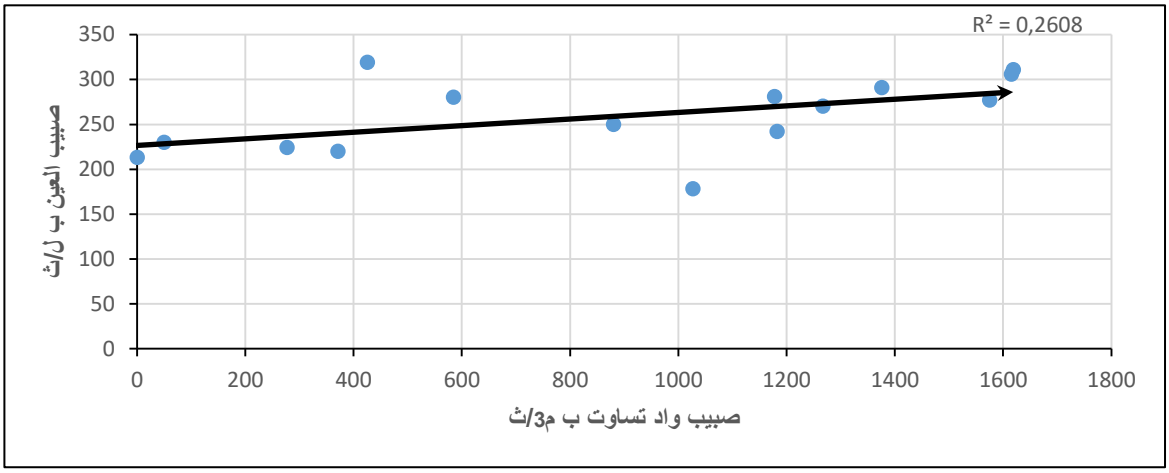

المصدر: وكالة الحوض المائي لأم الربيع، بتصرف

2.3.2- عين ابسيبيسة

تقع عين بسيبيسة على الضفة اليسرى لواد تساوت ذات صبيب متوسط يبلغ حوالي 100 لتر في الثانية الموارد المائية الجوفية، كان يتميز بانتظام بيسنوي قبل 1997 لتعرف بعد ذلك انخفاضا حادا انتهى بجفافها سنة 2003 ما يؤكد التأثير الكبير لجريان واد تساوت على تدفق مياه العيون.

المبيان رقم (05): تطور صبيب عين بسيبيسة ما بين 1988 و2006.

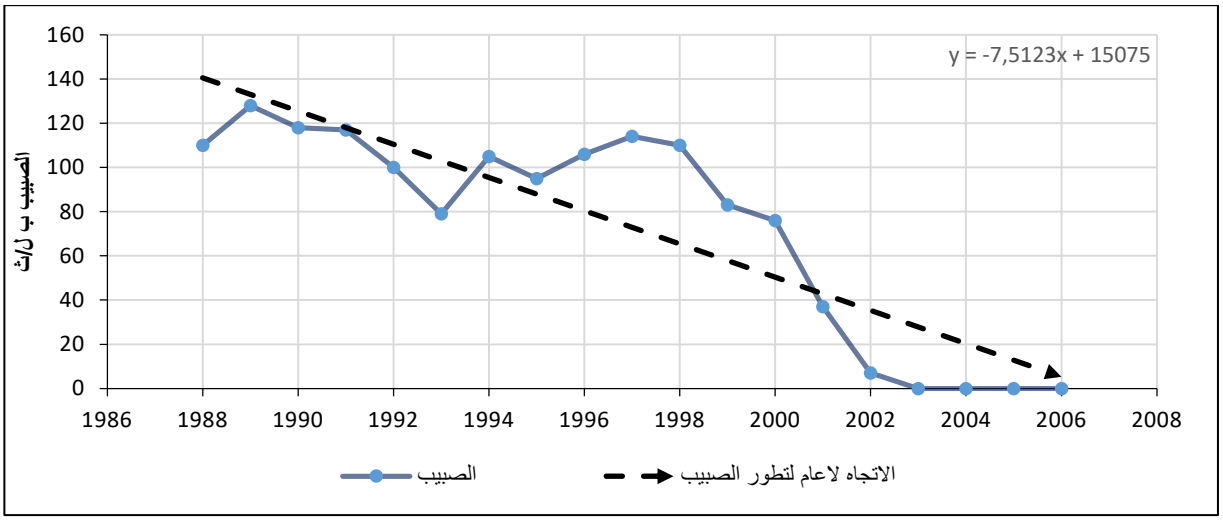

المصدر: وكالة الحوض المائي لأم الربيع 2006.

ما يميز انبثاق عين اكلي وبسيبيسة ينطبق على نبعي العين الزرقاء العليا والسفلى، لكن تأثيرهما على الموارد المائية بتساوت السفلى يبقى محدودا لتواجدهما داخل مجرى واد تساوت قرب مصبه بأم الربيع، وعلى مستوى طبوغرافي منخفض لا يسمح بتحويل مياههما الى المجالات الزراعية المجاورة، وبالتالي يبقى دورهما محصورا في تزويد الساكنة المحلية بمياه الشرب خاصة وأن تدفقهما استمر الى حدود سنة 2014.

3-2- الجفاف و الاستنزاف الكبير للفرشة المائية الباطنية بتساوت السفلى.

عرفت علاقة الانسان المحلي بالفرشة المائية تحولات مهمة، فقبل الاعداد الهيدروفلاحي كان لها دورا محدودا في الأنشطة الزراعية وانحصر استغلالها في تأمين احتياجات الساكنة من مياه الشرب. لكن منذ أواخر التسعينات من القرن العشرين سيتزايد الضغط على الموارد المائية الجوفية بارتفاع وتيرة الضخ استجابة لحاجيات القطاع الزراعي الذي شهد تحولات جوهرية مرتبطة بتقسيم أراضي الجموع وتوفر رأسمالي مادي وتقني نتيجة عائدات الهجرة مع ما رافق عملية التجهيز الهيدروفلاحي من تحديث ريفي. مقابل تراجع واردات السديمة الباطنية نتيجة توالي سنوات الجفاف وتزايد حدتها إذ عرفت الميزانية المائية للفرشة الباطنية عجزا كبيرا (انظر الجدول رقم 01)

الجدول رقم (01): ميزانية الفرشات الباطنية بتساوت السفلى.

الفرشة	الواردات ب مليون متر3/السنة					الصادرات ب مليون متر3/السنة						الحصيلة	الكمية القابلة للاستغلال
	تدفق المياه الجوفية	تسرب مياه الأودية	تسرب مياه السقي	الأمطار	المجموع	مفقودات في البحر	تصريف باطني	العيون	تدفق المياه الجوفية	الاستخراج		المجموع	
										للسقي	للشرب		
تساوت السفلى	5	7	24	42	78	0	25	0	3	78	15	121	-43	40
البحيرة	5	5	70	10	90	0	47	0	25	25	2	99	-9	30

مع تزايد الحاجة للموارد المائية في الزراعة بسبب شح التساقطات وتذبذبها من جهة وتراجع صبيب واد تساوت الذي أدى إلى توقف امدادات السواقي التقليدية كما أن التحويلات المائية لسد بين الويدان نحو مجال الدراسة لم تنجح في توفير موارد مائية كافية ومنتظمة على مدار السنة مما دفع الفلاح التساوتي الى ممارسة المزيد من الضغط على الفرشة الباطنية .

المصدر: وكالة الحوض المائي لأم الربيع 2006.

وبعيدا عن الوضعية المائية التي اتسمت بالتراجع العام الى حدود 2006 قمنا بدراسة خريطة الفرشة الباطنية انطلاقا من تحيين معطياتها بناء على معطيات تم استيقاؤها من الميدان التساوتي في ضل وضعية الجفاف وتأثيراته المتعددة.

تطور عدد الآبار التي تم تعميقها بشكل ملحوظ حيث وصل عددها سنة 2012 ما مجموعه 250 بئرا وثقبا، ثم ارتفع العدد سنة 2017 إلى 800 بئر وثقب، لكن العدد سيعرف طفرة كبيرة سنة 2019 حيث سيصل إلى 1500 ليصل سنة 2022 إلى 2250 بئرا وثقبا. هذا الارتفاع في عدد الآبار والثقوب التي عرفت عمليات تعميق من طرف مالكيها، لهو دليل على التراجع الذي أصبحت تعرفه الفرشة المائية لمنطقة السراغنة، وهو ما يتطلب إيجاد بدائل لتجنب الاستنزاف المفرط لهذه الثروة الباطنية.

خلاصة :

يتضح من خلال هذه الورقة البحثية أن الجفاف وتوالي سنواته على تساوت السفلى أثر على الموارد المائية، فإلى جانب التذبذب الكبير شهدت المياه السطحية تراجعا حادا، فواد تساوت الذي يعد المجرى الرئيسي بالمنطقة تحول إلى مجرى جاف أغلب فترات السنة، والعيون التي طالما زودت ساكنة المجال بإمكانات مائية مهمة تعرضت للنضوب وتوقفت استدامتها، أما مياه السقي المعبأة من سد بين الويدان في إطار مشروع الإعداد الهيدروفلاحي فقد فشلت في توفير إمدادات كافية ومنتظمة على مدار السنة. تراجع المياه السطحية وعدم انتظامها زاد من الضغط على الموارد المائية الجوفية التي تراجعت مستوياتها بشكل خطير جراء العجز في موازنتها.لقد شكلت تفاصيل بالتأثيرات المتبادلة بين الجفاف والموارد المائية فرصة سانحة للوقوف على مدى تأثر هذه الموارد بأثار الجفاف وتبعاته ،فإلى جانب التراجع الحاد الذي عرفته المنطقة على مستوى الموارد المائية المعبأة بمختلف اشكالها والتي ترجع بالأساس الى الارتفاع المتزايد والمستمر زمنيا لدرجات الحرارة وقلة بل انعدام التساقطات لشهور عدة بالمنطقة ،فقد تحول المجرى الرئيسي لواد تساوت الى مجرى جاف ،ونضبت العيون وزاد عمق الوصول الى مياه الفرشة الباطنية مما سرع استنزافها وانهاكها ،وزاد الجفاف من تعميق تدهور القطاع الترابي بتساوت السفلى الذي اتجه نحو القحولة المطبقة في جل سهول تساوت وبدات تظهر عليه علامات التصحر التي ظهرت في تزايد موجات تطاير الغبار التي عرفتها المنطقة مؤخرا.

- **المراجع**

- السرغيني عبد الرحيم، تدبير الموارد المائية والتنمية الترابية بأرياف تساوت السفلى، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، 2019، ص 75.
- الأكلع محمد، المياه بمنخفض عين إيكلي الوضعية والمشاكل، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مراكش، 2004، ص 160.
- الحسن شوقي، الماء بتساوت ، المطبعة والوراقة الوطنية، الداوديات، مراكش، الطبعة الأولى 2012، ص24.
- عبد الرحيم بنعلي، منطقة تساوت السفلى: المقومات البيئية وتدبير الموارد المائية، ورد في اقليم قلعة السراغنة: الانسان، المجال، التنمية، تنسيق محمد الاكلع، كلية الآداب والعلوم الانسانية، مراكش، 2004، ص82.
- باحو عبد العزيز ،الجفاف المناخي والزراعات المسقية بالمغرب ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا ،كلية الاداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط سنة 2002 ،ص 32 بتصرف.

- كافي يوسف مصطفى،التنمية المستدامة،شركة دار الاكاديميون للنشر والتوزيع ،عمان الأردن ،الطبعة الأولى 2017
- علي جرقندي النعيم وآخرون ، مقال تحت عنوان التحديات التي تواجه التنمية في العالم العربي ، 2007 ،منشور بالأنترنت http://www.welfare.gov.sd
- زكير، محمد،التغايرية المناخية وتاثيرها على الفلاحة بتساوت السفلى 2018
- - الخرائط الطبوغرافية المغطية لمجال البحث: مشرع الحمري، مزيزوة، جبل خرو، قلعة السراغنة، بزو، اثنين المحرة، الصهريج، العطاوية الشعيبية وتملالت، مقياس 50000/1.
- - وكالة الحوض المائي لأم الربيع، مرجع سابق، ص 54.
- المراجع بالفرنسية.
- A.Lahlimi, Les terres irriguées et le monde rural de la tassaout moyenne, revue de géographie du Maroc, n°11, 1967, p5.
- A.Lahlimi, op.cit, p6.

[1] Dirrhami. S, contribution à l'étude hudrogéologique et hydrogéochimique de la plaine de la Tessaout Aval Bahira orientale(Maroc), Thèse pour obtenir le diplôme d'études superieures de troisième cycle, Faculté des sciences Marrakech, 1990, P 95.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

العلاقات بين المغرب ودول غرب إفريقيا: الو اقع و التحديات.

Morocco's relations with West African States: reality and challenges.

محمد جدوبي

طالب باحث بسلك الدكتوراه في العلاقات الدولية، جامعة محمد الخامس-الرباط -المغرب.

jaddoubmed@gmail.com

الملخص

لقد انتهج المغرب في السنوات الأخيرة سياسة جديدة في التعاون مع باقي البلدان الإفريقية، لكون القارة السمراء أصبحت تعرف العديد من التجمعات الإقليمية، و في هذا الصدد تم اتخاذ العديد من المبادرات أبرزها طلب الانضمام للمجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا، بالإضافة إلى تمهيد الطريق نحو إقامة مناطق للتجارة الحرة مع الاتحاد الاقتصادي و النقدي لدول غرب إفريقيا، و بالتالي تكريس الرؤية الملكية للاندماج الاقليمي باعتباره مفتاحا للإقلاع الاقتصادي. لكن تأخير قبول عضوية المغرب بشكل رسمي يوحي باصطدامها بمجموعة من العراقيل و العقبات، مما يستوجب تمتين و تعزيز العلاقات الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية مع دول المجموعة في أفق الانضمام إليها.

الكلمات المفتاح: المغرب-غرب إفريقيا-الإكواس-ويموا-الواقع-التحديات.

Abstract :

Morocco has recently been following a new policy in cooperation with other African countries, because the continent has come to know many regional groupings. In this regard, many initiatives have been taken, most notably the applications for accession to Economic Community of West African States in addition to paving the way towards the establishment of free trade zones with the Economic and Monetary Union of West African States. Thus , the royal vision of regional integration is enshrined, as a key to economic take-off. Delaying Morocco's formal admission suggests that it is encountering a range of obsacles. Thus , economic, cultural and social relations with States of the groupe must be strengthened , on the horizon of joining.

Keywords: Morocco-west africa -UEMEOA--ECOWAS -reality-chalenges.

تقديم:

تعد القارة الإفريقية أهم وجهات السياسة الخارجية المغربية ، ونظرا للارتباط التاريخي للمغرب بالصحراء الكبرى فقد راهن المغرب منذ حصوله على الاستقلال على تأسيس إطار جماعي للتعاون الإفريقي، و هو ما تحقق بعد عدة مبادرات، حيث رأت "منظمة الوحدة الإفريقية " النور سنة 1963الاتحاد الإفريقي حاليا ،لكن سرعان ما انسحب المغرب سنة 1984 بعد حصول جبهة البوليساريو على العضوية في المنظمة[234].

[234] –Alain Antil, Le royaume et sa politique envers l'Afrique sub–saharienne, Institut Français des Relations Internationales (IFRI), Novembre 2003. P 30

واستمر غياب المغرب في هذه المؤسسة رغم تحول هذه الأخيرة من "منظمة الوحدة الإفريقية" إلى الاتحاد الإفريقي سنة 2002، وما صاحب هذا المستجد من متغيرات تنظيمية، وعمل المغرب بعد ذلك على نسج و تعزيز علاقاته مع دول القارة السمراء الإفريقية الصديقة وبعض دول غرب إفريقيا خاصة، كل هذه الاستراتيجيات عجلت بإنهاء سياسة المقعد الفارغ التي انتهجها المغرب أزيد من ثلاثة عقود وعودته بعد ذلك إلى الحضن الإفريقي سنة 2017[235].

و أمام هذا الحدث البارز، أصبح لزاما على المغرب البحث عن أساليب و آليات جديدة لمسايرة الأحداث و المستجدات التي عرفتها الساحة الإفريقية، و التي تستوجب تعاونا جماعيا.

حيث لم يكبح تعطل مشروع الاتحاد المغاربي منذ نشأته في 17 فبراير 1989 [236]،رغبة المغرب في تحقيق تكتل إقليمي يستجيب للرهانات العالمية و يجابه التحديات الاقتصادية و الأمنية المتسارعة التي تشهدها الدينامية الدولية، حيث تجاوزت بعض الدول في تشكيل تجمعاتها العنصر الجغرافي كما هو الحال بالنسبة لدول ل"**BRICS** "، مما حذا بالمغرب إلى تقديم طلب انضمامه إلى المجموعة الاقتصادية لدول غرب افريقيا المعروفة اختصارا ب " **CEDEAO**"[237].

وفي إطار الدبلوماسية المغربية الجديدة المبنية على سياسة الانفتاح على محيطها الافريقي و التعاون جنوب-جنوب، عزم المغرب على تعزيز هذا الاتجاه عبر حضوره الدبلوماسي و الرسمي في هذا الفضاء الذي يلعب فيه العامل الاقتصادي دورا مهما ، وخصوصا مع تواجد دول صديقة ضمن هذا الاتحاد و تربطها علاقات متميزة متجذرة مع المملكة ، وفي مقدمتها السينغال و الساحل العاج....لكن في الآن نفسه هناك دول أخرى ترى أنه ليس من مصلحتها الترحيب بالوافد الجديد من حجم المغرب كعضو داخل منظمة "الإيكواس" ، من قبيل نيجيريا التي تعتبر القوة الأبرز و المهيمنة داخل المجموعة، و بالتالي فالمغرب ستشكل في حال انضمامها تهديدا استراتيجيا و ثقلا اقتصاديا و منافسا قويا بالنسبة لها.

الإشكالية:

من هنا تبدو الاشكالية في استعراض واقع العلاقات المغربية بدول غرب إفريقيا، و التحديات التي تعرقل طلب الانضمام إلى التجمع الاقتصادي الإفريقي.

أهداف الدراسة:

[235] رشيد الخلوقي ،" البعد الإفريقي في السياسة الخارجة المغربية المعاصرة"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام جامعة محمد الأول ، وجدة، ص 246

[236] محمد جدوبي، "الاتحاد المغاربي مشروع و حدوي معطل"، مجلة البوغاز للدراسات القانونية و القضائية، الجزء الأول من العدد المزدوج 34-35 يونيو 2024.

[237]في سياق الجولة الملكية بإفريقيا، و خاصة بعض دول غرب إفريقيا، و بتعليمات من الملك محمد السادس، أبلغ المغرب، رئيسة ليبيريا و رئيسة المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا في نفس الوقت، رغبته في الانضمام إلى التجمع الاقليمي كعضو كامل العضوية، وقدم طلب للانضمام بتاريخ 24 فبراير 2017.

لمقاربة هذا الموضوع ، يجدر بنا تحديد بعض المفاهيم المرتبطة بدول غرب إفريقيا ، والعلاقات التي تجمع هذه الأخيرة بالمملكة، بالإضافة إلى إيجابيات انضمام المغرب للمجموعة الاقتصادية، دون أن ننسى التحديات و العراقيل التي تقف عقبة أمام تحقيق هذا الاختيار الاستراتيجي.

و بناء على ما سبق، يمكن تناول الموضوع على الشكل الآتي :

أولا :تحديد المفاهيم.

ثانيا: و اقع العلاقات المغربية بدول غرب إفريقيا.

ثالثا: التحديات التي تواجه العلاقات المغربية مع دول غرب إفريقيا.

أولا : تحديد المفاهيم.

أ-غرب إفريقيا: يقصد بغرب إفريقيا في هذا البحث المنطقة التي تمتد في القارة من بحيرة تشاد شرقا حتى ساحل المحيط الأطلسي غربا، و تمتد الحدود الشمالية لهذا الإقليم من مصب نهر السينغال عند خط عرض 16شمال خط الاستواء تقريبا، فيما تقع حدوده الجنوبية عند خط عرض 17.9 شمال خط الاستواء علو وجه التقريب. تبلغ مساحة غرب إفريقيا 2.4 مليون ميل مربع[238]، وهي جزء من السودان الغربي و الأوسط التي عرفها الكتاب العرب و رحالتهم عل أنه يمثل موطن الجماعات الزنجية النقية أو الزنوج الحقيقيين.

تضم هذه المنطقة كل من الدول الآتية وعددها 16: نيجيريا، بوركينافاسو، بنين، غامبيا، غانا، غينيا بيساو، النيجر، غينيا، ليبيريا، مالي، موريتانيا، سيراليون، السينغال، توغو، الرأس الأخضر و ساحل العاج. للإشارة فجميع هذه الدول منضمة إلى الإيكواس (ECOWAS) المعروف باسم المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا باستثناء موريتانيا.

[238] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم و شوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث و المعاصر، منشورات البحوث و الدراسات الإفريقية، القاهرة، سنة 1998، ص5 .

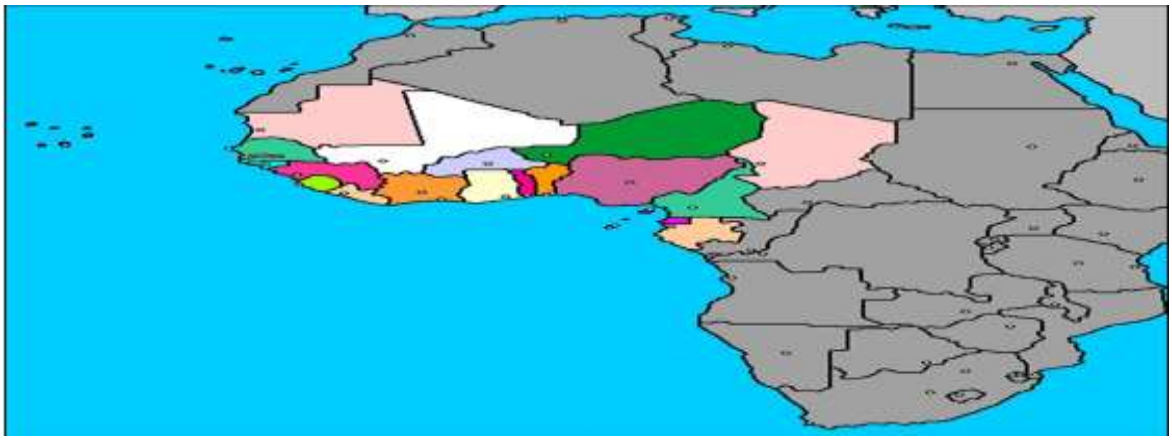

المصدر: منظمة الصحة في غرب إفريقيا

ب-المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا (ECOWAS): هي منظمة اقتصادية إقليمية تعمل على تطوير الاقتصاد في منطقة الغرب الافريقي، تم تأسيسها في 25 ماي 1975 بموجب معاهدة لاغوس، تتخذ من العاصمة النيجيرية أبوجا مقرا لها، وتضم في عضويتها كما أشرنا سابقا كلا من : البنين ، بوركينافاصو، جزر الرأس الأخضر، الساحل العاج، غامبيا، غانا ، غينيا، غينيا بيساو، مالي، ليبيريا، السينغال، نيجيريا، التوغو، و السيراليون[239] .

يبلغ عدد سكان دول المجموعة الاقتصادية لغرب افريقيا 302 مليون نسمة، ويمثلون تقريبا ثلث سكان القارة الإفريقية، إذ تعد من المناطق الأكثر اكتظاظا بالسكان في إفريقيا، وتتوفر هذه المنطقة على إمكانيات اقتصادية و مالية مهمة، و تسعى هذه المنظمة إلى تعزيز التعاون بين دولها وتنميتها اقتصاديا و اجتماعيا و ثقافيا، بغية رفع مستوى معيشة مواطنيها و تحقيق الاستقرار الاقتصادي[240].

الأهداف[241]:

تسعى هذه المجموعة جاهدة إلى تنفيذ سياسات متجانسة و قواعد وإجراءات تهدف إلى إزالة العوائق التي تعترض حرية تنقل الأفراد و السلع وضمان التمويل المحلي، كما أنشأت مجموعة "سيداو" منطقة تجارية حرة و اتحاد جمركي بين الدول

[239] Maroc–Cedeao, Cadre règlementaire et évolution des échanges extérieurs (commerce et investissements) , Ministère de l'économie été de finances Office des changes p 04.

[240] Maroc–Cedeao, Cadre règlementaire et évolution des échanges extérieurs (commerce et investissements) ,op. cit .p 05.

[241] https://www.aljazeera.net/encyclopedia .الموقع الرسمي للجزيرة زرته يوم 01/11/ 2024

الأعضاء، بالإضافة إلى الاتحاد الاقتصادي و النقدي لغرب إفريقيا، وموازاة مع ذلك أسست مجموعة عمل للمؤسسات الإقليمية لرسم الاستراتيجية التي يمكن اتباعها لإصدار عملة نقدية موحدة، كما خلق هذا التجمع الإقليمي إدارة مشتركة يعهد إليها مسؤولية الترويج للمشاريع و تشجيع الاستثمارات الأجنبية.

كما تصبو المنظمة أيضا إلى تحقيق التكامل الاقتصادي، وتعزيز المبادلات التجارية بين دول المنطقة، وتعزيز الاندماج في مجالات الصناعة والنقل والاتصالات والطاقة والزراعة والمصادر الطبيعية، فضلا عن القطاع المالي والنقدي.

وتعد موريتانيا الدولة الوحيدة من شمال إفريقيا العضو في المجموعة، حتى انسحابها في دجنبر 2000.

بالنسبة للغة الرسمية لهذه الدول، هناك 8 دول ناطقة باللغة الفرنسية، فيما 5 دول لغتها الرسمية هي الإنجليزية، أما الدولتين المتبقيتين فاللغة الرسمية فيهما هي البرتغالية.

الهياكل[242]:

تتكون المنظمة من الهياكل التالية:

- ✓ مجلس رؤساء الدول والحكومات: وهو أعلى هيئة سياسية وترجع إليه القرارات الكبرى.
- ✓ المجلس الوزاري: ويطلع عادة بمهمة التحضير للقمم، وفيه يدور النقاش السياسي لمختلف القرارات في أفق إقرارها من قبل مجلس الرؤساء.
- ✓ برلمان المجموعة: له سلطة تشريعية تتعلق بإقرار النصوص التي تصدر عن الهياكل التنفيذية، كما يقرر في تعاطي المنظمة مع الأزمات التي يشهدها أحد البلدان الأعضاء، ويرسل أحيانا لجان وساطة في أوقات الأزمات.
- ✓ المجلس الاقتصادي والاجتماعي: له دور استشاري وصلاحية تقديم مقترحات تهم المشاريع التنموية المشتركة بين دول المجموعة.
- ✓ محكمة العدل الخاصة بالمجموعة: تبت في جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية المرتكبة خلال صراعات شهدتها المنطقة.

وتضم إيكواس "بنك إيكواس للاستثمار والتنمية(EBID) "، و"منظمة الصحة لغرب أفريقيا(WAHO) "، و"مجموعة العمل الحكومية الدولية لمكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب في غرب أفريقيا(GIABA) " .

كما تضم إيكواس أيضا تكتلين اقتصاديين نقديين ضمنها هما "الاتحاد الاقتصادي والنقدي لغرب أفريقيا " (UEMOA)، و"المنطقة النقدية لغرب أفريقيا.(WAMZ) ".

[242] نفس المرجع السابق https://www.aljazeera.net/encyclopedia

المصدر: الموقع الرسمي ل ECOWAS

ج- الاتحاد الاقتصادي و النقدي لغرب افريقيا(UEMOA): هو منظمة إقليمية مهمتها تحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول الأعضاء، و ذلك عبر إزالة الحواجز التي تعيق حرية تنقل الأفراد و السلع و الخدمات، وإحداث سوق مفتوحة و تنافسية ومنظومة مؤسساتية و قانونية متجانسة، يعود تأسيسه إلى 10 يناير 1994، بموجب معاهدة دكار بجمهورية السينغال، ويتخذ من العاصمة البوركينابية واكادوكو مقرا له، ويضم ثمانية بلدان من غرب إفريقيا لها ثقافة مشتركة وتستخدم الفرنك الإفريقي كعملة موحدة وهي: بوركينافاصو، الساحل العاج، بينين، النيجر، مالي، توغو، السينغال، غينيا بيساو[243].

يبلغ عدد سكان الاتحاد الاقتصادي و النقدي لغرب إفريقيا UEMOA حوالي 120 مليون نسمة، مما يجعله يزخر بمؤهلات بشرية مهمة، ويمتد على مساحة شاسعة تقدر ب: 3.5 مليون كلم مربع، الشيء الذي يتيح له التوفر على إمكانيات اقتصادية و مالية واعدة، وقد بلغت نسبة النمو الاقتصادي بهذا التجمع 6.7% سنة 2017[244].

الهيكل التنظيمي[245]:

[243] Le site officiel de l'Union économique et monétaire ouest-africaine(UEMOA).Date de dernière visite 2024/10/26

[244] Ibid.

[245]Le site officiel de l'Union économique et monétaire ouest-africaine(UEMOA). http://www.finbase-uemoa.org/2024 زرته يوم 06 نونبر

1. مؤتمر رؤساء الدول والحكومات: هي أعلى سلطة في الاتحاد ويختص بوضع الاتجاهات العامة والخطط والسياسات الخاصة، والتحقق من سير عمله لإنجاز أهدافه ووفقا للاتفاقيات المؤسسة للاتحاد يحق للمؤتمر انشاء مؤسسات وهيئات استشارية.
2. مجلس الوزراء: من مهامه التحقق من تنفيذ التوجيهات العامة لمؤتمر رؤساء الدول والحكومات والتصديق على ميزانية الاتحاد واصدار اللوائح والقوانين التي تعدها لجنة من الخبراء من الدول الاعضاء، وللمجلس أن يرفع توصيات وآراء للمؤتمر أو طرحها على الخبراء لدراستها.
3. المفوضية: وتتكون من ثمانية أعضاء يعينهم مؤتمر رؤساء الدول والحكومات لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد، ويختار المؤتمر رئيس المفوضية لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد، ويؤدي الأعضاء الثمانية قسما خاصا أمام محكمة العدل التابعة للاتحاد قبل توليهم مهامهم، ويتولى رئيس المفوضية تعيين مساعديه الاداريون، تعتبر المفوضية الذراع التنفيذي للاتحاد، وقد دشنت المفوضية في 30 يناير 1995 ومقرها واجادوجو في بوركينا فاسو.
4. محكمة العدل: تتكون من ثمانية أعضاء يختارهم مؤتمر رؤساء الدول والحكومات لمدة ست أعوام قابلة للتجديد وتنظر المحكومة في مدى تنفيذ اتفاقية الاتحاد ولها الحق في تفسير بنود الاتفاقية ومراقبة تنفيذها وقد أنشئت المحكمة في 27 يناير 1995.
5. ديوان المحاسبة: يتكون من ثلاثة أعضاء يعينهم مؤتمر رؤساء الدول والحكومات لمدة ست سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة ويختص بمراقبة كافة حسابات أجهزة الاتحاد للتأكد من دقتها وفاعلية توظيف موارد الاتحاد ومقر الديوان واجادوجو بوركينا فاسو.
6. برلمان الاتحاد واللجنة البرلمانية: نصت اتفاقية تأسيس الاتحاد على إنشاء برلمان الاتحاد، وإلى أن تتحقق تلك الغاية تأسست اللجنة البرلمانية التي تتكون من أربعين عضوا برلمانيا، حيث يختار المجلس التشريعي في كل دولة خمسة أعضاء. وتعقد اللجنة دورتين عاديتين سنويا، وتناقش تقرير رئيس المفوضية السنوي حول أداء الاتحاد. وقد بدأ عمل اللجنة في 27 مارس 1998 ومقرها باماكو بمالي.
7. غرفة المشورة الاقليمية: مقرها لومي وتضم غرف المشورة والجمعيات النقابية والمنظمات المهنية للدول الأعضاء وقد بدأ أعمالها في 3 أبريل 1998.
8. البنك المركزي لدول الاتحاد وبنك دول غرب افريقيا للتنمية: وهما جهازان متخصصان مستقلان بمقتضى الاتفاقية في تحقيق أهداف الاتحاد.

الأهداف[246]:

تتوخى الاتفاقية التأسيسية للاتحاد الاقتصادي و النقدي لغرب إفريقيا تحقيق الأهداف الآتية:

- ضمان تقارب الأداء و السياسات الاقتصادية للدول الأعضاء من خلال وضع نظم مراقبة جماعية.

[246] Le site officiel de l'Union économique et monétaire ouest-africaine(UEMOA).Date de dernière visite 2024/11/06.

- دعم القدرة التنافسية للأنشطة الاقتصادية و المالية للدول الأعضاء، وذلك من خلال تحرير السوق و توفير بيئة تشريعية متلائمة ومتناسقة بين الدول الأعضاء.
- ملاءمة قوانين الدول الأعضاء، و خاصة النظام الضريبي، بالقدر اللازم لضمان استمرارية السوق المشتركة.
- إنشاء سوق مشتركة على أساس حرية تنقل الأفراد و السلع و الخدمات ورؤوس الأموال ووضع تعريفة خارجية وخطط تسويقية.
- التنسيق على مستوى السياسات القطاعية الوطنية من أجل تنفيذ سياسات وإجراءات مشتركة، خصوصا في المجالات الآتية : الموارد البشرية، التخطيط الرقمي، الزراعة، الطاقة، الصناعة، التعدين، النقل، البنية التحتية و الاتصالات.

المصدر: الموقع الرسمي ل UEMOA

ثانيا: و اقع العلاقات المغربية بدول غرب إفريقيا.

خلال هذا المحور سوف نستعرض العلاقات التي تربط المغرب" بالإيكواس "(الفرع الثاني)، ثم ننتقل إلى الحديث عن العلاقات الثنائية بين المملكة و الاتحاد الاقتصادي و النقدي لدول غرب إفريقيا " UEMOA" (الفرع الثاني).

الفرع الأول: و اقع العلاقات بين المغرب و الإيكواس.

أ- العلاقات الاقتصادية .

تربط المغرب وبلدان المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا(سيداو) علاقات قوية، و ذلك في جميع المجالات(السياسية، الإنسانية، التاريخية، الدينية، الاقتصادية..)، وقد تقوت هذه العلاقات في السنوات الأخيرة، بعد الزيارات الملكية التي شملت 11 بلدا بالمنطقة، حيث وقعت مئات الاتفاقيات المتعلقة بالتعاون الثنائي مع البلدان الأعضاء في

المنظمة[247]، كما تربط المغرب بهذا التجمع علاقات مؤسساتية بصفته ملاحظ و التي منحت له منذ سنوات، بالإضافة إلى مشاركة المملكة في اجتماعات المنظمة و مساهمتها في أنشطتها خاصة في الميادين المتعلقة بالسلم و الاستقرار[248].

1-التجارة البينية.

وقد شهدت العلاقة التجارية بين المغرب و دول التجمع الاقتصادي لدول غرب لإفريقيا تصاعدا نسبيا في السنوات الأخيرة، حيث بلغت قيمتها 1.5 مليار درهم سنة 2000 وقفزت لتصل 10.3 مليار درهم سنة 2017 ، و ذلك راجع إلى تسارع وثيرة حجم الصادرات المغربية إلى هذا التجمع، وسجلت حجم

الواردات المغربية من هذا الفضاء أعلى نسبة سنة 2011 وقد بلغت 2.7 مليار درهم لتنخفض تدريجيا بنسبة 0.8 مليار درهم[249].

تطور العلاقات الاقتصادية بين المغرب و دول التجمع الاقتصادي لدول غرب إفريقيا

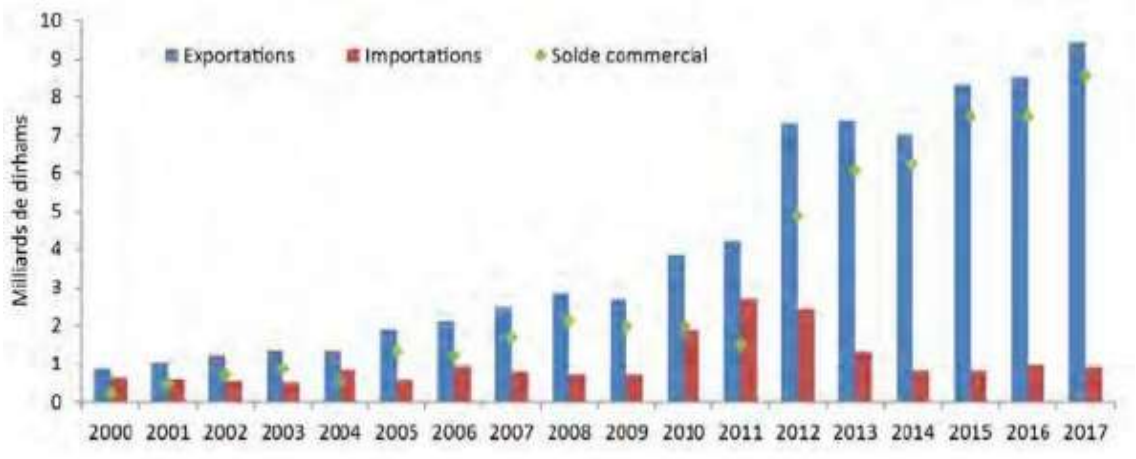

المصدر: مكتب الصرف

[247]انبعاث أمة، الجزء الثاني و الستون، القسم الأول، 1435هـ/ 2017م ، ص 485.

[248]انبعاث أمة، نفس المرجع السابق نفس الصفحة.

[249]Mohamed Adam El Hani, Fatima Hamdaoui et Anas Saidi (2018) Echange Commerciaux Maroc-CEDEAO , Opportunités par pays et par produit, DEPT Policy Africa, Ministère de l'économie et des Finances, Direction des Etudes et des prévisions financières, P17.

و تتشكل الصادرات المغربية بالأساس من الأسمدة التي تمثل 19.5 % من قيمة الصادرات المرصودة لدول (الإيكواس) ما بين 2000-2017، و الجدير بالذكر أن المملكة المغربية تعتبر أكبر مورد في المنطقة بحصة 32 %[250]. و مرد ذلك هو رسوم الاستيراد التي لا تشكل عائقا أمام هذا المجال التجاري خاصة بعد ارتفاع طلب دول المجموعة لهذه المادة الحيوية.

ويحتل قطاع الصيد البحري مكانة رائدة في مجال التصدير ويشكل نسبة 13% من إجمالي الصادرات في منطقة التجمع، ويبقى رهان المغرب لانضمامه لهذا الأخير في تخفيض أو إزالة الرسوم الجمركية من أجل تنويع صادراته البحرية في المنطقة.

و بخصوص المنتجات الفلاحية الموجهة نحو "الإيكواس " فتبقى ضعيفة رغم اعتماد المغرب عليها في صادراته نحو شركائه الاقتصاديين، حيث يساهم بنسبة 3.6 % داخل الفضاء الاقتصادي الافريقي.

أما فيما يخص بعض المنتجات المغربية الأخرى فهي حاضرة في سوق المجموعة، من قبيل معدات توزيع الكهرباء حيث تشكل نسبة6.2 % بالإضافة إلى منتجات النسيج و الملابس التي لا تتجاوز 0.3 %دون أن ننسى قطاع السيارات التي يحقق فيها المغرب نسبة 2%.

و نشير في هذا الصدد إلى أن المغرب عمل على تنويع السلع المغربية الموجهة إلى "الإيكواس"، خاصة في العشرية الأخيرة، حيث لم يعد يقتصر على القطاعات الاقتصادية كالأسمدة والصناعات الغذائية، بل أصبحت تركز على مجالات أخرى مثل الصناعات الكيميائية و الأدوية و التكنولوجيا من أجل تحسين حضورها داخل الفضاء الإفريقي[251].

و يتميز حضور بعض دول التجمع في السوق المغربية و التي يصنفها الإيكواس ذات أولوية في جدول الصادرات وفي مقدمتها المنتجات الطاقية، حيث تتبوأ مكانة هامة و تمتلك تجربة رائدة في هذا المجال من بينها نيجيريا، إلا أن مساهمة

[250] Ibid, p, 16.

[251] Etude de Département des Statistiques des Echanges Extérieurs(2017) Echanges Maroc–Afrique Subsaharienne, office des changes, Ministère de l'économie et des Finances, Royaume du Maroc, Rabat, p 07.

المجوعة الاقتصادية الإفريقية في صادراتها نحو المغرب لا تتعدى 3 % رغم انخفاض قيمة التعريفة المطبقة بنسبة % 2.5[252].

و نضيف أيضا أن من بين المنتجات القطن الذي يمثل نسبة 12% من قيمة الواردات المغربية بالإضافة إلى بعض المنتجات كالكاكاو 10% البن13% الخشب 11% و مجمل الرسوم الجمركية لهذه المنتوجات لا تتعدى 2.5%.

أهم الدول المصدرة و المستوردة بالنسبة للمغرب داخل التجمع الاقتصادي لدول الإيكواس

المصدر: مكتب الصرف 2017

إن من أهم الزبناء الأساسيين في سوق التجمع الاقتصادي لدول غرب إفريقيا هم السينغال 1.9 مليار درهم نيجيريا 1.4 مليار درهم الكوت ديفوار 1.4 مليار درهم، و بخصوص الواردات فتعتبر نيجيريا أكبر مورد للمغرب في هذا الفضاء بنسبة 34.6% تتبعها كل من غينيا الكوت ديفوار وتوغو بمعدل21.3 % و 10.2 % و8.6 % و على التوالي من إجمالي الواردات. و الواضح أن هذه المعدلات تبقى ضعيفة و غير مؤثرة بشكل فعال في دينامية السياسات الاقتصادية خاصة و أن التجمعات الاقتصادية تساهم في 3/2 منها. و ذلك يرجع إلى عوامل عدة من قبيل النمو الاقتصادي لهذه الدول، لذا يجب ابتكار وسائل بديلة و جديدة تحقق مراتب متقدمة على المستوى الاقتصادي في إطار الربح المتبادل، و من بين هذه الوسائل ما يصطلح عليه بالمشاريع التكاملية.

ويمكن تصنيف مشروع أنبوب الغز المغرب- نيجيريا كواحد من هذه المشاريع التي سيحقق المغرب من خلاله أرباحا اقتصادية بالرغم من بعض العراقيل التي تعترضه[253]. و بتحقيق هذا المشروع على أرض الواقع سيمهد الطريق لشراكات

[252] Mohamed Adam El hani, Fatima hamdaoui et Anas Saidi Op cit p17.

[253] مشروع الغاز بين المغرب و نيجيريا دجنبر 2016. وتم إطلاق دراسة جديدة في ماي 2017.هذا المشروع سيغير بعض معالم التوازن في المنطقة، فروسيا لا ترغب في وصول الغاز إلى القارة الأوروبية لأنها المزود الرئيسي لها و تستخدم روسيا هذا الملف

أخرى على غرار نيجيريا التي لها حضور وازن وتأثير قوي في الساحة الإفريقية و بالتالي تسهيل ولوج المغرب إلى ميادين متنوعة و من بينها مسلسل الاندماج الجهوي[254].

2-الاستثمار

ففي ظرف وجيز ، استطاع المغرب اختراق منطقة غرب إفريقيا اقتصاديا و سياسيا، بحيث تعتبر هذه الأخيرة أول شريك تجاري لمغرب في إفريقيا جنوب الصحراء، وذلك بنسبة 50% من حجم المبادلات التجارية الإفريقية للمغرب خلال الفترة الممتدة مابين2008 و2016 [255]، وفي نفس الوقت، الوجهة الأولى للاستثمارات المباشرة للمغرب[256].

ونظرا لما تشهده دول هذه المجموعة من نمو اقتصادي في السنوات الأخيرة، فقد حرص المغرب على البحث عن مساحات استثمارية بداخلها عبر حركية دبلوماسية قوية و ناجعة، مزجت بين الجانبين الديني و الاقتصادي[257]، وتعتبر المنطقة مهمة وواعدة للمصدرين و المستثمرين المغاربة من أجل تعزيز الوجود المغربي على الساحة الإفريقية، وهو ما كشفه دخول مجموعة من الشركات المغربية الوازنة في ميادين البنوك و الطيران إلى هذه السوق و في طليعتها البنك المغربي للتجارة الخارجية (BMCE)، و الخطوط الجوية المغربية(RAM) و غيرها.

وقد شمل الاستثمار المغربي في غرب إفريقيا عدة مجالات أهمها قطاع الاتصالات و الأبناك و السيارات و غيرها من المجالات، غير أن المجال الصناعي لم يكن في مقدمة الاستثمارات المغربية المتواجدة في دول التجمع الاقتصادي لدول غرب إفريقيا، كما يبين الشكل أعلاه، حيث لم يكن يتخطى نسبة 6% ، وفي نهاية 2016 بلغ نسبة 53 % من الاستثمارات

للضغط على القارة العجوز فيما يخص مصالحها الاستراتيجية إضافة إلى دور الصين المتزايد خصوصا بعد الإعلان عن طريق الحرير. هذا على المستوى الدولي أما على المستوى الاقليمي فهذا الملف يشكل محط صراع و تنافس بين المغرب و الجزائر ولاسيما أنه سيمر عبر 11 دولة قبل وصوله إلى المغرب. إضافة إلى الأدوار التي يمكن أن يلعبها حقل الغاز المشترك بين موريتانيا و السينغال في دينامية هذا الملف.

[254] عبد الخالق التهامي:" أنبوب الغاز بين نيجيريا و المغرب، أهداف استراتيجية و رهانات و تحديات". تقرير صادر عن مكتب الجزيرة للدراسات، الدوحة قطر، 2017، ص4.

[255]Maroc–Cedeao,Cadre règlementaire et évolution des échanges extérieurs(commerce et investissements),Ministère de l'économie et de Finances, office des changes p 06

[256]Maroc–Cedeao, op.cit., p 04.

[257] سعيد الصديقي، "السياسة الخارجية المغربية فوق رمال متحركة" المعهد المغربي لتحليل السياسات، أبريل 2018، ص 5.

المخصصة للقارة أكملها خاصة في دول البنين و الكوت ديفوار، غير أنه لوحظ تراجع هذه النسبة بعد ذلك بحكم المنافسة الدولية في هذه المنطقة من قبيل الاستثمارات الصينية التي تسجل حضورا قويا في إفريقيا برمتها[258].

و تعد الاستثمارات الأجنبية المباشرة من السياسات المعتمدة في سياسة الاستثمار المغربية، وموازاة مع ذلك يحاول المغرب تحقيق توازن بين هذه السياسة و استراتيجية الاستثمار و توجيه صناعته نحو إفريقيا و خاصة دول "الايكواس "التي تضم أكثر من 350 مليون مستهلك.

2- مساهمة المغرب في حفظ السلم و تعزيز الأمن والتضامن مع بلدان الغرب الإفريقي.

وضع المغرب على رأس أولوياته تعزيز و تطوير العلاقات في المجال الأمني، و بالاستناد إلى ما تقتضيه طبيعة العلاقات الدولية المعاصرة، من قواعد و أساليب لتمتين الروابط و التفاعل بشكل إيجابي مع التحديات الأمنية وخاصة في القارة الإفريقية ،التي تعرف أزمات كالأزمة المالية و الأزمة متعددة الأبعاد في منطقة الساحل [259]، التي تشكل خطورة على أمن و استقرار المنطقة ككل ،حتم على المغرب بلورة تصور جديد تجاه القارة الإفريقية.

وفي منطقة غرب إفريقيا عمل المغرب على المساهمة في تعزيز الأمن وحفظ السلام في بعض بلدان هذه المجموعة، كغينيا بيساو و الساحل العاج حيث عاشت هذه الأخيرة مرحلة من الصراع على السلطة و الانقلابات المتوالية خلال الفترة الممتدة من 1993 إلى 2004 حيث قامت البعثة المغربية بأدوار عدة، تجسدت في حفظ الأمن و إدارة النزاع و في نفس الآن العمل على إدارة الحوار و الوساطة و بناء السلام عبر حماية المدنيين، و المساعدة في الانتقال السلس للسلطة.[260]

[258] حكمات العبد الرحمان استراتيجية الوجود الصيني في إفريقيا، مجلة سياسات عربية، العدد 22 ، 2016، ص 78.

[259] زكرياء أقنوش، "محاور استراتيجية الملك محمد السادس لإعادة تموقع المملكة المغربية داخل المنتظم الدولي"، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 2017، ص 73.

[260] اسماعيل حمودي " السياسة الأمنية للمغرب الراهن– دراسة في المحددات و الفاعلين و القضايا"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام و العلوم السياسية، كلية العلوم القانونية و الاقتصادية و الاجتماعية ، سلا، 2017–2018، ص ص: 353–354.

كما يلعب دور الوساطة في فض بعض النزاعات، كأزمة بلدان نهر "مانو"، وكما له دور حاسم في حل الأزمة المؤسساتية الخطيرة التي عرفتها غينيا سنتي 2009 و 2010[261]، إضافة إلى المساهمة في استقرار الأوضاع في غينيا بيساو .

يتضح أن المغرب راكم تجربة في عدد من الميادين، بوأته المرتبة 14 عالميا والثانية عربيا و 5 إفريقيا من حيث عدد القوات المشاركة في عمليات حفظ السلام عبر العالم[262]، و أن هذه المساهمة تعطي صورة مشرفة عن المغرب الذي يتوفر على جيش منضبط و قادر على المشاركة و دعم جهود بناء السلم و الاستقرار، و امتلاك الخبرة في إدارة الأزمات و الصراعات، و مكنته أيضا هذه المشاركات من تحقيق مكاسب اقتصادية و سياسية و اكتساب تجربة إضافية في مجال العمليات العسكرية[263]، و في هذا السياق أصبح المغرب تربطه علاقات جيدة و متينة مع جل الدول الإفريقية كبلد مدافع عن السلام و يسعى إلى السلم و تحقيق الأمن و الاستقرار لإفريقيا، بل كأحد المساهمين في صنع السلام العالمي.

و في المجال الإنساني و التضامني، ساهم المغرب بمبادرات كثيرة تجاه بلدان هذه المجموعة، حيث تم إنشاء مستشفيات ميدانية متعددة التخصصات في عدة دول إفريقية شملتها الزيارات الملكية، كغينيا كوناكري، بوركينافاصو، جنوب السودان، و غينيا بيساو، و تم تزويد هذه المستشفيات بالأدوية و التجهيزات الطبية وبطواقم وكوادر طبية متخصصة و من أعلى مستوى[264]. كما قدم المغرب يد المساعدة خاصة خلال انتشار بعض الأوبئة(كالإيبولا و الكوليرا و كوفيد 19) حيث قام المغرب بصفته عضوا في منظمة الاتحاد الافريقي بوضع جميع منصاته التقنية وخبراته في المجال الطبي وخبرة موارده البشرية تحت إشراف المركز الإفريقي لمكافحة الأمراض و الوقاية منها بغية التصدي للظاهرة الوبائية المتجددة[265] وإرسال معدات طبية(دبلوماسية الكمامات) و صحية إلى الدول المتضررة و من بينها أعضاء من التجمع الغرب

---

[261]انبعاث أمة، نفس المرجع السابق، ص485.

[262]أمينة حميدي، "دور المغرب في التنمية و حفظ السلام بإفريقيا"، المنهل، ص13، تاريخ زيارة الرابط 01 شتنبر 2024 . https://platform.almanhal.com/Details/Article/129953.

[263] الحسان بوقنطار "السياسة الخارجية المغربية2000-2013" منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية و التنمية، سلسلة "مواضيع الساعة"، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 2014 ،ص 136.

[264]من الأمثلة على ذلك، نجد المستشفى العسكري الميداني الطبي الجراحي الذي أقامه المغرب بكوناكري، وذلك في إطار علاقات الصداقة والأخوة العريقة التي تجمع بين الشعبين المغربي والغيني، والمزود بتجهيزات عصرية وأدوات تكنولوجية جد متطورة، وينضاف هذا المستشفى إلى مستشفيات ميدانية أخرى أقامها المغرب في بلدان أخرى..
انبعاث أمة، الجزء التاسع والخمسون، القسم الأول، 1435 هـ/ 2014 م، ص 203.

[265]وكالة المغرب العربي للأنباء، الاجتماع الطارئ للاتحاد الإفريقي بشأن "فيروس كورونا".. المغرب يؤكد انخراطه على الصعيد القاري للإفادة من تجربته و خبرته، اطلعت على المقال بموقع http://www.mapexpress.ma/ بتاريخ 2024/10/30

إفريقي . ونكر هنا على سبيل المثال تقديم مساعدات على شكل هبات وأدوية لدول غرب إفريقيا التي انتشر فيها فيروس" إيبولا" انتشارا واسعا سنة 2014.[266] بالإضافة إلى الإسهام في التخفيف من مواجهة الكوارث الطبيعية التي شهدتها بعض بلدان غرب إفريقيا ، دون أن ننسى دوره الفعال في إحداث مشاريع تنموية و اجتماعية في إطار التعاون جنوب- جنوب [267] ، من قبيل أنبوب الغاز المرتقب إنجازه بين المغرب و نيجيريا و الذي سيمر ببلدان المنطقة وصولا إلى المغرب عبر موريتانيا .[268]

الفرع الثاني: و اقع العلاقات المغربية مع دول الاتحاد الاقتصادي و النقدي لغرب إفريقيا(UEMOA).

تجمع المغرب و دول الاتحاد الاقتصادي و النقدي لغرب إفريقيا علاقات متينة و متميزة، خصوصا: السينغال، الساحل العاج، بوركينافاسو، مالي وغينيا بيساو، وذلك على المستوى الإنساني و السياسي التاريخي و الديني والاقتصادي[269]، وقد عمل المغرب على إبرام مجموعة من الاتفاقيات ذات الطابع الجهوي و العالمي وتهم كل من مجالات التجارة و الاستثمار وذلك في إطار تعزيز وتمتين العلاقات مع هذه البلدان[270].

وقد تم التوقيع بشكل نهائي على اتفاقية تجارية و استثمارية سنة 2008 مع الاتحاد الاقتصادي و النقدي لغرب إفريقيا، بالإضافة إلى شرط الدولة الأكثر تفضيلا، و تضم هذه الاتفاقية إعفاءات كاملة أو تخفيضات على مستوى الجمارك و الضرائب لبعض المنتوجات قد تصل إلى 50%، و الهدف من ذلك هو التأسيس لإطار قانوني ملائم يمكن من تعزيز العلاقات التجارية و الاقتصادية بين الطرفين[271].

---

[266] تجاوز عدد الوفيات بفيروس إيبولا بعدد من دول غرب إفريقيا 6000 شخص.

[267] انبعاث أمة، نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

[268] انبعاث أمة، نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

[269] انبعاث أمة، الجزء الثاني و الستون، القسم الأول، 1435هـ/2017م، ص 485

[270] Relation Maroc–Afrique : L'ambition d'une nouvelle frontière, Direction des études et des prévisions financières, Septembre 2014, p 06.

[271] Ibid p 06.

وسجلت المبادلات التجارية للمغرب مع بلدان المجموعة تصاعدا ملحوظا، منذ بداية الألفية الجديدة، مما يؤكد العلاقات المتميزة مع الاتحاد، فصادرات المغرب تجاه هذا الأخير انتقلت من 824 مليون درهم سنة 2006إلى 4.85 مليار درهم سنة 2019، لكن تبقى واردات المملكة من المجموعة جد ضعيفة، حيث سجلت سنة 2019 263 مليون درهم فقط[272].

جدول يبين حجم الاستثمارات المغربية المباشرة في بلدان الاتحاد الاقتصادي و النقدي لغرب إفريقياUEMOA خلال الفترة (2010-2018) بمليون درهم

السنوات / الدول	2010	2011	2012	2013	2014	2015	2016	2017	2018
الكوت ديفوار	883.3	-	899.5	436.9	305	616	1798.5	1461.4	552.4
مالي	1576.5	189.4	206.5	439.2	35.7	44.2	84.5	131.2	209.6
النيجر	-	-	-	4.9	1.6	-	0.4	29.2	-
بوركينافاسو	-	-	57	13	83	43	75	170	118
السينغال	12.3	2	21	4.4	244	181.4	147	124.4	102
غينيا بيساو	-	-	-	1.7	2	11.6	3	3.3	11.8
الطوغو	-	-	-	210.9	1.3	5.4	260.1	39.7	27.7
بنين	-	-	-	-	83.4	-	605.1	39.1	33.8
المجموع	2472.1	191.4	1184	1111	756	901.6	2973.6	1998.3	1055,3

المصدر: مكتب الصرف

يعد المغرب من المستثمرين الأوائل في منطقة الاتحاد، لأن هذه الأخيرة من أكثر المناطق الإفريقية جذبا للمقاولات المغربية[273]، وهذا ما نستخلصه من الجدول أعلاه حيث جذبت هذه المنطقة في الفترة الممتدة ما بين 2010 و 2018 نسبة مهمة من الاستثمارات المغربية المباشرة، فاقت قيمتها 12.64 مليار درهم. وتأتي الساحل العاج في الصدارة من حيث الدول المستقطبة للاستثمارات المغربية بقيمة 6.95 مليار درهم، تتبعها مالي ب 2.91 مليار درهم، ثم تأتي في المرتبة الثالثة السينغال بقيمة 838.5 مليون درهم.

[272] انبعاث أمة، مرجع سابق، نفس الصفحة.

[273] Développement des entreprises Marocaines en Afrique: Réalité et perspectives, Direction des études et des prévisions financières (DEPF), Policy Africa, novembre 2018,p4-5.

ثالثا: التحديات التي تواجه العلاقات المغربية مع دول غرب إفريقيا.

في إطار السياسة المغربية الجديدة الرامية إلى تموقع المغرب في محيطه الإفريقي، انتهج المغرب دبلوماسية ناعمة من أجل الانضمام للمجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا(CEDEAO) (الفرع الأول)، لكن طلبه لايزال قيد الدراسة ولم يلبى بعد رغم مرور أزيد من 7 سنوات على ذلك ، نظرا لوجود مجموعة من العقبات حالت دون تحقيق مبتغاه (الفرع الثاني).

الفرع الأول :محاولة الانضمام إلى سيداو.

بعد عودة المغرب إلى الاتحاد الإفريقي في 31 يناير 2017، بادر إلى التقدم بطلب رسمي للحصول على عضوية المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا (سيداو) بتاريخ 24 فبراير 2017[274]، إلا أن طلبه تعطل بسبب اعتبارات جيوسياسية و قانونية، بالإضافة إلى وجود معارضة قوية من طرف جهات فاعلة و نافذة اقتصاديا في المجموعة[275]، و على الرغم من الموافقة على الطلب من حيث المبدأ في 04 يونيو 2017خلال "قمة منروفيا" ، إلا أن العضوية الكاملة لم تتحقق بعد إلى حدود الساعة[276].

و يسلك المغرب مجموعة من الطرق من أجل تليين المواقف المعارضة لطلب انضمامه للاتحاد، من قبيل استثمار الدبلوماسية الموازية، خصوصا القطاع الخاص، بالإضافة إلى استغلال الإمكانيات التي يوفرها، دون أن ننسى خبرته المتراكمة في جميع القطاعات الاقتصادية و المالية، و ذلك عبر الضغط على القوى الاقتصادية الفاعلة و الرئيسية في المنطقة وإقناعها بالفوائد و الأرباح التي ستحصلها من انضمام المغرب لهذا التجمع الإفريقي.

كما حاول المغرب من قبل تذليل العقبات مع نيجيريا خصمه الرئيسي في المنطقة، من خلال زيارة العاهل المغربي لجمهورية نيجيريا في 01 دجنبر 2016 و هي الأولى له لهذا البلد منذ توليه الحكم، حيث التقى خلالها الرئيس النيجيري محمد بوهاري، و هناك تم التوقيع على 14 اتفاقية بما فيها صفقة مشروع خط أنابيب الغاز نيجيريا-المغرب[277]، وعمل

---

[274]في سياق الجولة الملكية بإفريقيا، و خاصة بعض دول غرب إفريقيا، و بتعليمات من الملك محمد السادس، أبلغ المغرب، رئيسة ليبيريا و رئيسة المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا في نفس الوقت، رغبته في الانضمام إلى التجمع الاقليمي كعضو كامل العضوية.
انبعاث أمة، الجزء الثاني و الستون، القسم الأول، 1435هـ/2017م، ص484.

[275]امرؤ القيس طلحة، المغرب– الايكواس: النوايا الحسنة ليست كافية، المعهد المغربي لتحليل السياسات زرته يوم 20/10/2024 www.mipa.institue/7602

[276] انعقدت القمة ل 51 بليبيريا بالعاصمة منروفيا يوم الأحد 04 يونيو 2017، وجمعت رؤساء دول و حكومات الدول الأعضاء و مسؤولين رفيعي المستوى ، وتضمن جدول أعمال هذا الاجتماع الطلب الذي تقدم به المغرب ليصبح عضوا كامل العضوية داخل هذا التكتل.

[277] انبعاث أمة، الجزء الواحد و الستون، القسم الثاني، 1438هـ/2016م، ص346.

المغرب أيضا من رفع مبادلاته التجارية مع هذا البلد، حيث تعتبر نيجيريا من الزبناء الرئيسيين للمغرب في غرب إفريقيا، و المزود الرئيسي للمملكة بخصوص مصادر الطاقة[278].

و في نفس السياق، فالمغرب يقيم علاقات مؤسساتية مع المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا، من خلال منحه صفة ملاحظ التي حظي بها منذ سنوات، حيث شارك في اجتماعات المنظمة و ساهمت في أنشطتها خاصة في المجالات المرتبطة بالسلم و الاستقرار و الوساطة الأممية[279].

وفي نفس الاتجاه يمكن أن نعزز التوجه المغربي للانضمام إلى التكتل الإفريقي بالدراسة التي قدمتها دول المجموعة الاقتصادية لغرب إفريقيا إلى رؤساء الدول والحكومات للمجموعة "سيداو":[280]

- حيث أشاد التقرير، بالانخراط المغربي في عمليات السلام و الأمن في منطقة غرب إفريقيا " ساحل العاج، مالي، غينيا بيساو، دول نهر المانو، غينيا و غامبيا". حيث اعتبر أن القدرات العسكرية و التجهيزات و التقدم الاقتصادي المغربي يشكل قيمة مضافة لجهود السلام و الأمن و الاستقرار بالمنطقة، و مواجهة التطرف و الأمن البحري و الوساطة في حل النزاعات.
- و شدد التقرير على أن المغرب يعتبر عمقا استراتيجيا لإفريقيا الغربية ، مبني على روابط تاريخية، ثقافية و دينية.
- و سجل أيضا في إطار الدبلوماسية الدينية، فالمغرب يستقبل و يكون في أكاديمية تموين الأئمة عددا من الطلاب الذين ينحدرون من غرب القارة، يقدم منحا دراسية للطلاب الأفارقة للقدوم و الدراسة في المغرب ، و عند استكمال دراساتهم يعودون إلى بلدانهم أئمة أو حاملي شهادات عليا ، بعد حصولهم على تكوين يركز على قراءة حديثة للإسلام و الحوار بين الأديان و التواصل بين الثقافات و التكنولوجيا و العلوم و الصحة بالإضافة إلى المجال العسكري..... و بالتالي يمكن لدول سيداو الاستفادة من هذا النموذج المغربي الفريد في حربه على الجهاديين و التطرف في غرب إفريقيا .
- وفي المقابل يصبح المستفيدون من هذه المنح الدراسية بدورهم مناصرين للمغرب ضمن طبقات النخبة في أوطانهم. ويمكن القول بأن سياسة توفير المنح الدراسية للطلاب المنحدرين من دول إفريقيا جنوب الصحراء تمثل أكثر السياسات استدامة والأطول أمدا والتي يتبعها المغرب في الوقت الحالي، فعندما يدرس الطلاب الأفارقة في المغرب ويقيمون فيه فإنهم يرسمون صورة وانطباعًا إيجابيين عن البلد ويرتبطون أكثر بثقافته وينشئون علاقات

---

[278] Echanges Maroc–Afrique subsaharienne, Office des changes, op, cit.

[279] انبعاث أمة ، الجزء الثاني و الستون، القسم الثاني، 1435هـ/2017م، ص 485.

[280] عبد الصمد بن عياد، أوصت دراسة جدوى قدمتها دول المجموعة الاقتصادية لغرب أفريقيا إلى رؤساء الدول والحكومات للمجموعة المعروفة اختصارا بـ "سيدياو"، باعتماد أربع شروط لقبول انضمام المغرب إلى المجموعة الاقتصادية الإقليمية وقدم التقرير/دراسة الجدوى الذي جاء في 66 صفحة، وترجمت أهم فقراته "عربي21"، رؤية دول المجموعة الاقتصادية لغرب أفريقيا، لقضية تأثير انضمام المغرب إلى "سيدياو"، على المستويات السياسية والأمنية والاقتصادية والقانونية، مفرقة بين الإيجابيات والسلبيات، وانتهى بتوصيات إلى رؤساء الدول. الموقع الرسمي ل "عربي 21" www.Arabi21.com/ ، الرباط، 21 دجنبر 2017. زرت الموقع بتاريخ : 29 شتنبر 2024.

محلية مع مواطنيه، ولذلك فإنهم بمجرد عودتهم إلى بلدانهم يدركون الوضع المغربي بصورة أفضل ويتصرفون بمثابة سفراء غير رسميين للمملكة وفي بعض الحالات يتبنون سياسات مؤيدة لها. وعلى هذا النحو، يصبح التعليم مصدرا آخر لقوة المغرب الإقناعية في القارة الإفريقية.

- و على المستوى الاقتصادي: فالاقتصاد المغربي يمكن أن يعزز استقرار الاقتصاد الكلي للتجمع، و بالتالي يعزز التقارب داخل المجموعة ،و ييسر تدفق الاستثمار بينه و بين الدول الأعضاء الحالية ، و يرفع كذلك جاذبيتها للاستثمارات.
- و سجلت الدراسة أيضا إلى أن المغرب مستثمر مهم في المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا، وأن تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر في المغرب تضاعف من 492 مليون دولار سنة 2010 إلى 976 مليون دولار سنة 2014.
- و بخصوص طلب انضمام المغرب إلى المجموعة فتطرقت الدراسة إلى الجوانب القانونية للانضمام و رأت بأنه على المستوى الإجرائي و القانوني فلا شيء يمنع المغرب من الانضمام إلى هذه المجموعة الاقليمية، كل ما هو مطلوب هو إدخال تعديلات إضافية على المعاهدة التأسيسية التي لا تستبعد انضمام عضو جديد.

و دعت الدراسة في حالة التفاهم بين رؤساء الدول على قبول انضمام المغرب إلى المجموعة، بالتزام أربع توصيات:

- إلى تحرير عقد إضافي إلى الاتفاقية المنشئة للمجموعة في 1993، التي تنص على رفض انضمام دول أخرى.
- التنصيص على تطبيق أو تنفيذ بروتوكول حرية التنقل من أجل والأشخاص، وحق الإقامة.
- الإجابة على الأسئلة التقنية المتعلقة، بالعملة الموحدة، والوحدة الجمركية، والضرائب الخارجية المشتركة، وغيرها من عناصر برنامج التكامل الخاص بسيدياو.
- ضرورة التوقيع على اتفاق بين المغرب ودول المجموعة، يضع جدولة زمنية تحدد شكليات وطرق الانضمام.

الفرع الثاني: التحديات التي تواجه المغرب مع المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا.

بغض النظر عن المكتسبات التي سيحققها المغرب من انضمامه إلى المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا، غير أن تأخر الرد على طلب انضمامه، يمكن أن يعطيه فرصة مراجعة قراره، حيث يمكن اختيار شكل آخر كالشراكة المتقدمة عوض الانضمام، لأن الاندماج الكامل سيفرض على المملكة مجموعة من التحديات و العراقيل من قبيل حرية تنقل الأفراد بين بلدان الأعضاء، مما سيضع سياسة المغرب حول اللجوء و الهجرة على المحك، و بالتالي ارتفاع عدد المهاجرين غير الشرعيين الراغبين في الوصول إلى القارة العجوز، دون أن ننسى المشاكل الاجتماعية و الأمنية المحتمل ظهورها جراء هذا القرار، بالإضافة إلى معاناة أغلب دول الاكواس من إرهاب وتنامي ظاهرة الهجرة السرية و الفقر و التهديدات المناخية ، و عدم الاستقرار، كلها عوامل ستشكل امتحانا صعبا للمغرب في حال انضمامه للمجموعة.

في الجانب الاقتصادي ، فخطوة تخلي المغرب عن عملته الوطنية "الدرهم" مقابل العملة الموحدة المرتقبة "إيكو" للمجموعة الاقتصادية خطوة ليست بالسهلة، فرغم أنها سوف تمنح دول المجموعة المزيد من التسهيلات التجارية فيما[281]

[281] جاء إطلاق اسم العملة "إيكو" لمجموعة سيداو، في يونيو 2019 في اجتماع نظمته لجنة المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا في أبيدجان العاصمة الاقتصادية للساحل العاج.

بينها، بالإضافة إلى تحسين مستوى مبادلاتها التجارية على الصعيد العالمي، إلا أن ذلك سينعكس سلبا على اقتصادات المنطقة، نظرا لارتفاع نسبة التضخم و المديونية و عجز ميزانية جل بلدان المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا.

و في نفس السياق فتوحيد العملة سيكون له انعكاس على الاقتصاد الوطني، و سيضطر المغرب إلى تطبيق قواعد السياسة النقدية للمجموعة و كل ما يرتبط بالعملة الموحدة الجديدة، و في الأخير سيتلاشى تصرف المغرب في سياسته و عملته النقدية.[282]

ويمكن للمغرب تبني تجربة بعض دول الاتحاد الأوروبي(السويد، الدانمارك، النرويج....) للحفاظ على عملته الوطنية، فرغم عضوية هذه الدول في الاتحاد الذي اتخذ "اليورو" كعملة موحدة له، إلا أنها حافظت على عملتها الوطنية "الكرونة".

ونضيف هنا أيضا معاكسة نيجيريا للمصالح الاقتصادية و السياسية للمغرب، فرغم حصول هذا الأخير على الموافقة المبدئية للانضمام إلى المجموعة، إلا أن العضوية الكاملة لم تتأتى بعد بسبب معارضة نيجيريا و خوفها من المنافسة المغربية حيث تعتبر القوة المهيمنة الفعلية في هذه المنظمة.[283]

وقد ساهم تعطل الاتحاد المغاربي في شمال إفريقيا بسبب خلاف دول أعضائه في زيادة مخاوف المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا في أن تحمل هذه الدول المغاربية مشاكلها إلى المجموعة، للإشارة فقد وضعت تونس طلبا لدى المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا من أجل الحصول على صفة مراقب، بالإضافة إلى طلب موريتانيا لنيل صفة شريك اقتصادي للمجموعة ، و هذان الطلبان يشكلان عائقا في وجه الرباط، خصوصا في ظل الحديث عن مطلب جزائري في الدخول إلى هذا التكتل. لكن الطلب المغربي يتوفر على امتيازات مقارنة مع الدول التي تنافسه في مسألة الانضمام ، بالإضافة إلى أنه مبني على قواعد اقتصادية و سياسية متينة بحكم العلاقات التي تجمعه مع كثير من البلدان الإفريقية والإصلاحات الدينية التي دشنتها المملكة منذ سنة 2004، و تجربته في محاربة التطرف و هيكلة المجال الديني بصفة عامة[284].

وأخيرا يجب الأخذ بعين الاعتبار مجموعة من المعطيات التي تخيم بظلالها على منطقة التجمع في حالة قبول انضمام المغرب إليها من قبيل:

-تفشي الفساد في دول المنطقة

---

[282] رشيد الخلوقي "البعد الإفريقي في السياسة الخارجية المغربية المعاصرة"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الأول، وجدة، 2021/2020، ص 301.

[283] امرؤ القيس طلحة، مرجع سابق.

[284] تصريح الأستاذ خالد الشكراوي، الأستاذ الجامعي المتخصص في الشؤون الإفريقية و العلاقات الدولية، خلال الندوة التي نظمها باحثو مركز افريقيا و الشرق الأوساط للدراسات بالرباط، يوم الثلاثاء 19 دجنبر 2017 وذلك بمناسبة صدور تقرير الدراسة حول انضمام المغرب إلى سيداو والتي أنجزتها البلدان الأعضاء للمجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا.

-إخفاق تحقيق ورش الديمقراطية و كثرة الانقلابات.

-الإرهاب و الجريمة العابرة للحدود و الهجرة غير الشرعية.

-الفقر و الهشاشة .

-الاختلاف و التعدد الاثني و الديني.

خاتمة:

في الختام، أردنا من هذا البحث رصد أهم المفاهيم التي تنبني عليها العلاقات المغربية بدول غرب إفريقيا، بعد طلب المغرب الانضمام إليها و التي تهدف إلى إقامة علاقة متينة و تحقيق تنمية شاملة قوامها الاقتصاد التنموي و الانفتاح على إفريقيا، كما أنها مبادرة تمثل العناية الممتدة للملك لإفريقيا و منطقة غرب إفريقيا خاصة، فرغم الايجابيات و المكاسب التي ستجنيها المملكة من هذا التكتل إلا أن هناك سلبيات و عقبات في المقابل أثرت بشكل استباقي و ساهمت في التأخر للاستجابة لطلب العضوية، مما يستوجب بلورة تصور و استراتيجية واضحة تذلل كل العقبات وتعجل و في هذا الصدد يمكن استثمار توصيات المجلس الاقتصادي و الاجتماعي في هذا الملف حيث أوصى ب[285]:

- استكمال دراسة الأثر المتعلقة بانضمام المغرب إلى المجموعة الاقتصادية لبلدان غرب إفريقيا بالتشاور مع القطاع الخاص و المجتمع المدني والعمل على انتهاج مقاربة قطاعية في إنجاز هذه الدراسة.
- تعزيز العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع دول غرب إفريقيا، في أفق انضمام المغرب للمجموعة الاقتصادية لبلدان غرب إفريقيا (سيداو).

لائحة المراجع:

الكتب:

- زكرياء أقنوش، "محاور استراتيجية الملك محمد السادس لإعادة تموقع المملكة المغربية داخل المنتظم الدولي"، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 2017.

الأطروحات:

- اسماعيل حمودي " السياسة الأمنية للمغرب الراهن- دراسة في المحددات و الفاعلين و القضايا"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام و العلوم السياسية، كلية العلوم القانونية و الاقتصادية و الاجتماعية ، سلا، 2017-2018.

[285] رأي المجلس الاقتصادي و الاجتماعي و البيئي، "الاندماج الإقليمي للمغرب في إفريقيا من أجلبلورة استراتيجية في خدمة تنمية مستدامة مع إفريقيا"، إحالة ذاتية رقم 46/2020، ص 46.

- رشيد الخلوقي "البعد الإفريقي في السياسة الخارجية المغربية المعاصرة"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الأول، وجدة، 2021/2020.

المقالات:

-الحسان بوقنطار "السياسة الخارجية المغربية2000-2013" منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية و التنمية، سلسلة "مواضيع الساعة"، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 2014 .

- انبعاث أمة (مجلة)، الجزء التاسع و الخمسون، الجزء الواحد و الستون و الجزء الثاني و الستون، القسم الثاني، 1435هـ/2017م.
-حكمات العبد الرحمان استراتيجية الوجود الصيني في إفريقيا، مجلة سياسات عربية، العدد 22 ، 2016.
- سعيد الصديقي، "السياسة الخارجية المغربية فوق رمال متحركة" المعهد المغربي لتحليل السياسات، أبريل 2018.

-عبد الله عبد الرزاق ابراهيم و شوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث و المعاصر، منشورات البحوث و الدراسات الإفريقية، القاهرة، سنة 1998.

-محمد جدوبي، "الاتحاد المغاربي مشروع و حدوي معطل"، مجلة البوغاز للدراسات القانونية و القضائية، الجزء الأول من العدد المزدوج 34-35 يونيو 2024.

المقالات إلكترونية:

-امرؤ القيس طلحة، المغرب- الايكواس: النوايا الحسنة ليست كافية، المعهد المغربي لتحليل السياسات www.mipa.institue/7602
- أمينة حميدي، "دور المغرب في التنمية و حفظ السلام بإفريقيا"، المنهل.https://platform.almanhal.com/Details/Article/129953 .
- عبد الصمد بن عياد، دراسة جدوى قدمتها دول المجموعة الاقتصادية لغرب أفريقيا إلى رؤساء الدول والحكومات للمجموعة المعروفة اختصارا بـ "سيدياو"، 66 صفحة، وترجمت أهم فقراته "عربي21"، رؤية دول المجموعة الاقتصادية لغرب أفريقيا، لقضية تأثير انضمام المغرب إلى "سيدياو"، الموقع الرسمي ل "عربي 21" www.Arabi21.com/ ، الرباط، 21 دجنبر 2017.
-وكالة المغرب العربي للأنباء، الاجتماع الطارئ للاتحاد الإفريقي بشأن "فيروس كورونا".. المغرب يؤكد انخراطه على الصعيد القاري للإفادة من تجربته و خبرته، اطلعت على المقال بموقع http://www.mapexpress.ma/

التقارير:

- رأي المجلس الاقتصادي و الاجتماعي و البيئي، "الاندماج الإقليمي للمغرب في إفريقيا من أجل بلورة استراتيجية في خدمة تنمية مستدامة مع إفريقيا"، إحالة ذاتية رقم 46/2020، ص 46.

- عبد الخالق التهامي:" أنبوب الغاز بين نيجيريا و المغرب، أهداف استراتيجية و رهانات و تحديات". تقرير صادر عن مكتب الجزيرة للدراسات، الدوحة قطر، 2017، ص 4.

الندوات:

-تصريح الأستاذ خالد الشكراوي، الأستاذ الجامعي المتخصص في الشؤون الإفريقية و العلاقات الدولية، خلال الندوة التي نظمها باحثو مركز افريقيا و الشرق الأوساط للدراسات بالرباط، يوم الثلاثاء 19 دجنبر 2017 وذلك بمناسبة صدور تقرير الدراسة حول انضمام المغرب إلى سيداو والتي أنجزتها البلدان الأعضاء للمجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا.

المو اقع الإلكترونية:

-https://www.aljazeera.net/encyclopedia موقع الجزيرة

-Le site officiel de l'Union économique et monétaire ouest-africaine(UEMOA). http://www.finbase-uemoa.org/

المراجع بالفرنسية:

-Alain Antil, Le royaume et sa politique envers l'Afrique sub-saharienne, Institut Français des Relations Internationales (IFRI), Novembre 2003.

-Développement des entreprises Marocaines en Afrique: Réalité et perspectives, Direction des études et des prévisions financières (DEPF), Policy Africa, novembre 2018.

-Etude de Département des Statistiques des Echanges Extérieurs(2017) Echanges Maroc-Afrique Subsaharienne, office des changes, Ministère de l'économie et des Finances, Royaume du Maroc, Rabat, 2017.

-Maroc-Cedeao, Cadre règlementaire et évolution des échanges extérieurs (commerce et investissements), Ministère de l'économie et de Finances, office des changes2017 .

-Mohamed Adam El Hani, Fatima Hamdaoui et Anas Saidi (2018) Echange Commerciaux Maroc-CEDEAO, Opportunités par pays et par produit, DEPT Policy Africa, Ministère de l'économie et des Finances, Direction des Etudes et des prévisions financières 2018.

-Relation Maroc-Afrique : L'ambition d'une nouvelle frontière, Direction des études et des prévisions financières, Septembre 2014.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

التهديدات اللاتماثلية وضرورة التنسيق في منطقة الساحل الافريقي

أونايسية سمية

جامعة 08 ماي 1945 بقالمة الجزائر، قسم العلوم السياسية

Ounaissiasoumia@gmail.com

الملخص:

سنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على التهديدات الأمنية الجديدة في الساحل الافريقي، الذي تأثر بالإخطار التي فرضت نفسها، حيث شهدنا مرحلة نشوب نزاعات داخلية وتأزما للأوضاع في منطقة الساحل الافريقي وجنوب الصحراء، كظهور التنظيمات الإرهابية، فشل الدول، ناهيك على ما عاشته من تحولات سياسية انقلابات واغتيالات، مما جعل هذا التهديد ينتقل إلى خارج حدوده منذ نهاية **2010** في كل من ليبيا ومالي، وبذلك أصبح فضاء الساحل يشكل معضلة أمنية حقيقية وهذا الشيء الذي يعجل من محاولة التصدي لخطورة التهديد وموجتها في إطار تعاوني امني شمولي أمرا عاجلا.

الكلمات المفتاحية: الساحل الإفريقي، التهديدات اللاتماثلية، التنسيق الأمني

Abstract :

In this research paper, we will try to shed light on the new securit inthreats in the African coast, which were affected by the dangers that imposed themselves, as we witnessed the outbreak of inter nal conflicts and the crises of the situations in the Sahel and sub-Saharan regions, such as the emergence of terrorist originations, the failure of the state, not to mention the political transformations it experience Coups and assassinations, which made this threat move outside its borders since the end 2010 in both Libya and mali, and thus the sahel space has become a real security dilemma, and this thing makes the attempt to confront the threat and its wave within a comprehensive cooperative framework is an urgent matter.

Key words: the African coast, asymmetric threats, security coordination.

مقدمة:

شكلت نهاية الحرب الباردة محطة فارقة في العلاقات الدولية تنظيرا وممارسة والبحث عن أفاق معرفية خارج حدود التصورات التقليدية، في الوقت ذاته أحدثت تغيرات على مستوى سلوكيات جديدة في الساحة الدولية، وانعكست على بنية النظام الدولي.

تعتبر منطقة الساحل فضاء واسع نظرا لخصائصها الجيوستراتيجية التي تحظى بها، الا أنها ظلت مهمشة لسنوات لتأثرها بالتغيرات الحادثة في النسق الدولي، فضلا عن الانقسامات التي تعيشها سياسة حكوماتها، مما أنتج تهديدات لا تماثلية

جديدة التي زادت الوضع تعقيدا وانعكست على الأمن الإقليمي للمنطقة، مما جعلها بيئة مضطربة على حد تعبير "روبرت جريفس ".

مما استدعى تضافر الجهود الإقليمية المطلوبة للتعاون وتحقيق الجماعة الآمنة تبعا للخصائص التي تجمع المنطقة (عرقية، دينية)، وكذلك وفقا لتصوراتها الأمنية في قضايا الهجرة والإرهاب والفشل الدولاتي، كلها تحديات مشتركة ذات أبعاد سياسة وأمنية تتفاعل من خلال إقليمها، وهذا يتطلب مواجهة في إطار مؤسساتي.

الإشكالية:

تحاول هذه الأوراق البحثية الوصول إلى إطار معرفي حول التهديدات اللاتماثلية في منطقة الساحل الافريقي وضرورة التنسيق الأمني والكشف عن ابرز المضامين الأساسية انطلاقا من الإشكالية التالية:

- ماهي التهديدات اللاتماثلية في منطقة الساحل الافريقي؟ وكيف تعاملت الدول مع هذه الظاهرة؟

الفرضيات:

- تتزايد نشاطات الإرهابية بمنطقة الساحل الإفريقي بسبب الإنفلات الأمني الذي تشهده دول المنطقة.
- تكرس كل من دول المنطقة استراتجيات هامة لتخفيف من حدة تفاقم التهديدات نحو البلدان المجاورة كالجزائر.

أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الدراسة

- ✓ نستمد أهميتها وقيمتها العلمية والواقعية من أن الأمن هو قيمة ثابتة لابد من الحفاظ عليه، وذلك من خلال معرفة مهددات الأمنية الجديدة في منطقة الساحل، وربطها بالتحولات الحاصلة في البيئة الدولية.
- ✓ الكشف عن احتوائها والحد من تفاقمها وخطورتها العابرة للحدود، لاسيما أننا في بيئة أمنية جد معقدة تحكمها حالة "اللايقين" .

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها:

- ✓ ضبط البيئة الأمنية في منطقة الساحل من خلال تفسير وتحليل التهديدات اللاتماثلية وكذلك التنسيقات الأمنية في ظل التحولات المتسارعة.

هيكلة البحث:

تنقسم الدراسة إلى ثلاثة عناصر أساسية إضافة إلى المقدمة والخاتمة.

المحور الأول: التهديدات اللاتماثلية في منطقة الساحل الافريقي.

المحور الثاني: الأمن كمحدد لبناء السلام في المنطقة.

المحور الثالث: التنسيق الأمني في إطار التهديدات اللاتماثلية.

المحور الأول: التهديدات اللاتماثلية في منطقة الساحل الافريقي

أولا: التنظيمات الإرهابية

1/ حركة أنصار الدين:

تمثل التيار السلفي الجهادي في الطوارق شمال مالي وتسعى إلى إقامة الشريعة الإسلامية، زعمها أباد آغ أغالي المكنى أبو الفضل، وفي عام 2011 لم تتفق هذه الجماعة مع الحركة الوطنية لتحرير الأزواد التي كانت تسعى إلى إقامة دولة مدنية، مما دفع بآباد أغ أغالي للتوجه نحو القاعدة وهنا بدأ التواصل والعمل تحت شعار التمكين للإصلاح في أرض أزواد، تأسست في نوفمبر 2011 من طرف زعيم الطوارق الذي يتمتع بنفوذ كبير في منطقة شمال مالي، وترتكز في شمال مالي حيث كان زعمها ضمن حركة الأزواد المتمردة في شمال مالي في جدة بالمملكة العربية السعودية ومع سقوط نظام القذافي تحول الفكر الجهادي إلى العمل الجهادي والنشاطات الإرهابية في المنطقة.[286]

2/ قاعدة بلاد المغرب الإسلامي:

يعد تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي أبرز وأقدم تنظيم في المنطقة، وقد انبثق عن الجماعة السلفية للدعوة والقتال التي أعلنت انضمامها إلى تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن في سنة 2006، وفي 27 جانفي 2007 تأسس رسميا هذا الأخير بقيادة الجزائري حرى أبو الهمام، متخذا من منطقة الساحل الإفريقي مستقرا لها في ظل الفراغ الأمني والسياسي الذي يميزها وعدم وجود أي قوة عسكرية أو سياسية تسيطر عليها باعتبارها صحاري فارغة وممتدة الأطراف، وبالنظر للضربات القوية التي تعرضت لها من قبل الجيش الجزائري، قررت قياداتها البحث عن مناطق تكون فيها محمية من هذه الضربات وتوفر لها الأنصار والتمويل وحرية التنقل في ممارسة نشاطها، وهو ما وجدته في الطبيعة الجغرافية لمنطقة الساحل الافريقي[287].

---

[286] – فؤاد جدو، " دور المحدد الأمني في صناعة السياسة الخارجية الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي"(أطروحة دكتوراه ، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2018) ، 144.

[287]- Alain Rodier, «Le Sahel, terrain de jeu d'Alquaida au Maghreb Islamique (AQMI) », Note d'Actualité,
N°172, (Centre Français de Recherche sur le Renseignement), Mai 2009, p2.

وينشط تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي على امتداد جنوب الصحراء الجزائرية مرورا بمالي ،موريتانيا، النيجر، التشاد، ليبيا وتونس، ويستغل التنظيم عدم الاستقرار في دول المنطقة سواء بالنظر لموجة الاحتجاجات الشعبية في كل من تونس وليبيا، والفراغ الأمني، حيث تنشط بالتحالف مع تنظيمات الجريمة المنظمة كتنظيمات الاتجار بالبشر أو الاتجار بالمخدرات والأسلحة غير مشروعة خصوصا بعد سقوط النظام الليبي للراحل معمر القذافي وسقوط الأسلحة النظامية بأيدي الجماعات الإرهابية والميليشيات المختلفة المحكومة بالانتماءات القبلية والجهوية وهو ما كرس عدم الاستقرار في المنطقة.[288]

وتمثل منطقة إفريقيا مجالا مثاليا بالنسبة للجماعات الإرهابية بما توفره لها من ظروف مناسبة لممارسة مختلف أنشطتها، ومن أهمها:

- ✓ توفر نطاق جغرافي يتميز بالشساعة وقلة الكثافة السكانية، إضافة إلى ما تتيحه الطبيعة الصحراوية من إمكانيات الاختباء، بشكل يسهّل على الجماعات الإرهابية ممارسة نشاطاتها ونقلها عبر مختلف مناطق الساحل الإفريقي.
- ✓ تواجد الإيديولوجية السلفية بقوة بمنطقة إفريقيا، إبتداءا من تسعينيات القرن الماضي، في كل من الجزائر وليبيا وتوسعت إلى باقي دول المنطقة بالإضافة إلى وجود جماعات إرهابية في دول الساحل الإفريقي، مثل" الجماعة السلفية للدعوة والقتال" الناشطة في الجزائر.
- ✓ وجود ما يسمى بالمنطقة الرمادية، في إفريقيا، وهي تعد ميدانا ملائما لتنقلات المهربين للسلاح والمخدرات وكل أنواع الجريمة المنظّمة، فهي تتيح الكسب السريع للجماعات الإرهابية والإجرامية.
- ✓ عدم الاستقرار السياسي الذي يميّز المنطقة، بحيث تنتشر فيها الأزمات الداخلية والإقليمية مثل أزمة ليبيا ومالي منذ 2012 ، بالإضافة إلى ضعف معظم دول المنطقة ما يجعلها غير قادرة على حماية إقليمها وحدودها بشكل جيد نظرا لمحدودية دفاعها العسكري.
- ✓ تفشي مظاهر التخلف والفقر والأمراض والأوبئة الخطيرة، وكذلك المجاعة نظرا للمناخ الذي يزيد من خطورة الظواهر المتعلقة بالتصحر، والتنظيمات الإرهابية في المنطقة تستغلّ فقر سكان المنطقة وسوء أوضاعهم المعيشية لكسب مساندتهم.[289]

---

[288] – توفيق بوستي،" النشاط المسلح و وجود عدم استقرار حالة الفشل الدولاتي في إفريقيا"(ورقة بحثية مقدمة في ملتقى وطني حول دراسات المناطق في العلاقات الدولية: المناهج والتطبيقات، مجمع هيليوبوليس بقالمة، 22 أكتوبر، 2018).

[289] - Et :Jeremy KENNAN، **« The challenge of Security in the Sahel : the Algerian Moroccan and Libyan perspectives »,school of oriental and African studies 2011 , p3.**

3 / تنظيم بوكو حرام:

حركة إسلامية تأسست على يد محمد يوسف في 2002 في شرق نيجيريا لتكون حركة طلابية ملتزمة، ثم توسعت إلى كامل التراب النيجيري وحتى منطقة الساحل الافريقي، وفي 2009 استطاعت الحكومة القضاء على التنظيم بضرب مؤسساته الفعلية، لكن سرعان ما عادت بتنفيذ عمليات إرهابية فنفذت احدى عشرة هجوم في نفس السنة مخلفة خسائر كبيرة، وفي سنة 2011 تم الهجوم على مكاتب الاقتراع، وهذا الأخير عكس الاستراتيجية التكتيكية للتنظيم.[290]

4/ تنظيم كتيبة المرابطين في مالي:

هي جماعة جهادية عنيفة في الساحل وغرب أفريقيا تهدف لتطبيق الشريعة الإسلامية تشكلت في عام 2013 نتيجة إندماج بين كتيبة الملثمين وحركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، ولا يخفى أن كلتيهما كانت من فصائل تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، ويرى المرابطون أن عليهم واجب تطبيق الشريعة الإسلامية لتوحيد المسلمين والحركات الإسلامية في أفريقيا لمواجهة التأثيرات العلمانية وغير الإسلامية، وقد أعلنت الجماعة أنها تستهدف فرنسا والمصالح الفرنسية في المنطقة، حيث أضحى هدف الجماعة المعلن هو هزيمة فرنسا وحلفائها في المنطقة، وقد أعلن المؤسس المشارك للكتيبة عدنان الصحراوي ولاء الجماعة لتنظيم داعش في ماي 2015، بدا أن مختار بلمختار رفض هذه البيعة مؤكدا ولاءه لتنظيم القاعدة في غرب أفريقيا.[291]

وفي ديسمبر 2015 وفد إندمج المرابطون مع تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي بعد هجوم مشترك على فندق رايسون بلو في باماكو العاصمة المالية، ومنذ وقوع هذا الهجوم قام المرابطون بدور قيادي في عمليات تنظيم القاعدة في المنطقة.

5/ تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) :

ارتفع تتدفق الارهابين بشكل كبير من النقاط الساخنة في الشرق الأوسط خصوصا سوريا والعراق في دول منطقة الساحل الافريقي مثلما حدث في الجزائر مع عبد المالك غوري زعيم وجند الخلافة الذي قضت عليه قوات الأمن الجزائرية اثر محاولته إدخال تنظيم داعش للجزائر وفي المغرب ألقت الأجهزة الحكومية القبض على المجند المرتبط مع جهة النصرة في سوريا وأنصار الشريعة في ليبيا. ووفقا لمصادر الأمم المتحدة فضلا عن تقارير استخباراتية، فقد أقسم الأكثر من 40 منطقة إرهابية حول العالم بالولاء والدعم لداعش 20 منها في منطقتي الساحل الافريقي والمغرب العربي وأماكن أخرى في إفريقيا.[292]

---

[290] – نسيم بهلول و نسيمة حمدان،" الحرب على الإرهاب في منطقتي الشرق والغرب الافريقي وأثرها على الأمن الإقليمي"، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني 01 (2020): 19.

[291]- Black, andrew, monitor, mokhtar belmokhtar the algerian jihad s southern amir , terrorism monitor, vol 6,issue12,mai 8 2009,p2.

[292] – خالد بشكيط ،" التهديدات اللاتماثلية في منطقة الساحل الافريقي : الإرهاب والجريمة المنظمة دراسة في حدود العلاقة " ، مجلة الأبحاث قانونية وسياسية 06 (2018) : 08.

ثانيا/ نشاطات الجريمة المنظمة في منطقة الساحل الافريقي:

تمثل الجريمة المنظمة احدى الاهتمامات الأمنية نتيجة التعقيد والخطورة على المجتمع، فضلا عن التأثير على امن الدول التي تنشط عبرها وخارجها، فهي تقوم بها جماعة منظمة بهدف تحقيق منفعة مادية بطريقة غير مباشرة ومنها الاتجار بالأسلحة الخفيفة التي زاد استخدامها بعد سقوط النظام الليبي من جهة، ودور الدول الكبرى في التخلص من الأسلحة ذات العيار الخفيف التي تعود إلى الحرب الباردة. كذلك جرائم المخدرات حيث تشير التقارير إلى إنتاج الاميفامين في السنغال بنسبة **80%** أي ما يعادل **150** كلغ، وفي سنة **2013** وصلت نسبتها إلى **100%** .[293]

لقد أصبحت الجريمة المنظمة خطر حقيقي على دول المنطقة كونها تمثلها بنيات مؤسساتية ذات الارتباط بأطراف خارجية فعالة.

ثالثا/ الهجرة غير شرعية في منطقة الساحل الافريقي:

ينتج عن ظاهرة الهجرة غير الشرعية عدم الاستقرار غير السياسي والفساد المالي والأخلاقي والصحي وتشكل هذه الظاهرة خطرا على أمن الدول خاصة الشريط الحدودي، فضلا عن اقترانه بتهريب البشر وكل أشكال الجريمة المنظمة، كما ينشط المهاجرين بتهريب الآثار والتحف القيمة، فهناك علاقة بين المهاجرين غير الشرعيين والإرهاب والشبكات المتخصصة في إدخال المهاجرين، فقد أثبتت التحقيقات الأمنية بأن هناك علاقة مصلحة تكمن في تبادل معلومات حول تحركات قوات الأمن واستفادة الإرهابيين من هذا الوضع وتحقيق ربح سريع وتدعيم الجماعات الإرهابية بالأسلحة.[294]

المحور الثاني: الأمن كمحدد لبناء السلام في المنطقة

أولا : ثقافة الحوار مفتاح السلام في منطقة الساحل الافريقي

للتربية دور مهم في ترسيخ ثقافة الحوار داخل المجتمع وما بين المجتمعات حيث يعرف **فريديك مايور** ثقافة السلام هي ثقافة التعايش والتشارك المبنية على مبادئ الحرية والعدالة الديمقراطية والتسامح والتضامن، فهي ثقافة ترفض العنف وتشبث الوقاية من النزاعات في منابعها وحلها بالطرق السلمية، ولتحقيق الأمن في منطقة الساحل وجب نشر هذه المفاهيم داخل المجتمعات ومحاربة كل أشكال التهديد وذلك انطلاقا من:

---

[293] – نصير خلفة،" رهانات التهديدات الأمنية في منطقة الساحل الافريقي وانعكاساتها على الدوائر الجيوسياسية والأمنية الجزائرية"، مجلة البحوث و الحقوق والعلوم السياسية 02 (2018) : 13.

[294] – صبيحة بخوش،" الهجرة غير شرعية وتداعياتها على منطقة شمال إفريقيا الجزائر نموذجا "، مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل 01(2018) : 299.

✓ البحث عن المسببات الرئيسية والمباشرة لظهور هذا النوع من التهديد، التي يترتب عليها حالة للأمن، وتكون مهمتها الكشف عن المظاهر التي تدفع إلى تأجيج الوضع أو العكس، وقد تساهم في التخفيف في حدة الوضع الأمني عكس ما عليه في الواقع.

✓ تهتم بتحليل الوضع تحليلا عميقا بالبحث عن جذورها التاريخية، وكذلك الثقافات لعميقة والوعي الجماعي لهذه المجتمعات.[295]

ثانيا: ضرورة استيعاب التهديدات اللاتماثلية في ظل التحولات المتسارعة

لقد كانت لأحداث **11** سبتمبر **2001** الدور كبير في تحول نوعية ونمط الإرهاب، حيث رفعت العديد من المناطق نشاطا تصاعديا في حركة التنظيمات الإرهابية، تعتمد على آليات و وسائل أكثر واشد خطورة، كان أهمها إطلاق تنظيم القاعدة ببلاد المغرب، هذا التنظيم له امتدادات في المنطقة ككل، حيث أصبح القوس الساحلي في السنوات الأخيرة يمثل ممرا مهما وملاذا آمنا للعديد من الجماعات الإجرامية والإرهابية، نظرا لما توفره المنطقة من تسهيلات لوجستيكية وتكتيكية للتحضير والإعداد للعمليات الإرهابية لتسهيل انطلاقها عبر أهداف محددة في المناطق المجاورة أو حتى نحو أهداف بعيدة.[296]

ثالثا: ضعف وهشاشة دول منطقة الساحل الافريقي

يشكل ضعف الدول الفاشلة تهديدا خطيرا للدولة في حد ذاتها وإقليمها وهذا ينطبق على منطقة الساحل الافريقي غير القادرة على تكوين هوية سياسية أو اجتماعية واحدة مما سهل ظهور جماعات إرهابية والجماعات المنظمة تبعا للظروف الآتية:

✓ غياب الاستثمارات والظروف الاقتصادية المتخلفة من بطالة، فقر وفساد فمعظم دول المنطقة غير قادرة على أداء صلاحياتها السيادية بقوة.

✓ إن غياب الدولة في هذه المنطقة نعمة للقاعدة في المغرب الإسلامي لأنه يعزز وجودها في المنطقة بالشكل الذي فيه زعزعة الاستقرار الأمني.[297]

---

[295] – محي الدين إسماعيل النهي ، تحولات العلاقات السياسية والدولية وتداعياتها على الصعيد العالمي (الإسكندرية : مكتبة الوفاء القانونية، 2014) ، 209.

[296] – أحمد طالب أبصير، " المشكلة الامنية في منطقة الساحل الافريقي" (مذكرة ماجستر ، جامعة الجزائر 03، 2010) 19.

[297] - William Assanvo, « Etat de La Menace Terroriste en Afrique de L'ouest, » **note d'analyse** n° 12, Observatoire de la vie diplomatique en Afrique, juillet 2012, P.17

رابعا: غياب وضعف التنمية

يبرز الفقر الذي يسيطر على معظم دول المنطقة بنسب مرتفعة ومختلفة، وكذلك الأمية، فدول الساحل تعاني من نقص في قدرات إستيعاب الأعداد الراغبة في التعلم، أما التحديات الثقافية فتبرز في التركيبة الاجتماعية التي تهيمن على الدولة في إفريقيا واللاعقلانية واللافعالية اللتين تميز إدارة عملية التنوع الديني واللغوي والإثني.[298]

خامسا: العجز الديمقراطي وغياب الحكم الراشد

أدى سوء الحكم من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية غير فعالة إلى تفاقم التهديدات اللاتماثلية مما أوضح العجز الأول من قبل النخب السياسية من حيث التزام المبادئ العام وهو ما أثر على العديد من القطاعات في هذه الدول خاصة الأكثر حساسية ممثلا للدفاع والأمن، مما جعلها غير قادرة على أداء مهامها بكفاءة وفعالية.

سادسا: أزمة التغلغل

ويقصد بها عدم التواجد الفعّال للحكومة المركزية على كامل أقاليمها التي يفترض بها ممارسة سلطاتها الداخلية، وأن تغلغل الحكومة داخل سائر أرجاء إقليم دولتها من شأنه أن يوطد أركان الاستقرار السياسي في تلك الدولة، إن ضعف الدول في ممارسة الرقابة على المجال مرتبط بمشكلة بنيوية لتشكل الدول، فالرقابة على المجالات الصحراوية الواسعة لا تشبه الرقابة على السهول الصالحة للزراعة، ففي الأخيرة تميل الجماعات إلى تنظيم نفسها سريعا للاستفادة من عائدات السهول، أما الصحراء تركز الحكومات جهودها على أماكن الثروة مثل حقول النفط، وتحتاج الدولة إلى موارد هائلة لممارسة مستوى دائم من التأهب الأمني والعسكري في الصحراء، فالدولة في الساحل والصحراء تعيش صعوبات في الجغرافيا السياسية الداخلية، نظرا لعدم التحكم والسيطرة على أراضيها الشاسعة، ومرد ذلك إلى قلة الإمكانيات المتاحة والفشل الذي تعيشه، وهو الأمر الذي من شأنه أن يغذي حالة عدم الاستقرار في هذه المنطقة، من خلال تقاسم فواعل من غير الدول السلطة مع السلطة المركزية، وهو ما جعل العديد من الخبراء يعتقدون أن منطقة الساحل والصحراء منطقة تعاني من سوء الإدارة والتسيير، ولذا فإن إنكشافية الدولة في الساحل والصحراء في العمق تنبع من إنكشافية الدولة نفسها.[299]

سابعا: الأزمة الليبية كعامل استقطاب للإرهاب

[298] - Badredine arfis,state collapse in a new theoretical framework the case of yugoslavia, international journal of sociology,vol 28,no.3(1998),pp15 -16.

[299] – مصطفى موسى محمد على،" أثر بناء الدولة على التهديدات الأمنية اللاتماثلية في منطقة الساحل والصحراء "، مجلة دفاتر السياسة والقانون 01 (2020): 08.

أدى تدخل حلف الناتو لإسقاط النظام الليبي إلى نتائج كارثية على منطقة الساحل الافريقي منها تزايد النشاطات الإرهابية وذلك لانتشار الأسلحة جديدة من العيار الثقيل على اثر تدخل حلف الناتو الذي تغاضى على عملية النهب، مما ساعد على انتقاله للدول المجاورة خاصة شمال مالي.[300]

المحور الثالث : التنسيق الأمني في إطار التهديدات اللاتماثلية

أولا: على مستوى المنظمات الإقليمية:

لقد أصبح لإفريقيا تجربة تستحق الذكر في مجال التنسيق والعمل الجماعي لفض النزاعات وتنظيم العلاقات على المستوى الافريقي منذ الاستقلال، وأول خطوة هي إنشاء منظمة الوحدة الإفريقية في 1963، ثم أصبح الاتحاد الافريقي سنة 2000 ويعتمد على إرادة الدول الأعضاء للاستجابة لمجموع التهديدات التي تكررت حول تدعيم استقلال الدول الحديثة، ونتيجة التغيرات التي طرأت على الساحة الدولية بسبب تطور التهديدات والمخاطر خاصة الإرهاب لجأت منظمة الوحدة الإفريقية إلى تكثيف جهودها لمكافحة الإرهاب، حيث تم عقد اتفاقية منظمة الوحدة الإفريقية الخاصة بمكافحة الإرهاب في 1999، التي جاءت بعد تفجيري كينيا وتنزانيا في 1998، وتبنى الاتحاد أيضا خطة عمل سنة 2002 حول مكافحة الجريمة، وكذلك إبرام القانون النموذجي الافريقي في مجال مكافحة الإرهاب.[301]

وتجدر الإشارة أنه تم في لقاء الجزائر تعهد الدول المشاركة في إنشاء المركز الإفريقي للدراسات والأبحاث حول الإرهاب والذي يقوم بالبحث في مناطق تحرك الجماعات الإرهابية والسبل الثقيلة لمحاربة الظاهرة من طرف الاتحاد الافريقي ويضم 20 خبيرا في مكافحة الإرهاب.[302]

وفي ظل التهديدات التي تهدد دول الجماعة الاقتصادية ودول الساحل كافة، قامت المنظمة بوضع برنامج عالمي لمكافحة تبييض الأموال وعائدات الجريمة المنظمة وتمويل الإرهاب، الذي يهدف إلى تعزيز نظم تلك الدول خاصة فيما يتعلق بمكافحة تبييض الأموال وتمويل الإرهاب على مدى الفترة 2013/2012، كما نظم البرنامج المذكور عدة أحداث لإذكاء الوعي وتوفير التدريب لصالح مختلف الجهات المعنية بمكافحة الإرهاب ولاسيما وحدات الاستخبارات المالية وأجهزة إنقاذ القانون والقضاة إضافة إلى إقامة حلقة عمل في السنغال 2013 لمحاربة الجريمة المنظمة.[303]

---

[300] – محمد حنشي،" أثر الأزمة الليبية على الأمن في منطقة الساحل: نحو نزع طابع التهديد الأمني عن انهيار الدولة في ليبيا"(ورقة بحثية مقدمة حول يوم دراسي بعنوان: دور الجزائر كلاعب أساسي في منطقة المتوسط ومنطقة الساحل، جامعة تيزي وزو، المعهد الدنيماركي للدراسات الدولية كوبنهاغن، 26 فيفري،2014).

[301] – أحمد إبراهيم محمود،" الأمن الإقليمي في إفريقيا نظرة تقيميه "، مجلة السياسة الدولية 42 (2007) : 68.

[302] – أحمد إبراهيم محمود، الأمن الإقليمي في إفريقيا ، 70.

[303] – تقرير منظمة الاكواس، الحالة الراهنة فيما يتعلق بالتعاون الإقليمي ودون الإقليمي على مكافحة الاتِّجار بالمخدِّرات، HONLAF/24/CRP.1 ، جويلية 2014 ، 07.

ثانيا: على مستوى تعدد الأطراف

عقدت الجزائر يومي 16-17 مارس 2010 بمشاركة وزراء الشؤون الخارجية وممثلين لسبع دول هي الجزائر، بوركينافاسو، النيجر، مالي، تشاد وليبيا وموريتانيا لبحث الوضع الأمني في المنطقة، وضرورة تنسيق الجهود لمواجهة التهديد، وقد أكد وزير الخارجية الجزائري مراد مدلسي في احدى الندوات أن الاجتماع يدل على الإدراك بأن السلام والأمن ضروريات لتطور الساحل الافريقي، حيث بات الإرهاب الذي يشهد تطورات خطيرة وتحالفاته مع الجريمة المنظمة يطرحان تهديدات حقيقية.[304]

1/ مشروع الطريق العابر لصحراء إفريقيا:

من الناحية التاريخية يعتبر الطريق العابر للصحراء أول مشروع إفريقي من نوعه يدخل في سياق البرنامج الإفريقي للهياكل الأساسية للطرقات على مستوى القارة والذي يغطي تسعة طرق رئيسية من شأنها ربط جميع عواصم الدول الإفريقية، بغية ترقية التنمية والتكامل الاقتصادي والاجتماعي للقارة ويربط بين ستة بلدان هي الجزائر، تونس، مالي النيجر، تشاد ونيجيريا، كما يساهم في زيادة نسبة المبادلات التجارية بين هذه البلدان وتحسين الظروف المعيشية لشعوب المنطقة بكسر العزلة عن المناطق الصحراوية وتطوير المبادلات التجارية والثقافية بين الشعوب الجارة.[305]

ويعتبر البديل الوحيد الرابط لنقل البضائع عوض الوسائل المختلفة الأخرى التي تبدي عجزا كبيرا فالسكك الحديدية غائبة، عفا عليها الزمن أو غير مستغلة، النقل النهري قديم وناقص التجهيز والنقل الجوي باهظ الثمن، لكن الطريق هو ببساطة حيوي بالنسبة للبلدان غير الساحلية الثلاثة النيجر ومالي وتشاد، التي يجب على تجارتها الخارجية في مجملها أن تعبر الطريق الذي يضم الممرات التي تربطها بالموانئ الرئيسية في خليج غينيا عموما فالسياسات الاقتصادية في جميع هذه الدول تعتبر الطريق عاملا رئيسيا في تنافسية منتجات تجارتها الداخلية والخارجية والنمو الاقتصادي ومكافحة الفقر.[306]

2 / مشاريع نقل كابل الألياف البصرية و أنابيب البترول والغاز:

[304] – الهلي عبد القادر وبوبصلة أمينة،" تحدي الإرهاب في منطقة الساحل الافريقي"(ورقة بحثية مقدمة في ملتقى دولي حول المقاربة الأمنية الجزائرية في الساحل الافريقي، جامعة قالمة 08 ماي 1945 بهليوبوليس، 25/24 نوفمبر،2013) .

[305] – نور الدين دخان و الحامدي عيدون، " مسار تأمين الحدود الجزائرية بين الإدارة الأحادية والصيغ التعاونية الإقليمية "، مجلة دفاتر السياسة والقانون 17 (2016) :12.

[306] – الأمانة العامة لجنة الربط للطريق العابر للصحراء ، دراسة لتحديد إمكانيات التبادل التجاري بين البلدان الأعضاء بلجنة الربط للطريق العابر للصحراء (الجزائر : المكتب الهندسي المشترك ، 2009)،07.

حيث تربط هذه المشاريع بين نيجيريا والجزائر مرورا بالنيجر ومالي استنادا إلى طرق الصحراء التي تمر عبرها أنابيب نقل الغاز والبترول، فتفرض عليها رسوم وقنوات توجه لتنمية تلك المناطق الحدودية، بالإضافة إلى مباشرة الجزائر ومند فترة تمويل عمليات حفر أبار المياه وكذا مراكز التكوين الاحترافي والمراكز الصحية خصوصا في شمال مالي والنيجر وتشاد.[307]

من الخارطة الجيوسياسية للدول الساحلية والمغاربية والمشكلات والقضايا الأمنية التي تشوب أوساطها ما بين أزمات داخلية ونزاعات خارجية ذات طابع حدودي ونظرا لخاصية الانتشار والمخاطر التي تشكل تحديا كبير لأمن منطقة الساحل الإفريقي وإدراك دولها من خلال الحرب على الإرهاب بأن الفقر والأمية من الأسباب التي أنتجت الإرهاب والفكر الجهادي في المنطقة، فقد أكدت على ضرورة تطوير مقاربة اقتصادية شاملة لمحاربة الإرهاب العابر للحدود، وذلك بمراعاة العنصر البشري أي إقامة مشاريع تنموية، يكمن بواسطتها القضاء على البطالة وضمان استقرار الأمن في المنطقة ولذا نجد الدول تلح على تفعيل آلية التنمية لتجاوز الصعوبات التي تعصف بالمنطقة والقارة ككل.[308]

خاتمة:

إن الأمن قضية شاملة تستدعي تضافر الجهود بين الدول بالمنطقة على أساس علاقات تعاونية متعددة الأبعاد كمحاولة للتقليل من مخاطر التهديدات اللاتماثلية العابرة للحدود، التي يصعب على الدولة مواجهتها بمعزل عن إقليمها وهذا نتيجة التحولات التي فرضت نفسها كالعولمة والتطور التكنولوجي. من خلال استعراض مختلف عناصر المحاور المشكلة لموضوع البحث تم استخلاص بعض النتائج أهمها:

- ✓ يجمع دارسي المعضلات الأمنية بتنامي التهديدات اللاتماثلية الجديدة الغير عسكرية أو الصلبة من جريمة منظمة، هجرة غير شرعية وإرهاب في منطقة الساحل الافريقي التي تعتبر نقطة تماس بين جنوب الصحراء وشمال إفريقيا الذي يعيش جنوبها في فقر متقع وتحكمها أنظمة هشة وفشل دولاتي، وشمالها ولو شكليا ميكانيزميات الديمقراطية، حيث يقول وزير الخارجي الاسرائلي "بنيامين نتانياهو" "العرب يحكمون بواسطة أحكام مستبدة ويقرؤون صحف تخضع للرقابة ولا رأي لهم في سياسة بلدانهم، ولذلك يجب على الدول الاستثمار في هذا" مما يخلق احباطات جماعية تنتج حالات الفرار نحو البحر عبر شمال إفريقيا أو الإرهاب أو الإدمان، في ظل عدم قدرة الأنظمة السياسية على الحد من تنامي هذه التهديدات.
- ✓ إذن هذا التغير الجذري حدد الأمن والانتقال من التهديدات الأمنية الصلبة إلى التهديدات فوق القومية، عنقودية البناء والتطور إلى خلق تهديدات جديدة حديثة النشأة مركبة الأبعاد متشابكة مع بعضها البعض ومتداخلة، كل هذه المظاهر الجديدة للتحديات الأمنية في الساحل الافريقي أدت إلى صعوبة التكيف وعليه فلابد من خطاب امني

---

[307] – الأمانة العامة لجنة الربط للطريق العابر للصحراء، المرجع السابق، 102.

[308] – حمزة برابح،" الإستراتيجية الأمنية الجزائرية لمواجهة التهديدات الأمنية اللاتماثلية في منطقة الساحل الإفريقي" ، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية 06 (2017) : 08.

تعاوني داعي إلى وجود تقاطع مصلحي بين الأطراف المتفاعلة في الساحل ليس فقط رغبة في جعل المنطقة أمنة، بل أنها مسؤولية جماعية ومصير مشترك.

قائمة المراجع :

أولا: المراجع باللغة العربية

1/ التقاير:

1- الأمانة العامة لجنة الربط للطريق العابر للصحراء . دراسة لتحديد إمكانيات التبادل التجاري بين البلدان الأعضاء بلجنة الربط للطريق العابر للصحراء. الجزائر: المكتب الهندسي المشترك. 2009.

2- تقرير منظمة الاكواس. الحالة الراهنة فيما يتعلق بالتعاون الإقليمي ودون الإقليمي على مكافحة الاتِّجار بالمخدِّرات. ***HONLAF/24/CRP.1*** . جويلية 2014.

2/ الكتب:

1- النهي محي الدين اسماعيل. تحولات العلاقات السياسية والدولية وتداعياتها على الصعيد العالمي .الإسكندرية : مكتبة الوفاء القانونية.**2014**.

3/ المقالات

1- بهلول نسيم وحمدان، نسيمة." الحرب على الإرهاب في منطقتي الشرق والغرب الإفريقي وأثرها على الأمن الإقليمي". المجلة الجزائرية للأمن الإنساني 01 (2020).

2- بشكيط ، خالد." التهديدات اللاتماثلية في منطقة الساحل الإفريقي: الإرهاب والجريمة المنظمة دراسة في حدود العلاقة". مجلة الأبحاث قانونية وسياسية 06 (2018) .

3- خلفة، نصير." رهانات التهديدات الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي وانعكاساتها على الدوائر الجيوسياسية والأمنية الجزائرية". مجلة البحوث والحقوق والعلوم السياسية 02 (2018) .

4- بخوش، صبيحة." الهجرة غير شرعية وتداعياتها على منطقة شمال إفريقيا الجزائر نموذجا ". مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل 01(2018) .

5- مصطفى موسى محمد على." أثر بناء الدولة على التهديدات الأمنية اللاتماثلية في منطقة الساحل والصحراء". مجلة دفاتر السياسة والقانون 01 (2020).

6- أحمد إبراهيم، محمود." الأمن الإقليمي في إفريقيا نظرة تقيميه". مجلة السياسة الدولية 42 (2007) .

7- دخان، نور الدين والحامدي عيدون." مسار تأمين الحدود الجزائرية بين الإدارة الأحادية والصيغ التعاونية الإقليمية ". مجلة دفاتر السياسة والقانون 17 (2016).

8- برابح ،حمزة. "الإستراتيجية الأمنية الجزائرية لمواجهة التهديدات الأمنية اللاتماثلية في منطقة الساحل الإفريقي". مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية 06 (2017) .

4/ الملتقيات:

1- بوستي، توفيق." النشاط المسلح و وجود عدم استقرار حالة الفشل الدولاتي في إفريقيا"(ورقة بحثية مقدمة في ملتقى وطني حول دراسات المناطق في العلاقات الدولية: المناهج والتطبيقات، مجمع هيليوبوليس بقالمة، 22 أكتوبر، 2018).

2- حنشي، محمد." أثر الأزمة الليبية على الأمن في منطقة الساحل: نحو نزع طابع التهديد الأمني عن انهيار الدولة في ليبيا"(ورقة بحثية مقدمة حول يوم دراسي بعنوان: دور الجزائر كلاعب أساسي في منطقة المتوسط ومنطقة الساحل، جامعة تيزي وزو، المعهد الدنيماركي للدراسات الدولية كوبنهاغن، 26 فيفري،2014).

3- الهلي، عبد القادر وبوبصلة، أمينة." تحدي الإرهاب في منطقة الساحل الافريقي" (ورقة بحثية مقدمة في ملتقى دولي حول المقاربة الأمنية الجزائرية في الساحل الافريقي، جامعة قالمة 08 ماي 1945 بهليوبوليس، 25/24 نوفمبر،2013).

5/ المذكرات:

1- جدو، فؤاد. " دور المحدد الأمني في صناعة السياسة الخارجية الجزائرية تجاه منطقة الساحل الإفريقي". أطروحة دكتوراه. جامعة محمد خيضر بسكرة .2018 .

2- أبصير، أحمد طالب." المشكلة الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي ." مذكرة ماجستير . جامعة الجزائر 03، 2010 .

المراجع اللغة الاجنبية

1- ain Rodier, «Le Sahel, terrain de jeu d'Alquaida au Maghreb Islamique (AQMI) », Note d'Actualité N°172, (Centre Français de Recherche sur le Renseignement), Mai 2009, p2

2- Et :Jeremy KENNAN،« The challenge of Security in the Sahel : the Algerian Moroccan and Libyan perspectives »,school of oriental and African studies2011,p3

3- Black, andrew,mokhtarbelmokhtar the algerian jihad s southern amir , terrorism monitor, vol 6,issue12,mai 8 2009,p*2*

4- William Assanvo, « Etat de La Menace Terroriste en Afrique de L'ouest, » note d'analyse n° 12, Observatoire de la vie diplomatique en Afrique, juillet 2012, P.*17*

5- Badredinearfis,state collapse in a new theoretical framework the case of yugoslavia, international journal of sociology,vol 28,no.3(1998),pp15-*16*

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

السياحة الجبلية بجماعة توبقال المغربية: تثمين التراث الطبيعي والثقافي لتحقيق التنمية المستدامة.

Mountain Tourism in Toubkal community's in Morocco: Valuing Natural and Cultural Heritage for Sustainable Development.

عبد الصمد الزو

أستاذ ثانوي ودكتور في الجغرافيا، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب.

EZZAOU abdessamad, Teacher and Ph.D in geography, Ibn Tofail university kenitra, Morocco.

abdoezzaou@gmail.com

الملخص:

لم تعد السياحة بالمغرب تقتصر على المنتجات التقليدية كالبحر والشمس، حيث انفتحت على أنواع أخرى من السياحة تقدم شخصية المجال وتبرز مؤهلاته المتنوعة. وفي هذا الإطار برزت السياحة الجبلية كوجهة جديدة لها خصائصها ومميزاتها التي تجعلها تكتسب خاصية التميز والتفرد عن غيرها من الأنواع الأخرى للسياحة. وعلى الرغم من أن النشاط السياحي بالأرياف لا زال في مراحله الجنينية، إلا أن بوادر تطور هذا النوع من السياحة تبدو واعدة، وذلك راجع إلى المؤهلات الطبيعية والبشرية والثقافية التي تزخر بها هذه المجالات.

وفي هذا الإطار يعتبر المجال الجبلي لجماعة توبقال كما هو واقع حال معظم المجالات الجبلية المغربية من المجالات التي طالها التهميش، حيث سادت الفلاحة المعاشية والنشاط الرعوي بشكل كبير. لكن مع توالي سنوات الجفاف وصعوبة التضاريس، ظهرت الحاجة إلى اعتماد أنشطة بديلة أو مكملة للأنشطة الفلاحية، أنشطة من شأنها أن تحقق طموحات الساكنة المحلية الراغبة في ظروف عيش أحسن. وتعتبر السياحة ذلك النشاط الذي يستطيع الاستجابة لطموحات الساكنة إذا ما تمت المراهنة عليه.

الكلمات المفتاحية: السياحة الجبلية؛ التثمين؛ التراث؛ التنمية المستدامة؛ جماعة توبقال.

Summary:

Tourism in Morocco is no longer limited to traditional products such as the sea and the sun, opening up to other types of tourism offering the personality of the field and highlighting its diverse qualifications. In this context, mountain tourism has emerged as a new destination with its characteristics and advantages that make it stand out and unique from other types of tourism. Although tourism activity in rural areas is still in its embryonic stages, the signs of the development of this type of tourism appear promising, owing to the natural, human and cultural qualifications of these areas.

In this context, the Toubkal community's mountainous sphere, as in the case of most of Morocco's mountainous spheres, is one of the marginalized spheres. However, with the prolonged years of drought and difficult terrain, the need to adopt alternative or complementary activities for peasant activities has arisen, activities that will fulfil the aspirations of local inhabitants to better living conditions. Tourism is considered to be an activity that can respond to a population's aspirations if it is wagered.

Keywords: Mmountain tourism; Valuation; Heritage; Sustainable development; Toubkal community's.

مقدمة

أخذت السياحة تكتسي أهمية قصوى في مختلف بلدان العالم خاصة الدول النامية، إذ عرفت المسارات السياحية تحولا كبيرا نحو هذه الدول التي أصبحت تنافس الدول المتقدمة في الجذب السياحي. وتعتبر السياحة وسيلة هامة للنهوض بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للساكنة، وذلك من خلال تثمين المؤهلات الطبيعية والثقافية، بهدف استقطاب أعداد مهمة من السياح سواء المحليين أو الأجانب، وبالتالي تطوير إمكانيات هذه المجالات لتواكب تطور النشاط السياحي في كافة أنحاء العالم، والعمل على تنمية المجالات الريفية التي عانت لسنوات طويلة من الهشاشة والفقر والإهمال.

وفي هذا الإطار، يعتبر المجال الريفي لجماعة توبقال كما هو واقع حال معظم المجالات الريفية المغربية من المجالات التي طالها التهميش، حيث سادت الفلاحة المعاشية والنشاط الرعوي بشكل كبير، واللذان تأثرا بتوالي سنوات الجفاف وصعوبة التضاريس. وهكذا ظهرت الحاجة إلى اعتماد أنشطة بديلة أو مكملة للنشاط الفلاحي، أنشطة من شأنها أن تحقق طموحات الساكنة المحلية الراغبة في ظروف عيش أفضل، وتشكل السياحة ذلك النشاط الذي يستطيع الاستجابة لطموحات الساكنة إذا ما تمت المراهنة عليه.

إن مجال توبقال له من المؤهلات الطبيعية والبشرية والثقافية ما يجعله مجالا لممارسة النشاط السياحي بامتياز. هذه المؤهلات تشكل عرضا سياحيا مغريا وجاذبا للسياح، كما أن تنوعها يشكل عامل قوة يؤثر في اختيار السائح لوجهته السياحية.

- **إشكالية البحث**

تعرف الأرياف المغربية أزمات هيكلية، حيث تراجع القطاع الفلاحي نتيجة الجفاف وشح الموارد المائية، مما ما يتطلب البحث عن بدائل تحقق النجاعة الاقتصادية والرفاه المجتمعي، الشيء الذي يستدعي فهما شموليا وإدراكا عاما لخصوصيات المجال والبحث عن مكامن الخلل لتجاوزها ومواطن القوة لتفعيلها. (الدكاري عبد الرحمان، 2008، 36) وفي هذا الإطار فقد برزت السياحة الريفية كنشاط يمكن من استغلال امكانيات المجال الريفي، طبيعية كانت أو بشرية ويبرز بذلك شخصية هذا المجال.

إن السياحة بالمغرب اقتصرت على سياحة البحر والشمس كمنتوج تقليدي لمختلف الوجهات السياحية بالمغرب، وبات ملحا البحث عن منافذ أخرى وتسويق منتوج جديد يستقطب زبناء جدد ينعشون الاقتصاد الوطني. وهكذا برزت السياحة القروية كقطاع جديد له مردود اقتصادي واجتماعي مهم، فضلا عن دوره الثقافي الغني بالأصالة والخصوصية المتفردتين، إذ أن السياحة الريفية أخذت تكتسي أهمية قصوى نظرا لتعدد فروعها كالسياحة الجبلية.

من هنا يمكن دراسة هذا الموضوع من خلال الإجابة عن الإشكالية التالية: كيف يمكن تثمين المؤهلات الطبيعة والبيئية والثقافية لخلق أنشطة سياحية بالمجال الجبلي لجماعة توبقال؟ وما مدى مساهمة هذا النشاط في خلق تنمية مستدامة بالمجال؟

- **فرضيات البحث**

انطلاقا من الدراسة الأولية فإن الفرضيات الأساسية التي سنحاول في هذا البحث تأكيدها أو نفيها حول هذا الموضوع هي:

- الفرضية الأولى: تتوفر جماعة توبقال على مؤهلات طبيعية وثقافية لم تثمن بعد كما يجب.
- الفرضية الثانية: تساهم الأنشطة السياحية في خلق دينامية اقتصادية واجتماعية محدودة، مما يتطلب مضاعفة الجهود لبلوغ أهداف التنمية المستدامة.

- **أهمية البحث وأهدافه**

يروم هذا البحث تحقيق الغايات التالية:

✓ إبراز المؤهلات الطبيعية والثقافية التي تزخر بها جماعة توبقال.
✓ دراسة مدى مساهمة هذه المؤهلات في تنشيط السياحة بهذا المجال الجبلي.
✓ كشف الدور الذي تلعبه السياحة الجبلية في خلق تنمية محلية داخل منطقة البحث.

- **منهجية البحث وأدو اته**

تفرض طبيعة البحث وتشعباته تنويع المناهج المتبعة في معالجته، بدءا بالمنهج الوصفي الذي يشمل الملاحظة والتحليل والتفسير، وكذا المنهجين الجغرافي والإحصائي. إضافة إلى المنهج التاريخي المقارن.

أما أدوات العمل، فقد اعتمدنا في الجانب النظري على المعطيات المحصل عليها من البحث البيبليوغرافي، بينما سنعتمد على الاستمارة والمقابلات الشفهية في الشق الميداني التطبيقي. وفي الأخير سيتم تفريغ النتائج الميدانية المحصل عليها وتحويلها إلى أشكال بيانية بواسطة برنامج Sphinx. كما سنستعمل برنامج Arcgis لرسم الخرائط.

- **مجال البحث**

أحدثت جماعة توبقال على إثر التقسيم الإداري لسنة 1992 بموجب المرسوم الصادر بتاريخ 30 يونيو 1992، إذ تفرعت عن الجماعة الأم بأهل تفنوت. وتبعد عن مدينة تارودانت بحوالي 150 كلم وعن مقر الدائرة بتالوين بحوالي 100 كلم، بينما يبعد مقر القيادة (أسكاون) عنها بما يقارب 60 كلم، مرورا بفرقة إنمراغت عبر تبحرت. وبحوالي 150 كلم عن بتالوين، مرورا بأهل تفنوت. هذا وتتموقع الجماعة القروية لتوبقال وسط الأطلس الكبير، حيث يزخر مجالها الريفي بمؤهلات سياحية مهمة.

من جانب آخر، فإن جماعة توبقال يمكن الولوج إليها عبر محورين طرقيين: الطريق الرئيسية رقم 1510 الرابطة بين أكويم وتوبقال، والطريق الإقليمية رقم 1737 الرابطة بين أولوز وتفنوت. وبذلك يمثل هذان المحوران مدارين يمكن أن يساهما في تنمية النشاط السياحي بالمنطقة.

الخريطة رقم 1: التوطين الإداري لجماعة توبقال.

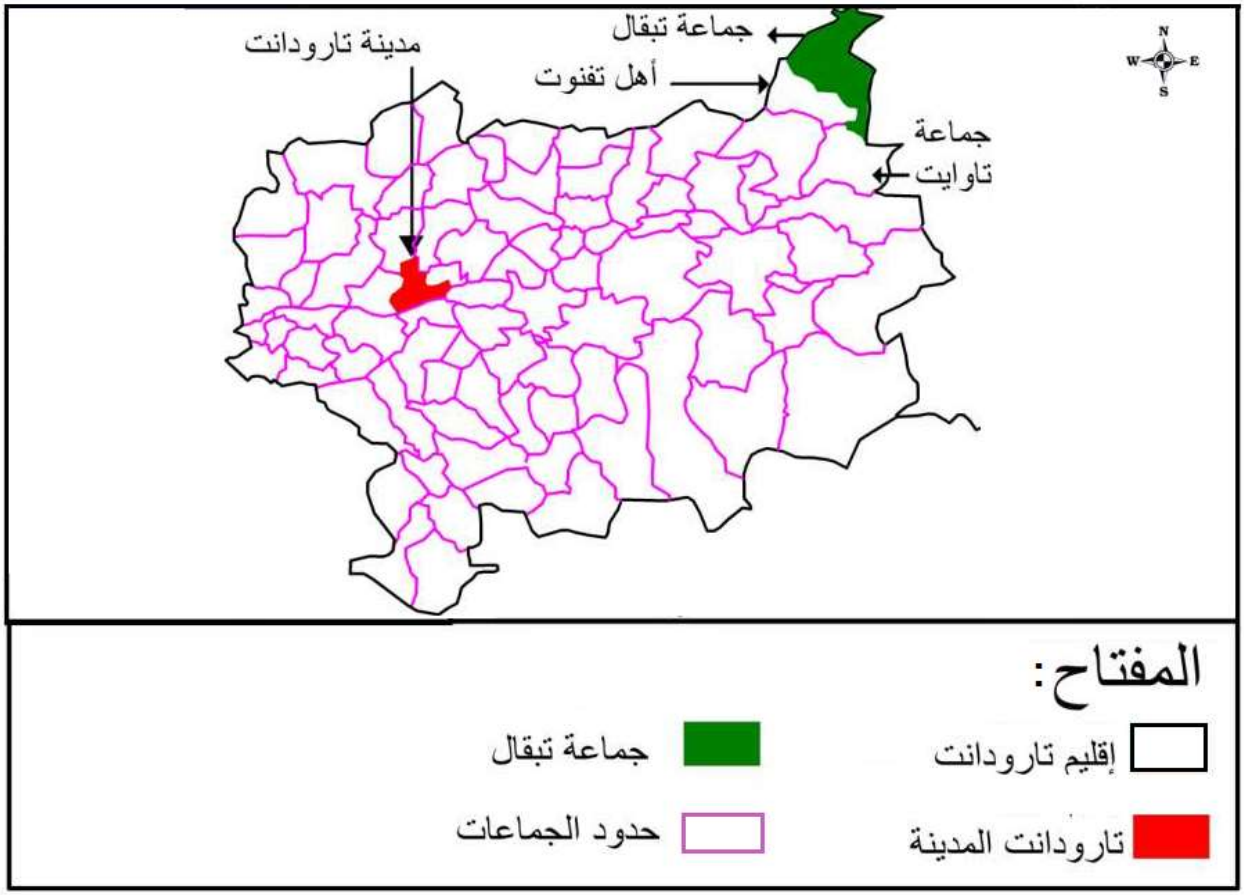

المصدر: إنجاز الباحث اعتمادا على المخطط الجماعي للتنمية، 2024.

المحور الأول: تتعدد المؤهلات السياحية الطبيعية والثقافية بمنطقة توبقال.

1-تتوفر منطقة توبقال على مؤهلات طبيعية جاذبة للسياح.

إن جغرافية المنطقة وموقعها الخاص أنتج طبيعة تتسم بالتنوع والخصوصية، فالجماعة القروية لتوبقال غنية بمواردها الطبيعية، حيث تتميز بغني تضاريسي وتنوع في الغطاء النباتي مع وفرة الماء بنوعيه السطحي والباطني.

1.1-التضاريس

تتميز تضاريس المجال الريفي لمنطقة توبقال بالتنوع، حيث لا تبعد كثيرا عن الأراضي البركانية التي تتشكل منها الواجهة الجنوبية لتوبقال. هذا إلى جانب انتشار المنحدرات التي تتراوح نسبتها ما بين 15% و40%، إضافة إلى الطابع المتضرس الذي يطغى على هذه المنطقة، ذلك أن علو الجبال يتراوح ما بين 1800 متر و2500 متر. (المخطط الجماعي للتنمية لجماعة توبقال، 2012، 15)

بناء على ما سبق فإن الأراضي الفلاحية تكون دائما معرضة للتعرية المائية والخسائر الناتجة عن فيضانات واد تفنوت، ففيضانات هذا الأخير مترددة وخطيرة وتزداد حدتها مع الانقراض التام للغطاء النباتي. لكن بالمقابل فإن المنحدرات والمرتفعات تشكل عرضا سياحيا لهواة التسلق والمشي الجبلي والمغامرة.

ISSN 2569-734X

الصورة رقم 1: تضاريس جبلية بمنطقة توبقال.

المصدر: عدسة الباحث، 2024.

2.1-المناخ

يشكل المناخ أحد أهم عوامل الجذب السياحي، وتتميز جماعة توبقال بمناخ شبه رطب، ويبلغ معدل التساقطات المطرية ما بين 340 ملم و450 ملم. وتتساقط الثلوج بطريقة منتظمة فوق المناطق التي يتعدى علوها 1000 متر، وتبقى فوق القمم الأكثر من 1500 متر فوق الجزء الشمالي والأكثر من 2000 متر فوق الجزء الجنوبي بين دجنبر وأبريل، وقد يصل سمك الثلوج إلى 200 سنتمتر في المرتفعات. أما بالنسبة للمعدل السنوي للحرارة فيبلغ متوسطه 19 درجة، بينما الحرارة السنوية الدنيا تصل إلى 3 درجات في شهر يناير، والحرارة القصوى تبلغ 39 درجة في شهري يوليوز وغشت.

وهكذا يظهر أن المجال له مناخ يتميز بالدفء في فصل الصيف، مما يساعد على جلب السياح الذين يفضلون المجالات المشمسة، وهنا نخص بالذكر السياح الأوروبيين بالإضافة إلى السياح المحليين الذين يقصدون المنطقة للاستمتاع بجمالها. وعلى النقيض من ذلك، فإن هناك سياح آخرين وبشكل خاص الأجانب، يقصدون المنطقة في الشتاء حيث الجبال المكسوة بالثلوج، مما يعطيها رونقا خاصا يتسم بالهدوء.

إذن فالمناخ كعنصر طبيعي يشكل أحد أهم العوامل التي تثير السائحين على اختلاف ميولاتهم وأهدافهم وتطلعاتهم، وبذلك يشكل بدوره عرضا سياحيا يمكن استغلاله لتنشيط السياحة الجبلية بالمنطقة.

الصورة رقم 2: ثلوج تغطي منطقة توبقال.

المصدر: عدسة الباحث، 2024.

3.1-المياه

يعتبر الماء مصدر الحياة ومرتكزا في تنمية الشعوب، كما أن الماء هو محور الحياة الاقتصادية والاجتماعية. ومجال توبقال بحكم موقعه الجغرافي، يزخر بموارد مائية مهمة بفضل تساقط الثلوج التي تغطي السفوح والمنحدرات، وبالتالي فإن هذه الموارد لها دور مهم في ممارسة الأنشطة الاقتصادية.

لقد اقتصر استغلال الثروة المائية على النشاط الفلاحي، والحال أن الماء يعتبر أحد أهم عناصر الإغراء السياحي. هذا وتتوفر المنطقة على أربعة أودية هي: أسيف إزلي وأسيف وكتن وأسيف سوس ثم أسيف تنزار، وكلها تنبع من الكتل الجبلية المحاذية لجبل توبقال. وتستفيد هذه الأودية من الثلوج التي تكسو المرتفعات المحاذية لبحيرة إفني، وتستقر بهذه الأخيرة التي تعتبر خزانا مهما للمياه على طول فترات السنة.

ونتجت بحيرة إفني عن انهيارات صخرية من الجهة الشرقية أو عن انهيار أو تفتت صخري من الجهة الأمامية، لتشكل بذلك حاجزا في النهر على شكل سد. وتأخذ هذه البحيرة شكل مثلث بطول يناهز 800 متر وعرض يقارب 150 متر من جهة الشمال الشرقي و500 متر من جهة الجنوب الشرقي، وهي بعمق يصل إلى 60 متر ومساحة تبلغ 35 هكتار.

ISSN 2569-734X

الصورة رقم 3: بحيرة إفني

المصدر: عدسة الباحث، 2024.

وتغطي الساكنة المحلية حاجياتها من الماء بالاعتماد على مياه البحيرة التي تزود الدواوير المجاورة لها جغرافيا بالماء. وإلى جانب اعتماد هذا المورد في النشاط الفلاحي والاستعمالات المنزلية، فإن الماء يشكل عاملا مهما في استقطاب وإغراء السياح، سواء تعلق الأمر بالأودية التي تستهوي السياح بالنظر إلى توفرها على مناظر طبيعية عذراء، أو العيون المنتشرة بمختلف دواوير المنطقة.

الخريطة رقم 3: الموارد المائية بمنطقة توبقال.

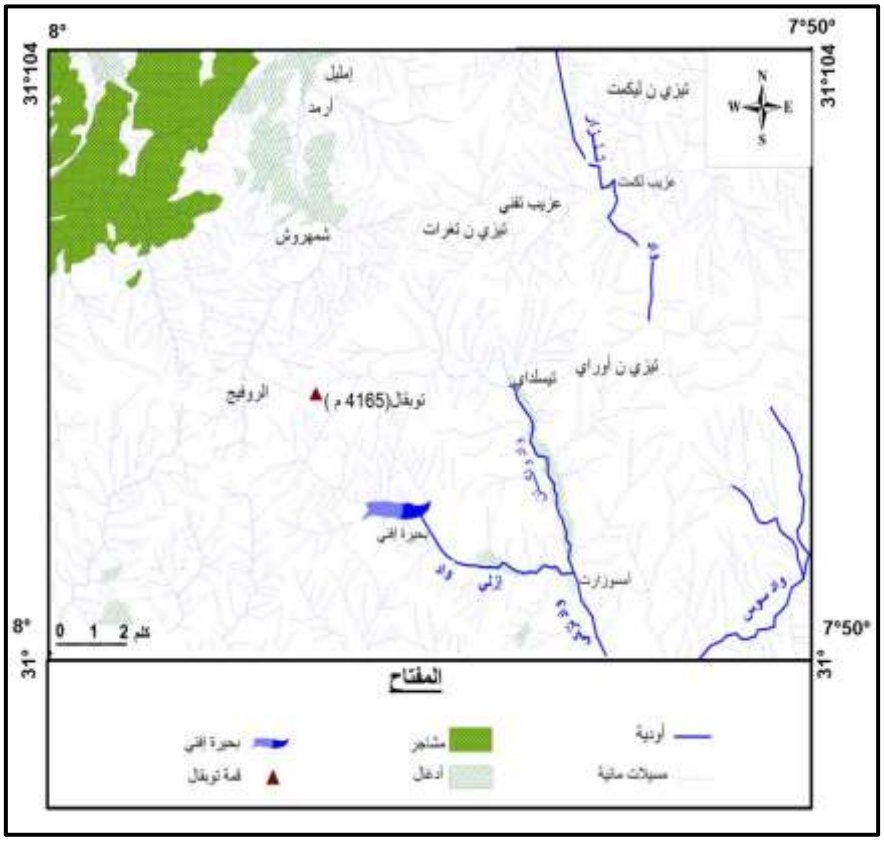

المصدر: إنجاز الباحث اعتمادا على خريطة أوكايمدن توبقال 1/100000، 2024.

4.1-المنتزه الوطني لتوبقال

ينتمي المجال الريفي لتوبقال إلى المنتزه الوطني لتوبقال الذي يبعد بحوالي 70 كلم من مدينة مراكش بين وادي النفيس غربا ووادي أوريكة شرقا. وقد أحدث هذا المنتزه الذي يشغل مساحة تقدر ب 100000 هكتار سنة 1942، وذلك من أجل الحفاظ على الغطاء النباتي الذي يميز المنطقة والمتمثل خاصة في البلوط الأخضر والعرعار الفواح، بالإضافة إلى الوحيش كالقرد والسنجاب والثعلب والطيور المتمثلة في البومة والعقاب والنسر والغراب، والزواحف كأفعى الأطلس والحرباء.

هذه الإمكانيات التي يزخر بها المنتزه تشكل عواملا تغري السياح وتتيح لهم فرصة لممارسة مجموعة من الانشطة والهوايات كالصيد والقنص وركوب الدراجات الهوائية وتسلق الجبال. ويتردد على المنتزه عدد مهم من السياح يصل إلى 40000 في السنة، وبذلك أضحت السياحة في هذه المنطقة تأخذ طابعا إيكولوجيا، وتهدف أساسا إلى الحفاظ على الموارد بما يضمن تحقيق الهدف المتمثل في التنمية المحلية من خلال تنمية الإنسان وضمان استدامة الموارد والثروات الطبيعية.

2-تزخر منطقة توبقال بتراث ثقافي متنوع.

يمثل التراث الثقافي مجموعة من الخصائص الروحية والوجدانية التي تميز مجتمع معين، وهي تشمل مختلف الفنون والآداب وأنماط العيش والقيم والتقاليد والعادات والمعتقدات. (الزو عبد الصمد، 2021، 397) وتضم منطقة

توبقال تراثا غنيا ومتنوعا يميز المنطقة عن غيرها من مناطق المغرب. ويضم هذا التراث الموسيقى، الصناعة التقليدية، المطبخ المحلي، الرواية الشفهية والأساطير، المواسم، الأسواق الأسبوعية... لقد استطاع السكان المحليون المحافظة على موروثهم الثقافي وهويتهم رغم التحولات والحواجز التي كسرت في ظل نظام العولمة.

1.2-الأشعاروالرقص

إن القبائل الأمازيغية المتواجدة في هذه المناطق لا تزال محافظة على موروثها الفني الغني، بالرغم من الحياة الصعبة التي تعيشها وكذا الانفتاح الذي يعرفه هذا المجال. ويتجلى هذا الموروث في مجموعة من الطقوس المتمثلة أساسا في الغناء والرقص على إيقاعات "أحواش" مصحوبة بأهازيج نابعة من الثقافة المحلية. ويجد هذا النوع من التراث الرمزي تعبيرا له في مواسم الاحتفال والأعراس، وهي بذلك أشكال تعبيرية تتلاءم مع البيئة المحلية وتعبر عن المعيش اليومي. (الزو عبد الصمد، 2021، 397)

الصورة رقم 4: الرقص الجماعي أحواش

المصدر: جمعية واسيون للتنمية والتعاون، 2024.

2.2-المواسم

تعتبر المواسم بالمغرب من أهم الظواهر الاجتماعية التي تتجذر في ثقافة المجتمع منذ القديم، والتي لا زالت حاضرة إلى اليوم. وقد ارتبطت المواسم أكثر بسكان الأرياف الذين اعتادوا على تنظيمها في نهاية الموسم الفلاحي، ويتضح هذا من خلال انعقاد نسبة 91% منها في المناطق الريفية % 60 خلال شهري غشت وشتنبر.-197 ,Berriane M, 1990) (199.

والموسم في الأصل عبارة عن تجمع لقبيلة أو عدة قبائل حول ضريح أو ولي صالح، والذي قد يستمر عدة أيام، يقيم فيه الزوار تحت الخيام، ويشاركون في العادات والطقوس وكذلك الترفيه والتنشيط. (Berriane M,1992, 18) بذلك تعتبر المواسم من أهم مظاهر الإغراء السياحي التي تميز المجال افي لتوبقال.

1.2.2-موسم إفني.

يصادف "توزونت نفني" الخامس عشر من غشت من كل سنة، ويتميز بطقوسه الخاصة التي تتجلى في توفير الذبيحة والطعام لكل زوار البحيرة في ذلك اليوم، وذلك تبركا بولي إفني كي تكون البركة في مياه البحيرة رغبة في موسم فلاحي جيد، وكل هذا يكون مرفوقا بمجموعة من الطقوس كالرقص على نغمات أحواش. وبالموازاة مع ذلك يشكل هذا الموسم يوما للتعارف بين الإناث والذكور قصد الزواج، حيث يعتبر فصل الصيف من الفترات التي تعرف نسبة زواج مرتفعة.

وتقول الأسطورة السائدة بالمنطقة أن الفتاة التي لم تتمكن من الزواج في هذا الموسم خلال هذه السنة ستبقى لا محالة إلى السنة المقبلة. وفي هذا السياق هناك مقولة أمازيغية تقول "هذا هو شهر شتنبر أيتها البنات، من لم تتزوج منكن في هذا الشهر فلتذهب إلى السنة المقبلة ".[309]

وهكذا أصبح موسم إفني يستقبل أعدادا مهمة من السياح عاما بعد عام خاصة السكان المحليين المقيمين منهم أو المهاجرين، بالإضافة إلى زوار آخرين لهم الرغبة في التعرف على المنطقة والاستمتاع بالطقوس والتراث المحلي، من خلال معاينة مجموع الأنشطة التي يقوم بها السكان المحليين خلال الموسم.

إن بحيرة إفني مرتبطة بتقاليد وأعراف مختلفة، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر مشهدا متفردا، حيث تذهب النساء اللواتي لا يستطعن الإنجاب إلى البحيرة باكرا، لممارسة مجموعة من الطقوس من قبيل وضع الحناء فوق حجر صغير إلى متوسط، ثم يوضع هذا الحجر وسط ثوب لتحمله المرأة التي لا تنجب على ظهرها كأنه رضيع. كما تردد النساء مجموعة من المقولات مثل: "ذهبنا للزيارة حتى نحصل على البركة، فنطلب من الله أن يتمم الأمور"[310] ومقولة أخرى تقول "أيها الشيوخ نطلب من الله أن يتمم الزيارة حتى تتحقق الرغبات".[311] وبعد الانتهاء من هذه الطقوس، تقوم المرأة التي لا تستطيع الإنجاب بغسل أطراف جسدها في مياه البحيرة، إيمانا منها أن هذا الأمر ستحقق لها رغباتها في الإنجاب.

إلى جانب هذا، فإن ضريح إفني يقصده العديد من الزوار سواء خلال فترة الموسم أو في فترات أخرى من السنة، وذلك لأن هذا الضريح له مجموعة من القدرات والكرامات خاصة ما يتعلق بالشفاء والبركة، بحسب الاعتقاد المحلي.

2.2.2-موسم سيدي علي بورجة.

إلى جانب موسم إفني الذي تحدثنا عنه، فإن هذا المجال يقام به موسم آخر بالقرب من بحيرة إفني وبالضبط بدوار تكنيت. وعلى العكس من موسم إفني، فإن موسم سيدي علي بورجة يقام مرتين في السنة في منتصف شهر مارس وكذا منتصف شهر غشت، وبالتالي رغم اختلاف المجال إلا أن الطقوس والخصوصيات التي تميزه لا تختلف عن موسم إفني.

3.2-االسوق الأسبوعي.

تعد الأسواق الأسبوعية من المرافق الضرورية والحيوية في المغرب خاصة في العالم القروي، ولا تقتصر أهميتها في كونها مجالا لتبادل السلع والمنافع، بل إنها تعكس ذلك التفاعل الاجتماعي بين عناصر اجتماعية مختلفة. ذلك أن الأسواق الأسبوعية يرتادها العامة والخاصة، الكبار والصغار، الرجال والنساء، وهي بذلك تعكس المزيج وتجسده على شكل مجموعة بشرية اجتمعت في مكان معين ومحدد بغرض البيع والشراء، وبهدف إنماء علاقاتها التجارية. (بلعربي خالد، 32،2009-38) إذن فالأسواق الأسبوعية تشكل عصب الحياة الاقتصادية في المجتمع الريفي.

[309] شتنبر آياد اتفرخين تنا أوربتاهيلن تاكتين أر إمال.
[310] لزيارة أس ندى هي تزور إس ندالب ربي أدكملي.
[311] لشياخ أيسمد ربي الزيارتي كوان كوان أيلي دلخاطري.

وتقام الأسواق الأسبوعية في يوم محدد من أيام الأسبوع وتعرف باسم ذلك اليوم كسوق الإثنين أو الأحد أو الخميس... ويبنى السوق في صباح ذلك اليوم ويفض في آخر النهار من اليوم نفسه. ويتميز السوق الأسبوعي بتنظيمه الزمني والمكاني، هذا الأخير يتمثل في تخصيص كل حيز لسلعة معينة تسمى بالدارجة المغربية "الرحبة" التي يعود أصلها إلى كلمة "رحب" بمعنى فسيح وواسع. وهكذا نجد في السوق مختلف السلع كالملابس والدواب والمصنوعات التقليدية من فخار وزراب وملابس محلية الصنع والمنتجات الفلاحية من حبوب وزيت وعسل وخضر وفواكه ومواشي ولحوم إضافة إلى منتجات محلية أخرى. وتجدر الإشارة هنا أن السوق الأسبوعي يتم اختياره غالبا في مكان يتوسط مختلف التجمعات السكانية حتى يسهل على الجميع الوصول إليه.

وبالنسبة لمنطقة بحثنا، فالسوق الأسبوعي هو تجمع بسيط لساكنة المنطقة يعقد يوم الأربعاء من كل أسبوع، ويستقطب أنشطة اقتصادية واجتماعية، حيث يعد نقطة التقاء القبائل المجاورة ومجالا لعرض المنتجات المحلية. ويلعب هذا السوق دورا كبيرا في إتاحة الفرصة للسائحين للتعرف على الثقافة المحلية، وبالتالي إثراء النشاط السياحي للمجال الريفي لمنطقة توبقال.

الصورة رقم 5: سوق الأربعاء الأسبوعي بتوبقال

المصدر: عدسة الباحث، 2024.

4.2-المعمار المحلي.

يتوفر المجال الريفي لتوبقال على مميزات حضارية وتاريخية متنوعة، فالساكنة الجبلية في هذا المجال تعيش داخل تجمعات قبلية يبقى الهدف منها مواجهة الأخطار التي كانت تهددها في وقت سابق. وتعيش الساكنة ضمن دواوير مشكلة من بنايات صغيرة تدعى بالأمازيغية ب "تكمي" تكون غالبا مكونة من طابق واحد تتميز ببساطتها في البناء. ونجد بجانبها بنايات ضخمة تدعى "إغرم" أي القصر وهي مكونة من أربعة طوابق. وبمحاذاة "تكمي" نجد بناية أخرى تستخدم كمخزن للحبوب ومنتوجات الفلاح. (بن الطالب عزيز ورياض حسن، 2014، 526)

ويعتبر "إغرم" إرثا حضاريا خلفه الأجداد، فهذا المخزن الجماعي عبارة عن بناية مربعة الشكل مبنية بجدار سميك من الطين، له باب واحد فقط يمكن من الدخول إليه، بالإضافة إلى مجموعة من الثقوب المتواجدة بالجدران المكونة للبناية. ومن الداخل نجد مجموعة من البيوت الصغيرة التي تمكن من تخزين المنتجات والممتلكات، حيث تتوفر كل عائلة على مخزن شخصي تضع فيه مخزونها من الحبوب.

ISSN 2569-734X

إن الطابع المعماري الأمازيغي ينفرد بمجموعة من الخصوصيات الفنية والجمالية التي تجمع بين أصالة المواد المستعملة وبراعة الصانع التقليدي، وهو الشيء الذي نتج عنه معمار يتسم بالبساطة. مما يشكل عنصر جذب ينوع من العرض السياحي بمنطقة توبقال.

الصورة رقم 6: المعمار التقليدي المحلي.

المصدر: عدسة الباحث، 2024.

5.1-المطاحن التقليدية.

تتميز منطقة توبقال بانتشار المطاحن التقليدية التي يرتبط تواجدها بتوفر الجريان الدائم والانحدار المهم. حيث يعمل جريان المياه على تحريك التوربينات ذات المراوح وتحويلها إلى طاقة ميكانيكية تؤدي إلى تحريك المطاحن. ويتم صناعة المطاحن من صخور كلسية وهي تتكون من جزأين: الجزء السفلي يكون تابثا، بينما يكون الجزء العلوي متحركا ويتوسطه ثقب تطرح فيه الحبوب. وتخضع أجرة صاحب الطاحونة للعرف المحلي، إذ يتم منحه كمية من الدقيق.

وتعتبر هذه المطاحن تراثا تاريخيا وثقافيا يستهوي السياح، خاصة أولئك الذين يبحثون عن ماهية التاريخ والتراث بالمنطقة. لكن في السنوات الأخيرة تم إغلاق العديد من هذه المطاحن جراء لجوء الساكنة إلى المطاحن العصرية، وهو ما يطرح العديد من التساؤلات حول الإرادة الحقيقية للنهوض بالسياحة الثقافية بالمنطقة. وعلى هذا الأساس أضحى من الضروري تثمين هذه المطاحن التقليدية قصد استغلالها في التنشيط السياحي. (الشامي جواد، 2017، 49)

ISSN 2569-734X

الصورة رقم 7: المطاحن التقليدية بتوبقال

المصدر: عدسة الباحث، 2024.

6.1-المنتوجات التقليدية المحلية.

تزخر المنطقة بمنتوجات محلية متنوعة كالزرابي التي يتم غزلها بطريقة تقليدية لإنتاج تحف مميزة، حيث يتم استعمال ألوان زاهية ورسومات دالة على الثقافة المحلية. وترتبط صناعة النسيج بظروف عيش الساكنة الجبلية التي تعتمد على الفلاحة خاصة الشق المتعلق بالرعي، حيث يتم استغلال صوف الغنم والماعز في حياكة وإنتاج كافة أنواع الألبسة، التي تتلاءم والظروف الطبيعية السائدة في المنطقة حيث انخفاض درجات الحرارة إلى مستويات دنيا.

الصورة رقم 8: صناعة النسيج بتوبقال

المصدر: عدسة الباحث، 2024.

كما تنتشر بالمنطقة صناعة الخزف التي كانت مزدهرة وبشكل كبير في هذا المجال، خاصة الأواني الفخارية ذات الاستعمال المنزلي. لكن في السنوات الأخيرة عرفت هذه الصناعة تراجعا كبيرا نتيجة المنافسة المفروضة من طرف الأواني العصرية التي تتميز بجودتها العالية وبانخفاض أثمنتها.

3-تشكل المنتوجات المجالية عنصر جذب سياحي.

تعتمد الساكنة المحلية على الأشجار المثمرة كمصدر مهم للدخل، إذ تشتهر جماعة توبقال بانتشار أشجار الجوز واللوز ذات الجودة في الإنتاج. وقد تم خلال السنوات العشر الأخيرة غرس الأشجار المثمرة كالتفاح والبرقوق وحب الملوك. علاوة على ذلك فإن المنطقة تتوفر على منتوجات أخرى كالعسل والشيح والزعتر...

وتتحكم عدة إكراهات في ضعف مردودية المزروعات بالمنطقة، ففي ظل وسائل الانتاج التقليدية المعتمدة المتمثلة في الاعتماد على مياه الأمطار وضعف استعمال الأدوية يبقى الإنتاج ضعيفا ومتذبذبا، ومن أجل تجاوز ذلك ينبغي عصرنة طرق الإنتاج من أجل تطوير هذا النوع من الزراعة التي بإمكانها تنشيط القطاع السياحي بالمنطقة، سواء تعلق الأمر بتموين المطاعم والفنادق أو توفير حاجيات السياح والزوار.

المحور الثاني: تساهم السياحة بمنطقة توبقال في تحقيق التنمية المحلية رغم الإكراهات.

يبقى الهدف الأساسي من الاعتماد على أي نشاط اقتصادي هو تحقيق التنمية، وبالتالي فإن تبني السياحة كرهان تنموي في المغرب لم يأت من فراغ، حيث هناك توفر الأرضية والركائز التي يستند إليها هذا النشاط لتحقيق أهدافه التنموية المنتظرة خاصة بالأرياف. من هنا فإن التجربة السياحية بتوبقال قد اعتمدت على مقوماته الذاتية المتمثلة في سحر الطبيعة وجمالها وثقافة الانسان المحلي وخصوصياته.

1-أدت السياحة إلى تطوير البنية التحتية بتوبقال.

عاش المجال الريفي لتوبقال على غرار معظم الأرياف المغربية حالة عزلة وتهميش وضعف الاهتمام، لكنه اليوم استفاد من المؤهلات التي توفرها الطبيعة فأصبح قبلة لممارسة النشاط السياحي بامتياز. وبالتالي كان من الضروري الاستجابة لهذه التحولات التي يعرفها هذا المجال، عن طريق إقامة بنيات تحتية تتلاءم ووضعية المجال وتطلعات السياح. من هنا كانت المبادرة من الساكنة المحلية أولا من خلال إقامة مجموعة من مؤسسات الإيواء على اختلاف أنواعها، وذلك باستثمار رؤوس أموال خاصة لتحسين الدخل والرفع من مستوى العيش.

وفي ظل مراهنة المغرب على السياحة وخاصة الشق المتعلق بالسياحة الريفية، كان لابد من توفير الشروط اللازمة لتطوير هذا النشاط قصد تحقيق الأهداف التنموية التي يرمي إليها المغرب، فتم تعبيد الطرق والربط بالماء والكهرباء وتوفير بعض الخدمات.

ISSN 2569-734X

الصورة رقم 9: مأوى جبلي بمنطقة توبقال

المصدر: عدسة الباحث، 2024.

2-وفرت السياحة مداخيل إضافية للساكنة.

تضافرت مجموعة من العوامل في جعل المجال المدروس يواكب تطور السياحة، ونذكر منها تزايد الوعي لدى الساكنة المحلية خاصة المهاجرة منها بقدرة هذا النشاط في إعطاء دفعة للتنمية بهذه المنطقة، بالإضافة إلى أن الساكنة المحلية لم تعد تعتمد على النشاط الفلاحي فقط، بل توجهت نحو النشاط السياحي نظرا لما يتيحه من مداخيل مهمة. أضف إلى ذلك أن الاستثمار في السياحة لا يحتاج إلى الوقت والمجهود الكبيرين مقارنة بالنشاط الفلاحي.

من هنا توجهت الساكنة إلى الانخراط في النشاط السياحي، سواء من خلال إنشاء مؤسسات الإيواء والمطاعم والمقاهي والمتاجر، أو كراء المنازل والأكواخ والدواب والأحذية، وكذا بيع منتجات الرستاق للزوار... وتجدر الإشارة إلى أن المقاهي على عكس المطاعم نجدها منتشرة بشكل كبير ومستقلة عن مؤسسات الإيواء. وتبقى المطاعم والمقاهي من بين أهم مجالات الإنفاق السياحي بالمنطقة، خاصة السياح المغاربة القادمين في إطار رحلات جماعية مدرسية أو جامعية. ويلاحظ اختلاف في المداخيل بين مطعم وآخر بسبب عدة اعتبارات أهمها: الموقع الذي يشغله المطعم وجودة الخدمات المقدمة إضافة إلى الأثمان المناسبة. وكما هو الشأن بالنسبة لباقي الأنشطة بالمنطقة، فإن المطاعم والمقاهي تعرف عدم انتظام العائدات، ذلك أنها ترتفع بشكل كبير بالعطل والصيف بينما تتراجع بباقي فترات السنة. (الزو عبد الصمد، 2018، ص 166)

3-ساهمت السياحة في تنشيط سوق الشغل.

يكتسي التشغيل أهمية كبرى في مختلف دول العالم، ويأخذ جانبا كبيرا من السياسات والاستراتيجيات التي تسطرها الحكومات، خاصة مع ارتفاع نسب البطالة بالبلدان النامية كالمغرب، هذا الأخير الذي يعاني اقتصاده من التبعية، ولازالت تعرف قطاعاته الأساسية أزمات بنيوية كالقطاع الفلاحي.

إن الشباب القروي يعد أكثر انجذابا للمدن من أجل التواجد بالقرب من الخدمات والعروض الجديدة للفرص ووسائل الترفيه، نظرا للأوضاع التي تعرفها الأرياف المغربية خاصة على مستوى الشغل. ذلك أن قلة فرص الشغل نشطت معها الهجرة القروية أملا في فرص عيش أفضل. من هنا راهنت الدولة على السياحة الريفية لتنمية الإنسان والمجال على حد سواء، من خلال سن مجموعة من الخطط والاستراتيجيات لعل أبرزها رؤيتا 2010 و2020.

وبالنسبة لمنطقة توبقال، فإن واقع التشغيل بها لا يختلف عن باقي المجالات الريفية المغربية خاصة الجبلية، وذلك بسبب اعتماد هذه الأخيرة على الزراعة والرعي اللذان يشكلان ملاذ السكان في ظل موسمية قطاع السياحة. لكن السياحة برغم موسميتها تلعب دورا كبيرا في امتصاص عدد كبير من النشيطين بالمنطقة، سواء تعلق الأمر بالعمل ببنيات الاستقبال أو العمل في أنشطة أخرى مكملة للسياحة، كالتجارة والسمسرة وحراسة السيارات وكراء الدواب والإرشاد وغيرها من الأنشطة. وهو ما يوضحه المبيان الموالي:

المبيان رقم 1: اشتغال السكان في القطاع السياحي

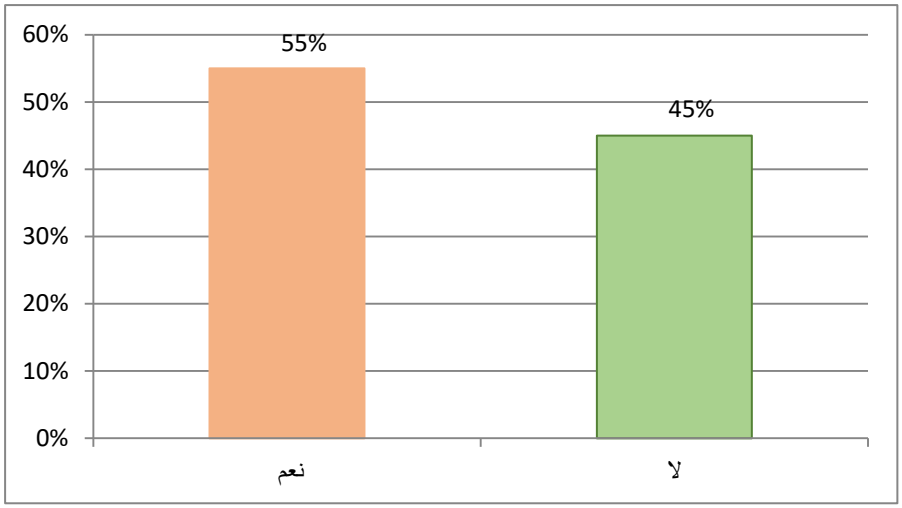

المصدر: الاستمارة الميدانية 2024.

إذن ف 55% من ساكنة المنطقة تشتغل بالسياحة، وهي نسبة مرتفعة توضح مدى أهمية السياحة بالنسبة للساكنة المحلية. أما المهن التي يزاولها هؤلاء الأشخاص فتبقى متعددة، فمنهم من يشتغل ببنيات الإيواء والإطعام، أو الإرشاد السياحي، أو التجارة بمختلف منتجاتها، وأيضا السمسرة وحراسة السيارات وبيع التذكارات والنباتات العطرية وغيرها من المهن.

وتساهم بنيات الإيواء بشكل كبير في توفير فرص شغل للشباب والنساء، ويلاحظ أن غالبية العمال ينحدرون من المنطقة وخاصة من عائلة صاحب المؤسسة، مع الاستعانة ببعض العمالة من المراكز القريبة خصوصا في الصيف. كما يلاحظ أن جل العمال يتميزون بالحنكة والتجربة التي اكتسبوها عن طريق الاحتكاك والممارسة، مقابل غياب تكوين مهني في مجال السياحة.

المبيان رقم 43: نوع اليد العاملة ببنيات الإيواء

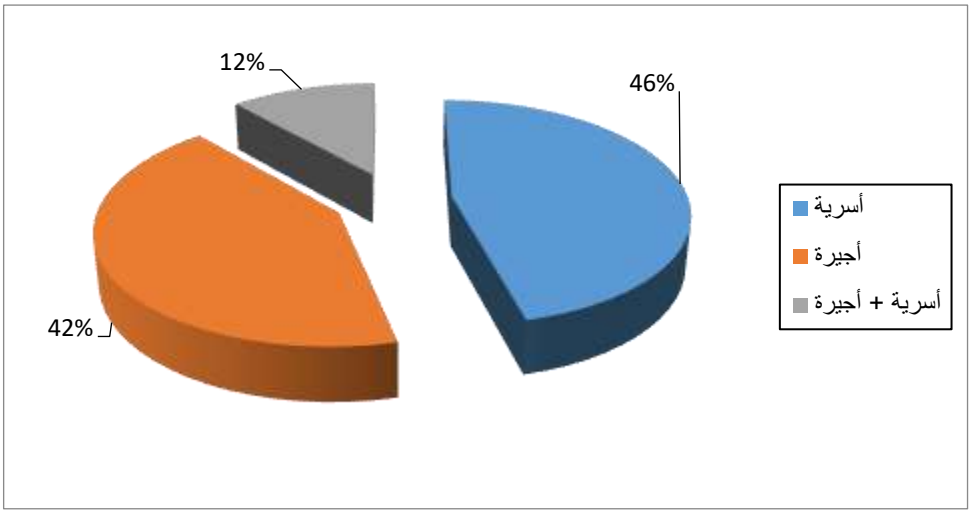

المصدر: الاستمارة الميدانية 2024.

يتضح أن 46% من بنيات الإيواء تشتغل بها يد عاملة أسرية، وتتكون أساسا من صاحب البنية السياحية وبعض أفراد أسرته كالزوجة والأبناء والإخوة. ثم تأتي في المرتبة الثانية اليد العاملة الأجيرة التي تشتغل ب 42% من البنيات، وما يميزها أن معظمها من أبناء المنطقة، أما 12% من المؤسسات فتعتمد على يد عاملة مختلطة تضم بعض أفراد الأسرة وأجراء غالبا ما يكونون من معارف صاحب المؤسسة.

وخلال فصل الصيف يضطر أصحاب البنيات إلى الاستعانة باليد العاملة الموسمية، نظرا للرواج الذي تعرفه هذه البنيات. وهكذا صرح بعض مالكي المؤسسات أنهم يستعينون بالعمالة الموسمية، بينما عبر آخرون أن مؤسساتهم تكتفي بالعمال الرسميين الذين يشتغلون طيلة الموسم.

المحور الثالث: تواجه السياحة الجبلية بمنطقة توبقال مجموعة من العراقيل والإكراهات.

إن أي نشاط اقتصادي كيفما كان نوعه لابد أن تقف في طريقه عراقيل ومشاكل تعمل على الحد من نموه وتطوره، والنشاط السياحي كباقي القطاعات الأخرى يعاني من مشاكل كبرى. فالسياحة كما هو معلوم سريعة التأثر بكل العوامل سواء الطبيعية أو البشرية، كالظروف المناخية من أعاصير وفيضانات والحروب وغياب الاستقرار السياسي والأمني... إذن كلها عوامل تساهم وبشكل جلي في تراجع أداء هذا القطاع ضمن المنظومة الاقتصادية بشكل عام.

وبدوره فالمجال الريفي لتوبقال يعاني من جملة مشاكل تحد من تطور النشاط السياحي، لعل من أبرزها موسمية النشاط السياحي وغياب شبكة للطرق والمواصلات ومشكل التلوث المتمثل في انتشار النفايات. هذا إلى جانب غياب الوعي لدى الساكنة المحلية بمدى أهمية السياحة، وضعف العمل الجمعوي في المنطقة، إضافة إلى ضعف البنيات التحتية السياحية خاصة المآوي والغياب شبه التام للمرشدين السياحيين المحليين المؤهلين. كل هذه المشاكل وغيرها تقف عائقا أمام تقدم النشاط السياحي وازدهاره بالمنطقة.

1-الموسمية.

إن من أكبر العوائق التي يصطدم بها النشاط السياحي بالمجال الريفي لتوبقال هو موسمية النشاط السياحي، إذ يبقى فصل الصيف (خاصة الفترة الممتدة بين شهري يونيو وشتنبر) هو الفترة التي يصل فيها هذا النشاط إلى الذروة، الشيء الذي توازيه دينامية اقتصادية واجتماعية كبيرة. لكن وعلى النقيض من ذلك، فإن باقي فترات السنة تعرف تراجعا وركودا كبيرا للنشاط السياحي في هذه المنطقة، وهو ما له انعكاسات سلبية على الساكنة المحلية على وجه الخصوص، على اعتبار أن الدينامية التي يعرفها هذا المجال خلال فصل الصيف تعرف أفولا وتراجعا كبيرين في الفترات الأخرى، وهو الشيء الذي يتسبب في الهجرة نحو المدن خاصة في صفوف الفئات الشباب، بسبب توقف مصدر عيشها.

2-ضعف تدخل الدولة.

عملت الدولة على دعم القطاع السياحي بالمغرب من خلال توفير البنيات التحتية من فنادق ومنتجعات وإقامات سياحية وطرق ... هذا إلى جانب إقامة خطط واستراتيجيات لتسويق المنتوج السياحي في المعارض الدولية والندوات ذات العلاقة بالنشاط السياحي، إضافة إلى إنشاء مواقع على الأنترنيت وتكثيف الوصلات الإشهارية قصد التعريف بالمجال المغربي وما يوفره من إمكانيات سياحية متنوعة ومتميزة.

وعلى الرغم من كل ما أنجز وما ينجز من طرف الدولة للنهوض بهذا القطاع، فإنه لازالت الحاجة إلى مزيد من التدخل والدعم خاصة فيما يتعلق بالسياحة الريفية، والتي لا تأخذ القسط الكافي من تدخل الدولة لتحسين أداء هذا النشاط الحيوي. وهكذا نجد أنه وبالرغم مما توفره هذه المجالات من مقومات سياحية فريدة، إلى أن تدخلات الدولة تبقى محدودة، مما يفرض توفير الحد الأدنى من البنيات التحتية الأساسية للوصول إلى هذه المناطق ذات الإمكانيات السياحية، ثم توفير كل البنيات الصحية والاجتماعية التي من شأنها إعادة الاعتبار إلى هذا المجال، وفي مرحلة أخرى توفير بنيات سياحية متنوعة من فنادق ومآوي وملاجئ ومقاهي ومطاعم، دون أن ننسى المؤسسات الضرورية لتأهيل وتكوين العاملين بالنشاط السياحي.

3-التلوث يحد من الأداء الجيد للنشاط السياحي.

من المسلم به أن السياحة الريفية هي سياحة بينية بالدرجة الأولى، لكن واقع الحال يبقى عكس ما تروج له المدونة العالمية لآداب السياحة. فمشكل التلوث هو نتاج مباشر للنشاط السياحي الذي يساهم فيه بشكل كبير، مما يضر بالنشاط السياحي من خلال تراجع أعداد السياح والزوار. وهكذا نجد التلوث ينتشر بشكل واسع في الأماكن التي يستريح فيها السياح، ونخص بالذكر هنا كل من سوق الأربعاء وكذلك أمسوزارت وأندوس، وكذا المخيمات التي يقصدها بعض الشباب المحب للعيش الحر بعيدا عن الأبنية والمدنية، ونخص بالذكر أطراف بحيرة إفني.

الصورة رقم 10: انتشار التلوث بمجال توبقال

المصدر: عدسة الباحث، 2024.

4-غياب شبكة الطرق والمواصلات.

يبقى التوفر على شبكة متكاملة من الطرق والمواصلات من أبرز العوامل التي تساهم في فك العزلة على مجال معين والتعريف به وبإمكانياته الطبيعية والبشرية، وهو ما لا تتوفر عليه منطقة توبقال. فهذه الأخيرة لازالت تعاني من غياب طرق ذات جودة تمكن السياح الذين يقصدون المنطقة من التحرك براحة أكبر قصد الاستمتاع بكل ما توفره الطبيعة والإنسان. وغياب الطرق الجيدة يعمل على الحد من تطور النشاط السياحي، من خلال اصطدام السياح والزوار بعائق المسالك التي تنتشر في مجال جبلي متضرس، خاصة المسالك صعبة الاختراق الرابطة بين أندوس وصولا إلى إمليل شمالا مرورا بكل من بحيرة إفني وقمة جبل توبقال والروفيج وكذلك شمهروش وأرمد، وكذلك المسالك التي تربط بين أمسوزارت وإمليل عبر تسلداي وثغرات وشمهروش وأرمد.

5-ضعف مؤسسات الإيواء.

تواجه السياحة بتوبقال إكراها حقيقيا فيما يخص قلة مؤسسات الإيواء وضعف تجهيزاتها وكذا الخدمات المقدمة للسياح. فمن حيث الكم نجد أن مؤسسات الإيواء في هذا المجال لا تلبي الطلب المتزايد خاصة عندما يبلغ النشاط السياحي أوجه خلال فصل الصيف، على اعتبار أن القدرة الاستيعابية في هذه المؤسسات تبقى على العموم ضعيفة. وهو ما يضطر السياح إلى إقامة الخيام في العراء أو اعتبار المجال محطة عبور لا غير، وبالتالي عدم استفادة الساكنة المحلية من هذه الأعداد التي لا تجد مكانا للإقامة فيه.

كما أن التوزيع الجغرافي لمؤسسات الإيواء غير متكافئ، بحيث نجد أن أغلبها يتواجد في قرية أمسوزارت وسوق الأربعاء ودوار أندوس، أما باقي المناطق فتعرف غيابا واضحا لمؤسسات الإيواء، ونخص بالذكر هنا بحيرة إفني التي تعتبر من أهم المعالم السياحية التي تجذب السياح للمجال. فهذه الأخيرة لا تتوفر على مؤسسات للإيواء، بل تقتصر على بعض الحجرات الصغيرة التي يتم كراؤها للسياح. (المخطط الجماعي للتنمية لجماعة توبقال، 2012، 15)

6-ضعف الإرشاد السياحي.

يكتسي الإرشاد السياحي أهمية قصوى ضمن منظومة القطاع السياحي، إذ يساعد السياح على التعرف على المجالات المراد زيارتها ومؤهلاتها ومكوناتها الطبيعية والبشرية. لكن بالرغم من الأهمية التي يكتسيها الإرشاد السياحي، فإن المجال الريفي لتوبقال يعرف خصاصا كبيرا في الإرشاد السياحي، وهو ما يدفع العديد من السكان المحليين إلى تقمص دور المرشد السياحي اعتمادا على خبراتهم ودراياتهم بالمجال. (المخطط الجماعي للتنمية لجماعة توبقال، 2012، 15)

لكن عدم التأهيل والتكوين المسبق لهؤلاء يؤدي إلى ضعف خدمات الإرشاد السياحي، ومن أبرز من يمتهن الإرشاد السياحي في هذا المجال نجد البغالة(مكترو البغال) وأصحاب مؤسسات الإيواء، على اعتبار احتكاكهم المباشر والدائم مع السياح ورغبتهم في مضاعفة الاستفادة التي تنتج عن لعب أدوار مختلفة، كما نجد البعض يعتبر الإرشاد مجرد هواية.

7-ضعف التواصل والتشوير.

يبقى ضعف التواصل بين كافة القائمين والمتدخلين في القطاع السياحي من أبرز العوامل التي قد تساهم في إعاقة هذا الأخير، وبالتالي انعدام الآفاق للتعريف بالمشاريع والأنشطة والخدمات الممارسة في مجال معين. والنشاط السياحي يبقى من أبرز القطاعات التي تستوجب توفر شبكة تواصل متكاملة، تعمل على ربط السياح بالمجال المراد زيارته من خلال التعريف به وبإمكانياته الطبيعية والبشرية.

وفي إطار ضعف التواصل كذلك نجد غياب مواقع أنترنت متخصصة يكون هدفها توفير المعلومات والمعطيات الخاصة بهذا المجال، فالمواقع الموجودة حاليا لازالت تقتصر على مجهودات بعض الساكنة المحلية خاصة المهاجرة منها، لكنها لا ترقى إلى مستوى التطلعات ولا تعطي صورة حقيقية عن المجال. لكن يبقى ضعف التواصل بين الساكنة المحلية والسياح من أهم المعيقات التي تضعف السياحة في هذه المنطقة، إذ أن عدم الإلمام باللغات يجعل من الصعب التواصل مع السياح خاصة الأجانب القادمين من آسيا وأوروبا الشرقية.

هذا ويزيد من صعوبة الوضع ضعف إن لم نقل غياب العلامات الخاصة بالتشوير، والتي يمكن اعتبارها وسيلة مهمة من وسائل التواصل يبقى الهدف منها هو إرشاد السائح للوصول إلى الأماكن السياحية المتميزة كبحيرة إفني وجبل توبقال والروفيج ولعزيب وشمهروش...وإلى أماكن الاستراحة من قبيل المقاهي والمطاعم والمآوي، بحيث إن غيابها يجعل السائح تائها بين الطرق التي يجب سلكها للوصول إلى الأماكن المراد زيارتها.

خاتمة

لقد أصبح القطاع السياحي يحظى بأهمية كبرى في النسيج الاقتصادي للمغرب، حيث أصبح هذا الأخير يراهن وبشكل غير مسبوق على هذا القطاع بهدف إعادة التوازن للاقتصاد المغربي في ظل تراجع بعض القطاعات كالفلاحة، والتي ظلت لسنوات طويلة تلعب دور العمود الفقري للنظام الاقتصادي المغربي. وهذه المراهنة حققت بدون شك مجموعة من النتائج الإيجابية، التي تمثلت في تحسين البنيات التحتية واستيعاب أعداد مهمة من اليد العاملة، إلى جانب التعريف بمجموعة من المناطق التي كانت وإلى وقت قريب من المناطق النائية والمعزولة عن العالم الخارجي.

والمجال الريفي لتوبقال هو الآخر استفاد من استراتيجية الدولة للنهوض بالسياحة، وحقق بالتالي مجموعة من المكاسب التي لا يمكن انكارها. لكن وبالرغم من هذه النتائج والمكاسب التي تم تحقيقها لفائدة الساكنة والمجال، إلا أن النشاط السياحي بالمنطقة لا زال يواجه صعوبات جمة تحد من نمو وتطور النشاط السياحي في هذا المجال. وهو ما يتطلب القيام بمجموعة من الخطوات الجريئة سواء من طرف الدولة أو الفاعلين الاقتصاديين أو الساكنة المحلية، وذلك قصد

تطوير البنيات التحتية وتحسين كل الخدمات المرافقة بغية تحقيق الهدف الأسمى المتمثل في الرفع من مداخيل السكان المحليين وتحسين ظروف عيشهم بالدرجة الأولى، وبالتالي تحقيق التنمية الشاملة والمندمجة اعتمادا على التكامل بين النشاط الفلاحي والنشاط السياحي.

من هذا المنطلق نقترح مجموعة من التوصيات لتجاوز المعيقات التي تكبح تطور السياحة الجبلية بتوبقال، والتي يمكن أن تساهم في الدفع بعجلة التنمية إلى الأمام، مثل:

- شق الطرق للوصول بشكل سلس للمجال، وتنويع وسائل المواصلات لتشجيع توافد السياح بكثرة على المجال.
- زيادة الوعي بأهمية السياحة كرافد من روافد تحقيق التنمية المحلية، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال التوعية والتحسيس عبر وسائل الاتصال التقليدية منها والعصرية.
- تقوية النسيج الجمعوي وتشجيعه وتوفير الدعم المادي له حتى يضطلع بالمهام التي ظهر من أجلها.
- تبني استراتيجية محكمة لتسويق المجال سياحيا عن طريق خلق قنوات للتواصل والتفاعل بما يضمن ترويجا سياحيا أفضل للمجال محليا ودوليا.
- الزيادة في عدد مؤسسات الإيواء وتحسين جودة الخدمات المقدمة من طرفها، إضافة إلى تنويع العرض السياحي ليشمل أنشطة أخرى تغري السياح.
- توفير التكوين اللازم للمرشدين السياحيين وتأهيلهم للقيام بخدمة الإرشاد كما يجب، وفي هذا الإطار يمكن تكوين دورات تكوينية لهذه الفئة، والاستفادة من مؤسسات التكوين في مهن السياحة خاصة تلك المتواجدة بمدينة مراكش القريبة من مجال توبقال، أو تلك المتواجدة بمجالات جبلية مشابهة كمعهد التكوين في المهن الجبلية بتبانت (أيت بوكماز).
- خلق إطار تشاركي يأخذ بعين الاعتبار انسجام وتضافر جهود جميع الفاعلين في المجال للنهوض بالقطاع السياحي.
- تشجيع ودعم الاستثمارات السياحية.

المراجع والمصادر:

- بن الطالب عزيز ورياض حسن، السياحة الجبلية بشلالات أوزود بين غنى المؤهلات وضعف الإمكانات التنموية، أشغال الدورة الرابعة لمنتدى التنمية والثقافة لإغزران، منشورات الماعة القروية لإغزران رقم 4، يونيو 2014.
- بلعربي خالد، الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، دورية كان التاريخية، العدد السادس، دجنبر 2009.
- جماعة توبقال، المخطط الجماعي للتنمية لجماعة لجماعة توبقال.
- الدكاري عبد الرحمان، السياحة الريفية بالمغرب، مظاهر إعداد المجالات السياحية بأرياف اسيف ملول وعرق الشبي ومساهمتهما في التنمية البشرية، بحث لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب، 2008.
- خريطة أوكايمدن توبقال 1/100000
- الزو عبد الصمد، السياحة الريفية بأوزود: تثمين التراث الطبيعي والثقافي لتحقيق التنمية المحلية، رسالة لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية القاضي عياض مراكش، المغرب، 2018.
- الزو عبد الصمد، تثمين التراث اللامادي مدخل لتحقيق التنمية السياحية بالمغرب: حالة الجماعة الترابية أيت تاگلا بإقليم أزيلال، سلسلة دراسات أكاديمية محكمة، المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث، الجزء الرابع، المغرب، 2021.
- منظمة السياحة العالمية، المدونة العالمية لآداب السياحة من أجل سياحة مسؤولة، المادتان الأولى والثالثة.
- قاموس المعجم الوسيط.

- الشامي جواد، الدينامية السياحية ودورها في تنمية المناطق الجبلية حالة منطقة أوزود، رسالة لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية القاضي عياض مراكش، المغرب، 2017.
- Berriane M., Tourisme intérieur et migrations de loisirs au Maroc: acculturation ou évolution interne ? In le Maroc : Espace et société, Actes du colloque Maroc-Allemand de Passau, 1990.
- Berriane M., le role de la mer dans le développement du tourisme au Maroc, In Revue Maroc-Europe, n°2, Ed la porte, 1992.
- boujrouf S et Tebaa O, le tourisme de montagne réalités et perspectives, Marrakech, 2006.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

النخب في المجتمع الصحراوي

Elites in Sahrawi society

النعمة بوشامة

أستاذ جامعي في تخصص علم الإجتماع.

ملخص:

تقدم هذه الورقة مقاربة علمية- قدر المستطاع - حول أبرز مظاهر النخبة الصحراوية ومدى حضورها لدى البدو المستقرين حديثا في مجال جنوب المملكة المغربية، وبالضبط بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب في الفترة المعاصرة، حيث عرفت هذه النخب راهنا ظهورا صار ملحوظا، نظرا لما فرضته حياة التمدين وارتفاع معدلات التعليم، التي عكستها مختلف الشواهد العلمية والمهنية المحصل عليها وطنيا ودوليا، فصرنا- بالمحصلة -أمام شباب متعلم يحمل رأسمالا فكريا وثقافيا ولا نبالغ إن قلنا بأنه يمثل اقتصاد المعرفة، لكن كفته مختلة أمام كفة نخب الاكتساب المصكوكة التي تملك اقتصاد الثروة المحلية المرصودة من التقرب من دواليب الدولة عبر امتهان السياسة وتحريك مؤسسة القبيلة والسيطرة على سلطة النفوذ والاستثمار.. الأمر الذي حفزنا إلى البحث العلمي الدقيق حول بعض مظاهر النخب في المجتمع الصحراوي، مسلطين الضوء على واقعها وآثارها بمجال الدراسة، وذلك سعيا منا لمواصلة خدمة البحث العلمي والأكاديمي حول هذا المجال، معتمدين في ذلك على تقنية المقابلة المباشرة التي استهدفت مبحوثين من فئات عمرية مختلفة.

الكلمات المفتاحية: النخب، الساقية الحمراء ووادي الذهب، الشباب.

Abstract:

This paper presents a scientific approach - as much as possible - on the most prominent aspects of the desert elite and the extent of its presence among the Bedouins who have recently settled in the southern region of the Kingdom of Morocco, specifically in the regions of Saguia el-Hamra and Wadi al-Dhahab in the contemporary period, where these elites have currently witnessed a noticeable appearance, due to what was imposed by the life of urbanization and the rise in education rates, which were reflected in various scientific and professional certificates obtained nationally and internationally, so we are - in the end - in front of educated youth who carry intellectual and cultural capital and we do not exaggerate if we say that it represents the knowledge economy, but its scale is unbalanced in front of the scale of the minted acquisition elites who own the local wealth economy allocated from getting close to the state's wheels through practicing politics and moving the institution of the tribe and controlling the authority of influence and investment.. which motivated us to conduct accurate scientific research on some aspects of the elites in the desert society, shedding light on their reality and effects in the field of study, in an effort from us to continue serving scientific and academic research in this field, relying on the direct interview technique that targeted Researchers from different age groups.

Keywords: Elites, Saguia el-Hamra and Wadi al-Dhahab, Youth.

في البدء: تحديدات مفاهيمية:

النخب: وهي مجموعة صغيرة من الأشخاص المسيطرين على موارد مالية ضخمة وقوة سياسية تأثيرية كبيرة بشكل عام، إنها ترمز إلى مجموعة من الأشخاص الأكثر قدرة من غيرهم.تدل كلمة نخبة أو صفوة في اللغة العربية معنى الخلاصة، فيقال "صفوة الشيء خلاصته وخياره، ويقال اصطفاه أي اختاره ، والصفوة من الماء ونحوه، تعني القليل، وانتخب الشيء اختاره، والنخبة ما اختار منه، ونخبة القوم خيارهم، والانتخاب هو الاختيار والانتقاء، ومنه النخبة وهم جماعة تختار من الرجال" (هشام صاغور ، *دور النخب السياسية في تفعيل مسار التكامل المغاربي :في ظل المعوقات الداخلية الواقع والرهانات*) ط. 1). دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. 2014، ص. 13).ثمة إذن عدد من النخب بقدر ما يكون لدينا من فروع للنشاطات، وتسمى النخبة التي تعتمد نفوذا في أي مجموعة بنخبة المجموعة (النخبة الاجتماعية، النخبة الدينية، النخبة السياسية...

الساقية الحمراء ووادي الذهب : تقع في أقصى شمال غرب إفريقيا يحدها شمال إقليم الطنطان، وجنوبا رأس بوجدور، وشرقا لحمادة، وغربا المحيط الأطلس ي، وتعتبر العيون عاصمتها .تنتمي المنطقة للصحراء الأطلنتية، والتي تمتد من وادي درعة شمالا إلى لكويرة جنوبا، والحدود الجزائرية شرقا، والمحيط الأطلس ي غربا .وكانت منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب تحت الإحتلال الإسباني من سنة 1884 حتى خروج أخر جندي إسباني منها سنة 1976 أي أنها خضعت للاستعمار قرابة قرن من الزمن، وسميت آنذاك بالصحراء الإسبانية، كانت تقطنها مجموعة من القبائل وهي قبائل الرقيبات والعروسين وإ زركين وأولاد تيدرارين وأولاد دليم (حيدارة بشر أحمد، 1998 ، **تاريخ الصحراء الغربية وقبائلها العربية، بدون داروكان النشر، ط. 1، 2015.ص23).**

الشباب :اصطلاح يطلق على تلك المرحلة العمرية التي تمثل قمة القوة والحيوية والنشاط والطموح بين جميع مراحل العمر لدى البشر، حيث تبدأ شخصية الإنسان بالتشكل من خلال النضوج الجسماني والعقلاني وبناء العلاقات الاجتماعية في اطار من الاختيار الحر، ويطلق على الأنثى والذكر الذين يمرون «شباب » أو « الشباب » بمرحلة الشباب بصيغة المفرد { شابة }للأنثى و{ شاب }للذكر، وأما في صيغة الجمع لكلا الجنسين.

مقدمة:

"يشير التراث النظري إلى النخبة بإعتبارها الجماعة التي تقود المجتمع، وتعكس طبيعتها عليه، لأن النخبة هي عقل المجتمع، وهي التي تتولى تشكيلة وفق مشروعها الإجتماعي. فإن لم يكن لديها هذا المشروع الإجتماعي فإن المجتمع يفقد بوصلة تحديد الحركة بإتجاه الهدف"[312] (علي ليلة، النظرية الإجتماعية وقضايا المجتمع "قضايا التحديث والتنمية المستدامة"، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة محمد عبد الكريم حسان، ط.1، القاهرة– مصر ، 2015م، ص. 110)، ولطالما نجد أن نخبة المجتمعات المتقدمة تنتمي للطبقات الوسطى، نظرا لكونها تشكل الغالبية المثقفة أو المسيطرة من أفراد المجتمع، ويتركز الدور المنوط بالنخبة في تحديد الإشكالات والقضايا الهامة التي من خلالها يتم تعبئة وتحريض المجتمع،

وذلك من خلال تفاعلها مع أحداث المجتمع ومتغيراته سعيا وراء الوصول لمصاف المجتمعات المتماسكة، الفاعلة، المنتجة والقوية. فما هي أبرز مظاهر النخبة الصحراوية بجنوب المملكة المغربية ؟

1. النخب الصحراوية: قراءة أولية في المسار التاريخي.

يعبر "مفهوم النخبة إلى فئة من البشر المتفوقين في مختلف فروع النشاط الإنساني، وفي العادة تشكل النخبة أقلية صغيرة نسبيا، وفي بنيتها الأساسية تنقسم النخبة من الداخل إلى نخبة حاكمة ونخبة غير حاكمة"[313] (علي ليلة، النظرية الإجتماعية وقضايا المجتمع "قضايا التحديث والتنمية المستدامة"، مرجع سابق، ص. 119)، حيث تشمل النخبة الحاكمة من يسيطرون على دواليب السلطة والحكم مؤثرين بشكل مباشر أو غير مباشر على مسارات تسيير الحكومات، بينما يقصد بالنخب غير الحاكمة هي تلك الفئة التي تمتلك إمكانية الإدارة لكنها لا تشارك في السلطة بشكل مباشر أو غير مباشر، كما أن القول بحضور نخبة ما يفترض وجود لا نخبة أو جماهير، التي تعد القاعدة التي تفرز منها عناصر النخبة، مما يجعل النخبة مرتبطة في بعض الأحيان بالجماهير وفي بعضها الآخر منفصلة عنها، إلا أن الجماهير تبقى هي الإطار الاجتماعي المشكل للنخبة، دون أن نغفل التأثير المتبادل بين النخبة والجماهير، كما أن النخبة لا تشكل وحدة متجانسة من داخلها، مما يؤثر على بنيتها الإيديولوجية وهو ما يعني أن التباين الحاصل في بنية النخبة ينعكس عادة على تباين الجماهير، أي أن هنالك تباينا حاصلا في طبيعة العلاقات المتبلورة داخل جماعات النخبة بعضها ببعض أو في علاقتها بالجماهير.

كما أن هناك تدرجا للنخبة ينطلق من النخبة الحاكمة إلى النخبة غير الحاكمة ولو كانت مؤيدة لها، ثم الجماهير، وفي هذه الحالة تعمل النخبة الحاكمة باتجاه صياغة التوجهات الإيديولوجية للجماهير من خلال النخبة المعاونة غير الحاكمة، والتي تتجانس معها في توجهاتها الإيديولوجية وسياساتها، إلا أنها نخب غالبا ما تقف موقفا سلبيا أمام أي احتجاجات مضادة للنظام السياسي، وفي عكس هذا نجد النخبة المعارضة والتي تختلف توجهاتها مع النخبة الحاكمة ومع النخبة المتحالفة مع السلطة، حيث تعمل هي الأخرى على استمالة الجماهير وفق توجهاتها الفكرية التي لا تتوافق غالبا وأفكار النخبة الحاكمة والنظام السياسي، وبذلك تحشد لها فئاتها الإجتماعية المتعاطفة معها، والتي غالبا ما تقف بصورة مؤيدة للاحتجاجات الجماهيرية المناوئة للنظام السياسي، والتي قد نجد من ضمنها "النخبة الأكاديمية التي تخضع الإحتجاج الاجتماعي والسياسي للدراسة العلمية الموضوعية والدقيقة"[314] (نفس المرجع السابق، الصفحة. 123)، الأمر الذي يولد لنا في نهاية الأمر اختلافا وتباينا في طبيعة النخب الدائرة داخل المجتمع الواحد.

ويدرك المتأمل لحال النخبة الصحراوية التقليدية أثناء زمن البداوة أنها كانت شبه غائبة، حيث اقتصر الأمر في تكوين القادة آنذاك على"التربية الحازمة التي هي بلا شك أكثر ضرورة بالنسبة للبدوي من غيرها، ففي ظل غياب الحكومة تحديدا وكذلك المؤسسات الاجتماعية السلطوية، كان لابد له من إيجاد قوانينه في ضميره الخاص. الترحال هو في حد ذاته مدرسة

للتحكم، للإقدام، للتحمل، للتضامن، للتجرد، والتربية التي يتلقاها البيظاني الصغير منذ طفولته المبكرة، تتمحور حول هذه الفضائل الضرورية للرحل. هكذا، وعلى الرغم من الانقسامات الفظيعة الظاهرة، جرى الاحتفاظ برباط عميق وما يمكن أن نسميه بالروح الوطنية"[315](أوديت دي بويغودو، فنون وعادات البيضان، تعريب: أحمد البشير ضماني، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، مركز الدراسات الصحراوية، ط.1، الرباط، 2017م، الصفحة 341)، وبهذا كان يتم تربية النشء زمن الترحال حتى يكونوا قادة المستقبل، وهي تربية كانت تتماشى وطبيعة المجال الصحراوي الرحال، والذي كان يتطلب فضائل انسانية راقية كالجلد والصبر والتضامن نظرا لشح الموارد وقساوة الطبيعة، "ذلك أن المورو ميالون الى العدل، فهم يدركون جيدا قواعد القانون الطبيعي"[316] (محمد دحمان، الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الاسبانية (1885م–1933م)، طوب بريس للطباعة والنشر – الرباط، ط.1، 2014م، الصفحة. 147)، إلا أن هؤلاء القادة التقليديين سيصبح لهم تعريف آخر بعد انتقال المجتمع لحالة التحضر والإستقرار، حيث أضحت معطيات العلم-المعرفة والرأي والحكمة والمكانة المادية هي التي تحدد هذه الفئة من المجتمع، والتي أصبح يطلق عليها ب"الصفوة التي تقوم بدور قيادي وتؤثر في الناس والحياة الاجتماعية، وتفعل ذلك بسبب ما تتمتع به من قدرات ومواهب أو رصيد أو تراث، وبحسب درجة تحضر المجتمعات تختلف النخب، وبحسب الظروف والإمكانيات والرهانات تحتل هذه الصفوة مواقع الريادة والتأثير في مجريات الأمور"[317] (شغالي حريش، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام بعنوان: النخب السياسية في الصحراء: المسارات والخطاب، مساهمة في كتابة التاريخ السياسي، جامعة القاضي عياض، كلية العلوم القانونية والاجتماعية والاقتصادية– مراكش، اشراف: ذ. رشيد العلمي الادريسي، 2013م–2014م، ص. 31).

2. راهن النخبة الصحراوية:

إن راهن الصفوة أو الفئات الجديدة بالصحراء يعبر بأنها أخذت لها مكانا جديدا ضمن البناء الاجتماعي لساكنة المنطقة، حيث توزعت هذه الفئات ما بين من تمتهن عالم السياسة وأخرى تشتغل في قطاع الأعمال والمقاولات وثالثة تتدرج في سلالم وظائف إدارة الدولة ومؤسساتها، وتظهر مكانة هذه الفئات من خلال طبيعة عيشها ونمط سكناها بالمنطقة، وأثناء المناسبات الاجتماعية والعائلية حيث "تمارس تلك الفئات الأرستقراطية عنفا رمزيا على باقي الفئات الاجتماعية في شكل السيارات ومقادير الأموال المصروفة، ولا يبقى للنسب أو الرأسمال الثقافي أي اعتبار عند المجموعة ما عدى إذا كانت من وراءه النقود"[318] (محمد دحمان، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، مطبعة كوثر برنت، ط.1، الرباط، 2006م، ص. 238–239)، ويطلعنا أحد مبحوثينا عن هذه الوضعية ضمن هذا السياق بالقول: "غياب هذه الفئات المثقفة مسألة خاصة ومهمة، هو تغييبها من الأصل من الأسر ومن الدولة، لا من عوائلها (شيوخ القبائل لأنهم لا

يعتدون بهم) وحتى الدولة ما هي محضرتهم، فبالتالي أي شاب مثقف لا يعتد به في مجتمعنا هذا، لأن الدولة تعتمد على الأعيان وحتى شيوخ القبائل ماتلاو ذوك الشيوخ اللي نعرفوا، عادوا ألا شيوخ السلطات أو سلطان الدولة، ماتلاو ذوك الشيوخ اللي يخبطوا بأيادي من حديد، وعادوا أيديهم شبه مبرومة، وحضورهم باهت"[319] (مقابلة أجريت مع أحد موظفي قطاع الداخلية بالعيون جنوب المملكة المغربية أبريل 2018م).

لقد أفضت تداعيات التحضر والدور الكبير الذي تشغله مؤسسات الدولة بالمنطقة إلى تغيير الوضعيات الاجتماعية التقليدية (شيوخ القبائل، شيوخ الزوايا..)، مما فسح المجال لظهور نخب جديدة، دعمتها الدولة بالامتيازات المادية والمناصب السياسية والمراتب الإدارية، الأمر الذي وفر لها سلطة محلية أفرزها استغلالها للموارد العمومية وسيطرتها على المناشط الاقتصادية، مما بوأها لتلعب "أدوارا هامة داخل الجهاز الاداري والسياسي من تأطير للمجموعات الأخرى وتمثيل للأحزاب السياسية بالمنطقة وتملك لوسائل الانتاج من مصانع ومقاولات وقطعان ومراكب الصيد البحري"[320] (محمد دحمان، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، مطبعة كوثر برنت، ط.1، الرباط، 2006م، ص. 246)، وهو ما ذهب معه أحد مبحوثينا معتبرا أن نخب اليوم بمجال الدراسة لا تعدو أن تكون مجرد "فئات براغماتية وانتهازية ومحكومة بهاجس المصالح الشخصية والربح السريع والاسترزاق بالقضايا المجتمعية والانسانية، واستغلال أي ورقة حقوقية أو مجتمعية للركوب عليها لتحقيق المآرب الشخصية، ويبقى خطاب المبدئية والتضحية ونكران الذات والمصلحة العامة مجرد شماعة يعلق عليها هؤلاء النخب وعودهم البراقة، حتى يتمكنون من الفرص المتاحة لصالحهم ومن يدور في فلكهم ممن يضع نفس القناع"[321] (مقابلة أجريت مع شاب جامعي شهر أبريل 2018م بمدينة العيون جنوب المملكة المغربية).

هكذا أضحينا أمام مجتمع في قائمته تتربع نخب مصنوعة غنية وفاحشة الثراء وفي قاعدته تعاني فئات عريضة فقيرة وبئيسة، ذلك أن بروز التجمعات السكنية الجديدة وتوطيد مؤسسة الدولة الحديثة وتداعيات اقتصاد السوق والعمل المأجور وسلطة المال.. كلها عوامل أفضت إلى نهاية الوضعيات الاجتماعية التقليدية التي انتهت مع نهاية الاقتصاد الرعوي والترحالي، وعلى الرغم من كل هذا إلا أننا نعاين تعاطي حذر للدولة في تعاملها مع هذه الفئات الجديدة، حيث لم تبوئها مراكز القرار بعد داخل مؤسسات الدولة، ويرجع الأسباب في ذلك حسب ما صرح لنا به أحد مبحوثينا :"أنا نشوف عن المواطن الصحراوي بالنسبة لي عاد خالك كم من مثقف هون ومراكز القرار كليلين فيها كبالة، أعينوا ولات وعمال وبرلمانيين ومنين تكعد معاه كوالي أو كعامل تجبرو خايف وتحت مراقبة معينة، ماهو كيف واحد من (الداخليين) هون تجبروا أمتن منو عين وأكثر جرأة فالتصرف، لهذا أنا نشوف عن أهل الصحرا مزالو مهمشون بصفة عامة بالرغم من انخراطهم فالأحزاب والجمعيات والمجتمع المدني، وبالرغم من الكم الهائل من المثقفين اللي حصلوا عليه وعندهم ذريك، وبالرغم من العمل الياسر اللي عدلوا الصحراويين وبالرغم من الاستفادة الهامة اللي استفادت الدولة من خيرات الصحرا، واللي كط

كلت عنو لولا خيرات الصحرا ما كان للدولة المغربية أن تصل الى ما وصلت اليه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا، ولكن أهل الصحرا بالنسبة لي إلى حد الساعة مزالو مغيبون ومهمشون على الصعيد العام"[322]، وهذا معناه حرفيا أنه بالرغم من وصول مجموعة من أبناء المنطقة لمراتب سياسية واقتصادية هامة فإنهم بقوا فاقدين لأي قرار مستقل – حسب المبحوث- في التعاطي مع ملفات الساكنة، وبذلك فسلطتهم الراهنة لا تزال غائبة أو مغيبة وهامشية في المشهد العام بالمنطقة". (مقتطف من مقابلة أجريت مع شيخ أحد القبائل الصحراوية وعضو بالمجلس الاستشاري للشؤون الصحراوية بمدينة العيون جنوب المملكة المغربية بتاريخ: 09 ماي 2019م).

وهو نفس ما قدمه لنا أحد المخبرين معتبرا أن حضور هذه النخب الجديدة بمجال الدراسة يقتصر على "الجمعيات والمراكز والمنظمات الكرطونية التي يتنافى خطابها الرسمي مع سلوكها الواقعي، يعني التناقض بين الفعل والخطاب أي بين التنظير والممارسة، ولعل حضور هذه الفئات الموسمي في بعض الأنشطة الارتجالية جعل شباب المنطقة يفقد الأمل في شيء اسمه النخب بالصحراء، ولعل المنتخبين والأعيان وممثلي الأمة بالجهات الثلاث لا يتعدى مستواهم الدراسي الباكالوريا بشكل عام أو دون ذلك، بمعنى السؤال الذي نطرحه نحن اليوم أين الفئات المثقفة من المسار التنموي وخطاب التغيير بالمنطقة ؟ هل هناك مثقفون حاملين لشواهد كرتونية فقط ؟ بمعنى آخر نحن أمام أزمة نخب حقيقية بالصحراء، وهي أزمة أكبر بكثير من أزمة البطالة أو التنمية، لأن الاستثمار في العنصر البشري أهم تنمية حقيقية للنهوض بمجال الصحراء ككل"[323] (مقابلة أجريت مع شاب جامعي شهر أبريل 2018م باقليم العيون جنوب المملكة المغربية).

وهذا الغياب أرجعه مبحوث آخر إلى أن "الإنسان منين إغيب ألا مغيبو شي، معنى ذاك علاش هي ماهي حاضرة ؟ لأن ذاك اللي متباركة معاه ما هو فصالح هاذي الفئة ذاك هو دليل غيابها، عندها شي ثاني متباركة أمعاه ما هو فصالح المجتمع"[324] (مقابلة أجريت مع أحد المتقاعدين من صفوف القوات المسلحة الملكية بالعيون شهر ماي 2019م)، ويقصد هنا المبحوث الفئات التي تمتهن عالم السياسة، والتي ما إن وصلت للسلطة حتى تنكرت لناخبيها، ومرد ذلك بحسبه أنها منغمسة في تأمين مصالحها الشخصية، وليس في صالحها أصلا أن يطلع المجتمع على هذه المصالح مما جعلها تكتفي لوحدها بالاستفادة منها، وهو نفس الطرح الذي ذهب معه مبحوث آخر معتبرا على أنهم "ما حاضر منهم أركاج، ألا كلها إلود للرزق، كلها إعدل فليسات فجيبو ويوغد واكول فرغوا، ألا الى عاد شي ينعطى يحضروا، والى عاد ما معطي شي ما يحضر منهم أركاج"[325] (مقتطف من مقابلة أجريت مع مقاول قيد حياته رحمه الله بمنطقة دكمار، بالداخلة جنوب المملكة المغربية صيف سنة 2019م)، ومعنى هذا أن أي حضور للنخب المحلية صار مقرونا بما تستفيده ماديا من سياسة الريع التي باتت مستفحلة بجنوب أقاليم المملكة المغربية.

بينما اعتبر مبحوث آخر أن نخب مجال الدراسة "مغيبة عن الساحة السياسية، لأن الكلمة الوحيدة للأقطاب السياسية، الفئات المثقفة تبقى فقط منظرة في المقاهي، وبالتالي فهي غائبة عن أي لمسة ميدانية لها داخل المحيط المحلي، وأضيف هي فئات منها من حصل على مناصب ادارية، لكنها ترى فقط عند أرجلها من تكوين أسرة وبيت وسيارة، وليس المساهمة في مشاريع مستقبلية اجتماعية وثقافية تكون هذه النخب هي الحامل لمشعلها"[326] (مقابلة أجريت مع شاب مقاول شهر ماي 2019م بالعيون).

ونجد مبحوثا آخر بلغ حد تقريع هذه الفئات التي عول عليها المجتمع لتسيير أموره بعدما وصلت لسدة السلطة الإدارية والانتخابية المحلية "هذا النوع اشوف ألا مصلحتو الخاصة، عييت ما أتشوف منهم ذو السياسيين ألا من الانتخابات للانتخابات، الحقيقة ذي هي، ذا النوع ما تشوفوا ألا فوقت الانتخابات بوتاتو ويفتح ديارو وفاتح المكاتب، وخالك نوع تشوفوا يغير ما مزي شوفتو شي، أنا هذا اللي شفت صراحة، الله اجيب لنا حد أفضل من ذا"[327] (مقابلة أجريت مع أحد المتقاعدين من الديار الفرنسية بالعيون شهر ماي 2019م)، معتبرا النخبة الصحراوية الراهنة مجرد أناس مصلحيين لا يهمهم إلا تحقيق مصالحهم الخاصة، حيث لا يجدهم المواطن بالمنطقة إلا خلال فترة الحملات الانتخابية، وحتى إن وجدهم بعد ذلك فإنهم لا يجدون نفعا، مما بات يفرض على الساكنة المحلية حسن اختيار فئات أكثر مسؤولية من هؤلاء مستقبلا.

واعتبر أحد مستجوبينا أنه "فالجانب السياسي توفرت قناعة كبيرة وهو أن قيمة التنظيم السياسي مستمدة من قيمة المنتسبين له من أبناء الصحراء، مثال على ذلك مجموعة من التنظيمات السياسية هي حكر على قبائل معينة، الحمامة عند أيت الحسن والسنبلة عند أهل الجماني والإستقلال عند أهل الرشيد..

فالعمل المدني أو الجمعوي نكدو نكسموه ما قبل 2004م وما بعدها، من سابكها كانت حكرا على بعض النخب اللي مآمنة ومتابعة ببرامج عملها، ومن بعد ذلك أسندت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية من خلال التسويق الرسمي لها من داخل الصحراء واعتبارها آلية من آليات ذر الرماد على مجموعة من الإختلالات التنموية وحتى الاجتماعية بالمنطقة، واعتبارها أداة مساومة لكسب ود واستقطاب مجموعة من الفئات الشعبية بالصحراء، للترويج للخطابات الرسمية وهي عكس ما جاءت به فلسفة المبادرة، كآلية حقيقية للتنمية، لكن تمت معالجة الاختلالات السياسية، مما جعلها بمثابة ريع تستفيد منه فئات دون أخرى.

بالنسبة للفئات الإعلامية أولا الإعلام ما تنشد أخبارو ألا من جهة الراديو بالعيون اللي قادتها تجربة الإعلامي السلامي بالعيون، وتجربة راديو الداخلة وهذي كامل كانت منابر اعلامية لتسويق الخطابات الرسمية، وفظل غياب معاهد اعلامية لتأطير أبناء المنطقة، تمكن النزر القليل من أبناء الصحراء المؤطرين بدبلومات اعلامية (الشجعي، محضار، زعواطي..)، ومن بعد ذلك جاءت قناة العيون الجهوية التي اعتبرها العديد فالبداية صوت مستقل ناقل لحقيقة الوضع بالمنطقة وهو

ما تبث عكسه، وجعل الكثير من أبناء المنطقة المهتمين بهذا الجانب يعولون على ما وفرته أجهزتهم الالكترونية، فخلقت طفرات نوعية من خلال مجموعة المواقع الالكترونية والقنوات الخاصة بشبكة اليوتيوب وحتى عبر الأثير، وفئة ثالثة ارتأت ان تشد الرحال للخارج باحثة عن هوى لحرية التعبير بنسب أعلى"[328] (مقابلة أجريت مع شاب أربعيني بمدينة العيون جنوب المملكة المغربية شهر ماي 2019م)، ومعنى هذا أن التنظيمات السياسية بالمنطقة تقاس بمدى تمثيلية القبائل الصحراوية بها، أما الجانب الجمعوي فجعل المبحوث سنة 2004م حدا فاصلا بين العمل الجمعوي المؤطر ببرامج وقناعات تهدف لخدمة وتأطير المجتمع، وبين محاولة الاستفادة من اقتصاد الريع، الذي حدده في دفع مشاريع باسم الجمعيات للاستفادة من ورش المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، وأما القطاع الاعلامي المحلي فلم يسلم حتى هو من حالة الضعف والتقهقر نتيجة لغياب معاهد متخصصة في الاعلام بالمنطقة، مما جعل تجربة قناة العيون الجهوية تكلل بالفشل - بحسبه- فاتجه المهتمون بهذا المجال الى خلق مواقع الكترونية وقنوات خاصة على شبكة اليوتيوب، بينما اختارت فئة ثالثة الهجرة للخارج بحثا عن قنوات عالمية تتيح لها هامشا اعلاميا وماديا أكبر.

وهناك رؤية مغايرة متفائلة حول هذه الفئات المتعلمة بالمنطقة متوسلة أن تكون داخل النسيج الاجتماعي بمثابة نخب الغد "هاذي النخب بحكم احتكاكي ببعض الشباب ماشية بخطى نيرة، وعاد دورها يقتدى به، مجموعة شباب دكاترة وتقنيين ومهندسين.. ماشيين بمسار يرقى بالمنطقة وأهل المنطقة. لأنه الداخلة عادت تكرا خصوصا العنصر النسوي وكذلك بوجدور، فئات متعلمة وحاصلة على شهادات عليا وصلت للدكتوراه وقدوة وفاعلين، وعادوا إكونوا جمعيات ونقابات وعادوا فإطارات للإحتجاج (مجموعة شباب الفوسفاط بالعيون الاحتجاجية)"[329] (مقابلة أجريت مع أحد الموظفين (من ساكنة العيون جنوب المملكة المغربية شهر أبريل 2019م.)، أي أن هناك فئة متعلمة تسير بخطى تابثة وتشق طريقها بصمت، وهي الفئة المتعلمة الحاصلة على شهادات عليا (دكاترة وتقنيين ومهندسين..)، والتي باتت قدوة للمجتمع ومسارها يرقى بالمنطقة وأهلها، وأضحوا يؤسسون اطارات احتجاجية ونقابية وجمعويةجديدة..حيث "تطورت الأشكال التنظيمية للإحتجاج (مظاهرات سلمية، وقفات، مسيرات، اعتصامات..) وتطور الفعل الإحتجاجي كذلك من خلال طبيعة الشعارات والمطالب.."[330] (سلامة بوشامة، حاضرة الطنطان وباديتها: المجال، التاريخ والمجتمع، (جذور وتطور فعل الاحتجاج بمدينة الطنطان)، تقديم: محمد دحمان، تنسيق: محمد سبى، مطابع الرباط نت، ط.1، 2019م. ص. 173)، كما إستطاع البعض منها اقتحام مربعات القرار السياسي "إقليم الداخلة فيها فئة متعلمة وهي اللي تدير الشأن المحلي بالمنطقة، وهي ذات تكوين عالي حقيقة، فمثلا رئاسة الجهة وأعضاء المجلس الجهوي نلاحظ وجود أعضاء لهم مستوى تعليمي عالي (دكتوراه، لغات متعددة..)، لقد تم القطع مع ظاهرة صناعة النخب التقليدية، وهذا الأمر ظهر بشكل جلي في الإنتخابات الماضية، حيث

تم القطع مع ما يسمى بسياسة النخب الموروثة منذ جلاء الإستعمار الإسباني"[331] (مقابلة أجريت مع شاب موظف متصرف بمدينة الداخلة جنوب المملكة المغربية صيف سنة 2019م).

إلا أن هذه الرؤية المتفائلة سرعان ما ستتوارى أمام تغييب تام لحضور وازن لهذه الفئة داخل المجتمع بحكم انتفاء السلطة المالية لديها، والتي من شأنها أن تنافس فئة البورجوازية الإقتصادية المحلية، مما جعل "حضورها حضور باهت، لأنه عدنا حنا ساكنة العيون تساير العصر، هذا الشباب ما إكد يتكلم، وخالك مثال إيكول:

بويا الى عدل همي

أنكد أنكول أنو بويا

وإلى ما عدل همي

ما بويا حد ولا عمي

أهلهم إيكولوا بعنا حيوانا وترابنا واليوم ماهم مشتغلين فشي وهذا عاد إحباط لهم ولأسرهم"[332] (مقابلة أجريت مع أحد الموظفين (من ساكنة العيون جنوب المملكة المغربية) شهر أبريل 2019م)، وبذلك أضحت المكانة الاجتماعية بالمنطقة اليوم تحدد من خلال ما يمثله الفرد داخل السلطة السياسية والاقتصادية والمالية، وليس مجرد مكانته العلمية والأكاديمية وشهاداته الجامعية والمهنية، التي قد تصبح عالة عليه وعلى أسرته ضمن مجتمع بات يتجه لحالة المجتمعات المادية التي "لا ترحم أفرادها"، كما أن غياب هذه الأطر المتعلمة يرجعه البعض الى انغماس غالبيتها في تحسين وضعها الاجتماعي، ف"غيابها لأنو كثرت المتطلبات المادية للشخص نفسو، لأنه مالاهي يكبض مسلة ألين يخسر آعليها أكثر، مثلا الجمعية لابد لتأسيسها من تحرك مادي ومانك لاهي تكبض مادة لاهي أتفيد بيها الضعيف ألين تخسر أكثر، وما يمكن الرئيس الى ما دار سيارة فخمة ب 70 مليون ما يمكن إسوك سيارة 7 مليون، وبالتالي المتطلبات كثرت"[333] (مقابلة أجريت بجنوب المملكة المغربية بإقليم العيون مع مسير محضرة أهل أبا حازم شهر أبريل 2019م).

على سبيل الختم:

بالرغم من أن "النخبة الفكرية هي التي بنت النهضة، وهي التي تسير البلاد في كل المجالات القانونية، الهندسية، السياسية، الفكرية.. في إطار صراعات اقتصادية لا مناص منها"[334] (عبد الوهاب بوحديبة، مفكر وباحث تونسي، مداخلة له في قناة "الغد" التلفزيونية ضمن برنامج "القنديل" بتاريخ: 05-02-2017م.)، إلا أن واقع الصراعات الاجتماعية والطبقية

ISSN 2569-734X

يؤكد اليوم في مجال الدراسة أن الدولة هي المحدث للمجتمع وليس المثقف، وفي كلمة واحدة ومختصرة، ما يمكن أن نخلص إليه في هذه الورقة حول موضوع النخبة الصحراوية المثقفة ضمن مجال الدراسة بحسب ما جمعناه من معطيات ميدانية، أن مواقف المبحوثين تجمع على أنها نخبة مغيبة عن مشروع النهوض والمرافعة بقضايا المجتمع المحلي، نظرا لتغييبها ولضعف مواردها المالية، وهو الوضع الذي غير من العدالة الإجتماعية أو المساواة الاجتماعية وغياب التفاوتات الطبقية، إلى واقع "نخب ثرية والبقية تعيسة، ذلك أن التقدم التقني والتغير الإجتماعي بصفة عامة يغني الأغنياء ويفقر الفقراء ويضعف الضعفاء"[335] . (ابراهيم حمداوي، مقال بعنوان: التحولات الاجتماعية والثقافية بالمجتمع الصحراوي، كتاب جماعي: ثقافة الصحراء: مدارات الهوية والمعنى، منشورات وزارة الثقافة، ط.1، مطبعة دار المناهل، المغرب، 2013م، ص. 65).

لائحة بعض المراجع المعتمدة:

1. أوديت دي بويغودو، فنون وعادات البيضان، تعريب: أحمد البشير ضماني، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، مركز الدراسات الصحراوية، ط.1، الرباط، 2017م.
2. ابراهيم حمداوي، مقال بعنوان: التحولات الاجتماعية والثقافية بالمجتمع الصحراوي، كتاب جماعي: ثقافة الصحراء: مدارات الهوية والمعنى، منشورات وزارة الثقافة، ط.1، مطبعة دار المناهل، المغرب، 2013م.
3. حيدارة بشر أحمد، 1998 ، **تاريخ الصحراء الغربية وقبائلها العربية، بدون دارومكان النشر، ط. 1، 2015.**
4. عبد الوهاب بوحديبة، مفكر وباحث تونسي، مداخلة له في قناة "الغد" التلفزيونية ضمن برنامج "القنديل" بتاريخ: 05-02-2017م.
5. سلامة بوشامة، حاضرة الطنطان وباديتها: المجال، التاريخ والمجتمع، (جذور وتطور فعل الاحتجاج بمدينة الطنطان)، تقديم: محمد دحمان، تنسيق: محمد سبى، مطابع الرباط نت، ط.1، 2019م.
6. شغالي حريش، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام بعنوان: النخب السياسية في الصحراء: المسارات والخطاب، مساهمة في كتابة التاريخ السياسي، جامعة القاضي عياض، كلية العلوم القانونية والاجتماعية والاقتصادية- مراكش، اشراف: ذ. رشيد العلمي الادريسي، 2013م-2014م.
7. علي ليلة، النظرية الإجتماعية وقضايا المجتمع "قضايا التحديث والتنمية المستدامة"، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة محمد عبد الكريم حسان، ط.1، القاهرة- مصر، 2015م.
8. **هشام صاغور، دور النخب السياسية في تفعيل مسار التكامل المغاربي :في ظل المعوقات الداخلية الو اقع والرهانات (ط. 1). دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. 2014.**
9. محمد دحمان، الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الاسبانية (1885م-1933م)، طوب بريس للطباعة والنشر- الرباط، ط.1، 2014م.
10. محمد دحمان، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، مطبعة كوثر برنت، ط.1، الرباط، 2006م.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

إضاءات حول مشاريع إصلاح التعليم المغربي قبل عهد الحماية.

الدكتور مولاي الحبيب صبري العلوي

المعهد العالي للمهن التمريضية وتقنيات الصحة القنيطرة.

moulaylahbib6@gmail.com

ملخص البحث

يستمد هذا الموضوع أهميته من القيمة التاريخية والعلمية للبحث فيه، فتناول موضوع إصلاح التعليم بالمغرب خلال فترة قبل الحماية، ليس تكرار ما قيل فقط، بل خدمة للنقاش الدائر حاليا حول قضايانا التعليمية المعاصرة والراهنة، وذلك من خلال التعرف على النظم التعليمية التي تبناها المغاربة خلال هذه الفترة التاريخية ومحاولة الإحاطة بالملابسات التي فرضت كل إصلاح تعليمي.

كلمات مفتاحية : الاصلاح – التعليم –المغرب – فترة قبل الحماية -

Abstract:

This topic derives its importance from the historical and scientific value of its research, as it dealt with the issue of education reform in Morocco during the period before the protectorate. This is not just a repetition of what was said, but rather a service to the current discussion about our contemporary and current educational issues. This is done by identifying the educational systems that Moroccans adopted during this historical period and trying to understand the circumstances that imposed every educational reform.

Keywords: reform - education - Morocco - period before protection

مقدمة

يعد التعليم أحد اللبنات الأساسية لبناء الإنسان، فهو وسيلة لتثقيف وتنمية إدراك الفرد، والتعليم هو القلب النابض للمجتمع والضامن لتطوره وتماسكه. يعتبر المغرب كغيره من دول العالم لم يكن استثناء وظل يتخبط منذ حصوله على الاستقلال في قضايا إصلاح المنظومة التربوية، حيث قام بعدة تجارب وقطع مجموعة من المراحل، بدء باعتماد المبادئ الكبرى للنظام التعليمي المغربي، التعريب والتوحيد والتعميم والمغربة، لكنها لم تحقق ما كان مسطرا لها، مما حتم القيام بإصلاح شامل للمنظومة التعليمية.

يهدف هذا العمل إلى التنقيب في جذور الإصلاحات والمشاريع التعليمية بالمغرب قبل الحماية، كما يحاول هذا المقال إيجاد الخيط الرابط بين مختلف محطات الإصلاح التعليمي بالمغرب قبل الحماية وأهم محدداته وتجلياته.

يعالج هذا البحث إشكالية كبرى ترتبط أساسا بحالة الجمود التي تعرفها منظومتنا التعليمية رغم دينامية الإصلاحات التي شملتها عبر تاريخ المغرب، وهو ما يدفعنا للتساؤل عن جدوى هذه الإصلاحات ومدى تأثيرها على المنظومة التعليمية وقدرتها على التغيير.

لم يكن الإصلاح التعليمي الحالي وليد اللحظة، بل له جذو+ر تاريخية، فكل دولة تعاقبت على حكم المغرب اهتمت بقضية التعليم وعملت جاهدة على إصلاحه، بداية بالأدارسة وصولا للدولة العلوية، وقد كان النظام التعليمي بالمغرب يقوم على الدين الإسلام++ي بالأساس، بمستوياته الثلاث، وقد عمل مجموعة من السلاطين جاهدين لإصلاح بنية التعليم ال+تقليدي بالمغرب، كمبادرة السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومبادرة السلطان مولاي الحسن ال+أول وغيرهم، لكن هذه المبادرات تقبر بوفاة أصحابها.

1. تحديد دلالي واصطلاحي لمفهوم الإصلاح:

أ. التحديد الدلالي والاصطلاحي لمفهوم الإصلاح

يشتق مصطلح الإصلاح من فعل " أصلح"، الذي يدل تارة على معنى إجراء الصلح أو عقد هدنة، ويدل تارة عل+ى فعل الخير أو العمل الصالح، والإصلاح في الفكر الإسلامي هو العودة إلى الإسلام الأصيل استنادا إلى المبدأ الأسمى وهو العودة إلى الينابيع وإلى الأصول[336] ، ويكتسي مفهوم الإصلاح دلالة معرفيةلوحمولة تفسيرية قد لا تضاهيه مفاهيم أخرى، فلا مغالاة إذا تم ربطها ببداية خلق الإنسان الذيلظل يسعى دائما للتغيير نحو الأفضل، كما ارتبط مفهوم الإصلاح بزخم من المعاني اللغوية التي تداولها الناس في أحاديثهم وبحوثهم كاليقظة والنهضة والتغيير والتجديد والتحديث والحداثة، ويعرف الباحث العربي اسليماني الإصلاح بأنه " مجموع التغييرات التي يتم إدخالها على نظام ما، ليصبح قادرا على الاستجابة لمتطلبات المجتمع، وقد ارتبط مفهوم الإصلاح بالأدبيات السياسية والدستورية والاقتصادية أكثر من ارتباطه بالتعليم"[337].

وقد بدأ الإصلاح في الوعي العربي الحديث فكرة، ثم ما فتئ أن تحول إلى مشروع فكري كامل، بدأ كفكرة لدى الن+خب الثقافية من معاينة المقدار الهائل من وقائع التحول الذي طرأ على العالم المحيط نتيجة التصاعد الظافر للمدنية الأوروبية الحديثة، وهناك نماذج عديدة للإصلاح كالتي قادتها النخب السياسية في مصر(محمد علي باشا) وفي تونس(أحمد الباي) وفي مغرب السلطانيين المولى عبدالرحمان ومحمد الرابع[338].

(336)- سيمو بهيجة، الإصلاحات العسكرية بالمغرب (1844-1912)،الرباط، المطبعة الملكية، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري،2000، ص25.

(337)-اسليماني العربي، المعين في التربية، الجزء الأول، ط10، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2018، ص20.

(338) -بلقزيز عبد الإله، « في الإصلاح وراهنيته » المناهل، العدد98، دار المناهل، الرباط، يناير فبراير مارس 2020، صص349-350. ص350 .

ب. شروط الإصلاح

تتعدد شروط الإصلاح بتعدد مجالات استعماله لكننا سنتوقف عن أهم شروط إصلاح التعليم:

- شرط النسقية

يجب على الإصلاحات التعليمية أن تكون ذات بعد نسقي تحصل في أزمة القطائع الكبرى التي تعرفها بنيات المجتمع، وتهم هذه الإصلاحات البلدان النامية التي تعاني فيها النظم التعليمية من اختلالات بنيوية في مناهجها والتحصيل الدراسي بها وتكوين المدرسين والبنيات التحتية وقدرة الاقتصاد لديها على تحقيق الاندماج الاجتماعي والثقافي، ويقول المكي المروني " أن نجاح الإصلاح التعليمي يتوقف على موضعته في إطار مشروع مجتمعي عام، يأخذ بالاعتبار المكونات الأساسية للمجتمع وطموحاته وتكمن ضرورة هذا المشروع في اندماج النظام التعليمي في النظام الاجتماعي"[339].

- التشارك والتوافق

حصول التوافق والتراضي من أهم شروط الإصلاح بين قوى المجتمع من أحزاب ونقابات وسلطة، لذلك يرى الدكتور محمد جسوس أن " صلب الأزمة التعليمية هو غياب مشروع مجتمعي مستقبلي يعتمد الوفاق والتراضي بين مختلف مكونات المجتمع المغربي "[340]، كما أن أزمة التعليم معناها أزمة توافقنا وقدرتنا على التوافق حول المستقبل المنشود، وسنقف على نقطة التوافق في حديثنا عن الإصلاحات التعليمية بمغرب الاستقلال.

- شرط الحوار والتواصل

إن الحوار بين الأطراف المنخرطة في سيرورة الإصلاح التربوي يقودها لأرضية مشتركة للتوافق أما التواصل الواسع مع الفئات المجتمعية والتعليمية التي يستهدفها الإصلاح، فالغرض منه تعميق وعيها بفضائله ومحاسنه[341]، ولذا فشرط الحوار ضروري في عملية الإصلاح بشكل عام، والإصلاح التعليمي على وجه الخصوص، ولن يكون هناك حوار بدون تواصل، فالتواصل بين مختلف الفاعلين التربويين هو من يمهد الأرضية المناسبة للحوار الجاد والفعال الذي ينتج عنه إصلاح حقيقي وذو جدوى.

ج. معنى ومبنى في النظام التعليمي

يذهب أكثر علماء المعاجم إلى القول: بأن لفظة " النظام" تعني التأليف والاتساق والجمع بين شيئين، كما تعني لفظة النظام أيضا الطريقة والسيرة، ومن ذلك قولهم: ليس لأمره نظام، أي لا تستقيم طريقته [342]، وأما النظام بالمعنى الاصطلاحي، فله عدة تعريفات ولعل أهمها تعريف "بكلي" (buckly) الذي يقول: إن النظام عبارة عن " كل مركب من العناصر والمكونات المرتبطة بصفة مباشرة أو غير مباشرة بشبكة من العلاقات السببية، بحيث يرتبط كل مكون من

---

[339]- Merrouni (Mekki), le problème de la reforme dans le système éducatif marocain, rabat, édition okad, ,1993, p101 .

- [340]فاوبار محمد، مرجع سابق، ص 91.

6- نفسه، ص 93.

- [342]سانو قطب مصطفى، « النظم التعليمية الوافدة في إفريقيا قراءة في البديل الحضاري » مجلة الأمة، السنة 18، العدد 63،2008، ص43.

المكونات الأخرى بطريقة ثابتة، ولفترة زمنية محددة [343]، أما التعليم فيعرفه بعض علماء التربية بأنه " صناعة تهدف إلى إنتاج أعداد من القوى البشرية التي تعمل في قطاع الحياة المختلفة، ومجالات الإنتاج المتعددة " [344] .

د. النظام التعليمي الو افد (الاستعماري)

إن النظام التعليمي الوافد هو عبارة عن نظام تعليمي يصدر عن مرجعية وافدة، غريبة عن الواقع الذي يطبق فيه، ويستهدف تحقيق أهداف غامضة، ولا يتلاءم في واقع أمره مع ضروريات المجتمع وحاجاته، ويتسم بالتستر المتعمد على مرجعيته وأهدافه، كما يتجاهل تركيبة المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية [345]، وتشير المصادر إلى أنه لا يوجد نظام تعليمي رسمي بالمغرب قبل الحماية الفرنسية باستثناء جامع القرويين المتخصص في العلوم الإسلامية[346].

2. تاريخ الإصلاحات التعليمية بالمغرب

تميز تاريخ المغرب بعدة محطات إصلاحية متتالية، فكل دولة تعاقبت على حكم المغرب تركت بصمتها على النظام التعليمي، لما له من أهمية فهو يتقاطع مع مراكز القوة والنفوذ لحشد الهمم وكسب الأنصار والأتباع، كما يوظف لإبعاد الخصوم وتثبيت إيديولوجية السلطة، ولا يمكن فهم تاريخ المغرب السياسي أو الحضاري دون فهم الدور الذي لعبه التعليم الديني، فبواسطته تم إسلام سكان المغرب تدريجيا وتمت المحافظة على هويته الدينية طيلة العصر الوسيط، واستمر هذا النوع من التعليم مع بعض التغيرات إلى غاية الفترة المعاصرة.

أ. التعليم بالمغرب خلال الفترة الوسيطية

- تشكل المدرسة المغربية في عهد الأدارسة

يصعب تأكيد أو نفي وجود مدرسة مغربية قبل الفتح الإسلامي، لكن هناك إرهاصات أشار إليها إبراهيم حركات حيث ذكر أن الأدارسة لم يكونوا ذو ثروة لتشجيع الحركة الفكرية والعلمية إلى حدج يكثر معه الإنتاج وتنتشر معه حركة التأليف [347]، إلا أن الوضع تغير مع استقرار الدولة حيث برز فقهاء وعلماء مغاربة لامعين خاصة بفاس وتم بناء جامع القرويين وازدهرت حركة العلوم الدينية.

- **الوضعية التعليمية في العهد المرابطي.**

قامت دولة المرابطين على أساس ديني وظهرت حركة إصلاحية تنطلق من الدين لتشمل مجالات أخرى، وجعلوا من الرباطات مكانا لتدريس شتى أنواع العلوم الدينية، كما قام المرابطون ببناء عدة جوامع، التي احتضنت حلقات العلوم كمسجد علي بن يوسف بمراكش ومسجد دار الحجر، وتنسب أول مدرسة نظامية بالمغرب للمرابطين، إذ يقول في هذا الصدد الباحث عبد الله علي علام " يوسف بن تاشفين أسس مدرسة الصبارين وعرفت بالقرن الثاني عشر بمدرسة بومدين" [348]، كما لاحظ الحسن الوزان في عصره بمدينة (تيشيت) الصنهاجية أن النساء هن اللواتي يتعلمن ويقمن بدور

(343)- سانو قطب، مرجع سابق، ص44.

(344)- نفسه، ص44.

(345)- نفسه، ص49.

(346) - الكروي محمود صالح، التجربة البرلمانية في المغرب(1963-1997)، دار الكتب ببغداد، مطبعة البريق، ط1، 2010، ص 17.

- (347)حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1994، ص128.

- (348)علام عبدالله، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المومن بن علي، مطبعة دار المعارف، القاهرة،1971، ص 292.

معلمات المدارس للبنات والبنين [349]، والتعليم في العصر المرابطي كان مقتصرا على تعليم أركان الإسلام من صلاة وزكاة ومعرفة الحلال والحرام.

- **التعليم بالعهد الموحدي**

ابتداء من عصر الموحدين ظهر شكل رسمي من أشكال التعليم، الذي خضع له الآلاف من صغار الطلبة الموحدين، ويذكر ابن فضل العمري أن مقر المدرسة الموحدية التي بمراكش " مكان جليل به خزائن الكتب، وفيه كان خلفاء بني عبد المومن يجالسون العلماء [350]، (العمري، مسالك الأبصار، ص 162)، والحق أن عصر الموحدين يمثل الذروة في النشاط الفكري ثم إن موارد الدولة الضخمة مكنتها من أن تغدق بسخاء على طلاب العلم، فبنت لهم المدارس والمعاهد التي كان من بينها معاهد للتخصص، وفي نفس السياق يشير المنوني " إلا أن الموحدين قد أسسوا عددا من المدارس في مراكش وفاس وطنجة وسلا واستقدموا ابن رشد الفيلسوف ليستعينوا به على تنظيمها وقد كانوا حريصين على انتخاب المدرسين للتدريس بهذه المراكز [351]، وهكذا كانت هيكلة النظام التعليمي على عهد الموحدين تتكون من تعليم أساسي هو عبارة عن كتاتيب قرآنية ومساجد متوسطة للتأهيل العلمي وجامعات كبرى مثل القرويين ومدارس متخصصة كالمدرسة البحرية والملكية.

- حركة التعليم في العهد المريني

تميز العهد المريني بحركة في تأسيس المدارس العلمية، وتأسست أول مدرسة نظامية خاضعة لشروط معمارية ونظام للتسيير، وأنها ليست مؤسسة ارتجالية [352]، وهو ما يؤكده ابن مرزوق متحدثا عن السلطان ابي يوسف " وهو الذي بنى المدرسة بفاس بعدوة القرويين منها، ولم يكن لأهل المغرب عهد ولا معرفة بوضعها فيما علمت" [353]، وقد انتشرت المدارس في كبريات المدن كفاس وسبتة ومراكش ومكناسة وقد أنفق السلاطين على بناء المدارس بسخاء وجعل بعضها تحفا معمارية كما حبسوا عليها الأحباس ما سمح بأن تصبح مؤسسات رسمية ذات مكانة متميزة في الحركة التعليمية، وكانت الدراسة منظمة تنظيما دقيقا، ومواد الدراسة تشمل الفقه والنحو والقراءات وثلاثتها كانت لها الصدارة في الدراسات المغربية، تضاف إليها العلوم اللسانية وبعض فروع الفلسفة ومبادئ علوم العدد والطب والهندسة والمنطق [354]، وكان تشجيع الدولة للحركة التعليمية يتخذ صورا مختلفة من بناء المدارس إلى تزويد المساجد بالكتب العلمية وايواء الطلبة وضمان معاش الأساتذة.

ب. التعليم بالمغرب الحديث

- التعليم بالعهد الوطاسي

---

(349)- أسكان الحسين، تاريخ التعليم خلال العصر الوسيط (1-9 هـ/ 7-15 م)، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الدار البيضاء، 2004، ص 36.

(350)- القبلي محمد (تنسيق)، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة، ط1، الرباط، 2011، ص 263.

(351)- المنوني محمد، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر، ط2، الرباط، 1977، ص 56.

(352)- بلكبير محمد، المنهاج التربوي بالمدرسة المغربية زمن الحماية: الأسس والوظائف، دار النشر المعرفة، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط، 2005، ص 73.

(353)- المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب الرباط، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص239.

(354)- المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، ص 256.

كانت مقاليد السلطة الثقافية والتعليمية في العهد الوطاسي بيد شيوخ الزوايا، أما الدولة فلم يكن لها نشاط ملموس في التعليم وبناء المدارس، وعرفت منطقة سوس حركة تعليمية تمثلت في بناء المدارس على يد عدد من العلماء والمحسنين كمدرسة آقا التي كان من علمائها محمد بن المبارك [355]، وظل التعليم في الكتاتيب القرآنية والمدارس شبيها بما كان في الماضي، حيث يحفظ التلاميذ القرآن ثم رسالة ابي زيد القيرواني ثم ألفية ابن مالك ثم يتفرغ الطلبة لدراسة علوم الفقه، وكان بفاس حوالي مائتي كتاب (مسيد) فضلا عن الجوامع والمساجد، وقد استمرت العناية بشؤون المدارس حتى وإن لم يخلد الوطاسيين مآثر في بناء المدارس الجديدة، ومع ذلك تقهقرت حركة التعليم في عهدهم.[356]

- التعليم بمغرب السعديين

أهم الإصلاحات التعليمية في العهد السعدي قام بها السلطان أحمد المنصور الذهبي متأثرا بما اطلع عليه من الدولة العثمانية، واصطبغ العصر على مستوى التعليم بطابعين: طابع الشمول من حيث التوزيع الجغرافي حيث أصبح التعليم أقرب ما يكون إلى الديمقراطية، حيث عم عدة مدن وقرى في شتى جهات البلاد، وتكاد لا تخلو حاضرة أو بادية من الكتاتيب القرآنية، حيث يتعلم الأطفال فيما بين السنتين الرابعة و العاشرة من أعمارهم مبادئ القراءة والكتابة ويحفظون القرآن، ثم طابع التنوع من حيث المادة التي يدرسها المتعلمون [357]، ولم يستكثر السعديين من المدارس لسببين: أولا وفرة المدارس المرينية، ثم إن عدد من الخواص في مراكز كثيرة أقبلوا على بناء المدارس لأغراض تثقيفية كمدرسة عقيلة من أبناء آل عمرو [358]، وقد تنوعت المواد الدراسية وتعددت على عهد السعديين ولو أنها ظلت في نطاق العلوم المتعارف عليها، أهمها العلوم الشرعية بأصنافها من تفسير وقرآن وحديث وأصول الفقه ولغة، ثم العلوم البحثية كالرياضيات والهندسة، وعلوم تجريبية كالطب والصيدلة، ولم تختلف طرق التدريس اختلافا جوهريا عما كان في العصور السابقة إلا بعض الاجتهادات لبعض العلماء ورجال التدريس استوحوها من تجاربهم الخاصة [359].

ج. الوضعية التعليمية خلال الفترة المعاصرة

انخرط العلويون في جهود الإصلاح وتحديث الدولة في ظل التربص الأجنبي و التأثر بالدولة العثمانية، ويعتبر السلطان سيدي محمد بن عبد الله مهندس المغرب الحديث [360]، ومهندس الإصلاحات التعليمية من جهة ثانية، حيث كان سيدي محمد بن عبد الله أول من وضع بشكل رسمي برنامجا دراسيا لجامعة القرويين يحدد فيه ما يدرس من العلوم، كما أنشئت المطبعة الحجرية التي ساعدت كثيرا على نشر الكتب في مختلف العلوم في عصر المولى عبد الرحمان، ولا ننسى جهود السلطان مولاي الحسن في إصلاح الوضع التعليمي خاصة فيما يتعلق بالتعليم العسكري، وقد اشتهر بإرسال البعثات التعليمية إلى مختلف بقاع العالم، وعلى نفس النهج سار من بعده وحاولوا إصلاح ما يمكن إصلاحه، لكن الضغط الأجنبي كان أكبر وأقوى من رغبة هؤلاء السلاطين، وسنأتي لذكر أهم المشاريع الإصلاحية التي أقدم عليها سلاطين الدولة المغربية خلال الفترة المعاصرة.

(355) - حركات ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1998، ص221.

(356)- حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص 224.

(357)- حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، منشورات دار المغارب، سلسلة التاريخ رقم: 2،1976 ، ص81.

(358)- حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، ص 392.

(359)- حجي محمد، الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، ص 93.

(360)- حركات إبراهيم، التيارات السياسية والفكرية خلال قرنين ونصف قبل الحماية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1994، ص15.

3. النظام التعليمي بالمغرب قبل الحماية

أ. النظام التعليمي التقليدي

ظل التعليم بالمغرب طيلة مئات السنين تعليما دينيا، فكل شيء في المجتمع المغربي يرتكز على الدين الإسلامي قضاء ومالية و إدارة [361]، وظل التعليم محافظا على تقسيم ثلاثي لمستوياته:

- التعليم الابتدائي (المسيد):

كان الكُتَّاب أو المسيد قاعدته الأولى، ففي كل دوار يوجد كُتَّاب محلي يشرف عليه الفقيه وهو شخص من حفظة القرآن وكان يسمى لدى القبائل البربرية بالطالب، ولم يكن دوره تعليميا فقط بل كان مركزا للتربية [362]، ففي فاس وحدها كان هناك 135 مسيدا في مطلع القرن العشرين، وعدد التلاميذ بلغ 150 000 من ساكنة يبلغ عدد ساكنتها أربعة ملايين و 800 000 في سن التمدرس [363]، وقد شكل القرآن المادة الرئيسية في المسيد، كما يعد (الكتاب) أيضا مكانا للتنشئة وتعلم مبادئ الأخلاق و المروءة، وقد كان حكرا على الذكور فقط خصوصا في الطور الثانوي والعالي أما في الابتدائي فكان هناك 15مسيدا للبنات في فاس [364]، ونفس الأمر في مراكش حيث كان التعليم الابتدائي يلقى في الكتاتيب القرآنية وبعض المساجد، وكان التلميذ يحفظ القرآن حيث يكتبه في اللوح الخشبي ويحفظه عن ظهر قلب، ويقوم بالاستظهار أمام الفقيه [365]، والقليل فقط من كان يتابع دراسته الثانوية، فأغلبية الأطفال يغادرون الكتاب عن عمر 10 أو12 سنة، إلا الذين تعلموا نصوص القرآن فيتابعون دراستهم الثانوية بالجوامع أو الزوايا.[366]

- التعليم الثانوي:

كان يتم بالمدارس العلمية المنتشرة في بعض المدن الكبرى وبعض البوادي كمنطقة سوس وقبائل جبالة، وكانت تؤسس على يد القبيلة أو على يد فقيه، كما تعطى دروس ثانوية في معظم الحواضر في شكل محاضرات تلقى من أحد العلماء، وكان أبناء العائلات الميسورة يتابعون دراستهم الثانوية في منازلهم على يد مدرسين خصوصيين [367].

- التعليم العالي:

كان التعليم العالي بالمغرب قبل الحماية يلقن بجامعة القرويين وجامعة ابن يوسف بمراكش إضافة إلى المدارس الأصلية وبعض المراكز الحضرية كالرباط وسلا وتطوان [368]، ولم يبق من المدارس الأصلية التسع إلا خمس تواصل عملها إلى حدود

---

(361)- ديمس جون، حركة المدارس الحرة بالمغرب (1912-1970)، ترجمة السعيد المعتصم، ط1، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1991، ص 16.

(362)- غزالي محمد، الإصلاحات التعليمية بالمغرب: دراسة على مستوى الوظائف والمكونات(1956-2001)، جامعة الحسن الأول، دار الأحمدية، ط1،2014، ص 48.

(363)- ديمس جون، مرجع سابق، ص16.

(364)- نفسه، ص 19.

(365)- Boulahcen ali, Sociologie de l'éducation, Edition Afrique orient, Casablanca, 2002 , p13 .

(366)- Ibid , p 14.

(367)- ديمس جون، مرجع سابق، ص20.

(368)- غزالي محمد، مرجع سابق، ص 50.

1911، أما المواد التي كانت تدرس بالمؤسسات التعليمية وفي مقدمتها جامعة القرويين، فقد بقيت في الغالب ذات طابع ديني محض، محصورة في دائرة العلوم الشرعية حيث كان الاهتمام منصبا لدراسة الفقه و الحديث والأصول والتفسير واللغة.[369] وقد صنف (بيير يتي) لائحة العلوم التي كانت تدرس بالقرويين في السنوات الأولى من القرن العشرين [370] ، وهي كالتالي:

- الحديث وكان يدرس كل يوم وكان المؤلف المستعمل هو صحيح البخاري.
- الفقه وكان يسمى بالبحر لأنه لا حدود له، ومن أهم مؤلفاته مختصر خليل ورسالة ابي زيد القيرواني.
- النحو يلقن في المساء من طرف أساتذة مبتدئين حسب كتابين: الآجرومية وألفية ابن مالك.
- الأدب عبر دراسة لقصيدتي البردة والمهمزية مع شروحهما.
- أصول الفقه وكانت تدرس بالمساء ولذلك هي مادة ثانوية.
- المنطق وكان قليل الرواج بفاس.
- البيان والعروض والبديع وكانت تلن من أساتذة أجلاء.
- الحساب كان يدرس خارج الجامعة في أحد مساجد حي البليدة، وهو جامع الارنجة.

وقد كانت تلقن علوم أخرى لكنها اضمحلت شيئا فشيئا كالتنجيم وعلم الكلام والتاريخ الذي ربما لم يدرس قط بفاس، ولم تكن جامعة القرويين منظمة على غرار الجامعات الأوروبية وكانت تحت مراقبة قاضي الجماعة بفاس وهو الذي كان يعين الأساتذة ويعرضهم على موافقة المخزن [371]، غير أن التعليم العالي في العشرينات من القرن العشرين عرف انبعاثا بتعديل طريقة التدريس به.

ب. أصناف المدارس قبل الحماية:

- المدارس الأوروبية:

في ظل الحمايات القنصلية لرعايا مغاربة وتواجد مبعوثي وقناصل دول أجنبية، كانت الحاجة لتعليم أبنائهم وفق منهاج البلد الأم، وقد أحصى الدكتور محمد عابد الجابري هذه المدارس الخاصة بالجاليات سنة 1908 وحددها في 13مدرسة إسبانية و أربعة انجليزية، إلا أن أهم المدارس الأوروبية كانت المدارس الفرنسية التي تشرف عليها الرابطة الفرنسية على نوعين منها: العربية(مدرسة طنجة 1889

، مدرسة العرائش 1905، مدرسة وجدة 1907) والمدارس الفرنسية (مدرسة روبيني بطنجة 1888، ومدرسة بيري بطنجة كذلك 1904، ومدرسة بترمان بالبيضاء 1907) [372]، المدارس الأولى تلقن أبناء المغاربة تعليما فرنسيا أوليا مع بعض المواد

(369) - حيمر جمال، البعثات التعليمية في عهد السلطان مولاي الحسن الأول، سلسلة شرفات، العدد62، نوفمبر 2015، الرباط، ص 67.

(370) - لوطورنو روجي، فاس قبل الحماية، الجزء الثاني، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1992، صص -655 654.

(371)- لوطورنو روجي، مرجع سابق، ص656.

(372) - الجابري محمد عابد، أضواء على مشكل التعليم بالمغرب، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1973، ص16.

العربية، والمدارس التي من النوع الثاني كانت خاصة بأبناء الجالية الفرنسية، وكان التعليم فيها مماثلا للذي كان موجودا في فرنسا، ثم المدارس الفرنسية العربية وهي نواة التعليم الأهلي زمن الحماية، أما المدارس الفرنسية فهي نواة التعليم الأوروبي الذي كان يشكل أيام الحماية أرقى أنواع التعليم بالمغرب وهو خاص بالأوروبيين [373] .

- المدارس الإسرائيلية العالمية:

ابتدأت هذه المدارس سنة 1862، ويرجع تأسيسها إلى ظهير "الحرية لليهود" [374]، أصدره السلطان محمد بن عبد الرحمان سنة 1864، وقد ورد في هذا الظهير: " نأمر من يقف على كتابنا هذا ... من سائر خدامنا وعمالنا القائمين بوظائف أعمالنا، أن يعاملوا اليهود الذين بسائر إيالتنا بما أوجب الله تعالى من نصب ميزان الحق، والتسوية بينهم وبين غيرهم في الأحكام، حتى لا يلحق أحد منهم مثقال ذرة من الظلم، ولا ينالهم مكروه ولا اهتضام" [375]، وكان من نتائج هذا الظهير قيام اليهود المغاربة بتوثيق روابطهم مع الرابطة الإسرائيلية العالمية والقيام بمجموعة من الأنشطة من جملتها انشاء مدارس عصرية بمساعدة الرابطة المذكورة وتحت رقابتها، من جملة المدارس اليهودية مدرسة بالعرائش أسست عام 1878، وأخرى بفاس عام 1882، .وبأسفي 1901، وبالرباط و البيضاء عام 1903، وكان التعليم بهذه المدارس عال المستوى وظل فرنسيا من حيث لغة التكوين، كما خصصوا حصصا لتدريس العبرية خاصة بالمدارس التلمودية [376].

ج. تعليم الفتاة قبل الحماية

تعد قضية تعليم الفتاة بالمغرب من القضايا المعقدة، لكون تعليم الفتاة كان محط معارضة من قبل بعض العلماء من جهة، ومن قبل بعض الأسر محدودة الثقافة من جهة ثانية، لذا نظر إليه أغلب المغاربة كبدعة، واختلفت آراء الفقهاء بصددها، وقد كان التعليم السائد بالمغرب إلى حدود مرحلة الحماية، تعليما دينيا يلقن في الكتاتيب القرآنية التي كانت موجودة في مختلف أحياء وأزقة المدن المغربية، غير أنه لم يخصص للبنات منها إلا (كُتَّاب) واحد، كان بقصر المدرسة بمكناس حيث تسكن العائلات المخزنية.[377]

وقد كانت الفتاة المغربية متخوفة من الذهاب للمدرسة، لذا ظلت منعزلة في المنزل حسب اعتقادها، لهذا يقول الباحث تسوريكوف (tsourikoff) " أن تعليم الفتيات المسلمات كان غير موجود بمغرب ما قبل الحماية" [378]، باستثناء فتيات مثقفات ينتمون لأسر الأعيان، في شكل مدارس قرآنية للفتيات الصغيرات، ويعد القرآن أساس التعليم بالمغرب، وكانت تسير هذه المدرسة القرآنية فقيهة (**fqiha**) تحفظ القرآن عن ظهر قلب، وكانت هذه الفقيهة تذهب أحيانا لمنازل الأسر

---

(373) - نفسه، ص16.

(374)- قصة هذا الظهير كما تحكيها المصادر التاريخية هي أن أربعة من اليهود المغاربة اتهموا بتسميم مندوب الحكومة الإسبانية المكلف باستيفاء التعويضات التي فرضتها إسبانيا على المغرب بموجب معاهدة تطوان (1860) ، ولقد طالبت الحكومة الإسبانية بمعاقبة المتهمين، فأعدم اثنين منهم عام 1863، فشكلت هذه الواقعة فرصة للرابطة الإسرائيلية العالمية للقيام بحملة ضد اضطهاد اليهود في المغرب، فأصدر السلطان المولى عبد الرحمان هذا الظهير يوم 5 **فبراير** 1864. انظر: الجابري، ص 15.

(375) - الجابري، أضواء، مرجع سابق، ص 15.

(376) - بلكبير محمد، مرجع سابق، ص 94.

(377) - العرائشي محمد، الثقافة بمدينة مكناس في حاضرها وباديتها، ضمن أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية الكبرى، تنظيم كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، أيام 16-17-18-19 أكتوبر 1988، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، ص311.

(378)- Tsourikoff zenaide, l'enseignement des filles en Afrique du nord, Paris, edition pedone, 1933, p103.

الغنية لتقوم بتعليم بناتهم [379]، وهو ما يبين دور الوسط العائلي في الحظوة بالتعليم الذي كان امتيازا تتمتع به الأسر الغنية الذي يملكون المال لاستقدام المعلمات إلى منازلهم.

4. محاولات إصلاح التعليم التقليدي قبل الحماية

أ. مبادرة السلطان سيدي محمد بن عبد الله

أخذ محمد بن عبد الله(1757-1789) العلوم اللغوية والشرعية عن كبار علماء عصره واشتهر بشغفه بالعلوم وحاول تشجيع دراستها ونشر كتبها، وقد بلغت الثقافة في عهده غاية الازدهار [380] ، وذكرت المصادر الأجنبية أن معرفته كانت مبنية على دراسة اللغة والدين وعلى مبادئ الحساب، هذا وقد أعرب الرحالة البارون شونينغ (**Shoening**) عن أسفه على عقم النظام التعليمي بالمغرب عندما زار هذا البلد والتقى بالسلطان سيدي محمد بن عبدالله، إذ لاحظ أن هذا النظام لم يمكن السلطان من تنمية طاقاته[381]، وبفضل هذه التجربة التي راكمها تكاملت لديه الرؤية الإصلاحية واتضحت معالم مشروعه التجديدي الذي اهتم بمجموعة من المجالات لكنه أولى أهمية قصوى للتعليم وأفرد له مؤلف بعنوان " مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليم الصبيان" وهو تأليف صغير وضعه سنة 1789 ، يمثل دليل عملي يرمي إلى تيسير عمل المعلم في القيام بمهامه التربوية، كما عمم منشور يتوخى تنظيم التعليم بمختلف جوامع مدينة فاس وبجامعة القرويين على الخصوص، كما يسعى إلى ضبط البرامج التعليمية، ويقول في كتابه عن التلميذ" إن ظهرت فيه نجابة القراءة فليتركه يقرأ، وإن لم تكن فيه نجابة في القراءة فها هو قد تعلم أمور دينه (...) فعليه أن يحترف بالحرفة التي كان والده يكتسب بها من تجارة أو صنعة يد أو فلاحة لمعاشه" [382]، كما أنه كان صاحب أول مبادرة رسمية لإصلاح جامعة القرويين في منشور موجه لقاضي فاس الشيخ التاودي ابن سودة، الذي تضمن مجموعة من الأوامر والنواهي وشكل في حد ذاته مقررا دراسيا رسميا غير أنه لم يسفر عن أي تغيير لأنه انتهى مع وفاته [383]، والذي نقتطف من فصله الثالث ما يلي: " أمرنا المدرسين بفاس ألا يدرسوا إلا كتاب الله تعالى بتفسيره، وكتاب دلائل الخيرات والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كتب الحديث المسانيد والكتب المستخرجة منها، والبخاري ومسلما وغيرهما من الكتب الصحاح، ومن كتب الفقه المدونة، والبيان والتحصيل، ومقدمة ابن رشد والجواهر والرسالة لأبي زيد، ومن أراد أن يدرس مختصر الخليل فبشرح بهرام الكبير والحطاب والمواق، وما عداها من الشروح ينبذ ولا يدرس به.[384]

ب. مشروع السلطان مولاي الحسن الإصلاحي

لقد أدرك السلطان مولاي الحسن (1873-1894) مدى أهمية التعليم في تحديث الجيش، وبما أن البيئة التعليمية تقليدية وغير قادرة على الاستجابة لحاجة الدولة، لجأ السلطان للخارج فقام بإرسال بعثات طلابية إلى مصر وتركيا ومختلف دول أوروبا لتلقي تكوين في مختلف العلوم الحربية والرياضية، وتكلف المخزن بنفقات هذه البعثات لكن نتائجها كانت مخيبة للآمال [385]، وكان السلطان يعقب دوما عن الاقتراحات الأجنبية بالقول: " أن الحكومة مقتنعة بضرورة إدخال التنظيمات

---

(379)- Ibid, p 103.

(380)- الأخضر محمد، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1977، ص 271.

(381)- القبلي محمد، مرجع سابق، ص 429.

(382) - القبلي محمد، مرجع سابق، ص433.

(383)-عمراني محمد، جامعة القرويين والحماية، منشورات الرباط نت، ط1، الرباط،2016 ، ص35.

(384) - عمراني محمد، مرجع سابق، ص 272.

(385)-عمراني، مرجع سابق، ص38.

العصرية للمغرب ولكنها مقتنعة أيضا بأنه يجب أن تكون اليد المتصرفة والمنظمة لهذه الإصلاحات هي اليد المغربية "[386]، ولقد استأثرت المسألة العسكرية بالنصيب الأوفر من المجهود الإصلاحي الفكري بالمغرب في منتصف القرن التاسع عشر، وفي هذا السياق يخبر الكومندار فالوا (**Vallois**) حكومته أن السلطان الحسن الأول عازم على إرسال شبان مغاربة إلى مدينة صيرن (**Sering**) ومدينة لييج (**Liège**) ببلجكا ليتدربوا على صنع الأسلحة [387]، ومن الملاحظ أن أغلب البعثات التي أرسلت إلى أوروبا كانت في الغالب بقصد تحصيل مختلف أنواع العلوم العسكرية.

ج. الإصلاحات التعليمية خلال العهدي العزيزي والحفيظي

أبدى السلطان الشاب المولى عبد العزيز(1878-1943) انفتاحا كبيرا على كل مشروع إصلاحي لكن الظروف الداخلية والخارجية للمغرب لم تسمح بذلك، وقد كانت للسلطان رغبة كبيرة في الإصلاح وفي عذا الصدد يقول المنوني " ولما انتقل العزيز إلى فاس استدعى نائبه الطريس والأمين بناصر وقيل إن الغاية من ذلك أخذ رأي الموظفين السامين في **إجراء** الإصلاحات واقتراض المال من الخارج لتسديدها" [388]، ويشهد المؤرخ السليماني وهو يتحدث عن الإصلاحات الوليدة " وكان السير في ذلك على أحسن حال لو لم يكدر صفو ذلك السير قيام الزرهوني، وقد أكدت كاتبة انجليزية سنة 1901 " أن الدول النصرانية لا تنظر بعين العطف إلى عودة قيام دولة إسلامية ناهضة ولذلك فهي مجمعة على إزعاجه [389]، فلولا التدخل الأجنبي لاستطاع السلطان أن يضمن الاستقرار لبلاده وتوجيهها نحو التقدم والرقي، وفي هذا السياق دعا السلطان المولى عبد العزيز لعقد مجلس الأعيان.[390] بفاس وهكذا بعثت رسائل لمختلف القبائل والمدن تشرح للسكان خطورة الوضع وتأمر القبائل بانتخاب أفراد من كبرائها وأعيانها ممن يثقون بهم ويأتمنونهم وكلاء عليهم على أمور دينهم ومالهم وعرضهم،[391] وقد ورد بهذه الاستدعاءات صيغة موحدة تقول: " وعليه فبوصول كتابنا هذا إليكم: نأمركم أن تعينوا من خيار قبيلتكم... ممن تعتقدون فيه الأمانة والديانة وترضونهم وكلاء عنكم في أقوالكم وأفعالكم وتوجهونهم لحضرتنا الشريفة بقصد المفاوضة في الأمر العارض المذكور" [392]، وبعد اجتماع المجلس اتخذوا القرار النهائي في موضوع المطالب الفرنسية، أولا برفض المقترحات الفرنسية، وثانيا دعوة الدول الموقعة على ميثاق مدريد لبحث الإصلاحات الملائمة لوضع البلاد.

حاول المولى عبد الحفيظ القيام ببعض الإصلاحات في مجال التعليم، فقام بإصدار مشروع قانون التعليم الإجباري وإصلاح المدارس ولكن الحوادث تطورت في غير مصلحة البلاد وحالت دون تطبيق القانون.[393]

د. أبرز المشاريع الإصلاحية قبل الحماية:

- مشروع القائد عبد الله بن سعيد (**1901**)

---

(386)- حيمر جمال، مرجع سابق، ص 47.

(387)- حيمر جمال، مرجع سابق، ص53.

(388) - المنوني محمد، مظاهر يقظة المغرب الحديث، شركة المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ج2، ط1،1985، ص 139.

(389) - نفسه، ص 141.

(390)- هو مجلس انعقد سنة 1904 بأمر من السلطان مولاي عبد العزيز باستدعاء 40 عضوا من أعيان المدن والقبائل والعلماء والقضاة الذين كونوا ما يشبه البرلمان حيث استعانت بهم الحكومة المغربية لمواجهة مقترحات الإصلاح الفرنسية. (الخديمي علال، المغرب في مواجهة التحديات).

(391) - الخديمي علال، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية 1851-1947، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 37.

(392)- المنوني، مظاهر يقظة المغرب،ج2، مرجع سابق، ص192.

(393)- بن جلون عبد المجيد، هذه مراكش، مطبعة الرسالة، ط1، القاهرة،1949 ، ص 140.

من أعيان المخزن ولد سنة 1866 بسلا وتوفي سنة 1923، قدم للسلطان عبد العزيز مشروعه الإصلاحي، الذي كان عبارة عن مرافعة ودفاع عن مجتمع أكثر انضباطا، وتعليم متجدد وإدارة أحسن تنظيما ومالية وجهاز قضائي عادل [394]، وقد صنفه في تسع عشرة فصلا، يقول في الفصل الأول" وإحداث مدارس لتعليم مهمات جديدة يتوقف نفوذ النجاح عليها وعلى معرفتها وذلك من الاستعدادات المأمور بها".[395]

- المشروع الدستوري لعلي زنيبر (1907)

ولد بسلا سنة 1844، وكان تاجرا بمدينة فاس وأقام طويلا بمصر وتشبع بالأفكار الحداثية الرائجة في مصر والمشرق، وقد قدم مشروعا من ثلاث وعشرين مادة في ضرورة اختيار نخبة تسند إليها مهمة إعداد برنامج إصلاح شامل مع ضرورة استحضار النموذج الياباني.[396]

- مشروع دستور لسان المغرب(1908)

يعتبر هذا المشروع الأكثر شيوعا وإعدادا في مشاريع الإصلاح التي عرفها المغرب ما قبل الحماية ، صدر نونبر 1908 عن الصحيفة الطنجية (لسان المغرب)، حمل هذا المشروع تطلعات فئات مثقفة مغربية فضلت عدم الإفصاح عن هويتها كما حمل أفكارا حداثية لحركة (تركيا الفتاة) وانتزع تنازلات من المولى عبد الحفيظ، وهو ما أدى لاحتجاب الصحيفة سنة 1909 [397]، وقد كتبت المجلة عن المولى عبد الحفيظ مايلي:" والذي نرجوه منه أولا، وقبل كل شيء هو فتح المدارس ونشر المعارف، وأن يكون التعليم الابتدائي إجباريا و أن يولى ذوي الكفاءة و الاستحقاق و الأهلية [398]، وفي ما يلي مقتطف من نص الرسالة:

أيها الجناب العالي،

إن الله تسامت حكمته وتباركت مشيئته بأن جعلكم اليوم إماما على السدة المغربية أدام الله بنيانها و أيد أركانها(...) ووجه إليك تدبيره السماوي العجيب عيون الرعية، وألقى إليك مقاليد أمورها وأعطاك أزمة قلوبها، فالمغرب ينتظر منك أن ترفعه بحول الله من وهدته وتنعشه من عثرته وتصلح ما فسد فيه وتعمر ما خرب منه وتضيء ما انطفأ من أنواره، وترجع ما ذهب من مجده وتجدد ما تقدم من عزه، وتنشر ما انطفأ من علومه ومعارفه وتحيي ما اندثر من مدارسه ومكاتبه فالحمد لله على ذلك[399]، وفي رسالة ثانية مؤرخة في غشت 1908 موجهة للمولى عبد الحفيظ أيضا تضمنت ما يلي:

ويشق على اللسان أن يقول إن الدولة التي كان قديما يستضاء بأنوارها ويستفاد من علومها باتت على هذه الحالة فكفى أن نقول أنه ليس بموجود بين ملايين المغاربة ألف رجل ممن يحسنون القراءة والكتابة، أما من الإناث فلا تظن أن فيه عشر قارئات أو دون(...) فعلى ذلك إن وجود المدارس والجرائد ضروري فلذا نذكر جلالتكم بأمر المدارس ولزوم فتحها في

(394) - بيضا جامع، «الفكر الإصلاحي في مغرب ما قبل الحماية »، ترجمة عبد العزيز اعمار، مجلة المناهل، العدد 93-94، نونبر 2012، صص 347-358، ص 350.

(395)- المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج2، مرجع سابق، ص 131.

(396)- بيضا جامع، مرجع سابق، ص350.

(397)- بيضا جامع، مرجع سابق، ص 351.

(398) - بن جلون عبد المجيد، مرجع سابق، ص 67.

(399) - بيضا جامع، رسائل مفتوحة إلى السلطانيين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001، صص 502-501.

كل مدينة من السلطنة، مدارس تعلم العلوم العصرية بالطرائق والكتب الحديثة فإن هذه هي الخطوة الأولى في سبيل الحياة [400]، وقد كان لسان المغرب يعير مسألة التعليم اهتماما خاصا ويعتبرها اللبنة الأولى لكل إصلاح وهذا ما جعله يكتب أنه لا جدوى للمغرب من دستور ومجلس شورى مادام لم يتجهز بذخائر العلم الصحيح والمدنية الحقة، وذلك لا يكون إحرازه إلا بالمدارس والجرائد اللذين هما أنجع الوسائل لنشر العرفان بين كل طبقات الشعب.

خاتمة

حافظت بنية المجتمع في القرن التاسع عشر على بنيتها التقليدية، وظل نسق المغرب والتعليم غارقا في التقليد لدى الأهالي من مسلمين ويهود يبجل تأليف الأقدمين ويعاود إنتاج نفس النظام التربوي، الذي يقوم على حفظ المختصرات أكثر مما يقوم على الفهم والدراية، ولم تكن المناهج الإسلامية تختلف من منطقة لأخرى.

إن الامتثال لقواعد تحصيل المواد الأساسية كالقرآن والحديث ومختصر الشيخ خليل وكتب الفقه وتعكس القرويين هذه الحالة المعرفية والتعليمية إذ يعاد إنتاج نفس النخبة بفكر ومنهج تقليديين، وقد علق القبلي عن هذه الوضعة بالقول " ورغم محاولات الإصلاح فإن الأمر لم يخرج عن نطاق العلوم الشرعية وهكذا ظلت مضامين الدروس وطريقة تلقينها مرتبطة بمقتضيات الشريعة الإسلامية وحبيسة قوالب التجود والدغمائية" [401]، كما يذكر الفقيه المصلح أبي بكر زنيبر أن المرحلة كانت مخيبة للآمال ولم تحقق طموحات مغرب كان تواقا للتطور ورغبة منه في مجاراة الشرق والغرب، ومنه فشل البعثات التعليمية لأوروبا في الوقت التي عادت به البعثات اليابانية بالخير على بلادهم، ويرجع أسباب الفشل في أربعة أسباب:

1. سوء الاختيار في من يحق بهم أن يكونوا أعضاء هذه البعثات.
2. عدم الاكثرات بالسن المناسب للدراسة وغياب التوجيه.
3. قصر مدة الدراسة أي البعثة.
4. لا مبالاة المسؤولين وعدم حرصهم على الاستفادة ممن نبغ من أعضاء هذه البعثات.[402]

ومن بين أسباب الفشل أيضا الضغوطات الأجنبية التي كانت عنصرا أساسيا في إفشال المحاولات الإصلاحية بل عملت على توجيهها خدمة لمصالحها، في حين يرجع جرمان عياش فشل المحاولات الإصلاحية التي قام بها المخزن وتقدم بها بعض الفقهاء أنها لم تزد أن تكون حبرا على ورق، أشباحا دون جسم، دخانا تلعب به الرياح.[403]

(400)- بيضا جامع، وقفات مرجع سابق، ص 505.

(401) - القبلي محمد، مرجع سابق، ص 450.

(402)- البوكيلي فائزة، « من الفكر التنويري الإصلاحي بالمغرب أبوبكر زنيبر وقضية التعليم» ، مجلة المناهل، العدد 93-94، نونبر 2012، صص 325-343، ص329.

(403)- عياش جرمان، دراسات في تاريخ المغرب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، ط1، 1986، ص 348.

ISSN 2569-734X

La guerre en Ukraine : les prémices d'un nouvel ordre mondial ?

DAANI ABDELLAH

Etudiant doctorant en droit public et sciences politiques à la Faculté des Sciences Juridiques, Economiques et Sociales, Agdal- Université Mohammed V-Rabat.

Abstract:
The war in Ukraine announced real challenges to many of the admitted word order paradigms. This is a war that was initiated by a permanent member of the United Nations (UN) Security Council against a UN sovereign member state. While Europe was considered to be freed from armed conflicts and from real strategic treats, especially after the defeat of communism, the war in Ukraine brought back this war phenomenon on the soil of the European Continent, with all the strategic implications that it may encompass with regard the balance of power in Europe.
The war in Ukraine also questioned the rationality of the expansion policies of the North Atlantic Alliance Treaty Organization (NATO) to some of the eastern European countries that Russia considers as vital for its national security. In fact, pushing the borders of NATO to the Russian borders by acting Ukraine NATO membership perfectly serves the geopolitical considerations of the United States of America to prevent Russia from possible strategic means to challenge the American leadership of the world. The war in Ukraine didn't only announce the end of peace parenthesis in Europe; it also triggered the countdown for the transformation of the international unilateral order that procures to the United States the status of the hegemonic power.
This article is an attempt to approach the war of Ukraine from the angle of the transformative forces that it may unleash on the world order and its implications on the interactions between different actors in this world order and most importantly, the most likely upheavals of the classical paradigms used to interpret the international reality. This communication also attempts to develop different possible scenarios to end this war.
Key words: World order, power, security, interest, war, balance of power, expansion, world chessboard, deterrence, containment, hegemony, upheavals, geopolitical issues, geostrategic, Global South.

Résumé :

Le déclenchement de la guerre en Ukraine n'est pas dénudé de sens en matière d'enjeux géostratégiques attenants aux grandes mutations dans le monde post Soviétique et à la concurrence entre des acteurs antagonistes ayant des conceptions conflictuelles de l'ordre mondial et de leur position et rôle dans cet ordre. La guerre en Ukraine interpelle l'Europe par rapport à l'impact sur les équilibres de puissances sur ce continent, de même que l'OTAN sur la rationalité des politiques d'élargissement de leurs frontières vers l'Europe de l'Est que la Russie considèrent comme une menace directe à sa sécurité nationale.
Pour les Etats-Unis, l'élargissement des frontières de l'OTAN jusqu'au frontières de la Russie conforte parfaitement ses intérêts géopolitiques en terme de consolidation de son statut de puissance hégémonique et, par la même, conserve à l'OTAN son rôle de police d'assurance contre un nouvel impérialisme russe. La guerre en Ukraine n'a pas seulement mis fin à la paix en Europe, elle a précipité la libération des forces qui visent à effectuer des bouleversements sur l'ordre international dominé par les Etats-Unis.

Le présent article se propose d'approcher la guerre en Ukraine sous l'angle des bouleversements qu'elle a introduit sur l'ordre mondial et des dynamiques de transformations des rapports entres les différents acteurs de cet ordre et des évolutions des paradigmes d'analyse de la réalité internationale. De même, cet article comporte une tentative de projection sur les éventuels scénarii de la fin de cette guerre.
Les mots-clés : Ordre mondial, puissance, sécurité, intérêt, guerre, équilibre de puissance, expansion, échiquier mondial, dissuasion, endiguement, hégémonie, bouleversements, enjeux géopolitiques, géostratégie, Sud Global.

Introduction.

Le 24 février 2022, la Russie annonce le lancement d'une "opération militaire spéciale en Ukraine". En faisant référence à la victoire de la Russie contre l'Allemagne Nazi en 1941, le Président Poutine a annoncé dans le discours de lancement de cette opération militaire qu'elle a pour objectif de " protéger les personnes victimes d'intimidation et de génocide par le régime de Kiev depuis huit ans. Et pour cela, nous lutterons pour la démilitarisation et la dénazification de l'Ukraine". Dans ce même discours, Poutine a dénoncé l'hégémonie américaine et les menaces à la sécurité de la Russie que représente l'expansion de l'Organisation du Traité de l'Atlantique Nord (OTAN) et la progression de ses infrastructures vers les frontières russes. Pour Poutine, "l'opération militaire spéciale en Ukraine est une prévention contre les menaces portées aux frontières de la Russie par les visées expansionniste de "l'empire du mensonge" constitué de l'ensemble du bloc occidental. Dans ce même discours Poutine invoque aussi l'obligation de la Russie pour agir et protéger les populations de Donbass et défendre le droit des peuples des " républiques populaires" de Louhansk et Donetsk à disposer d'eux-mêmes. Hormis les arguments présentés par la Russie pour justifier cette offensive, cette opération marque le retour de la guerre comme instrument politique de règlement des différends sur le continent européen et qui implique en même temps, quasiment, toutes les puissances industrialisées du monde, l'OTAN, l'Union Européenne et interpelle les capacités du système onusien à maintenir la paix dans le monde post soviétique.

La guerre en Ukraine peut être appréhendée sous multiples facettes et les dynamiques de ce conflit sont multiples et complexes. Il est, certes, important d'analyser les motivations invoquées par les parties impliquées dans cette guerre comme étant les causes directes dans ce conflit, mais le plus important c'est de tenter d'interpréter cette guerre par ses significations géopolitiques, sa place dans le renouveau stratégique et dans le processus de la recomposition d'un nouvel ordre mondial.

La guerre en Ukraine intervienne sur une trame de fond caractérisée par un éclatement et transformation des référentielles idéologiques du fait de la chute de l'Union des Républiques Socialistes Soviétiques (URSS). Les confrontations fondées sur des alliances idéologiques sont remplacées par des débats identitaires centrés sur les questions ethniques, religieuses[404] ou les

[404] Elie Tenenbaum, "des guerres « nouvelles » ? Petite généalogies de guerre irrégulières, in Nouvelle Guerre, l'état du Monde 2015, sous la Direction de Bertrand Badie et Dominique Vidal, édition la Découverte, Paris, 2014, pp. 43-54.

deux à la fois et sous couvert de la protection et la promotion d'un nationalisme qui ne peut être en sécurité que par la destruction de l'ennemie. A la différence des confrontations de l'époque de la guerre froide qui ont été souvent dénouées selon une théorie de jeu à somme nulle, les conflits post guerre froide tendent vers la destruction, la décomposition, le désarmement et la domination totale de l'ennemie et des richesses de son territoire. Les concepts et modèles qui ont été autrefois utilisés pour justifier et appréhender les conflits qui sont intervenus dans un monde bipolaire ne peuvent être rappelés, dans leur état d'origine, pour expliquer des situations conflictuelles dans un monde unipolaire mondialisé. En effet, les évolutions dans la nature même des conflits contemporains les rendent rebelles aux tentatives d'analyses à partir d'un seul paradigme englobant. La guerre en Ukraine est une guerre conventionnelle qui implique des Etats, mais qui a aussi des aspects d'une guerre irrégulière du fait qu'elle engage également des mercenaires, des milices de combattants volontaires, des groupes armés privés et des entités qui revendiquent le statut d'Etats mais qui ne sont pas reconnues comme telle par la communauté internationale[405].

Le déclenchement de cette guerre n'est certes pas dénudé de sens en matière d'enjeux géostratégiques attenants aux grandes mutations dans le monde post Soviétique et à la concurrence entre des acteurs antagonistes ayant des conceptions conflictuelles du nouvel ordre mondial et de leur position et rôle dans cet ordre en perspective. Ce conflit qui ramène la guerre sur le continent européen et ravive les tensions entre la Russie et les Etats-Unis, n'aurait pas pu se produire sans l'accumulation de facteurs explosives en Europe suite à l'implosion du camp soviétique : les contradictions entre la partie occidentale pro-européenne et la partie orientale prorusse de l'Europe de l'Est, l'impact social de l'avancée de la libéralisation, la corruption, la poussée de l'extrême droite incluant les néonazis[406].

En effet, cette guerre s'explique, partiellement, par l'incapacité des antagonistes de concevoir, pacifiquement et par le bais de tractations politiques, de nouveaux équilibres dans cette région. Le recours à la guerre et l'appel à son référentiel en Ukraine, interpelle sur les dimensions internationales de ce conflit en matière de rapports futures entre les grandes puissances et leurs intérêts géopolitiques respectifs, en particulier les puissances nucléaires, impliquées dans cette guerre. L'analyse de ces démenions renseigne d'abord sur leur nature complexe, mais aussi sur la nécessité de les rapprochés selon une méthode combinée faisant appel à l'histoire, à la géopolitique et ses enjeux, à la science politique et même, pour certains[407], à la psychanalyse. A la lumière de ce qui a précède et après plus de deux ans et demi de son déclenchement, quelle est la place de la guerre en Ukraine dans la précipitation de nouvelles tendances de recomposition de l'ordre mondial ? Comment, l'Union Européenne, la chine, les Etats-Unis et les puissances émergentes inscrivent ils cette guerre dans leurs agendas politiques pour la mettre au profit de leurs intérêts et leurs positions respectives sur l'échiquier mondial[408] ? Ces questions permettront d'identifier des pistes pour l'intelligibilité de cette

[405] Pour faire face à l'attaque Russe, l'Ukraine a fait appel aux combattants mercenaires, la Russie a également engagé le Groupe Wagner dans cette guerre et les groupes séparatistes affiliés aux républiques de Donetsk et Lougansk, qui n'ont pas encore le statut d'Etat.
[406]Pour plus de détails, voir Dominique Vidal, "Aux quatre coins du Monde. Panorama des conflits contemporains " , in Nouvelle Guerre, l'état du Monde 2015, sous la Direction de Bertrand Badie et Dominique Vidal, édition la Découverte, Paris, 2014, pp.25-42.
[407]Alain Bauer : Au commencement c'été la guerre. Ed Fayard, 2023. Pour l'auteur, la guerre en Ukraine est aussi l'expression d'une nostalgie de la Russie à son statut de l'époque soviétique.
[408] Zbiginiew Brezinski : Le grand échiquier : l'Amérique et le reste du Monde, Zbiginiew Brzezinski, 1997. (The Grand Chessboard : American Primacy and Its Geostrategic Imperatives).

guerre et révéler à quel point elle peut constituer un moment d'affirmation de la tendance vers le déclin de l'hégémonie occidentale et l'avènement sur la scène internationale de nouveaux blocs lui faisant contre poids.

En vue de tenter des répondre à ces questions, les développements qui suivent se proposent de présenter les implications de la guerre en Ukraine en matière des **(I) grandes tendances des bouleversements provoquées par cette guerre, (II) les bouleversements des postures des parties concernées par ce conflit, et (III) les perspectives de dénouement de cette guerre**. Dans cette entreprise, il sera fait appel à un référentiel de concepts attenants à la « théorie des conflits [409]», la « théorie de jeux [410]», la « théorie de l'équilibre de la puissance[411] », la stratégie du « Grand échiquier[412] » impliquant une confrontation entre " l'expansionnisme " américain et "l'expansionnisme " russe.

I- Les grandes tendances de bouleversement provoquées par la guerre en Ukraine

Deux grandes catégories de tendances de bouleversements sont provoquées par la guerre en Ukraine. Une première catégorie porte sur les conditions, les stratégies et moyens de conduite de la guerre elle-même. La deuxième catégorie porte sur les bouleversements qui touchent aux fondements de l'ordre international dominé par la puissance américaine.

1- La guerre en Ukraine et le bouleversement attenants à la conduite de la guerre :

Le déclenchement de la guerre en Ukraine confirme l'existence d'un conflit d'intérêt entre les protagonistes. Il annonce aussi la fin de l'heureuse parenthèse[413] de la paix en Europe et le retour à la guerre salle[414] comme moyen de gestion des différends entre Etats souverains. En effet, cette guerre fait ressurgir en Europe, entre autre, la question de l'occupation des parties du territoire d'un autre Etats par la guerre que les européens croyaient désuète sur leur continent.

La Guerre en Ukraine est une guerre qui a réhabilité la dissuasion par l'usage effectif des forces et des armes conventionnelles en Europe. La dissuasion nucléaire s'est révélée non suffisante pour empêcher le déclenchement de la guerre en Ukraine. De surcroit, des puissances nucléaires participent directement ou par procuration à la guerre en Ukraine, avec comme particularité de ce conflit que les combats sont menés sur le territoire du pays qui agit en défense, l'Ukraine, et non pas sur celui du pays qui attaque, à savoir la Russie. Dans cette guerre, l'importance de la dissuasion nucléaire compte plus pour la limitation du niveau d'implication des occidentaux dans la guerre, du coté de l'Ukraine, contre la Russie que pour

[409] La théorie du conflit de George Simmel présentée dans son livre Soziologie qui a paru originalement en 1908
[410] Référence est fait au règlement des situations conflictuelles par l'application d'un modèle de la théorie des jeux à somme nulle, les gains d'un camp se traduisant par les pertes pour l'autre.
[411] L'équilibre des puissances (traduction de *balance of power*) est un concept central de la théorie réaliste des relations internationales. Dans un système d'équilibre de la puissance, les États choisissent de se ranger aux côtés du plus fort (bandwagoning) ou tentent d'équilibrer celui-ci en se coalisant (balancing).
[412] Zbiginiew Brzezinski, Op.cit.
[413] Pour Alain Bauer : la paix en Europe est juste une trêve qui sépare deux guerres et non pas le contraire : https://www.lenouveleconomiste.fr/alain-bauer-la-paix-est-une-treve-entre-deux-guerres-et-pas-linverse-99833/
[414] Alain Bauer, Op.cit. P 115.

l'empêchement d'une telle implication ou de lancement de ripostes ukrainienne contre le territoire russe.

De point de vue des stratégies et des équipements militaires déployés dans cette guerre, il y a deux constats à faire:

1- La guerre a été entamé, dans ses premiers jours, par la mobilisation dans les combats des armes lourdes et le Président Poutine avait même soufflé du chaud et du froid sur un possible recours à l'arme nucléaire, donnant l'impression qu'il s'agissait d'une guerre éclaire ;
2- Devant les données du champ des batailles de cette guerre, la Russie avait modifié sa stratégie. La guerre s'est transformée en une guerre d'attrition et les équipements lourds ont été remplacés par des équipements légers, de petites tailles et moins couteux. Le drone est arrivé sur le champ des batailles et a bouleversé les données de la guerre et s'est révélée comme une arme déterminante à deux niveaux :

(1) en matière de support et de la conduite des opérations militaires, notamment la collecte des informations et des renseignements, les attaques kamikaze, les drones tireur de missiles à longue portée, les drones supports des opérations terrestres, et

(2) en matière de la réduction des coûts de financement de l'effort de la guerre : le plus important bouleversement induit par la *dronisation* de la guerre c'est le coût des drones par rapport à leurs efficacité sur le champ des batailles et comparativement à d'autres armes.

Il en découle des bouleversements précités et du caractère d'attrition de cette guerre qu'il s'agit d'un conflit qui a confirmé le retour de la guerre de longue intensité en lieu et à la place de la guerre de haute intensité. Le dénouement de ce conflit, long et permanent, devient ainsi tributaire de la capacité de chacun des deux camps à supporter le plus longtemps possible les pertes engendrées par cette guerre.

Un autre aspect de bouleversement du concept de la guerre qui a été accentuée par la guerre en Ukraine est le *lawfare* ou la guerre de la loi. Les Etats-Unis s'en servent de cette arme de juridiction globale pour faire la guerre économique, la guerre financière, la guerre par les échanges commerciaux, l'usage du Dollars dans les transactions avec la Russie, les sanctions économique contre la Russie, etc. La riposte russe à l'usage de l'arme de *lawfare* dans la guerre en Ukraine est la contestation du dollar comme monnaie internationale et la recherche d'une autre devise alternative dans ses échanges commerciaux, la monnaie nationale russe ou le Yuans dans le cas d'espèce.

2- **Les bouleversements géopolitiques touchants aux fondements de l'ordre international :**

Le nerf de la guerre en Ukraine c'est sa dimension géopolitique. La question qui se pose par rapport à cette dimension concerne les bouleversements géopolitiques escomptés par chacun des deux camps protagonistes. En effet, de l'avis de Pascal Boniface, la guerre en Ukraine à ramener les européens à "reconsidérer la géopolitique en sa juste valeur, telle qu'elle a toujours été depuis l'Antiquité : la dynamique centrale qui dicte la vie des peuples et des

Etats"[415]. L'implosion du camp soviétique avait nourri une illusion en Europe, celle de la disparition et l'absence de toute menace d'un niveau stratégique et, par conséquence, l'existence et les missions d'une alliance comme l'OTAN doivent être adaptées, du moins en ce qui concerne le vieux continent, aux nouvelle conditions de l'Europe post soviétique. Le président français scandait même en 2019 que l'OTAN était en état de mort cérébrale[416]. Or, pour les Etats-Unis, dans sa poursuite de statut d'hégémonie permanente et en "dépit de l'absence de menace susceptible d'unir l'ensemble du camp atlantique, la géopolitique reste un élément déterminant de la politique internationale. C'est ainsi que l'OTAN conserve son rôle de police d'assurance contre un nouvel impérialisme russe"[417].

Les troubles géopolitiques qui peuvent être observées, par rapport à cette guerre, révèlent essentiellement la tendance vers des transformations de l'ordre international, résultant des modifications structurelles internes qui touchent les acteurs dans cet ordre, de la nature des gouvernements et de la généralisation de la globalisation économique. Compte tenu de ce qui a précédé, les bouleversements géopolitiques de la guerre en Ukraine peuvent être appréhendés selon leurs objectifs ultimes soit comme (1) des bouleversements qui visent soit à conserver les équilibres de l'ordre international dominé par les Etats-Unis ou (2) à introduire des changements sur cet ordre et, particulièrement, mettre fin à un ordre international unipolaire qui permet aux Etats-Unis de jouir du statut de puissance hégémonique.

En effet, pour contrer les bouleversements qui visent à challenger la posture hégémonique des Etats-Unis, le défi pour les américains c'est, selon H. Kissinger[418] de maintenir les équilibres stratégiques au sein de quatre différents systèmes internationaux qui coexistent dans le monde et assurer la domination américaine sur l'ensemble des systèmes, par une recherche permanente de formules qui conjuguent valeurs américaine et puissance. Il s'agit de :

1- Un système où les idéaux historiques de l'Amérique peuvent cadrer les relations entre les Etats-Unis et l'Europe occidentale et même tout le Continent américain. La paix dans ce system est fondée sur la démocratie et le progrès économique. Les Etats sont démocratiques, les économies sont libérales, les guerres sont inconcevables. Les différends ne sont pas réglés par la guerre, ni par la menace de guerre.
2- Les grandes puissances de l'Asie se considèrent comme rivales stratégiques : L'Inde, la Chine, le Japon, la Russie avec la Corée et les Etats d'Asie du Sud-Est. Le danger serait plus grand si plusieurs de ces pays s'associent. Le risque de guerre entre ces pays n'est pas nul, mais le maintien de l'équilibre des forces au sein de ce system jouera un rôle décisif.
3- Le proche orient qui est caractérisé par des conflits de fondements religieux et qui ressemblent à ceux qui ont déchiré l'Europe du 17ème siècle.

[415] Pascal Boniface, *La guerre en Ukraine et ses conséquences géopolitiques, Les Possibles, n° 34, Hiver 2023*
[416] *"Ce qu'on est en train de vivre, c'est la mort cérébrale de l'Otan"*, a déclaré le Président E. Macron dans une interview à l'hebdomadaire *The Economist*, le 8 novembre 2019.
[417] Henry Kissinger, La nouvelle puissance Américaine, (traduit de l'Anglais par Odile Demange, Ed Fayard, 2003, pp 53-54.
[418] H Kissinger, op cit, pp 22-23.

4- L'Afrique : Ce système est caractérisé par une situation explosive et par le sous développent hérités de la période coloniale ainsi que les rivalités des grandes puissances à propos de l'Afrique.

Pour les Etats-Unis, la doctrine stratégique est construite au tour deux objectifs principaux, qui sont : (1) empêcher l'émergence d'une puissance rivale et (2) renforcer et pérenniser le statut de puissance hégémonique sur le grand échiquier mondiale. L'implication des Etats-Unis dans la guerre en Ukraine s'inscrit dans ces objectifs et leur intervention dans ce conflit s'interprète comme une volonté d'affaiblir la Russie et de l'empêcher de réaliser une victoire militaire stratégique. L'intervention en Ukraine conforte parfaitement l'objectif de confirmer et renforcer le leadership américain dans les relations atlantiques, sur le continent européen et au niveau mondiale.

En effet, depuis la fin de la seconde guerre mondiale, les Etats-Unis ont œuvrés à la construction d'un ordre mondiale favorable à leur position de puissance mondiale. Les piliers de cet ordre en Europe sont l'OTAN et, à partir du plan Marshall, la reconstruction d'une Europe qui serait économiquement et politiquement liée aux Etats-Unis. L'appui américain à la construction de l'Union Européenne s'inscrit aussi dans cette perspective. La fin de la guerre froide et l'implosion du bloc soviétique ont entrainé l'introduction de certaines adaptations à cet ordre pour tenir comptes des nouveaux défis stratégiques imposés par la disparation de l'URSS. Deux processus ont été lancé dans ce sens : (1) l'élargissement de l'Union Européenne vers l'Europe de l'Est et (2) l'adhésion des pays de l'Europe de l'Est à l'OTAN. Il s'agit pour les Etats-Unis de construire un nouvel ordre qui permet d'aboutir à une situation de *containement*[419] de la Russie post soviétique. Ce qui constitue un prolongement naturel de la politique étrangère américaine, qui depuis la rupture avec la tradition d'isolement et l'implication dans la guerre en 1917, repose sur le principe qu'il est de l'intérêt géopolitique des Etats-Unis d'empêcher toute puissance potentiellement hostile de dominer l'Europe. Par rapport à la Russie, le tournant dans cette politique expansionniste vers l'Europe de l'Est a été la décision de l'OTAN en 2008 au sommet Bucarest que l'Ukraine et la Géorgie deviendraient des pays membres de l'OTAN[420]. Pour la Russie, cette déclaration de l'OTAN est une déclaration de guerre contre ses intérêts stratégiques et une menace directe à sa sécurité. La déclaration de l'OTAN à Bucarest confirme un choix de l'Occident de développer son système militaire trop près du territoire russe, en particulier, avec l'adhésion de l'Ukraine et de la Géorgie. Ce qui justifie déjà l'annexion, par anticipation, de la Crimée à la Russie en 2014 et l'enclenchement du compte à rebours pour la guerre en Ukraine.

Le lancement de l'opération militaire Russe en Ukraine est une réaction de la Russie à la stratégie expansionniste américaine dans cette espace. Il s'agit pour la Russie d'empêcher le déploiement de la stratégie américaine dans des zones stratégiques pour ses intérêts. De l'avis de Brezinski, l'Ukraine est un pivot géopolitique et sans l'Ukraine la Russie n'est plus un empire eurasien[421]. La révélation de la guerre en Ukraine c'est la confrontation entre deux stratégies

[419] Concept développé en 1947 par George Frost Kennan et qui renvoi à la politique d'endiguement visait à arrêter l'extension de la zone d'influence soviétique.
[420] Déclaration du sommet de l'OTAN en 2008 à Bucarest, paragraphe 23, " L'OTAN se félicite des aspirations euro-atlantiques de l'Ukraine et de la Géorgie, qui souhaitent adhérer à l'Alliance. Aujourd'hui, nous avons décidé que ces pays deviendraient membres de l'OTAN".
[421] Zbiginiew Brezinski , op.cit.

expansionnistes divergentes : l'expansionnisme occidental, sous le leadership américain, vers les pays limitrophes de la Russie et l'expansionnisme russe, post soviétique, dans ses zones de domination classiques et en particulier en Ukraine. Autrement dit, la guerre en Ukraine est le résultat de confrontation d'enjeux hégémoniques russes et américains sur ce territoire. Il est à rappelé dans ce sens que l'Ukraine occupe une place centrale dans les trois leviers identifiés par Brezinski en 1997 dans le grand Echiquier à même d'assurer aux Etats-Unis la position de puissance mondiale hégémonique permanente au 21ème Siècle, à savoir : (1) contenir la Chine, (2) poursuivre la division des européens et (3) couper la Russie de l'Ukraine. La guerre en Ukraine est déterminante dans la poursuite des objectifs stratégiques définis pour ces trois leviers. La décision en 2008 de l'admission de l'Ukraine à l'OTAN, malgré la réticence de la France et de l'Allemagne[422], confirme cette orientation américaine. L'impact immédiat de l'intervention des Etats-Unis dans la guerre en Ukraine c'est qu'elle à fragilisé la position stratégique de l'Union Européenne au profit d'un leadership américain incontournable, au sein de l'Alliance Atlantique et sur le continent européen, comme seule puissance garante de la sécurité.

En plus des enjeux géopolitiques au niveau du continent européen, la guerre en Ukraine a accentuée la dynamique de divorce West- Sud**.** Cette guerre a agit comme un révélateur de la distinction du Sud Globale comme acteur géopolitique tenant une position différente de celle de l'occident quant à sa manière de riposter à l'attaque russe de l'Ukraine. Le Sud Globale, terme qui désigne des pays mobilisés autour des préoccupations et d'intérêts économiques collectifs et la promotion de la coopération Sud-Sud, commence à se distinguer avec acuité autour d'une position de contestation de l'ordre international existant dominé par l'occident. Cette dynamique risque de tourner au bénéfice de la Russie et de la Chine et alimenter leurs stratégies visant la création de blocs de contrepoids à l'hégémonie américaine.

Ceci nous amène à discuter les bouleversements provoqués par la guerre en Ukraine par rapport aux interactions, à connotations géopolitiques, entre les différentes parties concernées par cette guerre : les Etats-Unis et l'union Européenne, la Russie et l'Ukraine, et la Chine et les Etats-Unis ainsi que les autres puissances émergentes.

II/ les bouleversements des postures des parties concernées par ce conflit

1- L'Union Européenne et les Etats-Unis:

A l'inverse de ce qui a été escompté par la Russie, la Guerre en Ukraine, au lieu de révéler une division dans les positions respectives des européens et de l'OTAN, c'est l'inverse qui s'est produit avec notamment, l'abandon de la Suède et de la Finlande de leur neutralité et leur adhésion à l'OTAN. Face à la menace russe, ces deux pays n'avaient d'autres recours que l'OTAN et les autres pays européens ont demandé une présence américaine accrue en Europe. La France et l'Allemagne[423], deux pays déterminants dans la construction de l'Union Européenne, sont les plus perdants sur le plan stratégique. Leurs aspirations de vouloir se

[422] Voir dans ce sens Pascal Bonifas, op.cit.

[423] Rappelons dans ce sens que les gazoducs Nord Stream I et II assuraient la livraison du Gaz bon marché depuis la Russie à l'Allemagne et le modèle économique allemand comptaient beaucoup sur ses sources d'énergie.

rapprocher de la Russie et développer des relations privilégiées avec elle pour élargir leur marge de manœuvre par rapport aux Etats-Unis prend fin avec le déclenchement de la guerre en Ukraine. L'horizon d'une autonomie stratégique de l'Union Européenne est fortement compromise avec ce retour plus accu des Etats-Unis pour gérer les conflits armés sur le continent européen. Les pays baltes poussent vers l'option de confrontation avec la Russie dans l'horizon d'une partition du territoire russe et la réduction de sa population à 50 millions d'habitants pour assurer la paix en Europe[424]. De l'avis de pascal Bonifas, "ce sont les fondements même de l'organisation d'un continent qui sont en cause(…) Ce sont une fois de plus les États-Unis qui apparaissent, comme les acteurs majeurs de la sécurité européenne. L'Europe aura par ailleurs beaucoup du mal à ne pas sortir affaiblie de l'épreuve, ne serait-ce qu'en raison des coûts économiques et du défi énergétique qui s'imposent aux Européens"[425].

Les grands vainqueurs de cette guerre sont les États-Unis qui se sont accordé un nouveau positionnement moral d'une puissance qui se mobilise pour la défense d'un pays agressé selon une diplomatie qui avance une cause morale. Pour ne citer que quelques raisons qui font des Etats-Unis les grands vainqueurs de cette guerre, même avec l'adhésion de l'Ukraine, l'Union européenne ne sera jamais une puissance politique en mesure de faire contre poids aux Etats-Unis. De même, devant les risques de sécurité posés par la Russie, la seule garantie qui puisse exister pour les pays européens c'est l'OTAN et les Etats-Unis. Avec cette posture en Europe, les américains ont la main mise sur le sort de l'intégration en Europe. Celle-ci n'est plus envisageable que dans la mesure où elle sert à renforcer l'Alliance Atlantique, outil privilégié de la politique étrangère américaine.

2- La Russie et l'Ukraine :

S'agissant des ces deux pays, il est à rappeler qu'ils ont signés en 2014 et 2015 les accords de Minsk I et Minsk II définissant les conditions pour mettre fin aux confrontations armées en Ukraine orientale (républiques populaires de Louhansk et de Donetsk). Ces accords n'ont pas pu tenir devants la complexité des enjeux géopolitiques en Ukraine et les deux pays se trouvent en guerre en 2022.

Pour l'Ukraine, l'objectif c'est de se détacher de l'influence russe au profit d'une adhésion à l'OTAN et à l'Union Européenne. Pour la Russie, l'objectif c'est d'assurer sa propre sécurité et sa domination sur ses zones d'influence stratégiques en empêchant la concrétisation de ce plan d'admission de l'Ukraine à l'OTAN.

Il est incontestable que la puissance militaire russe dépasse de loin celle de l'Ukraine, mais les occidentaux, pas cobelligérants, se sont ralliés à l'Ukraine pour lui fournir les armes et l'assistance technique nécessaires pour se défendre contre l'attaque russe. Les occidentaux ont aussi déployés un arsenal énorme de sanctions visant à isoler la Russie et à l'obliger à se plier devant leurs stratégies en Ukraine. Sans prétendre prédire le sort final de cette guerre, il est d'une grande importance de chercher à expliquer son impact sur la position géopolitique des deux belligérants : la Russie et l'Ukraine. En effet, la situation sur le front de guerre semble

[424] Lech Walesa, ancien Président de la Pologne, suggère de «ramener» la Russie à «moins de 50 millions d'habitants», publié par le journal le Figaro du 10/07/2022, https://www.lefigaro.fr/international/guerre-en-ukraine-lech-walesa-suggere-de-ramener-la-russie-a-moins-de-50-millions-d-habitants-20220710
[425] Pascal Bonifs, op. cit.

être statique et les changements sur les lignes de confrontation entre les deux armées ne sont pas très significatifs. La guerre à atteint un stade d'enlisement et les deux parties sont devant une situation d'impuissance pour réaliser des percées qui peuvent changer significativement ses données stratégiques. Tenant compte des conditions et des tactiques de conduite de cette guerre, un rapprochement est possible avec la première guerre mondiale. Selon les termes de Fabrice Ravel, "On se retrouve dans une configuration qui est celle de la première guerre mondiale : guerre de positions dans laquelle l'avantage est clairement donné à la défensive et qui va durée plus longtemps parce que aucun des adversaires n'arrive à prendre l'avantage. Ce n'est pas une guerre éclaire"[426].

La situation de l'Ukraine ne semble pas être confortable. Le pays est en guerre pour entrer à l'OTAN, mais à présent l'Ukraine n'est pas encore dans l'OTAN et, depuis le déclenchement de la guerre, c'est l'OTAN qui est dans l'Ukraine. L'autonomie militaire de l'Ukraine est compromise, de point de vue fourniture et financement des armes, et sa résistance devant l'attaque russe est tributaire de la fourniture des armes par les occidentaux, principalement les Etats-Unis. Les occidentaux évitent de remettre à l'Ukraine des armes dont l'utilisation pourrait provoquer une escalade vers le recours à l'arme nucléaire. Ce risque de dépendance est de plus en plus éminent avec les élections présidentielles américaines de 2024 et la déclaration de Donald Trump de sa position défavorable aux subventions militaires accordées à l'Ukraine et de son plan pour mettre fin à cette guerre en 24 heures une fois de retour à la Maison Blanche[427].

Quant à la position de la Russie dans la guerre, certains[428] considèrent qu'elle a perdu sa guerre sur le plan géopolitique. Toutefois, il est question de relativiser ses positions. Après deux ans et demi de guerre et, en dépit des sanctions que l'occident lui avait imposées, la Russie n'est pas isolée sur le plan international. L'objectif géopolitique escompté par les pays occidentaux des sanctions n'a pas été atteint. De même, le plan d'admission de l'Ukraine à l'OTAN est suspendu. Certes, la guerre est couteuse pour la Russie, mais l'état final recherché par la Russie c'est d'empêcher le déploiement des dispositifs ou infrastructures militaires permanentes de l'OTAN en Ukraine qui pourrait menacer la sécurité de la Russie. Cet état final n'est possible qu'à partir de deux conditions :

- La non-intégration (la neutralité) de l'Ukraine à l'OTAN,
- La démilitarisation de l'Ukraine et la "dénazification" du pouvoir en place et l'installation d'un régime inféodé à Moscou.

La Russie n'a pas encore réalisé les conditions pour imposer cet état final recherché à l'Ukraine, mais il est question aussi d'admettre qu'avec la guerre en Ukraine, elle a pu empêcher, à présent, la concrétisation de l'admission de Kiev à l'OTAN.

[426] Fabrice Ravel et Olivier Jacquemond, Rendez- vous de la géopolitique, deux ans de guerre, des nouvelles perspectives, ESCE international business school, https://www.youtube.com/@ESCEbusinessSchool.

[427] Déclaration le 03 septembre 2024 lors dune interview avec le podcasteur américain Lex Fridman

[428] Le Président Biden a annoncé plusieurs fois que Poutine à perdu la guerre. De même, pour Pascal Bonifas la Russie à perdu la guerre et elle a eu tout a fait l'inverse de ce qu'elle avait escompté de la guerre : les occidentaux plus unifiés qu'avant la guerre et la Suède et la Finlande ont abandonné leur neutralité au profit de l'adhésion à l'OTAN.

Un autre facteur déterminant aussi dans la stratégie Russe en Ukraine c'est qu'elle a enclenché une guerre dont l'arrière plan nucléaire est fortement présent et détermine le niveau d'implication des occidentaux dans le conflit. Dés les premiers jours de la guerre, la Russie a élevé son niveau de dissuasion nucléaire. Le Président Poutine a menacé d'utiliser des armes nucléaires tactiques et a ordonné dés le 27 février 2022 un niveau d'alerte supérieur à l'ensemble de ses forces de dissuasion.

De point de vue stratégique aussi, par sa guerre en Ukraine, la Russie a initié un bouleversement à l'ordre international. Cette guerre à lancé une dynamique de recomposition de l'ordre international faisant de la contestation de l'unilatéralisme américain l'un de ses objectifs principaux[429]. Les sanctions occidentales contre la Russie et le mandat d'arrêt émis contre le Président Poutine par la Cour Pénale Internationale (CPI) n'ont pas aboutit à leur objectif d'isoler la Russie[430]. Celle-ci, avec l'appui de la Chine, à créer autour d'elle plusieurs cadres de coopération internationale lui permettant de promouvoir sa politique sur une vision différente de l'ordre international. Elle a créé l'Organisation de Coopération de Shanghai (OCS) en 2001, l'Organisation du traité de sécurité collective (OTSC) en 2002 , le Groupe de Brésil, Russie, Inde et Chine (BRIC)[431] en 2006 et l'Union Economique Eurasiatique en (UEEA) en 2015. La Russie a également institué un sommet Russie-Afrique en 2019.

3- La Chine – les Etats-Unis et les autres puissances émergentes:

3.1 : la chine et les Etats-Unis :

La guerre en Ukraine revêt une grande importance pour la position de la Chine sur l'échiquier mondial au moins à trois niveaux :

a/ Les rapports de la Chine avec les Etats-Unis :

La Chine soutienne politiquement la Russie, mais évite de s'exposer à des sanctions occidentales en s'abstenant d'afficher son soutien économique et militaire à Moscou. La riposte occidentale unifiée contre la Russie a permet à la Chine d'évaluer à juste titre la trajectoire projetée du "déclin de l'Occident" et d'ajuster sa politique en conséquence. La prudence empêche la Chine de prendre le risque d'une confrontation directe, en appui à la Russie, avec les Etats-Unis. La chine est encore dans la phase de développement de sa " force nationale complété"[432] avant de pouvoir défier la puissance américaine. Mais de l'autre coté, la Chine ne souhaite pas une victoire occidentale, même si cette guerre de la Russie en Ukraine vient perturber la dynamique de l'ascension de la chine au rang de première puissance économique avec les perturbations qu'elle a causé au prix des produits et aux chaines d'approvisionnement. La poursuite du rencontre du dialogue stratégique entre la Chine et les Etats-Unis le 27 Aout 2024 à Pékin s'inscrit dans cette stratégie. L'essentiel pour la chine, à ce stade, c'est " d'ancrer

[429] « Un changement qui n'était pas arrivé depuis un siècle arrive et nous conduirons ce changement ensemble », déclare Xi Jinping à Vladimir Poutine, en mars 2023,

[430] Le 09 septembre 2024, le Président Poutine a effectué une visite officielle en Mongolie, pays membre à la CPI, malgré le mandat d'arrêt lancé contre lui.

[431] Ce groupe compte aujourd'hui dix pays membres, Brésil, Chine, Inde, la Russie, Afrique du Sud, Égypte, Iran, Russie, Arabie saoudite, Émirats arabes unis, et Éthiopie. La Turquie est voie d'adhésion à ce groupe et elle est invitée à prendre part au 16ème sommet des BRICS qui se tiendra en octobre 2024 en Russie à Kazan

[432] H. Kissinger, op.cit, p 162.

la direction générale du respect mutuel, de la coexistence pacifique et de la coopération gagnant-gagnant"[433]dans ses relations avec les américains. Vis-à-vis de la Chine, les américains tentent de louvoyer au milieu d'un triangle de relations complexes, Pékin, Washington, Moscou, en veillant à empêcher que la Russie et la Chine ne soient pas plus proche l'une de l'autre. Tenant compte de cette donnée de la guerre en Ukraine, les Etats-Unis doivent s'efforcer d'instituer un cadre souple de coopération avec la Chine, qui ne reposerait pas sur l'hypothèse de confrontation et en même temps leur permettrait de limiter les aspirations hégémoniques chinoises.

b/ La question de Taiwan :

L'un des bouleversements provoqués par la guerre en Ukraine c'est sa résonance sur la question de Taiwan. Pour les occidentaux, cette guerre a créé un antécédent dans les relations internationales consistant dans l'agression d'un membre permanent du Conseil de Sécurité de l'Organisation des Nations Unies contre un pays voisin. Une victoire Russe dans cette guerre constituerait une confirmation de cette pratique. De ce fait, le risque de recours de la Chine à la force militaire pour précipiter une solution de la question de Taiwan est désormais plus pesant. La concrétisation d'une telle option serait un défit à la puissance américaine et, auquel cas, il serait difficile d'éviter l'affrontement militaire entre les Etats-Unis et la Chine. Rappelons dans ce sens, que les Etats-Unis, depuis 1972, ont réitéré leur engagement en faveur d'une seule Chine et la Chine s'est engagée à parvenir à une solution pacifique à la question de Taiwan. La tentative d'entorse de la part de l'une des deux parties à cet accord ouvrira la voie vers l'escalade militaire[434].

c/ Les équilibres en Asie :

H Kissinger à distingué deux équilibres stratégiques en Asie[435] :

- Un équilibre stratégique en Asie du Nord- Est : Cet ordre est fondé sur une interaction entre la Chine, le Japon, la Russie et les Etats-Unis avec un risque d'explosion en Corée.
- Un équilibre en Asie du Sud -Est dont les principaux acteurs sont la Chine, l'Inde, les Etats-Unis et le Japon qui doivent s'efforcer de concilier leurs intérêts avec ceux du Vietnam, de la Thaïlande, de l'Australie et des Philippines.

Le Japon intervient dans les deux équilibres stratégiques et cherche à endiguer l'influence de la Chine. De même, l'Inde est appelée à devenir de plus en plus présente en Asie du Sud – Est. La Chine va revendiquer un rôle politique à la mesure de sa puissance économique croissante. Le risque pour chacune de ses puissances asiatiques c'est l'association des pays voisins contre l'une d'elle.

Ces équilibres sont également sous l'impact de la guerre en Ukraine. La Chine et la Russie œuvrent pour instituer des partenariats stratégiques à même de lutter contre l'hégémonie américaine. L'autre axe qui pèse aussi sur ces équilibres c'est l'axe Moscou- Pyongyang. Cette

[433] Communiqué du Ministère des affaires étrangères de la Chine: https://www.fmprc.gov.cn/fra/zxxx/202408/t20240828_11480482.html
[434] La visite de Nancy Pelosi, Présidente de la Chambre des représentants des Etats-Unis d'Amérique le 02 aout 2022, avait suscité des mesures de rétorsion intenses de la part de Pékin qui avait lancé des manœuvres militaires intenses autour de l'ile de Taiwan signifiant à quelle point le détroit de Taiwan constitue une ligne de fracture géopolitique entre la Chine et le reste du monde.
435 H Kissinger, op.cit, p 123.

alliance qui a été scellée le 19 Juin 2024 avec la visite de Poutine à la Corée du Nord et qui risque de faire exploser la péninsule coréenne procure également à la Russie une source d'approvisionnement en munition et en armes. En plus, cette alliance inquiète la Corée du Sud, le Japon, les Etats-Unis et même la Chine[436].

Les enjeux des deux équilibres en Asie et les interactions entre les différents intervenants pèsent également sur les stratégies américaines en Asie et en Ukraine. Une stratégie américaine fondée sur l'hypothèse d'une agressivité américaine contre la Russie et la Chine, risque d'être contreproductive et incitera les deux pays à s'engager dans une alliance plus poussée et hostile aux intérêts américains.

3.2 : La guerre en Ukraine et les puissances émergentes:

La guerre en Ukraine a aussi constitué un moment d'affirmation de certaines puissances moyennes comme la Turquie, l'Arabie Saoudite ou l'Inde. Le poids acquis par ces pays à l'occasion de cette guerre leur a permet de renforcer leurs liens économiques avec la Russie sans provoquer des représailles occidentales. Le rôle joué par la Turquie dans les négociations de l'accord sur les exportations des céréales ukrainiennes en mer Noire en juillet 2022 et le véto turque contre l'adhésion de la Finlande et la Suède à l'OTAN témoignent de cette ascension vers une capacité d'influence politique sans précédent et le positionnement en qualité de médiateur dans des éventuelles négociations au sujet de cette guerre. L'Inde, qui est plus qu'une puissance moyenne, a adopté une position qu'elle a qualifié d'équilibrée. Elle n'avait pas condamné l'attaque russe et elle s'est abstenue lors du vote à l'Organisation des Nations Unies (ONU) des décisions sur la guerre en Ukraine. L'Inde continue à entretenir des relations économiques et politiques privilégiées avec la Russie. La politique des ristournes adoptée par la Russie pour contourner les sanctions occidentales sur ses exportations de pétrole a été une aubaine pour l'Inde qui a augmenté ses importations du pétrole russe en payant en Rouble, devenant son deuxième client derrière la Chine et faisant de la Russie son premier fournisseur. Cette donnée a amélioré les capacités concurrentielles de l'Inde vis-à-vis de la Chine.

III / **Les perspectives de dénouement pour cette guerre**

La guerre en Ukraine est une guerre d'attrition. Il a été enclenché pour des objectifs stratégiques divergents des deux camps adverses. Les perspectives de son dénouement dépendent essentiellement de deux facteurs principaux :

1- La détermination et la capacité de chaque partie à supporter des pertes supplémentaires.
2- Le dégrée d'atteinte des objectifs respectifs définis par chacun des deux camps.

Le premier facteur est tributaire de conditions endogènes et conditions exogènes de chacune des deux parties. La détermination de chaque partie à remporter cette guerre dépend largement des la solidité du front interne et de l'assise du pouvoir en place. L'autre élément

[436] https://www.iris-france.org/187403-rapprochement-entre-la-russie-et-la-coree-du-nord-une-menace-securitaire-en-peninsule-coreenne/

déterminant par rapport à ce premier facteur est celui de l'autonomie dans le financement et l'approvisionnement pour maintenir un niveau élevé de l'effort de guerre.

Du coté russe, le facteur démographique constitue un avantage décisif dans cette guerre. La Russie compte plus de 144 millions d'habitant contre 42 millions pour l'Ukraine. Sauf intervention de facteurs externes, comme se fut le cas de la première guerre mondiale, l'Ukraine sera négativement impacté sur ce plan. Elle aura à faire face à un manque de ressources pour remplacer ces pertes en vie. A ce stade de la guerre, les armées des occidentaux ne sont pas directement impliquées dans la guerre et se contentent de fournir les armes à l'Ukraine.

Un autre déterminant de la capacité des parties à tenir le plus longtemps possible dans cette guerre est l'autonomie de chacune des deux parties en matière de production des armes. L'Ukraine est fortement dépendante des approvisionnements des occidentaux qui évitent de lui fournir des armes sophistiquées par crainte de provoquer une escalade vers une riposte nucléaire de la part de la Russie. Ce constat risque d'être déterminant à supposer que les élections présidentielles américaines ramèneraient Donald Trump à la maison Blanche.

En dépit de la guerre et l'insurrection du chef de Wagner contre le pouvoir centrale en Russie, le pouvoir en place en Russie a organisé des élections présidentielles en mars 2024 qui, hormis les doutes qui planent sur sa transparence, ont confirmé confortablement le maintien du Président Poutine à la tête du pouvoir en place. Quand-à l'Ukraine, le mandat présidentiel de Zelensky devrait prendre fin en mois de mai 2024, mais la loi martiale en vigueur en Ukraine depuis le déclenchement de la guerre écarte la possibilité de l'organisation des élections dans les conditions de la guerre. Sa légitimité à la tête du pouvoir est contestée[437]. Rappelons de passage que depuis son indépendance en 1991, l'Ukraine a connu deux révolutions : la Révolution orange (2004) et la Révolution de Maïdan (2013-2014). Ces révolutions signifient aussi le manque de lisibilité quant à la capacité du pouvoir en place en Ukraine de se maintenir et demeurer autonome des instrumentalisations externes.

S'agissant du deuxième facteur qui concerne le degré d'atteinte des objectifs de chacun des deux belligérants. Il semble qu'une situation de victoire totale de l'une des deux parties est visiblement improbable. De ce fait, La fin de la guerre est largement tributaire du sort et des conditions de négociations entre les parties. De même, les Etats-Unis veulent finir avec ce confit pour concentrer leurs forces sur les défis stratégiques que leur pose la Chine. En tout état de cause, les scenarii qui se présentent pour cette guerre sont comme suit :

1- Une victoire de l'Ukraine entrainant avec elle l'effondrement du régime politique de Poutine et l'adhésion de l'Ukraine au l'OTAN. Ce scénario requiert une implication plus profonde et plus longue des occidentaux dans cette guerre, avec tous les risques d'escalade et d'élargissement de la guerre sous-jacents à cette implication.
2- La victoire de la Russie. Ce scenario est possible dans la limite ou l'effet de la guerre sur le plan démographique et militaire et économique continue à peser sur l'Ukraine et les subventions militaires occidentales ne seraient plus en mesure de permettre la résistance à

[437] Lors de sa visite à Minsk le 24 mai 2024, le Président V. Poutine a soutenu que Moscou était prêt à discuter de la guerre en Ukraine, mais il a rappelé que le mandat de cinq ans de M. Zelensky devait se terminer le 20 mai dernier (2024).

l'attaque Russe. ce scénario présente de réels défis stratégiques aux Etats-Unis et à leurs alliés, à commencer par l'échec de la stratégie de l'élargissement de l'OTAN, la domination russe sur l'Ukraine, la perturbation des équilibres en Europe, l'accroissement des aspirations hégémoniques de la Russie et l'escalade de vers l'élargissement de la Guerre et le recours à l'arme nucléaire.

3- L'armistice : c'est un scenario possible et plausible dans la limite où une victoire totale de l'une des deux parties ne serait pas possible. Les deux parties vont chercher une situation de compromis comparable au scénario de la guerre entre la Corée du Nord et la Corée du Sud en juillet 1953. Les deux parties ne sont pas en paix, mais acceptent un statut quo. En effet, en Ukraine, l'objectif stratégique des Etats-Unis et ses alliées n'est pas de détruire la Russie, mais l'empêcher de chercher à reconstruire un empire selon une approche traditionnelle de sécurité consistent à dominer ses voisins. Autrement dit, assurer que ce que la définition russe de ce qui est légitime soit compatible avec l'indépendance de ses voisins[438]. En contre partie, les préoccupations sécuritaires de la Russie doivent être respectées par les occidentaux.

La concrétisation d'un scénario d'armistice n'est pas en contradiction avec une hypothèse de renonciation de la part des Etats-Unis à leur politique incrémentale dans la fourniture de l'aide militaire, au profit d'une politique plus audacieuse en la matière[439]. Une telle politique permettra de fournir plus d'armes à l'Ukraine pour repousser les forces russes vers les frontières de 2022, avant d'entamer le processus de négociation d'un armistice[440]. L'offensive de l'armée ukrainienne depuis le 06 aout 2024 à Koursk en territoire russe peut être interprétée dans ce sens.

Le statut- quo ne règle pas les dimensions géopolitiques de cette guerre, mais permet aux deux camps d'en discuter dans des conditions de paix et de reconstruire la confiance. La Russie cherche une neutralité totale, voir même une soumission de l'Ukraine à sa domination, alors que les occidentaux veulent avancer les infrastructures militaires de l'OTAN jusqu'aux frontières de la Russie. Les négociations autour de cette question pourraient être menées selon un scénario testé dans l'histoire de l'OTAN, qui est celui de la Norvège[441]. Il s'agit d'un pays fondateur de l'OTAN et voisin de la Russie. En février 1949, deux mois avant la formation de l'OTAN, la Norvège avait émis une déclaration unilatérale d'autolimitation. La Norvège s'était interdite de créer ou de recevoir sur son territoire des bases pour des forces militaires étrangères, tant qu'elle n'est pas attaquée ou sous la menace d'une attaque. Ces autolimitations ont été adoptées pour couvrir aussi les armes nucléaires. Le cas de la Norvège peut servir de référence pour concevoir un scénario qui permet de concilier entre l'objectif de l'admission de l'Ukraine à l'OTAN et les exigences de sécurité de la Russie. Selon ce scénario, l'admission de l'Ukraine

[438] H Kissinger, op.cit, p 82.
[439] En date du 03 septembre 2024, le même jour de la visite officielle de Poutine au Mongolie malgré le mandat d'arrêt émis par le CPI, les Etats-Unis ont déclaré être proche de livrer à l'Ukraine des missiles de longue portée capable d'atteindre la profondeur du territoire russe.
[440] **Voir Jacob Grygiel, The Right Way to Quickly End the War in Ukraine: Instead of Abandoning Kyiv, Washington Should Give It the Tools to Win, Foreign affairs, July 25th, 2024, https://www.foreignaffairs.com/ukraine/right-way-quickly-end-war-ukraine?utm_medium=newsletters&utm_source=twofa&utm_campaign=The%20Right%20Way%20to%20Quickly%20End%20the%20War%20in%20Ukraine&utm_content=20240726&utm_term=FA%20This%20Week%20-%20112017**
441 Voir M.E. Sarotte, a better path for Ukraine and Alliance: What Kyiv could do now for a place in the Alliance?, Foreign Affairs, July 8, 2024. https://www.foreignaffaires.com/ukraine/better-path-unkraine-and-nato

à l'OTAN pourrait être possible sans expansion des infrastructures militaire de l'alliance sur le territoire ukrainien.

Conclusion.

L'option d'une victoire totale de l'un des deux belligérants en Ukraine semble impossible et l'armistice est l'option la plus plausible, mais sa durabilité et son évolution vers une paix soutenable restent tributaires de plusieurs conditions, à savoir :

Les confrontations entres les doctrines stratégiques des Etats-Unis, ses alliances connexes et l'Union Européenne avec celle de la Russie. Il est à rappeler, dans ce sens, que Les Etats-Unis dans le cadre de la continuité de leur stratégie d'engagement sur le continent européen, avaient annoncé au début de juillet 2024 leur décision de commencer à déployer des armes à longue portée en Allemagne à partir de 2026. En reposte à cette décision, dans un ton qui rappel la guerre froide, le Président Poutine annonce le 28 juillet 2024, lors de la cérémonie de la parade navale organisée à l'occasion de la journée annuelle de la marine russe à Saint-Pétersbourg, que si les Etats-Unis mettent en œuvre de tels plans, la Russie envisagera de renoncer au moratoire unilatéral sur le déploiement d'armes de frappe à moyenne et courte portée, y compris en augmentant les capacités des troupes côtières de sa marine et de les déployer dans d'autres régions du monde. La Russie, continuera à renforcer ses forces de surface, sous-marines et aéronavales, et à les équiper de systèmes de missiles hypersoniques de nouvelle génération. Autrement dit, il s'agit d'une nouvelle confrontation entre doctrines stratégiques sur fond de trame de relance de la course à l'armement.

Le rôle de la Russie dans le nouvel ordre international : la Russie ne peut admettre d'être traité comme un Etat sujet, et non pas acteur principal, des relations internationales. En effet, dans son histoire et " a deux reprises, la vastitude de ce pays et l'endurance de son peuple ont empêché un concurrent de dominer l'Europe : Napoléon au19ème siècle, et Hitler au 20ème siècle"[442]. Il est donc plausible d'espérer une amélioration des relations américaines et atlantiques avec la Russie sur de nouveaux fondements. Une défaite totale et la soumission de la Russie aux stratégies expansionnistes occidentales ne peuvent être envisagées. La Russie demeure une puissance nucléaire qui a des aspirations profondes pour le statut d'un empire. De même, les rapports entre la Russie et l'OTAN doivent être repensées pour définir, de communs accords, le rôle futur de ce type alliances militaires dans l'espace postsoviétique. Le Conseil OTAN- Russie (COR) institué en 2002 entre les deux parties pourra être réactivé sur de nouveaux fondements et servir d'enceinte pour recadrer les rapports entre les deux parties.

Le règlement de la question des armes nucléaires et de la géopolitique des énergies en Europe, sont aussi des conditions sine-qua non pour assurer la durabilité de la paix et réduire la probabilité de l'escalade vers la concrétisation d'un scénario basé sur l'hypothèse de confrontation qui aura des résonnances intenses à l'échelle mondiale.

[442] H. Kissinger, Op.cit, p 76.

Bibliographie :

- Alain Bauer, Au commencement c'été la guerre. Ed Fayard, 2023.
- Nouvelle Guerre, l'état du Monde 2015, sous la Direction de Bertrand Badie et Dominique Vidal, édition la Découverte, Paris, 2014.
- Henry Kissinger, La nouvelle puissance Américaine, (traduit de l'Anglais par Odile Demange), Ed Fayard, 2003,
- Pascal Boniface, La guerre en Ukraine et ses conséquences géopolitiques : Les Possibles, n° 34, Hiver 2023
- Zbiginiew Brezinski, le grand échiquier: l'Amérique et le reste du Monde, 1997. (The Grand Chessboard: American Primacy and Its Geostrategic Imperatives).

Webographie :

- Fabrice Ravel et Olivier Jacquemond, Rendez- vous de la géopolitique, deux ans de guerre, des nouvelles perspectives, ESCE International Business School, https://www.youtube.com/@ESCEbusinessSchool
- https://www.fmprc.gov.cn/fra/zxxx/202408/t20240828_11480482.html
- https://www.iris-france.org/187403-rapprochement-entre-la-russie-et-la-coree-du-nord-une-menace-securitaire-en-peninsule-coreenne/
- V Jacob Grygiel, The Right Way to Quickly End the War in Ukraine: Instead of Abandoning Kyiv, Washington Should Give It the Tools to Win, Foreign affairs, July 25th, 2024, https://www.foreignaffairs.com/ukraine/right-way-quickly-end-war-ukraine?utm_medium=newsletters&utm_source=twofa&utm_campaign=The%20Right%20Way%20to%20Quickly%20End%20the%20War%20in%20Ukraine&utm_content=20240726&utm_term=FA%20This%20Week%20-%20112017
- M.E. Sarotte, a better path for Ukraine and Alliance: What Kyiv could do now for a place in the Alliance?, Foreign Affairs, July 8, 2024, https://www.foreignaffaires.com/ukraine/better-path-unkraine-and-nato

ISSN 2569-734X

Food Security in Sub-Saharan Africa: Analysis of Current Situation and Future Scenarios

Shaimaa A. Metwalli
PhD Researcher Economics, Faculty of African Studies, Cairo University

Dr. Eman Abd El-Hamid Taha
Economic Expert, Faculty of Helwan University

Dr. Nermeen Mohamed Tawfik
Egyptian researcher in African affairs, holds a PhD in African political systems from Cairo University

Abstract

The research paper aims to shed light on the food security crisis in Sub-Saharan Africa (SSA), by analyzing the current status of food security indicators in the region, and then addressing the most important factors affecting the food security crisis in the region. These factors are: economic factors, including (economic growth rate, food prices, debt crisis), the imbalance between supply and demand for food products, including (climate change, agricultural productivity, population growth), and political crises, including (military coups and internal and global conflicts). The paper then moved on to a case study of the five worst performing countries in SSA according to the Global Hunger Index for 2023, namely: Nigeria, Congo, Zimbabwe, Sudan, and Ethiopia. Finally, the study explores the various possible scenarios and prospects for (SSA) and the likelihood of their occurrence.

Key Words: Food Security- Climate changes- Conflicts- Poverty- Debt- agricultural productivity

1. An Overview of Food Security in SSA

The World Food Summit held in 1996 defined food security as a situation achieved when all people, at all times, have physical and economic access to adequate, safe and nutritious food that meets their nutritional needs and food preferences for an active and healthy life. This is done by relying on 4 main dimensions: the availability of food (supply side), the ability to obtain foodstuffs, the utilization of foodstuffs, and the stability of obtaining foodstuffs periodically.[443]

[443] World Bank Group, What is Food Security? Available at: https://www.worldbank.org/en/topic/agriculture/brief/food-security-update/what-is-food-security Accessed on 2nd August 2024.

Considering the situation of food security and nutrition globally, successive global crises led to a global economic recession that ended three decades of global progress in poverty reduction, contributing to an estimated increase of 90 million people facing hunger in just one year (from 2019 to 2020)[444] . Thus, the world is moving in the opposite direction to sustainable development goals 2.1 and 2.2, which relate to the elimination of hunger, food insecurity and all forms of malnutrition by 2030[445] .

The sub-Saharan African region has not been immune from the global situation, it is far off track to achieve the food security and nutrition goals contained in the Sustainable Development Goals, as well as the Malabo goals to eliminate hunger and all forms of malnutrition by 2025. After a long period of improvement between 2000 and 2010, hunger worsened significantly and most of this deterioration occurred especially after the COVID-19 pandemic. The next part will focus on clarifying the most important indicators of the worsening food security and nutrition situation in sub-Saharan Africa.

1. 1 Global Hunger Index

The International Food Policy Research Institute (IFPRI) has developed a scale for assessing food insecurity, known as the Global Hunger Index (GHI), which takes into account 4 sub-indicators, namely: undernutrition, stunting of children, underweight, and infant mortality[446].

The results of the GHI indicate that SSA and South Asia are among the regions with the highest prevalence of hunger during the period (2000-2023). Efforts to combat hunger in SSA over the past decade seems to be very weak compared to the period when progress was made (2000-2015). The Hunger Index decreased in 2015 to 27.9 degrees compared to 41.8 degrees in 2000, which is a huge progress in reducing the prevalence of hunger, but since then the situation has almost not changed, as the value of the index in 2023 reached about 27 degrees (Figure 1).

[444] The State of Food Security and Nutrition in the World, 2023.
[445] The State of Food Security and Nutrition in the World, 2024.
[446] Global Hunger Index, Available at: https://www.globalhungerindex.org/methodology.html, Accessed on 2nd August 2024.

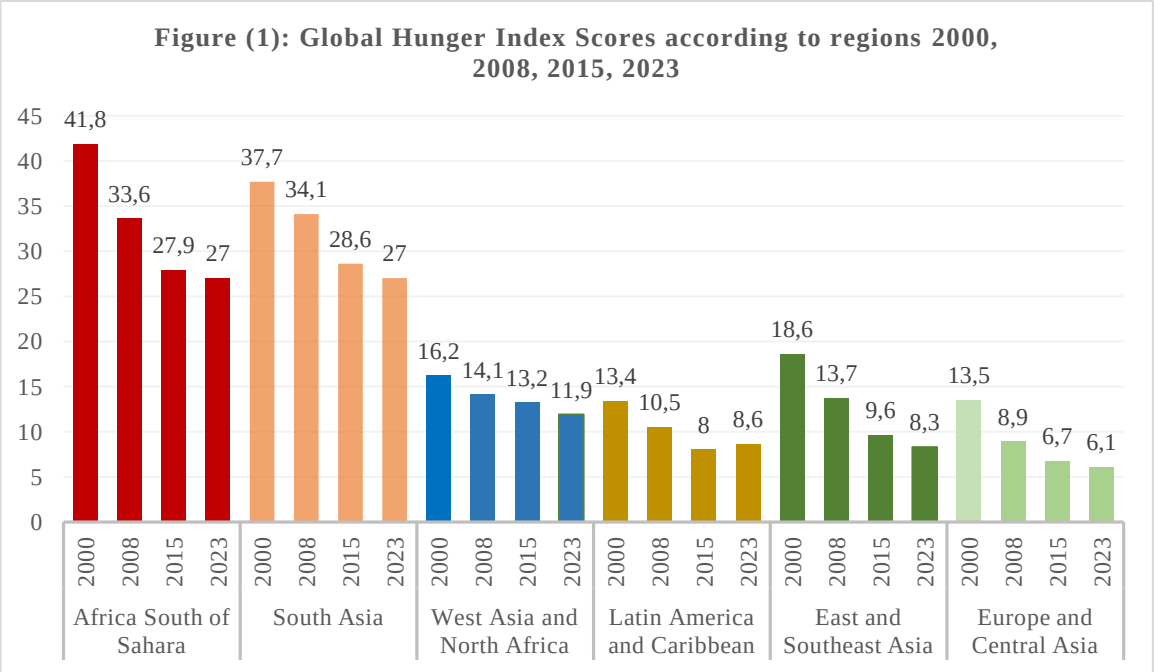

Source: Global Hunger Index, Available at: Global, Regional, and National Trends - Global Hunger Index (GHI) - peer-reviewed annual publication designed to comprehensively measure and track hunger at the global, regional, and country levels, accessed on 28 July 2024.

1. 2 Prevalence of Undernourishment

SSA is home to about 278 million people suffering from hunger and undernutrition in 2023, with an undernutrition prevalence reaching 23.2% in 2023, compared to about 18.2% in 2010. The highest annual increase in the prevalence of undernutrition occurred between 2019 and 2020 during the covid-19 pandemic (Figure 2).

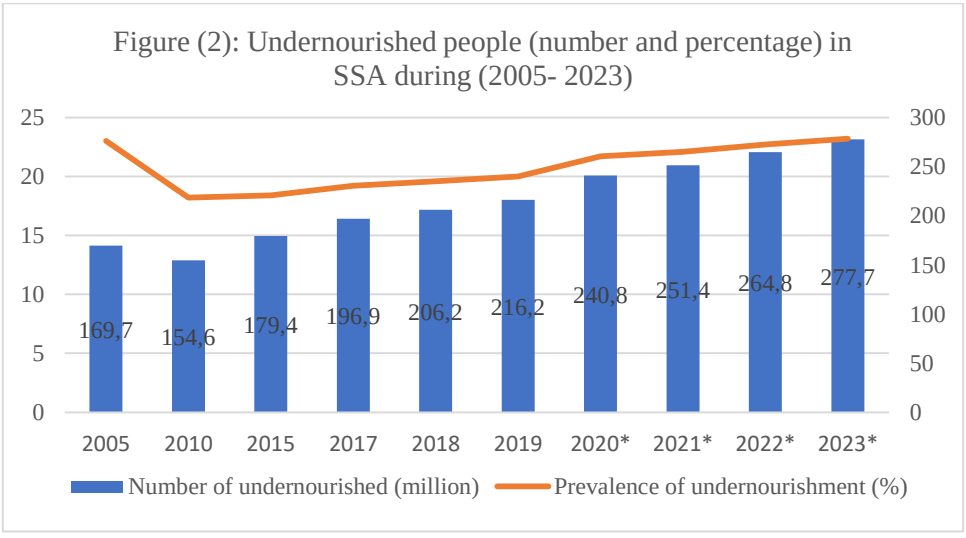

***** Values are based on the point estimates.
Source: The State of Food Security and Nutrition in the World, 2024.

This is in addition to the large disparities between regions in SSA, where East and Central Africa are among the regions with the highest prevalence of undernutrition, with rates of about

28.6% and 30.8%, respectively, in 2023. In contrast, we find that South Africa is among the regions with the lowest prevalence of undernutrition, with a prevalence rate of about 9.6% in 2023 (Figure 3).

Figure (3): Prevalence of undernourishment by Subregion during (2005- 2023)

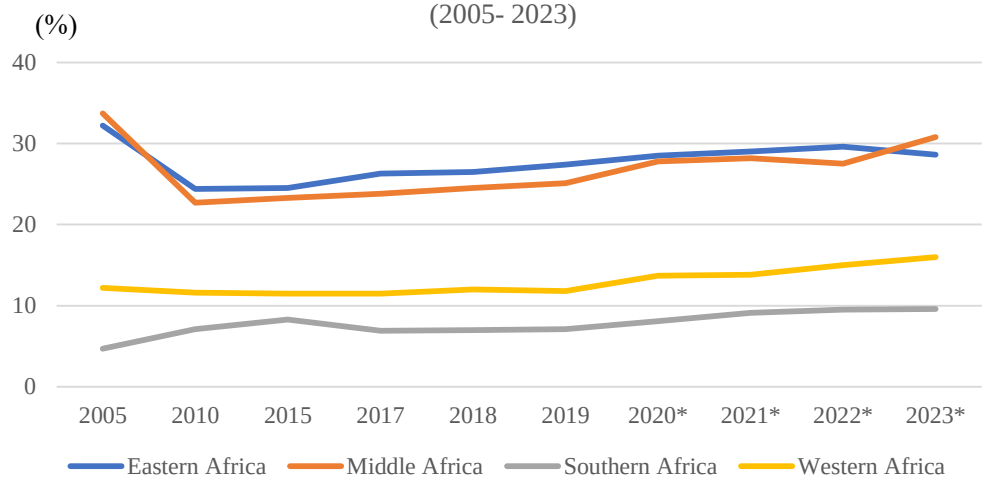

***** Values are based on the point estimates.
Source: The State of Food Security and Nutrition in the World, 2024.

1. 3 Prevalence of moderate and Severe food insecurity

About 63.3% of the population of SSA is experiencing moderate or severe food insecurity in 2023, and about 23.8% of the population suffered from severe food insecurity. In addition to the large regional disparities in SSA, Central Africa has the highest prevalence of moderate or severe food insecurity (77.7%, or 157 million people), making it the most moderately or severely food insecure region in the world. It is followed by East Africa (64.5%, or 313 million people) and West Africa (61.4%, or 270 million people). A quarter of the South African population (17.3 million people) was also affected by moderate or severe food insecurity in 2023 (Figure 4).

Figure (4): Prevalence of severe food insecurity by Subregion during (2005- 2023)

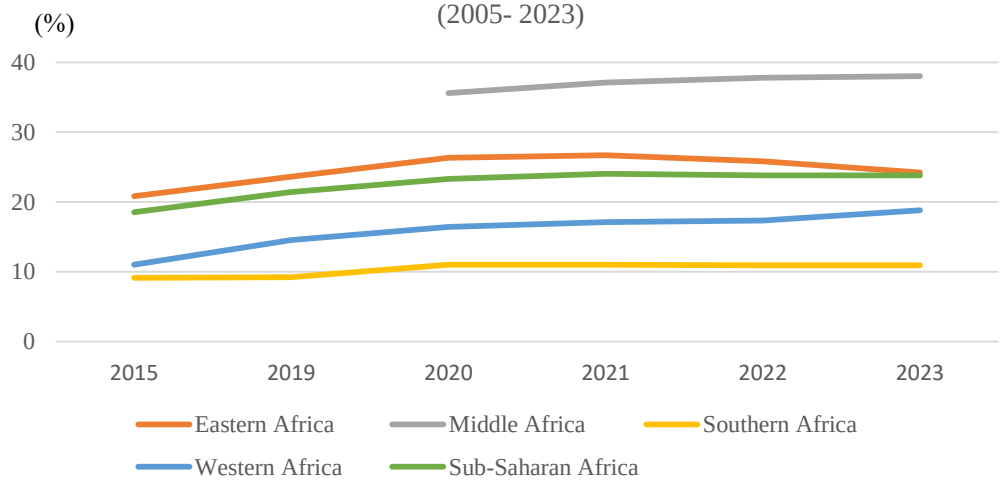

Source: The State of Food Security and Nutrition in the World, 2024.

Central Africa is also the highest region in Africa and the world that is experiencing severe food insecurity by about 38% in 2023. In East Africa, 24.2% of the population is severely food insecure, followed by West Africa (18.8%) and South Africa (10.9%).

Between 2022 and 2023, the proportion of the population suffering from moderate or severe food insecurity increased slightly in most regions of SSA, especially in South Africa, where it increased by 2.1%. However, there is a clear improvement in East Africa - one of the most affected regions-where the proportion of the population suffering from moderate or severe food insecurity decreased by about 2.6% in 2023 compared to 2022. This is equivalent to more than 4 million people becoming moderately or severely food insecure in East Africa in one year.

Considering severe food insecurity, its prevalence remained relatively unchanged from 2022 to 2023 in Central Africa and Southern Africa, while severe food insecurity decreased slightly in East Africa in the same period, by 1.6%, while it increased slightly in West Africa (Figure 5).

Figure (5): Prevalence of moderate or severe food insecurity by Subregion during (2005- 2023)

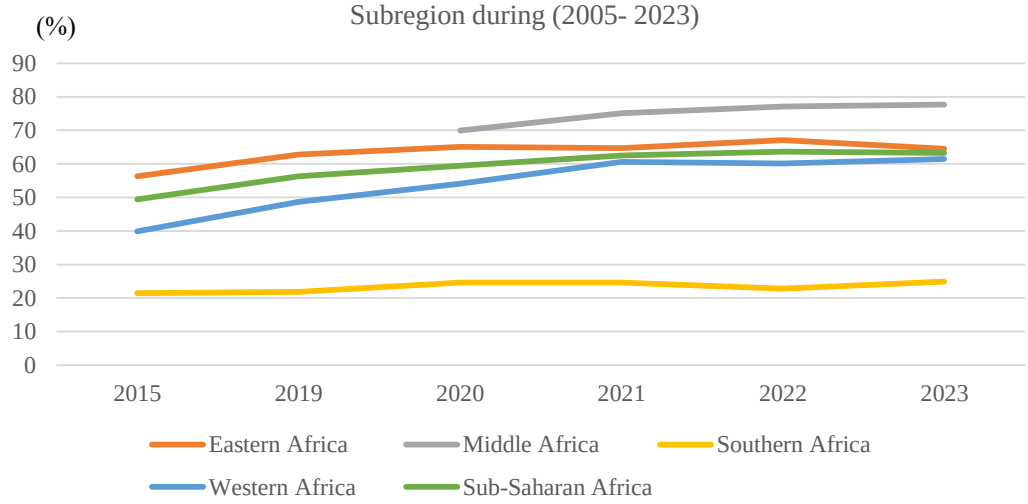

Source: The State of Food Security and Nutrition in the World, 2024.

2. Factors behind low levels of food security in SSA

In recent decades, food security in SSA has become a pivotal issue that significantly affects the continent's economic and social development. Africa is one of the most vulnerable regions to food crises, with millions of people facing acute food shortages and suffering from malnutrition. There are many factors playing a role in this crisis, including economic factors, political factors, and factors resulting from the imbalance between the supply of food products and the demand for them. The following section deals with the most prominent of these factors.

2. 1 Economic Factors

There are many economic factors contributing to the food security crisis in SSA, such as economic instability, agricultural markets, poor infrastructure, fluctuations in food commodity prices. African countries are often vulnerable to global price fluctuations due to dependence on food imports. Thus, a sudden rise in commodity prices can lead to a local food crisis, since the ability of households to afford food is directly affected by these fluctuations.

- **Weak economic growth rates in the region**

The economic growth rate reached its lowest levels in SSA in 2020 during the period (2000 - 2023). Although growth rates recovered in 2021 and 2022 (after the covid-19 pandemic), it declined again in 2023 to reach about 3.0% as a result of global conditions, especially the Ukrainian-Russian conflict. This suggests that the recovery remains fragile, and there is a need to overcome significant challenges related to low and unstable growth, high levels of poverty and inequality, and the difficulty of translating growth into poverty reduction [447].

It should be noted that the relationship between economic growth and food security is reciprocal. On the one hand, low economic growth rates are reflected in low incomes and wages, and therefore the ability to get enough and healthy food. On the other hand, the inability of an individual to obtain adequate and healthy food negatively affects the health status of workers and, consequently, their productivity and, consequently, economic growth.[448]

SSA countries have faced enormous obstacles on the way to achieving high economic growth and significant global economic participation. However, the current economic growth rates are still insufficient to significantly reduce extreme poverty and allow these countries to catch up with other developing countries, alleviate poverty and raise living standards, which requires achieving significantly and steadily high economic growth rates in order for growth to have the desired effect.[449]

- **Rising Food Prices**

SSA is facing great challenges due to high prices and their fluctuations, which significantly affect the economies of these countries, especially in recent times, where the global economic crises, in addition to the internal conditions of the countries of the region, which lead to higher inflation rates in the region compared to global inflation rates.

[447] World Bank Group, April 2024, Africa's Pulse: An Analysis of Issues Shaping Africa's Economic Future, Volume 29.
[448] Timmer, P. Food Security and Economic Growth: An Asian Perspective; Center for Global Development Working Paper: Washington, DC, USA, 2004; Volume 51. Available at: https://www.files.ethz.ch/isn/35774/2004_12_13.pdf
[449] Clift, B., & Robles, T. A. (2021). The IMF, tackling inequality, and post-neoliberal 'reglobalization': The paradoxes of political legitimation within economistic parameters. In Reglobalization (pp. 39-54). Routledge. Available at: https://wrap.warwick.ac.uk/id/eprint/138427/

Although inflation rates have slowed in most countries of the region after reaching its peak in 2022, it is still high compared to the pre-pandemic period, as about 13 countries in the region are experiencing an increase in inflation rates, with the average inflation reaching 27% in 2023[450].

There are many causes of inflation in the region, and the two most important causes of inflation are: high global food prices and the region's dependence on food imports. Another reason is the weakness of local currencies in the region. The following is an explanation of these reasons:

- Food price inflation and dependence on food imports

High food prices in SSA are one of the factors threatening food security in the region. Although global food prices have seen a significant decline since their peak in March 2022 (figure 6), food inflation remains high in many countries in the region, which have recorded double-digit annual food inflation rates, especially in Ethiopia, Malawi, Nigeria, Sierra Leone and Zimbabwe [451].

Figure (6): FAO food Price Index from 2006 to June 2024

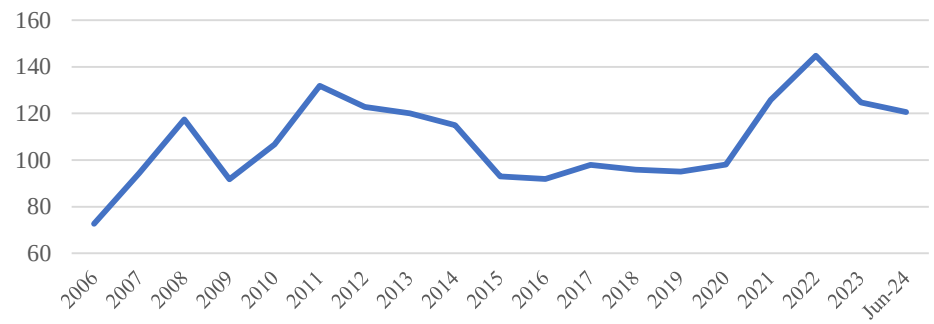

Source: FAO, Available at: https://www.fao.org/worldfoodsituation/foodpricesindex/en/ Accessed on, 30 July 2024.

This is in addition to the fact that the proportion of spending on food from the total family budget is significantly higher in SSA. For example, in Nigeria, the most populous country, this figure represents 59% in 2022, which is the highest country in the world spending on food, followed by Kenya at 56.7%, and Angola at 49.6%[452].

The high cost of food imports in local currencies (as a result of the low exchange rate), the high costs of logistics services abroad (high shipping costs) and at home (high cost of transportation and high fertilizer prices) are the main reasons for food price inflation in the region. High food prices tend to have a greater impact on the budgets of low-income households. According to

[450] World Bank Group, April 2024, Africa's Pulse: An Analysis of Issues Shaping Africa's Economic Future, Volume 29. - Food price inflation and dependence on food imports
[451] World Bank Group, April 2024, Africa's Pulse: An Analysis of Issues Shaping Africa's Economic Future, Volume 29.
[452] Our World in Data, Available at: https://ourworldindata.org/grapher/food-expenditure-share-gdp?tab=table&time=2022, Accessed on: 30 July 2024.

research by Calestous Juma, a professor at Harvard University, Africa could achieve food self-sufficiency if it stopped relying on food imports.[453]

SSA is one of the highest food importing regions in the world for many decades. looking at 2021, the percentage of food imports to the region to total global food imports is about 32.5% (Figure 7).

Figure (7): Share of food imports to total world imports by geographic region in 2021

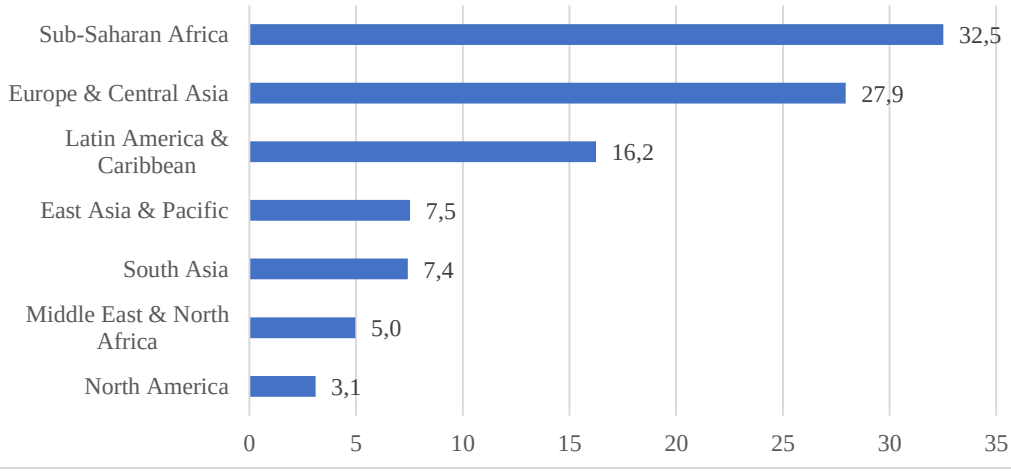

Source: World Integrated Trade Solution, Available at: https://wits.worldbank.org/Default.aspx?lang=en

In an analysis of the most important internal and external factors affecting domestic staple food prices in SSA, (Okou, P., and others) explained that external factors affecting the region drive food price inflation, but local factors can mitigate this impact.

In terms of external factors, the region is highly vulnerable to World Food prices, as the transfer of world prices to local prices for imported staple foods is highly affected. On the domestic side, inflation in the prices of basic foodstuffs is lower in countries with large domestic production and among products with low consumption quotas[454] .

- Weakness of local currencies in the region

Most of the African currencies have weakened in SSA countries against the US dollar, fueling inflationary pressures across the continent as import prices rise. In 2023, the Nigerian naira, the Angolan Kwanza, the Malawian Kwacha and the South Sudanese Pound were the worst

[453] Wudil, A. H., Usman, M., Rosak-Szyrocka, J., Pilař, L., & Boye, M. (2022). Reversing years for global food security: A review of the food security situation in Sub-Saharan Africa (SSA). International Journal of environmental research and Public Health, 19(22), 14836.

[454] Okou, C., Spray, J. A., & Unsal, M. F. D. (2022). Staple food prices in sub-Saharan Africa: An empirical assessment. International Monetary Fund, Available at: https://www.imf.org/-/media/Files/Publications/WP/2022/English/wpiea2022135-print-pdf.ashx

performing currencies in the region: these currencies recorded year-end declines ranging from 37.3% (South Sudan) to 49.5% (Nigeria).

Of course, the weakening of the local currency affects the rise in the value of the import bill, including food imports. The reasons for the depreciation of local currencies in the countries of the region are different. For example, the devaluation of the naira was the result of the liberalization of the official exchange rate since June 2023. In Angola, low oil prices, oil production and high debt repayment contributed to the devaluation of the currency. By the end of 2023, almost 40% of the countries in the region had international reserves of less than three months of imports.[455]

- **Debt crisis**

The debt crisis in SSA is a major challenge facing many countries in this region. This challenge is characterized by the accumulation of external debt, which burdens national economies and hinders the possibility of sustainable development and improving the standard of living of the population.

The cost of paying off debt in the region has risen. As for the ratio of interest payments to revenues in the region, it doubled in 2022, compared to 2010, and it is almost four times the ratio in advanced economies.[456]

The debt crisis in the region as a result of inappropriate borrowing from Bretton Woods institutions such as the World Bank, that caused SSA countries to be heavily indebted and lack the necessary productive assets to service their debts. The structural adjustment policies imposed by these institutions also forced states to reduce spending on agriculture, education, housing and health, and allowed private foreign investment to extract resources that support the livelihoods of local communities. This has led to a vicious cycle of debt and interest payments draining the region's wealth needed for local development. This has affected the persistence of poverty in the region and is an obstacle to the development of cost-effective and locally convenient local production and supply chains.

Structural adjustment plans have forced governments to allow international companies and local investors to acquire agricultural land, and food-producing farmers have been evicted from their land, undermining food security and livelihoods[457] .

[455] World Bank Group, April 2024, Africa's Pulse: An Analysis of Issues Shaping Africa's Economic Future, Volume 29.
[456] World Bank Blogs, March 2023, Slowing debt accumulation, growing risks: Unveiling the complexities of Sub-Saharan Africa's debt burdens, Available at: https://blogs.worldbank.org/opendata/slowing-debt-accumulation-growing-risks-unveiling-complexities-sub-saharan-africas-debt
[457] Bjornlund, V., Bjornlund, H., & van Rooyen, A. (2022). Why food insecurity persists in sub-Saharan Africa: A review of existing evidence. Food Security, 14(4), 845-864. Available at: https://link.springer.com/article/10.1007/s12571-022-01256-1

In general, the weak financial resources of the region and the limited financial space of the region's countries are reflected in their inability to spend to cope with crises, and their heavy dependence on foreign aid, [458] which contributes to their inability to reach marginalized groups who are unable to spend during crises, such as providing affordable food programs and providing health care for children [459].

2. 2 Imbalance between the supply of food products and the demand

Despite possessing vast areas of arable land and rich natural resources, SSA faces many challenges that limit agricultural productivity and provide food for its growing population, as it relies heavily on meeting its food resources from abroad. According to the FAO database, food imports for central, eastern, western and Southern Africa are concentrated in wheat and rice. There is also a persistent gap between domestic production and demand for it. There is not a single African country that does not suffer from difficult Food conditions either with a shortage, scarcity or poor quality of available food.[460]

Climate change and its mutations are among the most important factors that have affected the degree of soil salinity in Africa, as well as agricultural policies, both domestic and International, are among the factors that have reduced the supply of agricultural crops in Africa at a time when domestic demand is growing.

- **Shocks and Climate changes**

The African continent is one of the most affected regions of the world by climate change, although it is the least in terms of carbon emissions, as its share of global carbon emissions does not exceed 3.8%,[461] and Africa (especially East Africa) suffers from droughts from time to time. However, it can be said that the effects of climate change on the African continent have many dimensions, perhaps because it is a global issue, it does not depend on the decline in agricultural productivity and the deterioration of the harvest season, but the situation extends in the investment policies of Western countries in a direction to reduce carbon emissions to the forests of Africa (which is the largest carbon store in the world), extract more minerals necessary for the green industry, and even limit agricultural exports by imposing a carbon tax.

[458] IMF. (2022). Policy Space Index: Short-Term Response to a Catastrophic Event, Available at: https://www.imf.org/en/Publications/WP/Issues/2022/06/17/Policy-Space-Index-Short-Term-Response-

[459] ILO. (2020). Social Protection Spotlight. Available at: https://www.social-protection.org/gimi/Media.action;jsessionid=ZytxDizljoSr07Dwm2bxLpj_ialtS3-kpIPvYxoToJNecmS2vYC8!-765179005?id=17737

[460] **"How does climate change affect the economies of African countries?", Available at: https://shorturl.at/87Wk7 access in 03/ 08 /2024**

[461] Zaher Hesham, "Africa faces the greatest risks from climate change despite contributing the least to its creation", Available at: https://shorturl.at/uKZ1h

Agriculture in SSA is highly dependent on rainwater, accounting for 95% of rain-fed agriculture.[20] For example, the low level of rainfall over four consecutive seasons (since October 2020) in Ethiopia, Kenya and Somalia has led to food insecurity in the Horn of Africa in a way that has not been seen for at least 40 years[462]. On the one hand, and on the other, the transformation of high carbon emissions into high acidity of rainfall, which negatively affects the suitability of soils for agriculture.

The decrease in the area of arable land suitable for crop production, increases the lack of nutrition and, consequently, the spread of diseases and epidemics. Four countries have suffered from cholera outbreaks, including South Sudan, and there is also an increase in cases of malaria - which is endemic in the Greater Horn region (includes 7 countries: Djibouti, Ethiopia, Kenya, Somalia, South Sudan, Sudan, and Uganda), as well as chronic outbreaks of hepatitis, meningitis, and dengue fever, which were first announced in Khartoum in February 2023. The coincidence of the outbreaks of these diseases is directly related to extreme weather events and climate change.[463]

The increase in temperature by 1 degree Celsius has affected the decline in agricultural production in South African countries by an average of 2.66%, reducing economic growth by an average of 1.3 percentage points per degree of temperature.

The drought also led to the loss of farmers in South Africa by more than 5 billion rand (equivalent to 276 million US dollars) between 2014 and 2016. The continuation of drought in the Horn of Africa over the past years has led to damage to agricultural crops, the loss of livestock herds, and the spread of water scarcity, which in turn has led to an increase in the proportion of hunger-related deaths, due to direct and indirect effects on the livelihoods of the population, and the inability to obtain water and food. [22]

El Nino phenomenon:

Beginning in July 2023, El Nino is a climatic phenomenon that creates a disturbance in precipitation patterns caused by the warming of surface waters in the eastern Pacific Ocean[464]. The effects of this phenomenon have had many disasters, including:

[462] Abdulazeez Hudu Wudil & others, "Reversing Years for Global Food Security: A Review of the Food Security Situation in Sub-Saharan Africa (SSA)", International Journal of Environment Research & Public Health, 11 Nov. 2022. Available at: https://www.mdpi.com/1660-4601/19/22/14836

[463] Mona abd el Fatth: "Hunger is a permanent visitor to the countries of the Horn of Africa", available at: https://shorturl.at/HBhuo

[464] "In Southern Africa, El Niño drought leaves a trail of scorched harvests and hunger", Climate change, Africa Renewal, Available at: https://www.un.org/africarenewal/magazine/may-2024/southern-africa-el-ni%C3%B1o-drought-leaves-trail-scorched-harvests-and-hunger

- In Somalia, the government declared a state of emergency after severe weather conditions killed at least 25 people and destroyed houses, roads and bridges. The heavy rains come after four consecutive years of drought that have pushed Somalia to the brink of famine.

- In Kenya, flash floods destroyed about 241 acres of agricultural land and killed 1,067 head of livestock[465].

- In Malawi, Zambia and Zimbabwe, a national emergency has been declared due to the El Nino phenomenon, as the lack of rainfall during November and December 2023 led to the destruction of crops for January and February 2024.

- The region stretching from Angola to Zimbabwe, the El Nino phenomenon caused the drying up of fertile soils, interrupting the production of basic foodstuffs such as corn. Access to food has decreased, especially as stocks are decreasing as a result of rising prices[466].

- In the Ivory Coast and Ghana, the two countries with the heaviest cocoa production, cocoa production in Ghana is expected to be the lowest in 13 years, and the Ivory Coast's production is expected to be the lowest in seven years, as continued rains have turned dirt roads into impassable swamps, uprooting cocoa flowers, and the proliferation of fungal infections that turn cocoa pods the size of a rugby ball into black mush, which has led to higher production costs for farmers[467].

It should be noted that it is difficult to mitigate the effects of climate change on African lands in light of the worsening debt and the decline in financial resources, although about half of the area allocated for the restoration of ecosystems in the world is located in Africa, but the degradation of about 65% of productive land and the occurrence of desertification of about 45% of the total land area of the continent, prevent this[468].

For example, developed countries are moving in accordance with international conventions to reduce production with fossil fuels and strive to produce electric cars, the production of which requires environmentally friendly minerals that are found only on the African continent. In light of the thirst of these countries for foreign resources, they welcome foreign investments seeking to exploit the extractive fields from future generations, in addition to leasing forests as a carbon

---

[465] "Forty Dead as Heavy Rainfall Displaces Thousands in Kenya, Somalia", available at: https://www.bloomberg.com/en/news/thp/2023-11-06/30-people-dead-in-kenya-and-somalia-as-heavy-rains-and-flash-floods-displace-thousands?sref=knXkNmGC#xj4y7vzkg

[466] "In Southern Africa, El Niño drought leaves a trail of scorched harvests and hunger", Ibid

[467] Mumbi Gutai & others: "Chocolate Prices Are Rising Everywhere as Cocoa Rots in West Africa", available at:https://www.bloomberg.com/news/features/2023-12-01/climate-change-in-ivory-coast-and-ghana-makes-chocolate-expensive-everywhere?sref=knXkNmGC

[468] Elizabeth Mrema: "How 'Generation Restoration' can safeguard Africa's land and livelihoods**",** available at:https://www.un.org/africarenewal/magazine/june-2024/how-%E2%80%98generation-restoration%E2%80%99-can-safeguard-africa%E2%80%99s-land-and-livelihoods

store and displacing the indigenous populations in these areas so that these countries can obtain the newly developed resources.

In addition, the EU has resorted to imposing a carbon tax on imported carbon-intensive products such as fertilizers, cement, iron, steel and aluminum, in order to encourage companies to adopt better clean energy technology and prevent the production of carbon-rich goods outside the EU, scheduled to enter into force in 2026. However, the real goal may be to make it difficult for European manufacturers to compete with cheaper and more polluting production outside their borders. This may cost the African continent 25 billion dollars a year, which may prevent the increase in the added value of African exports and the achievement of economic diversification[469].

According to the Notre Dame Institute's ND-GAIN Index, the five least resilient countries for climate change worldwide in 2023 are: Chad, the Central African Republic, Eritrea, the Democratic Republic of the Congo and Guinea-Bissau. Therefore, they are expected to see wide-ranging adverse effects due to inadequacy.[470]

Poor agricultural productivity

One of the most factors that led to the weakening of agricultural productivity, other than climatic factors, is the adoption of agricultural freedom and the abolition of subsidies and subsidies for farmers, which was dictated to the governments of those countries by the World Trade Organization and international financial institutions. Therefore, most of these countries have turned to the production of monetary goods at the expense of food commodities and rely on the import of cereals from abroad, while products such as cocoa, coffee, tea, bananas, peanuts, flowers, Cotton are exported. Low agricultural productivity, inequity and poor distribution have many reasons, among which we mention:

- Trading and speculating on the prices of various agricultural commodities on the Chicago Stock Exchange, for example, and the pursuit by producing countries of the maximum possible profit.

- Advanced governments prefer agrofuels, and facilitate the reduction of fossil fuel emissions by consuming half of the amount produced from corn for agrofuels, while only half of the amount is put on the food market, to cover the shortage and ease the pressure on grain prices.

- The monopoly and control of 4 intercontinental companies, three of which are American and one is French, over 70% of the global grain market.[471]

[469] Simon Jessop & others: "Development bank head at COP28 urges African exemption from EU carbon tax", available at:https://www.reuters.com/world/africa/development-bank-head-cop28-urges-african-exemption-eu-carbon-tax-2023-12-06/
[470] University of Notre Dame, Available at: https://gain.nd.edu/our-work/country-index/
[471]"Statement: Let's put an end to the food crisis", available at: https://shorturl.at/1Fbwz

- Poor infrastructure, low agricultural investment. Only 5% of irrigable land in sub-Saharan Africa is equipped, compared to 37% in South and East Asia. The region is about 450 times lower than the global average.

- Low spending on scientific research, Africa's share of global spending on research and development has remained at the level of 1.01% since 2014 until 2021. On the other hand, spending on research and development in sub-Saharan Africa accounted for only 0.45% of the continent's GDP. While spending on research and development is vital for the African continent, for the development of new varieties of crops and resistance to pests and widespread diseases. Moreover, many farmers lack knowledge of modern agricultural techniques and Natural Resource Management.

- Changing consumption patterns, from the consumption of local staple crops that were dependent on them in the past, to the consumption of wheat instead of relying on their local sources[472].

- Lack of transparency and the enactment of strict laws to deal with the bulldozing of agricultural land at the expense of mining. for example, small farmers in rural Gwanda, a region in Zimbabwe on the border with South Africa, have been affected by high temperatures, droughts and floods caused by climate change, water pollution and land affected by illegal small-scale mining. they were surprised to dig up agricultural land at night for mining. therefore, the Zimbabwean government needs to enact laws criminalizing the bulldozing and destruction of agricultural land, and prevent mining unless the necessary licenses are obtained[473].

- Market defects and institutional distortions have the potential to limit productivity and profits, as companies and farms face extensive credit restrictions, in addition to difficult access to product markets, which prevents companies and farms from increasing their production[474].

- Conflicts, wars and coups have led to the destruction of agricultural infrastructure and an increase in the number of displaced people, including farmers, and therefore a shortage of labor in the fields. for example, the increase in the number of displaced people to about 6.7 million

"The global food crisis and proposals to get out of it", available at: https://tinyurl.com/4txy9j9h
"Food crisis in Africa". available at: https://tinyurl.com/3kayazas
[472] Abdulazeez Hudu Wudil & others, Ibid
[473]"Double Whammy: Zimbabwe Farmers Struggle Against Illegal Mining and Climate Change", https://www.africa.com/double-whammy-zimbabwe-farmers-struggle-against-illegal-mining-and-climate-change/
[474] "TACKLING INEQUALITY TO REVITALIZE GROWTH AND REDUCE POVERTY IN AFRICA", AN ANALYSIS OF ISSUES SHAPING AFRICA'S ECONOMIC FUTURE, Africa's Plus, VOLUME 29, APRIL 2024

people led to a decrease in the grain harvest in the Sahel region by 12% in 2022 compared to 2021, 15% in Mali and 36% in Niger during the same year[475].

• High population growth rate

The region of Africa is one of the highest continents in the world with a high population growth rate in 2023, reaching 2.37%. The following table shows the most important reasons for the high population growth rate in Africa, which are: an increase in the proportion of the population living in rural than urban, early marriage (the average was 19 years), and a high fertility rate.

Table (1): Main Characteristics of Population within Regions in 2023

Region	Population (million)	Growth rate of POP	Migrants (net)	Fert. Rate	Med. Age	Urban POP%	World Share
Asia	4,753.1	0.64%	-1,487,191	1.93	32	52.60%	59.10%
Africa	1,460.5	2.37%	-535,151	4.18	19	44.70%	18.20%
Europe	742.3	-0.17%	792,167	1.5	42	75.70%	9.20%
Latin America and the Caribbean	665.0	0.72%	-161,800	1.84	31	84%	8.30%
Northern America	378.9	0.54%	1,249,364	1.64	38	82.80%	4.70%
Oceania	45.6	1.19%	142,770	2.13	33	66%	0.60%

The contribution of the population of the African continent is expected to increase to about 26% of the total world population, or more than a quarter of the world's population, in 2050, compared to less than 10% of the total world population in 1950, due to the low mortality rate and the high birth rate.

According to the UN, only eight countries globally account for more than half of the increase in the world's population over the next three decades, five of these countries are located in Africa. The working-age population is also growing in most African countries, faster than any other age group.

Niger and the Democratic Republic of the Congo are the most populous sub-Saharan African countries in 2023 with 3.7% and 3.2%, respectively, followed by Chad, Mali and Somalia with 3.1%.[476]

The human wealth that has been bestowed upon the African continent has the potential to shape the global population map. However, this can only be achieved if this wealth is provided with a quality life. In the face of water scarcity and low levels of food security, the anticipated

[475] Food crisis in Africa, Ibid

[476] Population growth (annual %) - Sub-Saharan Africa, available at: https://data.worldbank.org/indicator/SP.POP.GROW?locations=ZG

challenges of rapid population growth will not only affect African countries but will also extend to the rest of the world through population displacement.

2. 3 Political crises and their negative impacts on food security in Africa:

There is a direct relationship between political conflicts in African countries and the food insecurity crisis in the continent, where some of them are suffering from civil wars while others are exposed to military coups. These conflicts increase the severity of food insecurity and as well as increase famines, and make it difficult for citizens of these countries to obtain food or clean water, in addition to waves of displacement or asylum that put pressure on new places where those refugees fled to and can trigger new conflicts.

- **Internal conflicts (civil wars - military coups):**

Indicators show a direct relationship between the political crises and the increasing number of Africans facing acute food insecurity in countries exposed to political conflicts. The Africa Center for Strategic Studies (ACSS) indicated, in a report issued in October 2023, that conflict continues to be the primary driver of Africa's food crisis which transformed to more dangerous levels. Underscoring that some 122 million out of 149 million Africans facing acute food insecurity are in countries experiencing conflict – 82 % of the total – accentuating that conflict is the primary driver of acute food insecurity in Africa. And 8 of the top 10 African countries experiencing acute food insecurity are facing conflict.[477]

While 38 African countries are experiencing some level of acute food insecurity, roughly two-thirds of this threat is concentrated in five countries: The Democratic Republic of the Congo (DRC), Nigeria, Sudan, Ethiopia, and South Sudan, all of which are conflict-affected. The war in Sudan between the army and the Rapid Support Forces (RSF) that broke out in April 2023 was a major cause of the increasing people suffering from starvation in Africa.[478]

- **Military coups and increased military spending:**

Sub-Saharan African countries witnessed more than 7 military coups from 2020 to 2023, most of which occurred in West African countries or what is called the "coup belt" in the African Sahel, most notably (Mali – Guinea – Burkina Faso – Niger – Gabon). These coups reflected the fragility of the rule of law in Africa. The affected states face a slow post-pandemic recovery exacerbated by climate change shocks. Food insecurity, political instability, stagnating

[477] Africa Center for Strategic Studies (ACSS), Unresolved Conflicts Continue to Drive Africa's Food Crisis, (Washington: United States Department of Defense, 16 October, 2023)
https://africacenter.org/spotlight/unresolved-conflicts-continue-to-drive-africas-food-crisis/#:~:text=An%20estimated%2082%20percent%20of,driver%20of%20Africa's%20food%20crisis

[478] Idem.

economies, high-interest rates, and weak governance further add to their challenges, furthermore the economic sanctions imposed by the Economic Community of West African States (ECOWAS) on these countries; which increased the suffering of their people.[479]

In addition to the increase in military spending, which means affecting spending on other services, for example, The DRC's military spending increased by 105% to $794 million, according to the Trends in World Military Expenditure 2023 report by the Stockholm International Peace Research Institute (SIPRI). The report noted that the DRC's increased spending also "coincided with growing tensions with Rwanda" and "a government move to strengthen the Congolese armed forces after it demanded the early withdrawal of a large-scale United Nations peacekeeping mission in the country," known as MONUSCO.[480]

South Sudan recorded a 78% increase in military spending to reach more than $1 billion in 2023. While in 2022, the country's military spending increased by 108%, according to the SIPRI report, which attributed the increased expenditure to "escalating internal violence" and security challenges related to the civil war in neighbouring Sudan.

The SIPRI report indicated that conflicts in the Middle East and Ukraine drove a rise in military spending but noted that the increase was a global phenomenon seen across all continents, the largest percentage was in Africa. Expenditures rose by 9% in the Middle East, 16% in Europe, 4.4% in Asia and Oceania, 2.2% in the Americas and 22% in Africa.[481]

- **Global conflicts (Russian-Ukrainian war)**

Food insecurity is not limited to internal crises in Africa only, but extends to include external global conflicts that have increased the negative effects on food security in Africa, most notably the Russian-Ukrainian war; which led to disruption of supply chains, high levels of inflation; and a significant increase in food prices, in addition to Moscow's withdrawal from the Black Sea Grain deal; which exacerbated the food crisis in Africa.

FAO food price index indicated that world food prices jumped nearly 13 % in March 2022 to a new record high as the war in Ukraine continues to rage, due to the dependence of many countries on imports of agricultural products and fertilizer from Russia and Ukraine.[482]

- **The role of climate change in creating new conflicts:**

---

[479] Alex Vines, Understanding Africa's Coups (Washington, D.C: The Georgetown Journal of International Affairs – GJIA, April 13, 2024)
https://gjia.georgetown.edu/2024/04/13/understanding-africas-coups/

[480] Africa Defense Forum (ADF) magazine, DRC, South Sudan Recorded Largest Military Spending Increase in 2023, (USA: U.S. Africa Command, May 21, 2024)
https://adf-magazine.com/2024/05/drc-south-sudan-recorded-largest-military-spending-increase-in-2023/

[481] Idem.

[482] Amani Africa, Food security and conflict in Africa, Published on 9 May 2022
https://amaniafrica-et.org/food-security-and-conflict-in-africa/

The food insecurity crisis caused by climate change, such as drought or floods, can create conflicts over resource areas, such as the conflict between Ethiopia and Sudan overgrazing in the "Al-Fashaga" area, in addition to the socio-economic pressure that resulted from rising food prices is feared to create further social tension and instability.

This exposes the significant impact of political instability and internal and external crises on increasing food insecurity rates in Africa.

3. An analytical view of the most hunger African countries

This section deals with case studies of some of the worst-performing countries in SSA according to the Global Hunger Index for 2023, and five of the ten worst-performing countries have been selected to understand the main factors contributing to the worsening of food security and the various influences that contribute to its continuation. These countries are represented by: Nigeria, Congo, Zimbabwe, Sudan and Ethiopia.

3. 1 Nigeria

Nigeria is the largest oil producer on the African continent, and its economy depends mainly on oil revenues, which at the same time is the main reason for its stumbling. Since 2020, oil production has declined due to theft and sabotage in the Niger Delta, and weak investment in New and existing oil fields. The International Monetary Fund has warned of the crises hitting the Nigerian economy, as a result of high inflation, exchange crisis, weak economic growth and business closures, which negatively affect per capita growth, poverty and increased food insecurity, exacerbating the ongoing cost of living crisis in Nigeria.

GDP per capita reached about 2.5 thousand dollars in 2023, and although this value is high compared to other countries suffering from high levels of food insecurity in the region, it is lower than the global average of about 11.6 thousand dollars in 2023. The Nigerian currency (Naira) also experienced a significant decline in 2023, falling by about 70% against the dollar. Fuel subsidies have also been eliminated. This, in turn, affected the rise in inflation rates to reach about 24.7% in 2023 compared to about 18.8% in the previous year, and this rate is the highest rate for 28 years, leading to a crisis in the cost of living that will undermine stability in the most populous country in Africa [483].

In addition, about 40% of the Nigerian population lives in extreme poverty. This percentage has recently increased as a result of the high cost of living. About 68% of the revenue collected by the Nigerian government in the first half of 2024 was used for debt servicing.

[483] Bull, Alister. (July 2024). Understanding Nigeria's Currency Slump, and What Happens Next, Available at: https://www.bloomberg.com/news/articles/2024-07-30/why-nigeria-s-naira-currency-ngn-usd-slumped-and-why-it-matters, Accessed on 6 August 2024.

Agriculture and climate changes

The agricultural sector is one of the most important pillars of the economy in Nigeria, covering about 78% of the total land area and contributing to 24.4% of GDP. The sector is dominated by smallholder farmers, who face challenges such as low soil fertility and inefficient agricultural practices, leading to low productivity and increased dependence on food imports such as rice and wheat. Despite being the second largest importer of rice, Nigeria is also a major producer of cassava, and is working to boost local production through initiatives to attract young people to agriculture and improve crop production.

Agriculture in Nigeria is highly dependent on monsoon rains, which makes the sector sensitive to climate change. Farmers in the southern regions suffer from flooding and soil loss, while the North faces challenges due to low rainfall and high temperatures, threatening livestock and crop productivity. To meet these challenges, Nigeria has adopted strategies to develop irrigation infrastructure, improve resource management, increase reliance on drought-resistant crop varieties, enhance food security through improved storage facilities and provide agricultural insurance[484].

Political Conflicts:

An estimated 24.9 million Nigerians are facing food insecurity and hunger, and according to the Food and Agriculture Organization, restrictions on humanitarian access remain very high, especially in the regions of Borno, Yobe and Adamawa due to the ongoing violence linked to the armed Islamist groups Boko Haram and the Islamic State in West Africa; reflecting the direct impact of armed conflicts on the high levels of food insecurity in African countries. [485]

3. 2 Congo, Rep.

The Republic of the Congo is the third largest oil producer in sub-Saharan Africa, and it is also rich in mineral resources, however, its GDP per capita reached about 1.7 thousand dollars in 2023 with a growth rate of (-0.4%), and the poverty rate increased to 46.8% of the population. Fuel subsidies contributed to the high inflation rate in 2023, which amounted to about 4.3%. Although food inflation slowed down in 2023 but remains high at 4.3%, it is likely to affect the

[484]CLIMATE RISK COUNTRY PROFILE: NIGERIA, https://climateknowledgeportal.worldbank.org/sites/default/files/2021-07/15918-WB_Nigeria%20Country%20Profile-WEB.pdf

[485] Africa Center for Strategic Studies (ACSS), Unresolved Conflicts Continue to Drive Africa's Food Crisis, Op.cit.

poorest segments of the population as they usually spend a larger share of their family budget on food[486].

The Republic of the Congo is still suffering from debt distress, with the government debt-to-GDP ratio reaching about 100.8% in 2023, but it is expected to decrease in 2024 to reach 94.6% due to debt restructuring.[487]

According to the United Nations, the Republic of the Congo suffers from chronic malnutrition is a pressing concern, particularly among children under the age of five, of whom 19.6% are affected. This alarming figure is compounded by the fact that domestic food production meets only 30% of the country's needs, forcing heavy reliance on food imports.[488]

Agriculture and climate changes

The Republic of the Congo is one of the regions most affected by climate change, as it suffers from climate risks, such as prolonged droughts, increased flooding, and rising temperatures, which directly affect agricultural productivity, water availability, and human health, with 36% of the Congolese population suffering from food insecurity and up to 20% reduced labor productivity due to heat stress.

The forests of the Congo Basin, covering almost 60% of the country's territory, are an important natural asset of the Republic of the Congo. These forests play a crucial role in sequestering carbon, conserving biodiversity, and providing livelihoods for local communities, but unsustainable practices such as illegal logging and lack of enforcement of current regulations, such as concession management, pose a threat to this valuable ecosystem.

In the south of the country, deforestation (where more than 80% of the rural population lives) is mainly caused by Slash-and-burn agriculture by smallholder farmers who have no alternatives, due to weak market links for both the sale of products and the purchase of inputs, lack of access to financial services at affordable prices, and lack of secure land tenure which makes investing in land productivity even more risky.

Forecasts indicate possible GDP losses of 7-16% by 2050 under various climate scenarios, which poses a significant threat to the country's economic stability.[489]

---

[486] World Bank, The World Bank in the Republic of Congo, Available at: https://www.worldbank.org/en/country/congo/overview

[487] IMF. (April 2024). Regional Economic Outlook: Sub- Saharan Africa.

[488] The United Nations office for South- South Cooperation website, IBSA Fund: Addressing Food Security in the Republic of Congo, published on 31 January, 2024 https://unsouthsouth.org/2024/01/31/ibsa-fund-addressing-food-security-in-the-republic-of-congo/

[489] DIVERSIFYING CONGO'S ECONOMY: MAKING THE MOST OF CLIMATE CHANGE, Worldbank Group, 2023, Available at: https://openknowledge.worldbank.org/server/api/core/bitstreams/0cd4b1e0-963a-4004-9a6f-f43919700d52/content

3. 3 Zimbabwe

Zimbabwe suffers from a weak GDP per capita, with a GDP per capita of about 1.4 thousand dollars in 2023. The poverty rate increased to reach 38.7% of the population in 2023. The value of the Zimbabwean dollar has also witnessed a continuous decline, as its value fell by 89.8% in 2023, which led to the Reserve Bank of Zimbabwe to issue a new currency on April 5, 2024, Zimbabwe gold, which replaced the Zimbabwean dollar.[490]

As for the inflation rate in Zimbabwe, it has exceeded the 100% barrier in the last five years, according to the latest available statement from the World Bank, the inflation rate reached about 104.7% in 2022, but the inflation rate is expected to decrease in light of the stability of the exchange rate to reach an average of 24.9% in 2024[491]. High inflation levels in Zimbabwe have affected an unprecedented rise in the prices of goods and services, including food.

As for the debt side, the government debt percentage of GDP reached about 90.2% in 2023, and it is expected to continue to rise in 2024 to reach about 98.5%. This is the responsibility of the government, as high debt levels affect the government's ability to allocate the necessary resources to support the agricultural sector and food production [492].

Agriculture and climate changes

Agricultural land in Zimbabwe accounted for 42% of the total land area in 2016, and agriculture contributed to 67% of total employment. This sector is highly dependent on rainfall, which makes it vulnerable to climate fluctuations and extreme weather events. With the increasing impacts of climate change, Zimbabwe is facing significant challenges in maintaining the sustainability of the agriculture sector, which has prompted it to focus on building climate resilience and promoting low-carbon growth through national policies and development planning.

About 80% of Agriculture in Zimbabwe depends on rains, while only 20% of agricultural land is irrigated, with Zimbabwe being one of the most irrigation-dependent countries in South Africa. The country provides 123,000 hectares of irrigated land, with the possibility of irrigating an additional 80,000 hectares of groundwater. Zimbabwe grows a variety of crops including maize, tobacco, and cotton, which are considered the most valuable in terms of market. However, climate change, from a decrease in the level of precipitation and an increase in temperatures, is expected to lead to a decrease in the productivity of pastures and livestock.

[490] African Development Bank Group. Zimbabwe Economic Outlook. Available at: https://www.afdb.org/en/countries/southern-africa/zimbabwe/zimbabwe-economic-outlook, Accessed on 06 August 2024.
[491] Ibid.
[492] IMF. (April 2024). Regional Economic Outlook: Sub- Saharan Africa.

Studies show that the ability of pastures to support livestock and wildlife will decrease significantly by 2080, especially in the south-western and north-western regions, Which threatens to increase food insecurity, high unemployment, and low economic growth in the country.[493]

3. 4 Sudan

The political conflicts in Sudan have affected the economic situation, as the real GDP shrank by 37.5% in 2023, due to the decline in production capacity and disruption of economic activities, with the reduction of services, which led to a slowdown in growth, this is from the supply side. On the demand side, the decline in incomes and mass displacement have reduced consumption.

The fiscal deficit widened to 9.1% of GDP in 2023 as tax revenues decreased, which increased the expenditure side, pushing inflation to 245.3% in 2023. Inflation was also exacerbated by a shortage of consumer goods and a devaluation of the currency. Sudan continues to suffer from debt distress, as political instability has led to the suspension of the heavily indebted poor countries debt reduction initiative.

The poverty rate reached about 66.1% in 2022, and this percentage is likely to have increased in 2023 due to the conflict and the decline in per capita GDP, which reached about 878.7 dollars in 2023, which is the lowest value in the five countries [494].

Agriculture and climate changes

Sudan has a coastal belt with the Sahara in the Far North, fertile lands in the Nile and Jazira valleys and across the rest of the country from Darfur to Kassala via the Blue Nile and the state of Kordofan, famous for agriculture and cattle breeding. Apart from oil, the agriculture and livestock sectors play an essential role in the overall economy of Sudan. The country has a population of about 43.9 million people (2020). The country's water, agriculture, coastal zone and health sectors are the most vulnerable to the effects of climate change. [495]

Civil War in Sudan

Sudan has long suffered from the problem of food security in the East African region, despite being classified as the continent's food basket; due to the political crises that Sudan has gone through and is going through, and recently the civil war that broke out in Sudan between the

[493]CLIMATE RISK COUNTRY PROFILE: ZIMBABWE, https://climateknowledgeportal.worldbank.org/sites/default/files/2021-05/14956-WB_Zimbabwe%20Country%20Profile-WEB%20%281%29.pdf

[494] African Development Bank Group. (2024). Sudan Economic Outlook, Available at: https://www.afdb.org/en/countries/east-africa/sudan/sudan-economic-outlook

[495] https://climateknowledgeportal.worldbank.org/countrys/udan

Sudanese army led by General Abdel Fattah Al-Burhan, Chairman of the Sudanese Sovereignty Council, and the Rapid Support Forces led by Mohamed Hamdan Dagalo - Hemeti, has exacerbated this war, which resulted in a large wave of Sudanese refugees to neighboring countries, and the war has led to the risk of famine in the country.

The United Nations warned in May 2024 that about 5 million people in Sudan are on the brink of famine, warning that the opportunity to avoid famine in conflict areas is rapidly narrowing with the advent of the lean season and the start of the rainy and flooding season; which will make access to vital transportation routes impossible.

The World Food Programme indicated that of the 18 million people in Sudan estimated to be suffering from severe food insecurity, only 25 to 30 percent of them can be reached, reflecting that Sudan is on the brink of a humanitarian disaster, especially in Darfur and Kordofan, and with the rainy season and floods, many roads become unusable.[496]

3. 5 Ethiopia

Poverty is one of the most prominent economic factors contributing to the outbreak of the food crisis in Ethiopia, where a large part of the population suffers from very low levels of income, as the GDP per capita reached about 890.3 dollars in 2023[497], which directly affects their ability to buy adequate and nutritious food. Chronic poverty limits households ' ability to access basic resources, including food.

There are also many other factors contributing to the spread of food insecurity in Ethiopia, including that the economy is facing high inflation, an acute shortage of foreign exchange, a high debt burden and a low mobilization of domestic resources, which has affected the macroeconomic stability in Ethiopia. The inflation rate reached 30.6% in 2023, the third highest in Africa and the eighth highest in the world. The exchange rate has also continued to decline, with the parallel market rate of 105 Ethiopian birr for 1 US dollar as of December 2023, compared to the official rate of 56 Ethiopian birr for 1 US dollar. In addition, Ethiopia's public debt amounted to about 57.15 billion US dollars at the end of November 2023, which is 52.1% of its GDP. In December 2023, Ethiopia also defaulted on the payment of 33 million US dollars for Eurobonds. Unless a debt restructuring is agreed soon, this will have economic consequences in 2024 and beyond.[498]

Agriculture and climate changes

[496] United Nations website, "UN warns: window to avert famine in Sudan is closing fast," published May 15, 2024, https://tinyurl.com/ywjrvuyb
[497] World Development Indicators.
[498] Unicef, Country Office Annual Report 2023: Ethiopia, Available at: https://www.unicef.org/media/152246/file/Ethiopia-2023-COAR.pdf

The agriculture sector plays a major role in Ethiopia's economy, contributing 34% of GDP, and with about 75% of Ethiopia's total exports (such as coffee and livestock), the agriculture sector is dominated by small farmers who are still heavily dependent on rainfall (only 1% of the total cultivated land is irrigated). They use low technologies and lack access to financial or technical services. Droughts have led to crop damage, loss of pastures and water sources, loss of animals, hunger, disease outbreaks, depletion of assets, malnutrition and migration, they are one of the main causes of food insecurity in Ethiopia.

Many small farmers in Ethiopia grow slow-ripening, high-yielding "long cycle" crops that depend on two rainy seasons to reach harvest, and are therefore more susceptible to changes in seasonal rainfall. The majority of the land area is less than 1/2 ha and is insufficient to maintain food security for households.

It is estimated that Ethiopia will lose more than 6% of agricultural production per year, if the current decline in average annual rainfall levels of primary agricultural areas continues until the middle of the century, as rising temperatures and changing rainfall patterns may increase soil erosion and increase the increasing difficulties of many crops as well as Shorten growing seasons. In addition, heat stress has a variety of adverse effects on livestock, such as reduced milk production and meat production.

Floods (both sudden and river) also lead to damage to crops and infrastructure and contribute to large-scale land degradation problems throughout the country.[499]

The Nina phenomenon:

Forecasts indicate that the East African region may face a lack of precipitation over the coming months, increasing the risk of drought and negatively affecting food security in a region plagued by poverty and conflict. There is a high probability of the occurrence of the "Nina" phenomenon in the last quarter of 2024, which is associated with low rainfall and the onset of drought, especially in the Horn of Africa. This could exacerbate food security situations that have already been affected by conflict and displacement.

The number of people in need of food assistance in the region is expected to rise to about 130 million people, equivalent to 11% of the population, with needs increasing especially in countries such as Yemen, Sudan, the Democratic Republic of the Congo, Nigeria and Ethiopia. The region is already experiencing the effects of climate change, as during May 2024 it experienced floods that killed 400 people, destroyed vast agricultural areas and lost livestock.

[499]CLIMATE RISK COUNTRY PROFILE: ETHIOPIA, World bank, Available at: https://climateknowledgeportal.worldbank.org/sites/default/files/2021-05/15463A-WB_Ethiopia%20Country%20Profile-WEB.pdf

In 2022, it also suffered the worst drought in four decades, which led to high food prices and protests in Kenya over the high cost of living.[500]

The war in the Tigray region in Ethiopia

With the outbreak of the Tigray region crisis that occurred in Ethiopia during the period from (2020 to 2022) between the Ethiopian central government and the Tigray Liberation Front, the citizens of the region suffered from the consequences of the conflict.

In June 2021, the United Nations indicated that four million people are facing severe hunger in the Tigray region of Ethiopia, and hundreds of thousands of them are living in catastrophic famine conditions, according to data from an analysis issued by the Integrated Food Security Phase Classification in Tigray and the Amhara and Afar regions indicating the extent of the hunger emergency sweeping Tigray and neighboring areas. It concluded that during May-June 2021, more than 350,000 people entered the famine-humanitarian catastrophe phase (IPC 5), the highest number of people classified in this phase since 2011 during the famine in Somalia. About 5.5 million people (61% of the region's population) also faced high levels of acute food insecurity: more than 3 million people in a state of acute food and livelihood crisis (IPC 3) and more than 2 million people in a state of humanitarian relief/emergency phase (IPC 4).

And according to the report, the reason for severe food insecurity in Tigray is the conflict between the Ethiopian government and the Tigray Liberation Front, which has led to mass displacement of people, widespread destruction of livelihoods and vital infrastructure, loss of employment opportunities, and difficulty in delivering aid to affected areas.[501]

4. Future scenarios for the future of food security in SSA

4. 1 Scenarios related to economic factors

GDP forecasts are reflected on food security both directly and indirectly. A higher GDP can lead to an increase in per capita income, which enhances purchasing power and reduces the risk of food insecurity among the population.

According to the ISS African Futures and Innovation platform (current path forecast)[502] , Africa will experience positive economic growth rates over the next two decades, however, population growth forecasts will also remain high, which in turn affects the modesty of GDP per capita, and therefore its purchasing power, especially for the purchase of food.

[500] David Herbling, "**East Africa Braces for Drought After Floods That Killed Hundreds", available at:** https://www.bloomberg.com/news/articles/2024-07-29/east-africa-braces-for-drought-after-floods-that-killed-hundreds

[501] The United Nations website, Ethiopia: More than 350,000 people in famine phase in Tigray region and surrounding areas, published on 10 June 2021, link: https://tinyurl.com/yuww8z64

[502] Jakkie, Cilliers. (2024). Africa in the World: Thematic Futures, Available at: https://futures.issafrica.org/thematic/18-africa-in-the-world/

The forecast for GDP per capita growth in sub-Saharan Africa is also far from the global average. It is expected that the average per capita GDP globally will reach about 22.3 thousand dollars in 2043, compared to 5.7 thousand dollars in SSA! This will be reflected in the continued suffering of the region in obtaining adequate and healthy food.

As for the poverty rate in SSA, according to the ISS African Futures and Innovation platform (current path forecast), the number of extreme poor in the region will decrease from 441.9 million in 2019 to 395.2 million in 2043, and although the poverty rate will decrease significantly from 40.9% in 2019 to 23.7% in 2043, it will continue to be one of the problems facing the region. This is due to several factors, including: poor governance, weak institutional development, rapid population growth, rising inequality, and high unemployment, which is slowly translating into a decrease in poverty, and therefore continued food insecurity in the region.

Several analyses have indicated that the future of debt in sub-Saharan Africa is uncertain and depends on many global developments, as follows[503]:

- The optimistic scenario about the future of African debt depends mainly on the decline in US interest rates, the weakening of the US dollar, and consequently the gradual improvement in African currencies against the dollar and the reduction in the cost of imports and goods in local terms (especially food imports), and then low inflation levels, in addition to the reduction in the cost of servicing dollar-denominated debt on the countries of the region, and thus getting out of debt distress.
- The pessimistic scenario about the future of African debt depends on many factors, which play an important role in weighting this scenario, including the expectation of higher US interest rates in the medium term, especially in light of the expected inflation as a result of trade protectionist policies, the modest growth rate of output in SSA, the weakness of the infrastructure necessary to exploit the resources of the region.

4. 2 Agricultural Production Scenarios:

In 2019, the average crop yield in Sub-Saharan Africa was 3.7 metric tons per hectare, slightly lower than the African average of 3.9 tons per hectare. By 2043, production in Sub-Saharan Africa is expected to improve to 5.0 tons per hectare if current conditions persist (ISS - African Futures).

However, a more optimistic scenario (assuming improved land management, advanced seed and fertilizer technology, increased irrigated land, reduced waste, and a focus on achieving food

[503] Interregional for Strategic Analysis. Expected trends for the future of African debt in 2024.

self-sufficiency as a political goal rather than prioritizing food exports) predicts that the average crop yield in Sub-Saharan Africa could reach 8.3 tons per hectare (agricultural scenario, according to ISS - African Futures), representing a nearly 66% increase. Mauritius, Swaziland, and Rwanda are expected to achieve the highest yields, while Niger, Mauritania, and The Gambia are expected to have the lowest production levels due to low rainfall and poor adoption of agricultural technology.

Consequently, under the future scenario (based on historical data trends), the contribution of agriculture to the GDP of Sub-Saharan Africa is expected to decrease from 14.5% in 2019 to 6.3% in 2043. In contrast, under the optimistic scenario, agriculture is projected to contribute 10.1% to GDP by 2043, with an increase in crop production of 665.9 million metric tons. The reliance on imports is also expected to decrease to 4.83% of total demand (optimistic scenario) instead of 34.58% (future scenario based on current data), leading to a reduction in the value of agricultural product imports by USD 401.9 billion by 2043.

4. 3 Carbon Emissions Scenarios:

Carbon emissions in Sub-Saharan Africa are expected to rise to 606 million tons by 2043, up from 246 million tons in 2019, primarily due to ongoing economic and population growth in all countries in the region.

Among the various scenarios, the Free Trade scenario is expected to be the most carbon-intensive, contributing 649 million tons of carbon by 2043. This scenario assumes the full implementation of the African Continental Free Trade Area (AfCFTA) by 2034, with increased exports, improved productivity, and enhanced trade and economic freedom.

In contrast, the Demographic Change scenario is expected to result in slightly lower emissions than the future path based on historical data, reaching 599 million tons by 2043. The Demographic Change scenario assumes an increased and accelerated demographic dividend through reasonable reductions in the burden of infectious diseases among children under five, a decrease in maternal mortality, and increased access to modern contraception.[504].

Global temperatures have risen by 1.1°C since pre-industrial times, with an increase of 0.2°C per decade in recent decades, and are expected to continue rising. Changing rainfall patterns will impact water availability, agriculture, ecosystems, and human health. By 2030, climate change could push an additional 100 million people into poverty, primarily due to its impacts on agriculture and food security.

[504]Jakkie, Cilliers. (2024). Africa in the World: Thematic Futures, Available at: https://futures.issafrica.org/thematic/18-africa-in-the-world/

Furthermore, the risks associated with drought over the past 50 years have led to the loss of more than half a million lives and economic damages exceeding USD 70 billion in Africa. Climate change is causing sea levels to rise through thermal expansion and glacier melting, posing significant risks such as coastal flooding, saltwater intrusion, and land loss, especially in densely populated areas.

If climate change is not prioritized, it is expected that 216 million people will be displaced from their homes by 2050, with internal migration hotspots emerging as early as 2030 and spreading and intensifying thereafter.[505]

Despite the growing interest in carbon trading, this trade faces several challenges, including:

- **The issue of carbon credit credibility:** Poor-quality credits are prevalent, and markets lack transparency, raising doubts about their actual ability to reduce emissions.
- **Market fragmentation and inconsistency:** Different countries treat carbon credits differently, leading to variations in tax and accounting treatments.
- **A shortage of carbon credits due to insufficient investments in emission-reducing projects.**
- **A shortage of intermediaries:** The market suffers from a lack of intermediaries, limiting secondary market activity.

Despite these challenges, carbon trading is considered a necessary tool to achieve emission reduction targets and a sustainable future. If transparency and integrity standards are adhered to, carbon trading can help accelerate the transition to net-zero carbon emissions by setting an effective carbon price and creating an economic incentive to reduce emissions.[506]

It is crucial for African countries to enhance their strategies to address climate change, which requires a dual approach focusing on adapting to the direct impacts of climate change and reducing greenhouse gas emissions to mitigate future effects. Therefore, developing early warning systems and enhancing climate information services will be essential in preparing for and responding to these environmental challenges.

International cooperation is a critical element in supporting African countries, whether through financial or technological support, helping to strengthen adaptive capacities and implement sustainable practices at the local and national levels.

[505] Ebaide Queen Omiunu, "OP-ED | Analyzing the Impact of Climate Change on Developing Economies", available at: https://www.africannewspage.net/2023/10/op-ed-analysing-the-impact-of-climate-change-on-developing-economies-by-ebaide-queen-omiunu/?dicbo=v2-llt2pV2&?

[506] Soheir el sherbiny: "Will Carbon Trading Succeed in Mitigating Climate Change?", available at: Reducing Emissions: (interregional.com)

According to a report by the World Meteorological Organization, 2023 was the warmest year on record, raising concerns about the acceleration of climate change. This new climate reality has significant impacts on the global environment and human populations, with Africa being among the most affected regions.

In light of these critical conditions, 2023 serves as a stark reminder of the urgent need to address climate change. For Africa, the time to act is now, as proactive measures and international support are essential to protect its future. The global community must recognize the seriousness of the situation and come together to support those most vulnerable to the effects of global warming.[507]

4. 4 Political Scenarios

A. Wars and major conflicts that impact the world and Africa, exacerbating food insecurity-related instability

The current global events are highly alarming, and will possibly have negative consequences on food security for the world as a whole, exacerbating the crisis in Africa, which already has a severe food security crisis, as previously shown in the study.

This has been evident in the great power competition involving the US, Russia and China, which have led to a drive to expand influence across the world, primarily in Africa; and the potential major wars, including a direct conflict between Iran and Israel after the killing of Hamas leader Ismail Haniyeh in Tehran. Moreover, the disruption of maritime shipping and international sea lanes, particularly in the Red Sea and Suez Canal, has negatively impacted supply chains.

The key potential global conflicts that could affect international security, including food security, include:

1. **Direct Conflict between Iran and Israel, and US intervention, against the backdrop of Gaza war:**

Amid the ongoing Israeli war in Gaza, fears have been growing over the expansion of the war into a regional or global war in the case of a direct confrontation between Iran and the US. Although most international assessments suggest that this war, if happened, will not be in any party's interest, and is not expected due to its heavy costs, the assassination of Ismail Haniyeh a top leader of Hamas, in Tehran, while he was attending the inauguration of Iran's new

[507] "A Wake-Up Call for Climate Action in Africa", available at: https://www.africa.com/a-wake-up-call-for-climate-action-in-africa/

president, was a major escalation, as Iran blamed Israel for the assassination operation and vowed revenge.[508]

According to Fitch Ratings economic projections, a large-scale war involving Israel and the US on one side, and Iran and its allies, including Hezbollah, on the other will raise oil prices to around $150 - $200 per barrel. Furthermore, the war will severely affect global markets, resulting in a 30% - 50% decline in stock prices, a rise in gold prices to record highs, a decline in the global GDP by 2% - 3%, and a sharp decrease in world production. The increase in oil and energy prices will lead to a crisis in the balance of payments in fragile economies, most notably in the African states.[509]

This will certainly be a catastrophic scenario for food security in Africa, as inflation and food prices will soar. Moreover, supply chains disruptions could be more detrimental than the Russia-Ukraine war.

2. The ongoing US-China trade war and Taiwan Crisis escalation

Over the past few years, the trade war between the US and China has been casting its shadows on the global economy. Additionally, there are concerns that the heightened tensions between China and Taiwan could lead to a military confrontation between both sides, in the light of the US support for Taiwan.

Fears are also growing over the implications of these tensions on the trade movement in the Taiwan Strait, one of the world's busiest shipping routes. The Taiwan Strait is a major route for ships moving from China, Japan, South Korea and Taiwan to the West and the US. In 2022, half of the world's container fleet passed through the Taiwan Strait. Any traffic disturbance could cause a major shake to the global economy, leading to more delays in the already strained supply chains and impacting the semiconductor industry.[510]

The US military and political interest in Taiwan can be attributed to Washington's desire to have a political footprint in Asia in general, and East Asia in particular, to help in undermining Beijing's efforts to control this region economically and politically. Hence, it is part of the trade and geopolitical war between the US and China.

In the case of a direct conflict between China and US-backed Taiwan, the world will witness an unprecedented economic crisis, given China's economic power. The crisis will cause a

[508] Reuters, Iran says Hamas leader Haniyeh was killed by short-range projectile, Published on 3 August 2024, https://www.reuters.com/world/middle-east/iran-says-hamas-leader-haniyeh-was-killed-by-short-range-projectile-2024-08-03/

[509] Fitch Solutions, Global Scenarios And Implications Of The MENA Conflict, Published on 23 Oct, 2023, https://www.fitchsolutions.com/bmi/country-risk/global-scenarios-and-implications-mena-conflict-23-10-2023

[510] Information and Decision Support Center (IDSC) - Egyptian Cabinet, What if conflict breaks out between China and Taiwan?, Published on May 2023, p.14. available at: https://tinyurl.com/yc528nya

substantial increase in the prices of staple goods, including wheat, rice and oil. This in turn will lead to an increase in inflation levels worldwide, causing a severe crisis for the African nations and their food security.[511]

3. Rise in anti-immigrant sentiment in the West

In recent years, there has been a surge in anti-immigrant hostility, with the rise of far-right parties to power in Europe and the election of Donald Trump as president of the US.

Now, with the possible return of Trump to the White House and the recent riots and anti-immigrant violence in the UK, the situation is getting more complicated. This comes after the Rishi Sunak government enacted a law that allows the deportation of illegal immigrants to Rwanda.[512] Even though the current British government, led by Keir Starmer, scrapped the plan, the violence in the UK[513] and the hostility against immigrants are dangerous indicators for the future of immigrants and refugees in Western states. This could drive them to return to their home countries in Africa, further straining resources and adding more negative repercussions on Africa's food security.

All these factors highlight the risks facing African people and their food security, as a result of world crises, which could lead to a significant increase in the number of hungry people across the continent.

B. Scenario of a world heading towards more division:

The transformations that exist in the world are not limited to grave conflicts only, but there are other transformations related to changes in the nature of the global system, including:

1- A multipolar world... and the competition that follows between international powers:

What has been happening in the world in the last decade refers that there is a change related to the nature of the global system, which will no longer remain unipolar, with the United States alone in control. Rather, China and Russia have emerged and are seeking to create a multipolar world. This is a major reason for the trading war between the United States and China, and also one of the reasons behind the Russian war against Ukraine.

Taking a look at the African continent, it becomes crystal clear that it has become an arena of competition as a zone of influence for major powers, and the best example of that is the transformations in the West African region, as Russia was able to make France lose its historical

[511] Ibid, p.41
[512] BBC, What is the UK's plan to send asylum seekers to Rwanda?, Published on 13 June 2024, https://www.bbc.com/news/explainers-61782866
[513] Larry Elliott, The violence was shocking but not surprising: Britain's economy makes it ripe for far-right thuggery, Published on 8 Aug 2024, https://www.theguardian.com/commentisfree/article/2024/aug/08/labour-riots-violence-economic-social-factors

influence in this region and replace it, and it is still seeking to create a ground for itself in other countries; consequently, these transformations will result in new conflicts and other African countries may witness military coups or wars due to this competition, and that will lead to new problems in food security for citizens.

2- The world heading towards localism and the decline of the phenomenon of globalization

The world is facing a wave of introversion, or a retreat of the path of globalization, which has been exposed to several setbacks over the past few years, as the Corona virus (COVID 19) pandemic led to a decrease in travelling movement and even its ban, and the disturbance of the global supply chains, and also the shipping processes were disrupted for many months; due to the closures during the pandemic. American companies have enhanced their local production capacity and expanded domestically, or redirected manufacturing to the homeland in what is known as (regionalization), and the trading conflicts between the United States of America and China have highlighted the risks of concentrating production in one place.

When protectionist policies emerged – which are a set of rules, procedures and measures that directly or indirectly restrict the flow of international trade across a country's borders to achieve certain economic goals. In the context of the escalating competition between the United States and China, the United States sought to maintain its technological superiority over other economic powers, and sought to maintain as much leadership as possible in the industry of chips, quantum computing, artificial intelligence, biotechnology and clean energy. To achieve this goal, the United States not only attracted experts in these fields and promoted innovation, but also sought to curb technological progress in countries such as China and Russia.[514]

Moreover, the United States and China have taken many procedures and policies against each other, including imposing many sanctions targeting officials, companies, imports and exports. Since the United States was once the world's leading advocate of free trade and open economies, its adoption of protectionist policies and imposition of trade barriers will push other countries to simulate its approach. The result of this is increasing obstacles to international trade and investment at a time when both are already in recession. The European Union has also indicated its intention to adopt protectionist policies in the field of industry, similar to the United States.[515]

[514] Mahmoud Khalifa, Implications of Protectionist Policies and Trade Barriers on the Path of Globalization, Information and Decision Support Center (IDSC) - Egyptian Cabinet, Published on, 24 January, 2023, https://www.idsc.gov.eg/Article/details/7835

ISSN 2569-734X

This was clearly demonstrated in the issue of distributing Corona vaccines, as major countries took the largest share of them, without considering the fairness of distribution or the needs of developing countries. Therefore, increasing protectionist policies can have a clear impact on food security in Africa; because if any of the previous crisis scenarios occur, developed countries will put the interests of their citizens and their food needs before the needs of African and developing countries, which means more crises.

Conclusion

In light of the above, the paper proposes different pathways to mitigate food crises as follows:

- In the event of a reduction in global interest rates and a decline in inflation and global prices, there will be an opportunity for African countries suffering from famine and escalating debt to catch their breath. However, they must understand that this is a temporary situation, and these countries should strive to achieve self-sufficiency as much as possible by reallocating the cultivation of grains and essential nutrients and avoiding export commodities.
- Providing technical and financial aid and assistance to farmers, and encouraging them to engage in agricultural work and production.
- Regularizing the status of farmers and ensuring their ownership of the land.
- Moving forward with the exchange or barter of goods in international trade.
- Benefiting from forest leasing, known as carbon compensation, which represents newly generated cash revenues for African countries that they should exploit to maximize their agricultural production, incorporate smart technology, and develop early warning systems to avoid sudden climate changes as much as possible.
- Preserving forests and raising awareness of their importance.
- Public awareness is essential to enhance the understanding and support of the public and stakeholders for climate change policies and actions. By taking action on climate change, African economies can not only protect themselves from its harmful effects but also seize opportunities for green growth and prosperity.
- **International cooperation is essential**, especially since all indicators suggest an expected increase in displaced persons. In light of the expected population growth and the rising Western right-wing sentiment against immigrants, Western societies must extend a helping hand to African countries, whether in the form of developing early warning systems,

ISSN 2569-734X

providing funding and grants for climate adaptation, or in the form of reducing carbon emissions and curbing global warming.

- Strengthening the infrastructure and food supply chain: by improving the transport and storage infrastructure to reduce food losses and improve the distribution of food products.
- Improving food markets: by enhancing market access and strengthening marketing systems for agricultural products to improve farmers ' incomes and ensure that food reaches markets effectively.
- Promote investments in sectors that the region needs to invest in, not according to the interests of the investor, focusing on increasing the value added to exports instead of crude exports.
- Combating poverty and promoting social sustainability: through the implementation of food assistance programs for vulnerable groups and low-income families to ensure access to adequate food. In addition to providing cash support to poor families to improve their ability to buy food and improve the standard of living.
- The international community, and particularly the developed partners, should fulfill their commitments regarding African countries, in order to reduce the impact of the food insecurity crisis on them.
- It is necessary for the international and regional organizations to play an effective role in preventing the expansion of conflicts in Africa. Here comes the role of the early warning mechanism in the African Union Peace and Security Council, as well as supporting peacekeeping forces deployed in Africa; Because the outbreak of new conflicts or the expansion of current crises means a new burden on Africa's resources and an increase in its food crisis.
- The mechanism for the peaceful transfer of power in African countries must remain through the ballot box as a key step towards turning a new page in the transition process and ending institutional division at the state level, not through unconstitutional changes such as coups, to avoid more political chaos and unrest.
- African countries must put the interests of their people before foreign powers and deal with them on the basis of equality.
- Economic sanctions imposed on some countries should not increase the suffering of citizens, especially women and children, or prevent humanitarian aid from reaching them.

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل
Journal of African Studies and the Nile Basin
المجلد السادس/العدد الثامن والعشرون
كانون الأول – دجنبر 2024
ISSN 2569-734X

Évaluation et cartographie des risques d'inondation en milieu rural : application d'un modèle hydraulique 1D

Abdelmonaim OKACHA[1], Hamid FATTASSE[2], Kamal LAHRICHI[2], Mohamed MAKHCHANE[3]

1 Département de la Géographie, Université Abdelmalek Essaâdi, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Tétouan, Martil, Maroc.

2 Département de la Géographie, Université sidi Mohamed ben Abdellah, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines sais, Fès, Maroc.

3 Département de la Géographie, Université Mohamed V, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Rabat, Maroc

Résumé :

La délimitation des zones inondables constitue un enjeu central dans la gestion du risque d'inondation, pour lequel les techniques de simulation des données offrent un potentiel significatif. Ce travail vise à élaborer une carte des zones exposées aux inondations en suivant une approche en deux étapes : l'estimation des débits de crue et la simulation des données hydrologiques. Dans la première étape, trois types de méthodes sont appliquées pour estimer les débits de crue : une méthode statistique, une méthode hydropluviométrique de prédétermination des crues, et des formules empiriques permettant de déterminer une valeur moyenne. La seconde étape repose sur un modèle de simulation 1D, utilisé pour représenter les débits de crue et pour générer une cartographie précise des zones à risque.

Mots-clés : Carte des zones inondables, Débit de crue, Modélisation hydraulique, Arbaâ Taourirt.

Abstract:

Defining flood-prone areas is a central challenge in flood risk management, where data simulation techniques hold significant potential. This study aims to develop a flood hazard map based on a two-step approach: flood discharge estimation and hydrological data simulation. In the first step, three methods are employed to estimate flood discharge: a statistical method, a hydro-rainfall method for flood pre-determination, and empirical formulas to determine an average value. The second step uses a 1D simulation model to represent flood discharge and generate a precise map of high-risk zones.

Keywords: Flood zone map, Flood flow, Hydraulic modeling, Arbaâ Taourirt.

الملخص:

يُعد تحديد المناطق المعرّضة للفيضانات تحديًا محوريًا في إدارة مخاطر الفيضانات، حيث تتيح تقنيات النمذجة الهيدروليكية حلول وإمكانات جيدة. يهدف هذا البحث إلى تطوير خريطة للمناطق المعرضة للفيضانات باستخدام نهج من مرحلتين: تقدير تصريف الفيضانات ومحاكاة البيانات الهيدرولوجية. في المرحلة الأولى، تم استخدام ثلاث طرق لتقدير تصريف الفيضانات: طريقة إحصائية، وطريقة هيدرومترية للتنبؤ بالفيضانات، بالإضافة إلى استخدام صيغ تجريبية لتحديد قيمة متوسطة. أما المرحلة الثانية فتستند إلى نموذج محاكاة أحادي البُعد (1D) لتمثيل تصريف الفيضانات وإنتاج خريطة دقيقة للمناطق المعرّضة للفيضانات.

الكلمات المفتاحية: *خريطة المناطق الفيضية، تدفق الفيضان، النمذجة الهيدروليكية، أربعا تاوريرت.*

Introduction :

ISSN 2569-734X

Les inondations représentent l'un des phénomènes naturels les plus répandus et les plus dévastateurs à l'échelle mondiale. Selon le rapport du PNUD de 2004, des milliards de personnes dans plus de 100 pays subissent périodiquement les effets de ces catastrophes, qui se distinguent par leur fréquence et leur impact sur les populations. Le Maroc n'est pas épargné, avec des événements tragiques tels que les inondations de l'oued Ourika en 1995, de l'oued Larbaa en 1999 et 2003, et celles de 2008 ayant touché diverses régions (Driouich, Beni Bouayache, Nador, Taza, Tanger, Fnideq…) (B. Layan, 2013 ; D. El Hafid, 2006 ; M. Lasri, 2015**)**. En 2014, l'oued Talmadart a également été le théâtre de crues dévastatrices.

Dans ce contexte, le bassin versant de Nekkor a connu des précipitations exceptionnelles entre le 17 et le 19 novembre 2003, causant des inondations dévastatrices et des dommages matériels et humains importants (A, Okacha, 2020). Des précipitations cumulées de 242 mm à Tamellaht, 222 mm à Zaio, et des valeurs similaires dans d'autres stations, témoignent de l'intensité des perturbations climatiques ayant frappé la région. Ces inondations, comme dans de nombreux autres cas, illustrent la nécessité d'une gestion proactive des risques, basée notamment sur la délimitation précise des zones inondables, élément essentiel pour protéger le domaine public hydraulique, conformément à l'article 1 de la loi n°36-15 sur l'eau, qui considère les berges jusqu'au niveau atteint par les crues comme partie intégrante de ce domaine.

La précision de la délimitation des plaines inondables repose en grande partie sur l'efficacité des techniques de modélisation hydraulique, dépendantes elles-mêmes de la qualité des données de base telles que les débits de crue, ainsi que des données géométriques et topographiques. C'est pourquoi, dans ce travail, l'estimation des débits de crue a été réalisée en s'appuyant sur trois approches : une méthode statistique, une méthode hydropluviométrique pour la prédétermination des crues, et des méthodes empiriques. En complément, des données géométriques ont été élaborées à partir d'un modèle numérique de terrain (MNT) de haute résolution et de profils topographiques en travers, visant ainsi à garantir une délimitation fiable et précise des zones à risque.

1- Localisation de la zone d'étude

Le bassin versant de Nekkor se situe dans la partie orientale des montagnes du Rif, au nord-est du Maroc, et s'étend sur les provinces de Taza, Al Hoceima et Driouich. Il est délimité entre les latitudes 34° 69' et 35° 19' Nord et les longitudes 3° 36' et 4° Ouest, couvrant une superficie d'environ 916 km² (Figure 1). Cette région présente une forte densité démographique, avec une

ISSN 2569-734X

population principalement composée d'agriculteurs sédentaires, en majorité âgés (El Abassi, H. 1997 ; Okacha, A. 2020).

Le bassin de l'Oued Nekkor évolue sous un climat méditerranéen semi-aride, marqué par une pluviométrie hautement variable, tant dans le temps que dans l'espace. Les versants exposés aux perturbations océaniques de l'ouest bénéficient de précipitations plus importantes, tandis que les zones orientées vers l'est sont généralement plus arides. L'occupation des sols est dominée par la céréaliculture et l'arboriculture, tandis que la végétation naturelle se limite à quelques zones de matorrals très dégradés.

Sur le plan morphologique, les parties amont du bassin se caractérisent par des crêtes montagneuses atteignant jusqu'à 2 000 mètres d'altitude, avec des pentes souvent abruptes, dépassant 30 %. Les zones intermédiaires se composent de moyennes montagnes et de collines, offrant un relief plus doux et des pentes moins prononcées. Au nord du bassin s'étend la plaine de Nekkor, où les pentes deviennent progressivement plus douces.

Sur le plan tectonique, le bassin versant est traversé par la faille de Nekkor, une des principales discontinuités du Rif, qui joue un rôle crucial dans l'évolution géodynamique de la région (Salhi, 2008). Cette faille est à l'origine de nombreux séismes, avec des répercussions importantes tant sur les populations que sur l'économie locale. Lithologiquement, le bassin est principalement constitué de marnes, schistes, flyschs, calcaires, marno-calcaires, et grès, qui influencent les dynamiques d'érosion et de ruissellement.

ISSN 2569-734X

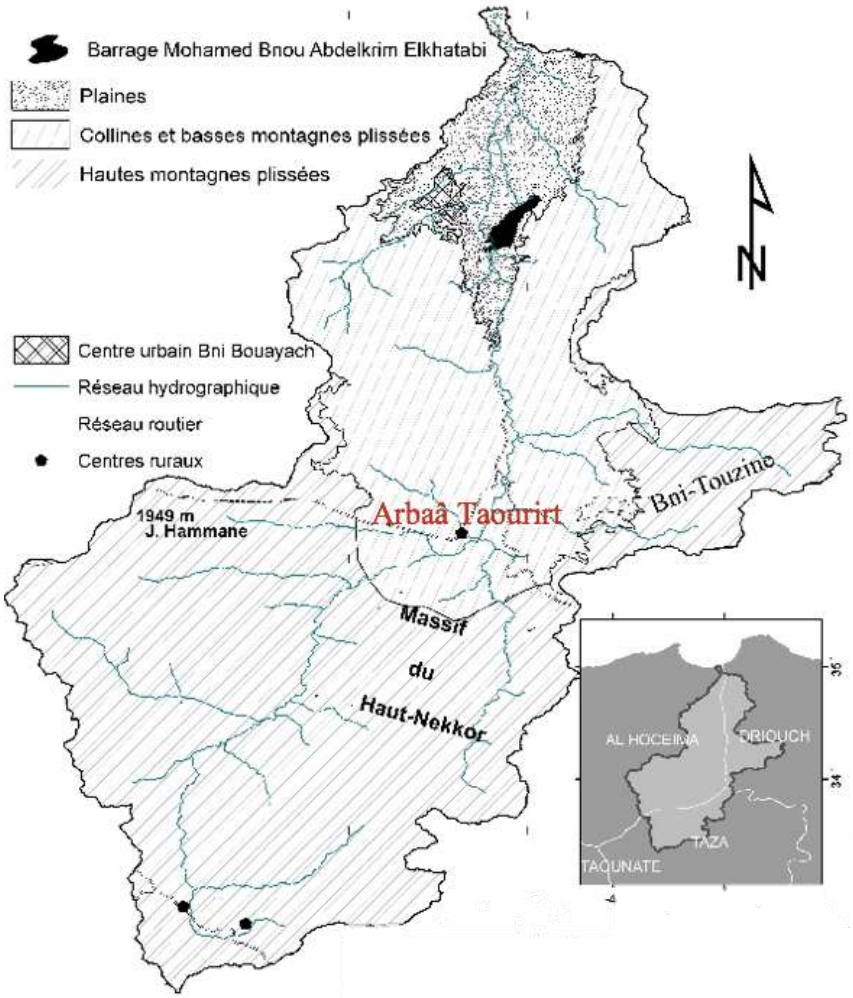

Figure 1 Situation géographique de la zone d'étude.

Les phénomènes extrêmes, notamment les épisodes de précipitations intenses, constituent un risque majeur dans la région du bassin versant de Nekkor. Un exemple frappant de ces événements est l'épisode pluvieux du 19 novembre 2003, où, entre 6 h et 9 h, des pluies intenses ont été enregistrées sur une large portion du nord-est du Maroc (Figure 2). Au cours de cette période de trois heures, des quantités exceptionnelles de pluie ont été relevées, atteignant jusqu'à 87 mm dans certaines localités. Cette répartition spatiale et temporelle des pluies a provoqué des crues soudaines, exacerbant les risques d'inondation et occasionnant des dégâts humains et matériels considérables le long des oueds du bassin. Ces événements extrêmes soulignent l'importance de la modélisation des inondations et de la gestion des risques dans cette région sujette à de fortes variabilités climatiques.

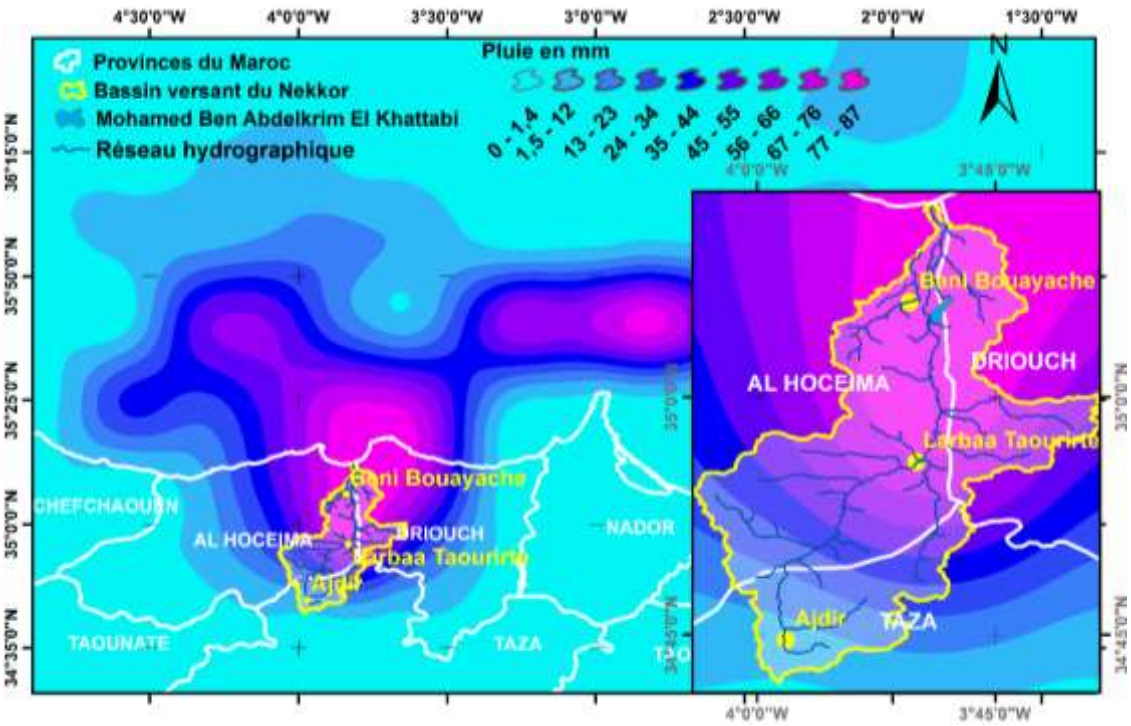

Figure 2 La réparation spatiale des pluies en mm pendant trois heures du 19/11/2003 de 06 h à 09 h dans le Nord-Est du Maroc.

Méthodologie et outils :

- **Estimation des débits de Crues :**

La prédétermination des débits maximums des crues est un intérêt socio-économique en raison des effets destructifs sur les milieux physiques et les infrastructures.

La validité et la fiabilité des résultats obtenus par la modélisation dépendent fortement à la disponibilité et la qualité des données de base. À ce titre, pour obtenir sur une plateforme des données de base de haute qualité nous avons suivi une méthodologie cohérente qui nous permet d'obtenir sur des résultats fiables. Dans le même sens, l'estimation des débits de crue a été basée sur trois types des méthodes qui permettent d'estimer les débits des crues sont comme suit : Méthode statistique, Méthode hydropluviométrique de prédétermination des crues et méthodes basées sur l'application des formules empiriques (tableau 1).

- **Méthode statistique :**

Les méthodes statistiques permettent de calculer la probabilité pour qu'un débit supérieur à une valeur donnée survienne un nombre de fois données pendant une durrée donnée (M. Achite et al, 2006). L'analyse fréquentielle d'une longue série de débits maximaux permet de déterminer le temps de retour d'une valeur particulière. Le modèle fréquentiel choisi dans

cette analyse c'est le modèle le plus utilisé dans la description du comportement statistique des valeurs extrêmes qui est la loi de Gumbel.

- **Méthode hydropluviométrique de prédétermination des crues :**

Ce type des méthodes permet de transformer les pluies maximales en débits maximums. Parmi les méthodes hydropluviométriques de prédétermination des crues, on retrouve la méthode de Gradex (1967), cette dernière est une approche probabiliste du calcul des débits de crue à partir d'une série des pluies journalière. Elle représente l'une des méthodes les plus efficaces pour l'estimation des crues de projet. En effet, cette méthode est vérifiée par plusieurs auteurs de différentes régions du monde (France, Amérique, Australie et Afrique du sud) (Hershfied D.M et Kholer M.A, 1960 . CTGREF, 1972).

- **Méthodes basées sur l'utilisation des formules empiriques :**

Il existe plusieurs méthodes basées sur l'application des formules empiriques, on peut les regrouper en trois groupes :

- Formules empiriques utilisant seulement la surface du bassin ;
- Formules empiriques faisant intervenir la précipitation ;
- Formules empiriques faisant intervenir la période de retour.

Dans cette partie, l'estimation des débits de crue a été basée sur quatre formules empiriques faisant intervenir la période de retour (Formule de Maillet et Gauthier, Méthode Rationnelle, Formule de Hazan Lazaravic et formule de Fuller II) et une seule formule empirique faisant intervenir la précipitation (Formule de Possenti).

Méthodes	Noms	Formules ou mode d'application.	Années
empiriques	**Maillet et Gauthier.**	$Q_T = 2KLog(1 + aH_m)(\sqrt[2]{\frac{A}{L}})(1 + 4\text{Log} - \text{LogA})^{1/2}$ QT : débit de pointe en m3/s de période de retour Tannées A : superficie du bassin versant en km2 L : longueur du talweg principal en km Hm : hauteur moyenne de la précipitation en mètres k : paramètre (facteur pluviométrique considéré dans sa variabilité) a : paramètre (facteur pluviométrique considéré moyennement)	(Enoncé, Coutagne, 1951)
	Rationnelle	$Q = C.I.A$ Q : débit en m3/s. C : coefficient de ruissellement en %.	(enoncé initial, Mulvaney. T.J, 1851) (Modifié,

ISSN 2569-734X

		I : intensité de l'averse en m/s de durée égale au temps de concentration du bassin et de fréquence égale de celle du débit cherché. A : surface du bassin versant en m².	Kuichling. E, 1889)
	Hazan Lazaravic	$Q_T = (K_1 A^{k2})(1 + a\ logt)/(1 + a\ Log1000)$ Pour le Rif oriental K_1 = 7.58 et K_2 =0.808. a : coefficient variant de 2 à 3,5. t : temps de retour.	
	Fuller II	$Q_T = (\frac{4N}{300})(1 + a\ LogT)(A^{0,8} + \frac{8}{3}A^{0,5})$ a : coefficient variant entre 0.7 et 1.7 et pouvant dépasser 2 dans les régions arides N : coefficient généralement pris égal à 80 en plaine et 100 en montagne	(enoncé initial, Fuller, 1914) (Modifié, Bouziane, 1997)
	Possenti	$Q = \gamma \frac{H_m}{L}(A_m + \frac{A_m}{3})$ Q = débit maximum en m3/s Hm : pluie maximum en 24 heures Am : superficie de la région montagneuse du bassin en km2 L : longueur du talweg Ap : superficie de la région plaine du bassin en km2 γ : coefficient d'ajustement compris entre 700 et 800	(Enoncé, EMI, 1999)
hydropluviométrique	**Gradex**	Mode d'application de la méthode" tel qu'il a été énoncé par M. Guillot	(Enoncé, Guillot et al, 1967)
statistiques	**loi de Gumbel**	$F(x) = \exp[-\exp(-\frac{x-a}{b})]$ Avec la variable réduite suivante : $u = \frac{x-a}{b}$ *a* et *b* sont les paramètres du modèle de Gumbel.	

Tableau 1 - Méthodologie adoptée pour estimer les débits des crues.

Certaines méthodes empiriques se sont basées sur le temps de concentration. L'estimation de temps de concentration a été basée sur quatre méthodes sont comme suit : Méthode de Kirpich californienne, méthode d'Epagnole, méthode de Turraza Passini et méthode de Venture (tableau 2).

Noms	Formules
	$T_c = 0,01947 \times L^{0,77} \times I^{-0,385}$

Kirpich californienne	T_c : est le temps de concentration en min. L : est longueur du Talweg en m. I : est la pente moyenne du talweg en m/m.
Epagnole	$T_c = 18 \times (\frac{L}{1000})^{0,77} \times P^{0,1925}$ P : est la pente moyenne du talweg en m/m.
Turraza Passini	$T_c = 1,662 \times A^{0,5}$ A : la superficie du bassin versant en km²
Venture	$T_c = 7,62\sqrt{\frac{A}{P}}$

Tableau 2 - Méthodologie adoptée pour calculer le temps de concentration.

- **Modélisation hydraulique :**

La détermination des zones inondables a été basée sur la modélisation hydraulique, cette dernière s'est basée sur le logiciel Hec-Ras qui permet de déterminer les caractéristiques de l'Aléa hydrologique (déterminer les zones inondables, la hauteur d'eau et la vitesse …). Les données de base pour la mise en place du modèle ont été fournies par différents établissements public et puis complétées par le travail du terrain.

La préparation des données géométriques et topographiques s'est basée sur Hec-Geo-RAS à l'aide d'un modèle numérique du terrain (MNT) du système fluvial étudié de haute résolution 6m*6m et des profils topographiques ont été élaborés à l'aide d'un appareil altimétrique.

Discussion et résultats :

A- Méthodes utilisées pour estimer les crues de retour :

1- Méthode hydropluviométrique de prédétermination des crues :

	bassin versant	Méthode de Gradex							
		G_p	V en Mm^4	Lr	P	U	Cr	Cr en %	Qm3/s
Période de retour décinnale	Ait Amar		0,68		27,30	2,25	0,66	66,40	95
	Haut Nekkor		17,86		56,39	2,25	0,78	77,99	468
Période de retour vingtennale	Ait Amar	4,81	0,81	21,59	31,28	2,97	0,69	69,01	113
	Haut Nekkor	9,93	20,76	51,13	64,61	2,97	0,79	79,13	545
Période de retour cinquantennale	Ait Amar	4,81	0,97	26,07	36,43	3,90	0,72	71,57	137
	Haut Nekkor	9,93	24,51	60,38	75,23	3,90	0,80	80,26	643
Période de retour centennale	Ait Amar	4,81	1,10	29,43	40,30	4,60	0,73	73,03	155
	Haut Nekkor	9,93	27,33	67,31	83,23	4,60	0,81	80,88	717
Période de retour millennale	Ait Amar	4,81	1,51	40,52	53,07	6,91	0,76	76,35	213
	Haut Nekkor	9,93	36,63	90,22	109,61	6,91	0,82	82,32	961

Tableau 3 - Gradex des pluies,Volumes,lames d'eaux, précimitations journaliéres maximums, variables réduites, Coefficients de ruissellement et débits pour différentes période de retour

La méthode du GRADEX est une approche hydropluviométrique probabiliste du calcul des débits de crues extrêmes de différentes périodes de retour. Cette méthode a été établie par (Guillot et Duband, 1967), elle a été modifiée par (Maurro Da Ghumba Naghettini, 1994). Elle représente l'une des méthodes les plus eficaces pour l'estimation des crues de projet. En effet, cette méthode est vérifiée par plusieurs auteurs des différentes régions du monde (France, Amériques, Australie et Afrique du sud) (Hershfield D.M et Kholer M.A, 1960. CTGREF, 1972). Le mode suivi dans l'application de cette méthode " tel qu'il a été énoncé par M. Guillot en 1967 (voir le tableau 3). En comparaison avec les valeurs adoptées, cette méthode montre des écarts faibles pour les différentes périodes de retour (voir la figure 6 et 7).

- **Temps de concentration :**

	Kirpich Californienne	Espagnole	Turraza Passini	Venture	Tc Moyenne (mn)	Tc Moyenne (h)
Bassin versant d'Ait Amar	92	106	Sbv<40 km^2	158	119	1,98
Bassin versant du Haut Nekkor	322	298	1 035	886	635	10,59

Tabeau 4- Comparaison de 4 formules de temps de concentration

À titre de comparaison entre les différentes formules utilisées pour calculer le temps de concentration, on observe que la formule de Kirpich Californienne et la formule d'Espagnole donnent des résultats comparables surtout dans les petits bassins versants (voir le tableau 4). Et c'est la même chose pour les formules de Turrazza Passini et la formule de Venture donnent

des résultats semblables (voir le tableau 4). Cela peut expliquer par les paramètres utilisés dans les formules, les deux premières formules utilisent la longueur et la pente du talweg comme des paramètres communs et les deux dernières formules utilisent la superficie du bassin versant comme un paramètre commun. On peut donc dire que c'est difficile de trouver le domaine de validité des formules de temps de concentrations, d'autant plus que selon les littératures, pour une même formule, les temps de concentration de validité varient. C'est pourquoi nous avons utilisé plusieurs méthodes afin de déduire une valeur moyenne.

2- Méthode statistique :

Le modèle fréquentiel choisi dans cette analyse c'est le modèle le plus utilisé dans la description du comportement statistique des valeurs extrêmes qui est la loi de Gumbel (loi double exponentielle).

Etant donné qu'il n'a pas de station hydrologique au niveau de la zone étudiée, la station hydrologique la plus proche se situe presque 6 km en amont de la zone étudiée. C'est pourquoi nous avons utilisé la formule empirique des auteurs Francou et Rodier (1969) qui ont constaté que dans les régions relativement homogènes, les points étaient ou moins alignés. Ils en ont déduit une formule générale de la forme (Taha .B.M.J. Ouarda et al. 2001) :

$$Q/Q_0 = (A/A_\circ)^{1-k/10}$$

Où :

Q = débit maximum en m^3/s

Qo = débit maximum d'une crue observée dans un bassin de superficie Ao (en km^2)

A = superficie du bassin versant en km^2

k = coefficient de Francou-Rodier.

	station hydrologique de Takenfoust			Q_{max} instantanés en m3/s de l'oued Nekkor au Niveau de CR lArbaâ Taourirt
Années hydrologiques	Q_{max} instantanés en m3/s	Date	Heure	
1988/1989	0,167	31/08/1989	23:59:00	0,24
1991/1992	4,1	21/06/1992	20:30:00	6
1992/1993	4,36	25/03/1993	19:30:00	6
1993/1994	10,5	17/08/1994	19:30:00	14
1998/1999	13,7	15/03/1999	18:30:00	18
1999/2000	20,7	12/10/1999	00:15:00	27
2001/2002	25	25/12/2001	06:30:00	32
2000/2001	26,5	26/12/2000	15:00:00	34

2002/2003	**30**	**08/10/2002**	**14:00:00**	**39**
1990/1991	**46**	**02/09/1990**	**19:45:00**	**58**
1994/1995	**46**	**26/06/1995**	**11:45:00**	**58**
1989/1990	**59,2**	**28/04/1990**	**18:45:00**	**75**
1995/1996	**84,3**	**16/07/1996**	**16:30:00**	**106**
1986/1987	**85,4**	**19/11/1986**	**07:00:00**	**107**
1985/1986	**115**	**12/09/1985**	**16:30:00**	**143**
1987/1988	**115**	**04/10/1987**	**18:30:00**	**143**
1996/1997	**289**	**22/08/1997**	**22:00:00**	**351**
1997/1998	**290**	**30/09/1997**	**16:00:00**	**353**

Tableau 5 - Débits maximums instantanés annuels en m3/s de l'oued Nekkor au niveau du centre rural Arbaâ Taourirt calculés selon la méthode de Francou et Rodier et classés en ordre croissant (Source : Agence du bassin hydraulique de Loukkos)

Les données de base utilisées dans l'analyse fréquentielle sont constituées par une série des débits maximums d'une période de 18 ans de station hydrologique de Takensouft transformées par la formule de Francou et Rodier (Tableau 5).

période de retour T=	1000	100	50	20	10
probabilité de non dépassement de Qp=	0,999	0,99	0,98	0,95	0,9
variable réduite de Gumbel=	6,9	4,6	3,9	3,0	2,3
Débit en m^3/s	**574,6**	**383,5**	**325,7**	**248,5**	**188,9**

Tableau 6 débits de l'oued Nekkor au niveau du centre rural de Arbaâ Taourirt pour différentes période de retour selon la méthode statistique.

période de retour T=	1000	100	50	20	10
probabilité de non dépassement de Qp=	0,999	0,99	0,98	0,95	0,9
variable réduite de Gumbel=	6,9	4,6	3,9	3,0	2,3
Débit en m^3/s	**124,7**	**82,7**	**70,0**	**53,0**	**39,9**

Tableau 7 débits de l'oued Ait Amar pour différentes période de retour selon la méthode statistique.

3- Méthodes basées sur l'utilisation des formules empiriques :

- **Formules de Maillet et Gautier :**

Cette méthode est souvent utilisée au Maghreb, selon Mohamed ACHITE et al cette formule pourra être utilisée comme moyen d'estimation des crues dans les bassins non jugés à

conditions biophysiographiques similaires aux caractéristiques du bassin d'oued Sly. Le bassin versant de l'oued Nekkor est caractérisé par des conditions biophysiographiques comparables aux celles de bassin de l'oued Sly. Les valeurs adoptées, des deux bassins versants, par cette méthode sont très proches à celles obtenus par la moyenne des formules empiriques (voir le tableau 8)

Formules		M.Maillet et Gauthier	Rationnelle	Hazan Lazaravic	Fuller II	Possenti	Valeurs Adoptées
débit décinnale	Ait Amar	67,24	99,18	60,54	82,56	119,75	85,86
	Haut Nekkor	353,32	Sbv>200km²	416,28	422,07	435,89	406,89
débit vingtennale	Ait Amar	78,17	128,86	72,69	93,60	137,21	102,11
	Haut Nekkor	433,23	Sbv>200km²	499,82	478,54	499,44	477,76
débit cinquantennale	Ait Amar	90,61	173,72	60,54	82,56	159,77	113,44
	Haut Nekkor	520,37	Sbv>200km²	416,28	422,07	581,52	485,06
débit centennale	Ait Amar	98,98	195,43	100,90	119,25	176,74	138,26
	Haut Nekkor	577,61	Sbv>200km²	693,79	609,65	643,31	631,09
débit millennale	Ait Amar	122,78		141,26	155,94	232,76	163,18
	Haut Nekkor	736,50	Sbv>200km²	971,31	797,24	847,20	838,06

Tableau 8- débits pour différentes période de retour selon Méthodes basées sur l'utilisation des formules empiriques.

- **Méthode Rationnelle :**

Cette méthode a été conçue pour estimer les débits de pointe des bassins versants dont la superficie est inférieure à 200 km².

En comparaison avec les valeurs adoptées, cette méthode montre des écarts faibles pour les faibles périodes de retour. Ces écarts prennent de l'ampleur au fur et à mesure que le temps de retour devient de plus en plus grand (voir la figure 4 et 5). Cela peut expliquer par la grande sensibilité des paramètres de cette formule.

- **Formule de Hazan lazaravic :**

La méthode de Hazan lazaravic est adaptée aux bassins versants marocains. Les auteurs de formule de Hazan Lazaravic ont utilisé des données provenant d'une quainzaine des stations hydrologiques réparties sur différents bassins couvrant le territoire marocain (Bouziane, 1997).

Pour le bassin versant de haut Nekkor, les valeurs des débits obtenues par cette méthode sont très proches à celles des valeurs adoptées pour les périodes de retour 10, 20, 50 et 100 et montrent des écarts moins importants pour la période de retour millennale (voir le tableau 6 et

ISSN 2569-734X

la figure 5). Pour le bassin versant de l'oued Ait Amar, cette méthode montre des écarts constants pour toutes les périodes de retour (voir le tableau 6 et la figure 4).

- **Formule de Fuller II :**

Cette approche est plus adéquate pour les deux bassins versants étudiés, la courbe des débits obtenus par cette méthode est conforme approximativement juste à celle des valeurs adoptées par la moyenne de différentes méthodes (voir les figures 3 et 4).

- **Formule de Possenti :**

D'après l'analyse des graphes des figures 4 et 5, on peut déduire que la formule de Possenti est plus adéquate pour les grands bassins versants que pour les petits.

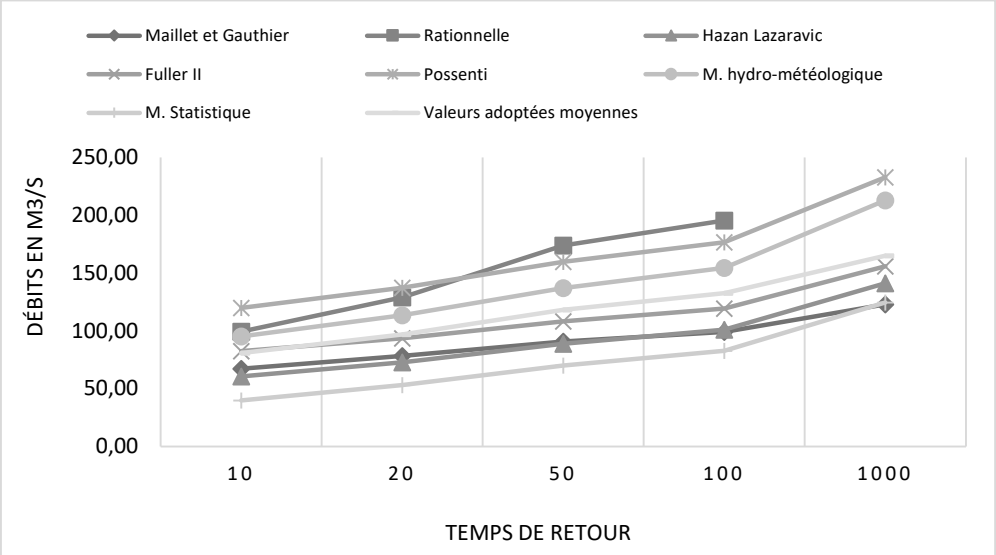

Figure 3 Débits maximums des crues obtenus par différentes méthodes utilisées pour différentes périodes de retour de l'oued Ait Amar.

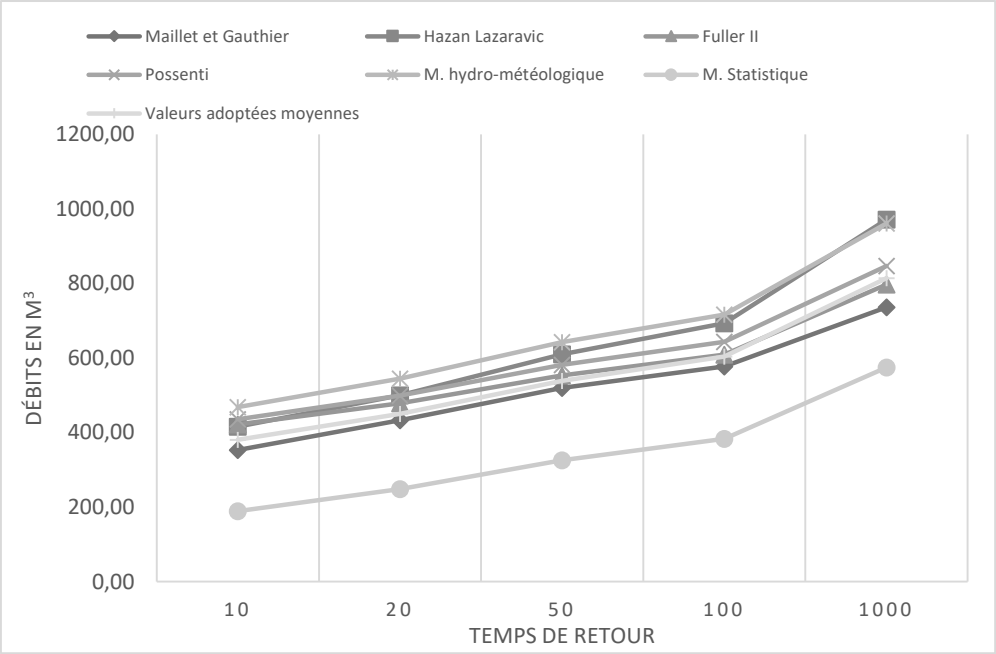

Figure 4 Débits maximums des crues obtenus par différentes méthodes utilisées pour différentes périodes de retour de l'oued Nekkor.

Toutefois, toutes les méthodes montrent des écarts faibles pour les faibles périodes de retour. Ces écarts prennent de l'ampleur au fur et à mesure que le temps de retour devient de plus en plus grand (voir la figure 3 et 4).

La méthode statistique donne des valeurs faibles (voir figure 4), surtout dans le bassin versant haut Nekkor, on suppose qu'il y a la série de débits analysée n'est pas assez longue (18 ans) ou il y a un problème au niveau du jaugeage (certaines valeurs des débits ne sont pas homogènes avec celles des pluies enregistrées dans les stations pluviométriques de voisinage). Si l'ajustement est réalisé sur des séries trop courtes, cela peut conduire à des estimations loin de la réalité. Donc, cette méthode est appropriée pour les bassins versants avec de longues séries de débits.

Si nous ne prenons pas en compte la méthode statistique, toutes les méthodes donnent des résultats comparables surtout dans le bassin versant Haut Nekkor. Donc, les méthodes adéquatent pour estimer les débits de crue utilisés dans la simulation des zones inondables au niveau du centre rural de l'Arbaâ Taourirt sont comme suit : Méthode hydropluviométrique de prédétermination des crues, formule de Maillet et Gauthier, méthode Rationnelle, Formule de Hazan Lazarevic, formule de Fuller II et la formule de Possenti.

B- Modélisation hydraulique :

Pour cartographie les zones inondables au niveau de la zone d'étude, nous avons élaboré un modèle hydraulique s'est basé sur les éléments suivants : une image raster de résolution de 6m*6m, des débits de retour des périodes 10 ans, 20 ans, 50 ans, 100 ans et 1000ans, des images satellitaires récente de haute résolution des profils topographiques correctés à partir de travail de terrain.

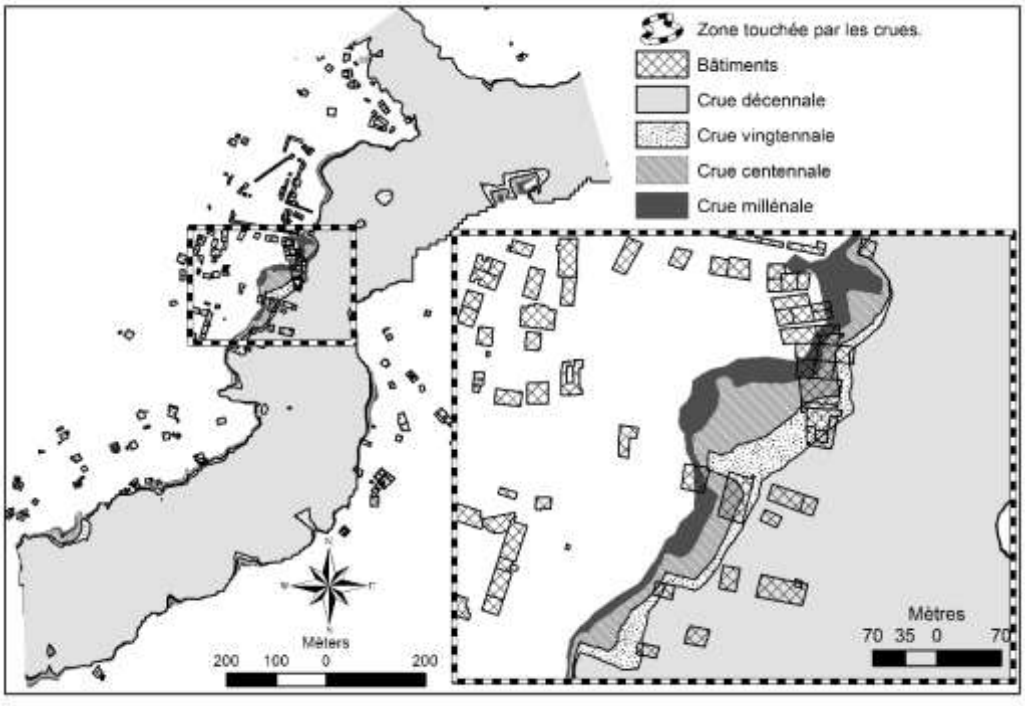

Figure 5 Zones inondées par différentes crues de retour au niveau de centre rural Arbaâ Taourirt.

Dans la figure 5, la carte des zones inondées par différentes crues de retour montre qu'une grande extension de la crue décennale (300 mètres de la largeur) et des faibles écarts spatiaux entre les différentes crues de retour. Cela peut expliquer par le style fluvial et le type de la dynamique fluviale dominant dans cette zone ; la plaine alluviale de l'oued Nekkor au niveau du centre rural Arbaâ Taourirt est constituée par un lit en tresse très large sa la largeur peut atteindre dans certains endroits 280 m, ce lit regroupe à la fois le lit mineur et le lit moyen et comprend un grand nombre des chenaux d'écoulements. Les différentes crues de retour peuvent donc remplir complètement ce lit. La capacité de transport de la dynamique latérale est supérieure à celle de la dynamique longitudinale.

Figure 6 - Zone inondée par la crue Centennale (Couleur Blue) de l'oued Nekkor au niveau de centre rural Arbaâ Taourirt.

Photo 1 - Centre rural Arbaâ Taourirt. (A, B, C et D sont des points de repères choisis de façon à permettre une liaison entre la figures 7 et la photo 1)

Le centre rural Arbaâ Taourirt s'est développé sur les deux rives de l'oued Nekkor, ce développement plus remarquable sur la rive gauche (voir la photo 1). Les habitants se sont installés sur le lit majeur de l'oued Nekkor en raison de la disponibilité des terres plates et des sols fertiles, et à cause de l'absence des normes juridiques à organiser les constructions dans cette zone. Cette extension spatiale des habitats sur les zones inondables est justifiée par les résultats obtenus, la carte des zones inondées par les différentes crues de retour montre qu'une partie de la rive gauche de l'oued Nekkor sur laquelle a été développé le centre rural Arbaâ Taourirt est submergée par les différentes crues de retour (voir les figures 5 et 6). Il faut noter que ce centre est constitué par deux noyaux, le noyau principal se situé sur la rive gauche de l'oued Nekkor et l'autre noyau se situé sur l'autre rive. Malheureusement, il y n'a pas d'un pont

pour que les citoyens puissent s'y déplacer entre les deux rives, et pour que les enfants puissent à l'école sans danger au moment de la montée de la crue, surtout que les établissements scolaires concentrés au sein du noyau gauche. Les seuls moyens qui permettent de déplacement des citoyens entre les deux rives sont les pistes temporaires qui sont tracées par le passage répété des véhicules et par le creusement des eaux des chenaux du lit en tresse.

Conclusion et perspectives :

Les résultats de cette étude ont permis d'identifier les méthodes les plus adaptées pour estimer les débits de crue dans le bassin versant de l'oued Nekkor, à Arbaâ Taourirt. Les méthodes hydro-pluviométriques et les formules empiriques se sont révélées les plus performantes pour ce cas d'étude, tandis que les méthodes statistiques ont montré leurs limites face à la courte durée des séries de données disponibles.

Par ailleurs, la simulation numérique a permis de délimiter les zones inondables et de mettre en évidence la vulnérabilité de certaines zones du centre rural Arbaâ Taourirt face aux crues. Ces résultats soulignent l'importance de disposer de cartes des risques d'inondation pour une gestion efficace de ce risque.

L'intégration de ces cartes dans les documents juridiques constitue une avancée majeure pour la prévention des risques d'inondation. En effet, cette démarche permet de :

Mieux informer les populations : Les cartes des risques permettent de sensibiliser les citoyens aux dangers liés aux inondations et de favoriser une culture de la prévention.

Améliorer l'aménagement du territoire : En identifiant les zones à risque, il est possible d'orienter les projets d'aménagement vers des secteurs moins exposés aux inondations.

Concernant les perspectives, cette étude ait apporté des éléments de réponse intéressants, plusieurs pistes de recherche restent à explorer :

Affiner les modèles hydrologiques : Pour améliorer la précision des simulations, il serait intéressant de développer des modèles hydrologiques plus complexes, intégrant notamment les effets du changement climatique.

Intégrer d'autres sources de données : Les données de télédétection, les données géologiques et les données socio-économiques pourraient apporter des informations complémentaires pour une meilleure compréhension des processus d'inondation.

ISSN 2569-734X

Évaluer l'évolution des risques dans le temps : Il serait pertinent de réaliser des études diachroniques pour analyser l'évolution des risques d'inondation en fonction des contraintes climatiques et des aménagements du territoire.

Développer des outils d'aide à la décision : Des outils d'aide à la décision pourraient être développés pour aider les décideurs à mettre en œuvre des mesures de prévention et de gestion des risques.

En conclusion, cette étude met en évidence l'importance de la modélisation hydrologique pour une meilleure compréhension des processus d'inondation et pour une gestion efficace des risques. Les résultats obtenus ouvrent des perspectives intéressantes pour de futures recherches et pour l'amélioration de la gestion des risques naturels dans le contexte du changement climatique.

Référence bibliographique :

Achite, M. et al (2006)., Etude comparative des méthodes d'estimation des crues en zone semi-aride. Cas de bassin versnt de l'oued Sly (Shlef, Algérie). Geomaghreb n°6, pp. 55-61

Bouziane, A. (1997)., Estimation régionale des débits de crues : méthodes utilisées au Maroc [Rapport scientifique]. Université Mohammed V (École Mohammadia d'Ingénieurs), Maroc, 12 p.

Coutagne, A. (1951)., Méthodes pour déterminer le débit de crue maximum qu'il est possible de prévoir pour un barrage et pour lequel le barrage doit être établi. Quatrième congrès des grands barrages (New Delhi), R-84 : p. 687-711.

CTGREF. (1972)., L'application de la méthode du Gradex à l'estimation des crues de faible fréquence. Division hydrologie, France.

École Polytechnique Fédérale de Lausanne, Suisse (2001). Cours "Hydrologie générale" (du professeur André Musy) offert sur Internet à l'adresse hflp:/ldgrwww.epfl.chIHYDRA Mle-dr%giel.

El Hafid (Driss), 2006. Genèse et gestion des risques hydrologiques dans les zones urbain cas des villes Oujda, Berkane et Saïdia (Maroc oriental) (thèse).

EMI (1999)., Méthodes de calcul d'un débit de projet. Notes de cours de l'École Mohammadia d'Ingénieurs (EMI), Maroc, 24 p.

El Sabri (Saïd), 1995, "Approche du phenomene de la croissance urbaine dans le Rif Central (Province d'Al Hoceima, Nord du Maroc): cas du doublet Imzouren-Bni

Bouayach."Thèse Doct. Univ. van Amsterdam, Faculty of Social and Behavioural Sciences (FMG). Amsterdam, Pays-Bas.304p

Francou, J. et J. A. Rodier (1969)., Essai de classification des crues maximales. AIHS Publication (Les crues et leur évaluation, Vol. 1), no. 84, p. 518-527.

Fuller, W. E. (1914)., Flood flows. Trans. Am. Soc. Civ. Eng., Vol LXXVII, 1293 : p. 564- 617.

Guillot. P et Duband. D, (1967)., La méthode du Gradex pour le calcul de la probabilité des crues à partir des pluies, in Floods and Their Computation. Proceedings of the Leningrad Symposium, IASH Publ. 84: 560–569.

Gumbel. E. J, (1958)., Statistics of Extremes. Columbia University Press, ISBN 0-483-43604-7.

Gumbel. E.J, (1935)., Les valeurs extrêmes des distributions statistiques. Ann.Inst. H. Poincaré 5(2): 115–158. Retrieved 2009-04-01.

Hershfield. D. M et Kholer. M. A, (1960)., An empirical appraisal of the Gumbel extreme-value procedure. Journal of Geophysical Research 65 N°6 pp 1737-1746.

Lasri, M. (2015). Les inondations menaçant l'agglomération de Fès : De l'étude hydrologique et du risque à la cartographie des dangers d'inondation. Thèse de Doctorat, Université sidi mohamed ben abdellah, Faculté des lettres et des sciences humaines-Sais-Fès.

Layan (Badr), 2013, "Détermination des crues de projet, modélisation hydraulique et gestion du risque d inondation dans le BASSIN VERSANT de l oued larbaa.Cas de la ville de Taza (Maroc)."Thèse Doct. Univ. Sidi Mohamed Ben Abdellah, Faculté des Sciences. Fés, Maroc.163p

Taha B.M.J. Ouarda, Hugo Gingras, Bernard Bobée, Marie Lemonier (2001)., Projet T3.2 - synthèse des méthodes simples de régionalisation. Rapport de recherche No R-600, Chaire en Hydrologie statistique Hydro-Québec/Alcan/CRSNG, INRS-Eau, Sainte-Foy (Québec), 178 p.

Mauro Da Chunha Naghettini Mauro. D. C. N, (1994)., Methodology for estimating the upper tail of flood-peak frequency distributions using hydrometeorological information. TX0004317470.

Ouarda, T.B.M.J., Cunderlik, J.M., St-Hilaire, A., Barbet, M., Bruneau, P., Bobée, B., (2006)., Data-based comparison of seasonality-based regional flood frequency methods. J. Hydrol. 330, 329–339.

Ouarda, T.B.M.J., Ba, K.M., Diaz-Delagdo, C., Carstenu, A., Chokmani, K., Gingras, H., Quentin, E., Trujillo, E., (2007)., Regional flood frequency estimation at ungauged sites in the Balsas River Basin, Mexico. J. Hydrol. 348, 40–58.

PNUD, (2004)., "Rapport Mondial sur le Développement Humain", Economica, p. 260

Salhi, A. (2008). Géophysique, hydrogéologie et cartographie de la vulnérabilité et du risque de pollution de l'aquifère de Ghis-Nekor (Al Hoceima, Maroc). Thèse de Doctorat, Université Abdelmalek Essaadi, Tétouan, Maroc, 277 p.

Sarah. M et Francisco. O, (2007)., Floodplain Mapping and Hydraulic Analysis with HEC-GeoRAS 4.1.1 and ArcGIS 9.1. 42P.

USACE, (2009)., United States Army corps of Engineers. Hydrologic Engineering Center geo River Analysis System (HECgeoRAS). GIS tools for support of HER-RAS. Using ArcGis. User's Manual. , Version 4.2 September2009. Approved for public Release. Distribution Unlimited. 246P.

USACE, a, (2010)., United States Army corps of Engineers Hydrologic Engineering Center River Analysis System (HEC-RAS). User's Manual, Version 4.1 January 2010. Approved for public Release. Distribution Unlimited. 790P.

USACE, b, (2010)., United States Army corps of Engineers. Hydrologic Engineering Center River Analysis System (HECRAS). Hydraulic Reference Manual. , Version 4.1 January 2010. Approved for public Release. Distribution Unlimited. 417P.